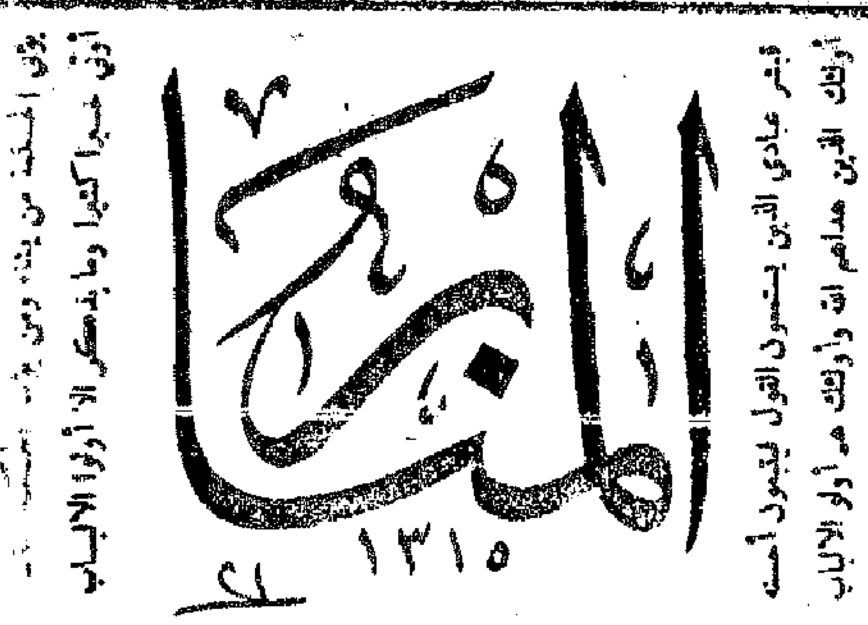


﴿ قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق ﴾

٢٩ ربيع الاول ١٣٣٧ — ١١ القوس (ش ١) ١٢٩٧ هـ ش ٢ ديـ[illegible] ١٩

فاتحة المجلد الحادي والعشرين

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن عز وقدر، وغلب فقهر، وخلق كل شيء بقدر، وصلاة وسلاما على خاتم رسله محمد الذي بعثه رحمة للبشر، ونذيرا للاسود والاحمر، وأنزل عليه أحسن الحديث والسير، والمواعظ والعبر، فاعتز وساد من اهتدى بآياته وادّكر، وشقي من أعرض وكفر، ولا تزال ميزانا لسير البشر، في البدو والحضر (٧٤: ٣٢ كَلَّا وَالْقَمَرِ ٣٣ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ٣٤ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ٣٥ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ٣٦ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ٣٧ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ)

أنذر المغترين بقوة الاجناد، والاستعداد للحرب والجلاد، المغترين بكثرة الاموال والاولاد، وسعة الملك وعمران البلاد، سنته التي خلت في العباد، الباقية الى يوم التناد، في سوء عاقبة البغي والفساد، والفحش والسفاد، ذكرهم بما عاقب به من قبلهم، ثم أنذرهم عذابا يبعثه عليهم من فوقهم، أو يثيره بهم من تحت أرجلهم، أو يلبسهم شيعا بتنازع أطماعهم في الارض، ويذيق بعضهم بأس بعض، فتماروا بالنذر، واتكلوا على ما أوتوا من القوى والحيل: اتكلوا على قوة العلم والنظام وما لهما من قوة، اتكلوا على قوة الدخان السام والآلات الحربية، اتكلوا على قوة الدواسات والمدرعات والنسافات والمدمرات البحرية، اتكلوا على قوة الاموال من المواد والنقود الذهبية، اتكلوا على قوة المكر والخداع والتجسس والمكايد السياسية، أعد كل ما استطاع من قوة لخذل الحق واتباع الهوى، متكلا على ما كانوا يسمونه توازن القوى، لاعتقاد الجميع أن الحق للقوة أو أن القوة تغلب الحق، ثم منى كل نفسه بالنصر أنه صاحب الحق (٢٣ : ٧١ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ) (٥٤ : ٤٣ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ٤٤ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ٤٥ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ٤٦ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ)

نسوا أن علم الله فوق كل علم وقوله (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)، نسوا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وأشد بأسا وأشد تنكيلا، نسوا سنته في قوله (١٧ : ١٧ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) وسنته في قوله (١٧ : ٤

وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ٥ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا) الى آخر تلك الآيات . العبر . وأمثالها من الامثال والنذر (٥٤ : ٤ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ٥ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ)

ان سنن الله تعالى في نوع الانسان ، كسننه في سائر الاكوان ، حق وعدل ، ورحمة وفضل ، الا أن الناس يجنون على أنفسهم ، ويجنون على فطرتهم ، فيضر الفرد أو الجمع منهم ليضر ، ويضر لينتفع ويسر أو لينفع ويسر ، فيعود ضرره عليه ، ويحفر لاخيه أخدودا فيقع فيه ، يفرط أو يفرط أناس في شهواتهم البدنية ، فتنتابهم الامراض الجسدية ، فاذا عرفوا بذلك سنن الله تعالى فيها ، وحكمته في تقادم أسبابها وخوافيها ، كانت فائدة الامراض أعظم من غوائلها ، ونفعها أكبر من ضررها ، ويفرط قوم ويفرط آخرون في الشهوات الاجتماعية ، فيعبثون بالحقوق المشتركة والروابط المعنوية ، فيهيج البغي والعدوان بين القبائل والشعوب ، وتشتعل بينهم نيران الحروب ، فتكون فتنة وبلاء للجميع ، وان ظهر ذلك أولا في فريق دون فريق ، ثم تكون العاقبة للمتقين ، والنقمة على الباغين والعادين ، (٢٢ : ٥٨ ذَلِكَ ، وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ) و « ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » والظالم سيف الله ينتقم به ثم ينتقم منه (١١ : ١٠٢ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) وما كان يظن بأرقى الامم بحثا في السنن الالهية ، وأوسعها علما بالشؤون الاجتماعية ، أن تكون أشد عدوانا وبغيا ، من

أشد القبائل البدوية غباوة وجهلاً . ولكن كان مثل هذه الامم كمثل الاطباء ، الذين تفتك بشبابهم الامراض والادواء ، لافراطهم في شرب المسكر ، واسرافهم في الفحشاء والمنكر ، وهم أعلم الناس بضررها ، وأبلغهم لساناً في التحذير من خطرها ، وذلك برهان قطعي على أن علوم البشر جميعها ، لا تغني في اصلاح حال البشر عن هداية الدين ، دين الاذعان واليقين الحاكم على الارادة ، لا دين التقليد الذي لا يخرج عن حكم المادة ، وان ضل من اغتر بعلومهم فكفر ، وفسق عن أمر ربه وفجر ، وجهل حكمة الله وسننه في خلق البشر ، فقال بفنائهم وبقاء الحجر والمدر ، (٧٥ : ٧ فإذا بَرِقَ البَصَرُ ٨ وَخَسَفَ القَمَرُ ٩ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ ١٠ يَقولُ الإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ المَفَرُّ ١١ كَلا لا وَزَرَ ١٢ إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المُسْتَقَرُّ ١٣ يُنَبَّأُ الإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَأَخَّرَ)

لقد أتى على أمم الشمال الغربية حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً ، اذ كان أهل الجنوب الشرقيون يملأون الآفاق علماً ونوراً ، لا يزال بعضه مروياً مأثوراً ، أو مرئياً منظوراً ، وذهب البعض الآخر هباء منثوراً ، ثم أتى عليها أحقاب نالت فيها بالعلم والصناعة ملكاً كبيراً ، وتبوأت من تراث ملوك الشرق جنات وقصوراً ، وزخرفاً وحريراً ، وثلت عروشاً رفعها العدل والعلم ثم وضعها الجهل والظلم فدمرها تدميراً ، فكانت سيف الانتقام الالهي منتضى مشهوراً ، . ولكن استكبر أهلها في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً ، ولم يقيموا الميزان الذي يتبجحون به ميناً وزوراً ، ولو غير أهل الجنوب ما بأنفسهم لغير الله ما حل بهم ، ولكن أوشك أن يدور الزمان ، ويعود الامر كما كان (٣٣ : ٣٨ سُنَّةَ اللهِ في الذينَ خلَوْا

مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا — ٥٤: ٤٩ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ٥٠ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ)

تعارضت بين دول الشمال المطامع ، وتنازعوا على ما يصيبون في الجنوب والشرق من المنافع ، فحكم القضاء في قضيتهم المدافع ، وكان عذاب ربك واقعاً ماله من دافع ، فقتلوا من أبنائهم في أربع سنين ، أضعاف من قتلوا في حروب المطامع في عدة قرون ، وخسروا في هذه السنوات من الاموال ، أضعاف ماربحوا من جميع الاجيال (٢٢: ٤٣ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ٤٤ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) ولولا أن خلق الانسانُ من عجل ، لما استبطأ عدل الله في الامم والدول ، فمن ذا الذي كان يظن من المستعجلين أو المستبطئين ، ان يرى العالمُ في القرون المطولة ما أرته هذه الحرب في أربع سنين ? : ثُلَّ عرش قياصرة الروس القاهرين ، وأُبعد القيصرُ وأهل بيته الى حيث كان يعتقل نابغي العلماء والسياسيين ، وتمزقت كبرى سلطنات (امبراطوريات) الارض ، الى بضع جمهوريات يسفك بعضها دماء بعض ، فثل عرش السلطنة النمسوية ، وتمزقت الى عدة حكومات جمهورية ، وتدهور عن عرشه أعز عاهل على وجه هذه الارض ، بعد ان كاد يقضي على أكثر أمم الشرق مع الغرب ، وهو النافذ الحكم والارادة في أوسع أمم الارض علما ، وأدقهم نظاما وأمتنهم حكما ، فكان سقوطه كسلك انقطع فتناثرت الفرائد ، اذ سقط ملوك الجرمان وامراؤهم واحدا بعد واحد ، وأجبر قبله على

الاستقالة ملك اليونان، وتلاه كل من ملكي البلغار ورومانيا، وتقلص ظل الترك عن بلاد العرب والارمن والاكراد، التي سفك طغاتهم الاتحاديون فيها الدماء وأكثروا فيها الفساد (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) (٣: ٢٦ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ) (٧٤: ٣٤ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ)

ومن أكبر العبر أن الله أنقذ أوربة من ظهور الالمان عليها، وما كان يحذر من سيطرتهم على مستعمراتها بعد اجلائهم عنها، على يد أقل الشعوب الكبرى استعدادا للحرب والجلاد، وأبعدها عن طلب السيادة على الشعوب والطمع في البلاد، وهو شعب الولايات المتحدة الامريكية، الذي كان له من الفلج بقوة الحق المعنوية، فوق ما كان له من الظفر بترجيح قوى الاحلاف الجندية والمادية، فان دعوة رئيسه (الدكتور ولسن) الى بناء صلح الامم على ما وضعه من قواعد الحق والعدل العام، واستقلال الشعوب والاقوام، والمساواة بين الاقوياء والضعفاء، والاولياء والاعداء، هو الذي زلزل نظام الشعوب الجرمانية الراسخ البناء، وأظهر الاشتراكيين الضعفاء منهم على أولئك الجبارين من الملوك والامراء، فكان به الظفر للقوة الادبية، على تلك القوى العسكرية والمالية، التي أعدت لمقاومة البرية، (٧: ١١٧ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١١٨ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ) فعلم بذلك ان القوة للحق أو ان قوة الحق فوق قوة الباطل، (٢١: ١٨ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) وانما بقاء الباطل

في نومة الحق عنه ، أو خداعه للحق حتى يوهمه انه له أو منه أو شبهة منه ، أما وقد استيقظ الحق من رقدته ، وصرع الباطل وهو في عنفوان قوته ، فلم يبق الا أن يجرده من قوة المكر والخداع ، التي هي عتاده الآن في الهجوم والدفاع ، والكر في ميادين الاصطراع (١٨:٧٤ إنه فكر وقدر ١٩ فقتل كيف قدر ٢٠ ثم قتل كيف قدر ٢١ ثم نظر ٢٢ ثم عبس وبسر ٢٣ ثم أدبر واستكبر)

قتل الانسان ما أكفره : اذا مسه الضر لجأ الى الحق والعدل ، والرحمة والفضل ، فاذا نجا منه استبدل الكفر بالشكر ، ولجأ الى الخديعة والمكر (١٠: ٢١ وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا ، قل الله أسرع مكرا ، إن رسلنا يكتبون ما تمكرون ٢٢ هو الذي يسيركم في البر والبحر إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين : لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ٢٣ فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق ، يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ، ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون ٢٤ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) هذا هو القول الفاصل ، بين الحق والباطل ، المبين لحال الافراد

والمجاعات، في اختلاف الحالات والاوقات، ولكن قد ظهر لفضلاء العقلاء، من الامريكيين والحلفاء، بما رزئ به العالم في هذه الحرب من البأساء والضراء، أنه لا سلام في الارض، إلا بالمساواة في العدل، وترك سياسة المكر والرياء، ومعاهدات السر والخفاء، واستقلال جميع الشعوب بأمر حكوماتها، وتأليف عصبة من علماء الامم للفصل في خصوماتها، وإلغاء جميع المعاهدات القديمة السرية، وان عللت بدعوى ارادة الخير وحسن النية،.. وانما الخير كله في الحرية، وهذا ما دعا اليه (الرئيس) جميع المتحاربين، فوافقوه على أن يقبلوه مذعنين، وأسر الكيد له بعض الطامعين، ليأخذوا بالشمال ما عجزوا عن اخذه باليمين (٦: ١٢٤ وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون) وأما أولئك العقلاء فمتفقون على ما اقترحه (الرئيس) من وجوب الاخلاص، وان لا منجاة بدونه ولا مناص، إلا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير، وانقلاب (بلشفي) شره مستطير، أو تعود الحرب جذعة، بهذه السياسة الخدعة، الخبأة الطلعة، (٣٥: ١٠ والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ٣١: ٣٣ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) فهذا ما يذكر به المنار قراءه في فاتحة مجلده الحادي والعشرين، كدأبه فيما سبق من السنين، مقتبسا من الكتاب المبين، وما هو ذكرى للمغرورين بقوتهم، وبشرى للمغلوبين على حريتهم، وحجة على اليائسين، وعبرة للمعتبرين، وانما العبرة لمن اعتبر، والموعظة لمن ازدجر، (٥٤: ١٧ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)

منشئ المنار ومحرره
السيد محمد رشيد رضا

فتاوى المنار

ان غرضنا الاول من فتح هذا الباب في المنار بيان ما يشكل على الناس من حقائق الدين وكونه سبب سعادة الدارين، وما يخفى عليهم من اتفاق عقائده من العقل والعلم، وموافقة أحكامه للمصالح العامة، وآدابه للفضيلة العليا والكمال الانساني الاعلى، ورد ما يرد من الشبهات على ذلك، وكذا ما يحل أو يحرم في أصل الشرع لمن يبغي الاهتداء به، وليس من غرضنا بيان أحكام المعاملات المالية والشخصية، والوقائع التي يرجع فيها الى المحاكم الشرعية والمدنية، والغرض الثاني بيان المشكلات الاجتماعية والادبية التي تتعلق باصلاح حال الامة.

الانتفاع بالرهن — هل هو ربا

«س ١» من محمد محمد فاضل أحد مشتركي المنار بسنجرج (منوفية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (أما بعد) فما يقول الاستاذ الفاضل الامام الهمام السيد محمد رشيد رضا حفظه الله في الانتفاع بالاطيان المرهونة المسمى عند الفلاحين (بالغاروقة) هل هو من الربا المحرم الداخل تحت قولهم (كل قرض جر نفعا فهو ربا) أو يقاس على الظهر والدر في قوله صلى الله عليه وسلم « الظهر يركب بنفقته اذا كان مرهونا ولبن الدر يشرب بنفقته اذا كان مرهونا » الحديث أم ان هذا الحديث لا يقاس عليه شيء غير الذي ورد فيه. الرجا أن تفيدونا بالجواب ولكم حسن الثواب تحريرا في ٥ ربيع اول سنة ١٣٣٧

(ج) ان ما ذكر من الانتفاع بالرهن ليس من الربا وجملة « كل قرض جر نفعا فهو ربا » رويت حديثا ولم يصح بل قيل بوضعه كما بينا ذلك في المنار من قبل (ص ٣٦٢ م ١٠) في حديث الصحيحين وغيرهما أن النبي (ص) زاد في قضاء الدين على الاصل وعده من حسن القضاء، وانما تكون الزيادة ربا اذا كانت مشروطة في العقد. وأما الانتفاع بالرهن فالحديث الذي أوردتموه فيه رواه البخاري في صحيحه وأكثر أصحاب السنن وغيرهم وورد بالفاظ أخرى ولكن الانتفاع بالرهن فيه في مقابل النفقة عليه لا في مقابل الدين، وقد قال بعض الأئمة بالاخذ به في الرهن الذي يحتاج الى نفقة مطلقا واشترط بعضهم فيه امتناع الراهن من تلك النفقة ومنع أكثرهم الانتفاع بالرهن مطلقا وأجابوا عن الحديث بما لامحل لبيانه هنا. وبعضهم يجيز انتفاع المرتهن بالرهن باذن الراهن وهو الذي جرت عليه جمعية علماء الحنفية، التي وضعت للدولة مجلة الاحكام العدلية، ومن الناس من يجري في هذه المسألة على طريقة بيع الوفاء وهو معروف ومقرر في المجلة أيضا

مبادىء الانقلاب الاجتماعي الاكبر

وحرية الامم

(١)

شروط الصلح العالمي أو صلح الامم العام

التي وضعها وأعلنها الدكتور ولسن رئيس جمهورية الولايات المتحدة في أول سنة ١٩١٨ وقبلتها حكومات الحلفاء ثم رضيت الحكومات المحاربة لهن بجعلها قواعد للصلح العام

« وذلك قبل التعديلات التي اقتضت الحال ادخالها عليها »

منقولة عن الجرائد المصرية ومصححة على نسخة التيمس الصادرة في ١١ يناير سنة ١٩١٨

١ — ابرام اتفاقات الصلح علانية واعدادها علانية وبعد عقدها لا تبرم اتفاقات خاصة من أي نوع كان مما يتناول الشؤون الدولية ولكن الهيئات السياسية تعمل دائما جهارا وعلى مرأى من العالم .

٢ — حرية الابحار في البحر خارج حرم السواحل مطلقة من كل قيد (حرم السواحل ٦ أميال) سواء كان في زمن السلم أو في زمن الحرب الا في حالة اقفال البحار كلها أو بعضها بأمر دولي عام تنفيذا لاتفاقات دولية

٣ — ازالة الموانع الاقتصادية جهد ما تصل اليه الطاقة . وتقرير المساواة في الصلات التجارية بين جميع الامم التي ارتضت الصلح وتشاركت في تأييده

٤ — اعطاء الضمانات الكافية وأخذها بأن ينقص سلاح كل بلاد الى أقل مما يتفق مع أمن البلاد في داخلها

٥ — التسوية الحرة المقرونة بالتساهل والنزاهة التامة للدعاوي الاستعمارية يكون مبناها الاحترام التام للمبدأ الذي يجعل مصلحة الشعوب ذات الشأن مساوية للدعاوي النزيهة التي تدعيها الحكومة المنوي تقرير صفتها أو عنوانها

٦ — الجلاء عن الاراضي الروسية كلها وتسوية كل مسألة تتعلق بروسيا على وجه يضمن لها أحسن المعاونة وأوسعها من جميع أمم الارض . بحيث تقدم لروسيا

الفرصة الوافقة لتقرر دون حائل ولا مانع مرقاة تقدمها السياسي والقومي و يكفل لها بكل اخلاص قبولها في حجر الامم الحرة بالانظمة التي تختارها هي لنفسها بل يقدم لها فوق قبولها المساعدة التي قد تحتاج اليها أو تتمناها من كل وجه

والمعاملة التي تعامل بها روسيا من الامم شقيقاتها في الاشهر المقبلة تكون الدليل الناصع على حسن مقاصدهن وعلى معرفتهن حاجات روسيا بصرف النظر عن مرافقهن الخاصة بل الدليل على عطفهن المعقول وكرمهن

٧ — العالم كله موافق على قصد الجلاء عن البلجيك وترميمها دون أقل مسعى لانتقاص من سيادتها التي تتمتع بها كسائر الامم الحرة ولا يقوم عمل من الاعمال كهذا العمل في اعادة ثقة الامم في القوانين التي وضعتها هي ذاتها وجعلتها دستورا لصلاتها المتبادلة . وبدون هذا العمل يتهدم بناء القانون الدولي وتضيع قيمته الى الابد

٨ تحرير جميع الاراضي الفرنساوية وترميم جميع المناطق المجتاحة والغرم الذي أصاب فرنسا من بروسيا في عام ١٨٧١ فيما يتعلق بالالزاس واللورين وهو الغرم الذي كدر صفو السلم في مدة خمسين سنة تقريبا يجب أن يعوض عليها حتى تعود طمأنينة السلم لمصلحة الجميع

٩ — تعديل الحدود الطليانية يجب أن يتم طبقا للمبادئ القومية واضحة كل الوضوح

١٠— تعطى لشعوب النمسا والمجر التي نريد أن نرى مقامها بين الامم ثابتا ومضمونا كل التسهيلات لزيادة استقلالها الاداري

١١ — رومانيا وسربيا والجبل الاسود يجلى عنها والاراضي المحتلة ترمم ويضمن لسربيا طريق الى البحر . وصلات الدول البلقانية تكون متبادلة ومبنية بنصح ودية، وتجري هذه الصلات على قاعدة التقاليد العنصرية المقررة تاريخيا. ويجب البحث الجد في الضمانات الدولية للاستقلال السياسي والاقتصادي وصيانة الاملاك لدول البلقان

١٢ — الاقاليم التركية من أملاك السلطنة العثمانية الحاضرة يجب أن يضمن لها سلطان وطني وطيد . ولكن الامم الاخرى التي هي الآن تحت الحكم التركي يجب أن تضمن لها حياة أمن لا ريب فيه وفرصة للتدرج في الاستقلال الاداري لا شائبة فيها أبدا، وأما الدردنيل فيجب أن يظل مفتوحا دائما كطريق حرة لبواخر جميع الامم ومتاجرها تحت حماية جميع الدول

١٣ — يجب انشاء دولة بولونية مستقلة وهذه الدولة تتألف من جميع الاراضي التي لا يجادل بأن سكانها من البولونيين وتضمن لهذه الدولة طريق الى البحر ويضمن باتفاق دولي استقلالها السياسي والاقتصادي كما تضمن سلامة أملاكها وأراضيها

١٤ — يجب أن تؤلف من جميع الامم عصبة عامة باتفاقات معينة يكون الغرض منها تبادل الضمان للاستقلال السياسي وصيانة الاملاك على حد المساواة للامم الصغيرة والكبيرة .

(٢)

خطبة الرئيس ولسن في عيد استقلال الاميركيين

مترجمة عن عدد التيمس الذي صدر في ١٢ يوليو سنة ١٩١٨

في اليوم الرابع من يوليو (تموز) الماضي احتفلت الولايات المتحدة الاميركية بعيد استقلالها فوقف الرئيس ولسن عند قبر وشنطون على جبل فرنون وخاطب المجتمعين حوله قائلا :

يسرني أن آتي معكم الى هذا المحل الاستشاري القديم البعيد عن الضوضاء لأخاطبكم قليلا بمغزى هذا اليوم الذي هو عيد حرية أمتنا ، المكان منفرد والهدوء تام فيه ، وهو لا يزال بعيدا عن ضوضاء العالم كما كان في تلك الايام الخطيرة الشأن حينما كان الجنرال وشنطون يأتيه مع الرجال الذين اشتركوا معه في انشاء الامة الاميركية ، كانوا يتطلعون الى العالم من هذا المكان فرأوه بعين الخيال التي تنظر الى المستقبل ، رأوه بعين أبناء هذا العصر التي لا يرضيها ماض تنفر منه النفوس الابية . ولذلك لا نشعر بأن هذا المكان موقف رجل ميت ولو كان قبره أمامنا ، فانه المكان الذي عمل فيه عمل عظيم ، عمل حي . هنا وعد الناس وعدا عظيما قولا وفعلا ، فالذكرى التي تحيط بنا في هذا المكان وتبث النشاط في نفوسنا هي ذكرى ذلك الرجل العظيم الذي لم يكن موته سوى خاتمة مجيدة لحياة مجيدة .

ومن هذه الاكمة الخضراء نتطلع بأعين باصرة الى العالم المحيط بنا ونتصور الوسائل التي يجب أن تحرر نوع الانسان . ومما لا ريب فيه أن وشنطون وشركاءه أثبتوا بأخلاقهم وأعمالهم أنهم لم يكونوا يقولون ويعملون لاجل فريق من الناس خاصة بل لاجل الشعب كله . فعلينا نحن أن نثبت أنهم لم يقولوا ولم يعملوا لاجل

شعب واحد بل لاجل العالم أجمع لم يكن اهتمامهم بأنفسهم ولا بمصالح الملاك والتجار وأصحاب المصالح الاخرى الذين كانوا يعاملونهم في فرجينيا وما اليها شمالا وجنوبا بل بالشعب كله الذي كان يرغب في نزع الامتيازات التي تميز ذوي المقامات العليا ونفي الخاصة وابطال سلطة حكامهم الذين لم يختاروهم للحكم عليهم .

لم يكن لوشنطون ومشيريه منافع شخصية ولا طلبوا امتيازات خاصة وانما أرادوا أن يكون كل انسان حرًّا وأن تكون أميركا ملجأ يلجأ اليه كل من يريد من أمم الارض أن يشاركهم في حقوق الاحرار ومزاياهم .

فيهدي أولئك الفضلاء نهتدي معتقدين أن اشتراكنا في هذه الحرب هو ثمرة الغرس الذي غرسوه . والفرق بيننا وبينهم أنه قسم لنا من حسن حظنا أن نشترك مع أناس من كل أمة في ما نؤمن به حريتنا وحرية كل الامم . ويسرنا جدا أنه أتيح لنا أن نفعل ما كان أسلافنا يفعلونه لو كانوا في مكاننا ، ويجب أن ينال العالم كله ما نالته أميركا في العصر الذي أتينا لنتذكره ونستمد الالهام منه .

لا شبهة في أن هذا المكان من أصلح الاماكن لان نلتفت منه الى عملنا ونوطن أنفسنا على القيام به ، وهو من أصلح الاماكن لان نبين للاصدقاء الذين ينظرون الينا وللحلفاء الذين كان من حسن الحظ أن شاركناهم في العمل ما هو الدافع الذي يدفعنا اليه وما هي الاغراض التي نرمي اليها .

فهذا ما نراه في هذه الحرب التي نخضنا غمارها . ان أغراض الخصمين منها واضحة بينة في كل فصل من فصولها . ففي الجهة الواحدة نرى أمم العالم التي اشتركت في الحرب فعلا والامم التي تئن من السيادة ولكنها لا تستطيع المقاومة . أمما كثيرة في كل أقطار المسكونة ومنها أمم روسيا التي تقوض بنيانها الآن .

وفي الجهة الاخرى نرى قواد جيوش ورؤساء حكومات لا يرمون الى نفع عام بل الى نفع خاص : الى مطامع شخصية لا ينتفع بها أحد غيرهم ، وأسيادوا شعوبهم كالوقود في أيديهم ، وحكومات تخشى من شعوبها ولكنها متسلطة عليهم تتصرف في دمائهم وأموالهم كما تشاء وفي دماء كل الشعوب التي تتسلط عليهم وأموالهم ، حكومات ترتدي حلل سيادة قديمة غريبة عن عصرنا ومعادية له .

فهذه الحرب الزبون الناشبة بين الماضي والحاضر وشعوب الارض ، تشهد في معتركها لا بد من أن تكون فاصلة حاسمة لا مهادنة فيها ولا مراضاة ولا توسط ولا هوادة الحلفاء محاربون لاجل أغراض أربعة ولا يلقون السلاح من أيديهم قبل أن تتحقق كلها:

(الأول) ملاشاة كل قوة استبدادية تستطيع أن تزعزع أركان السلم إذا أرادت ولو سرا . واذا كانت ملاشاة القوى الاستبدادية غير مستطاعة وجب على الاقل اضعافها حتى تعجز عن الضرر .

(الثاني) تسوية كل خلاف سواء كان في أرض أو سلطة أو مصلحة اقتصادية أو علاقة سياسية على مبدأ رضا الشعب الذي تتعلق به تلك التسوية مباشرة لا على مبدأ المصالح المادية والمنافع الشخصية التي تنال شعبا آخر أو تنال قوما يرغبون في تسوية أخرى لتعزيز سيادتهم أو نفوذهم الخارجي

(الثالث) تسليم الشعوب كلها بأن معاملة بعضهم مع بعض خاضعة لمبادئ الشرف والاحترام لناموس العمران الذي يخضع له سكان كل الممالك العصرية ، وان علاقاتهم بعضهم مع بعض خاضعة للقانون القاضي بأن كل العهود والوعود يجب أن تحفظ حفظا تاما بلا دسيسة ولا مخادعة ولا ضرر ولا اضرار ، وتوثيق عرى الثقة التامة على أساس الاحترام المتبادل والحقوق المتبادلة .

(الرابع) انشاء نظام للسلم يجمع قوة الامم الحرة لمقاومة كل معتد على الحق ويحفظ السلم والعدل باقامة محكمة من الرأي العام يخضع لها الجميع ويكون لها حق الفصل في كل خلاف يقع بين الامم ويتعذر عليهم فضه .

هذه الاغراض العظيمة يمكن التعبير عنها بجملة واحدة وهي اننا نطلب سلطان القانون المؤسس على رضا الرعايا والمؤيد برأي البشر المنظم . هذه الاغراض العظيمة لا تنال بالبحث والتوفيق بين مطالب رجال السياسة وما يشعرون به لتوازن القوة لحفظ مصالح الامة وانما تنال بما يصمم عليه العقلاء الذين يتوخون العدل والحرية

ويلوح لي أن هواء هذا المكان سيحمل صدى هذه المبادئ الى كل الأنحاء . هنا قامت قوات حسبتها الامة العظيمة التي وجهت لمقاومتها عصيانا على سلطتها الشرعية ولكنها رأتها بعد ذلك خطوة في تحرير شعبها كما هي خطوة في تحرير شعب

الولايات المتحدة . وقد وقفت الان لاحكام والفخر ملء نفسي والامل والثقة ملء جوانحي . عن نشر هذا العصيان بل هذا التحرير في أقطار المسكونة .

ان حكام بروسيا الذين عميت بصائرهم أثاروا قوى لا يعرفون قدرها ، قوى اذا ثارت لا يمكن اخمادها الا بها مدفوعة بحزم وعزم لا فتور فيهما ولان النصر معقود بناصيتهما .

(٣)

وجوه الحرب أو مقاصدها وجمعية الامم

خطبة الدكتور ولسن في نيورك

منقولة عن عدد التيمس الذي صدر في ٤ اكتوبر سنة ١٩١٨

خطب الرئيس ولسن في نيويورك قبل فتح باب الاكتتاب في قرض الحرية الرابع بستة آلاف مليون ريال فقال انه لم يحفل بتحرير الخطابة ليروج القرض فان ترويجه رجالا ونساء لا في همتهم ولا يفتر ولاؤهم وقفوا أنفسهم بحماسة على عرضه على مواطنيهم في جميع أنحاء البلاد وسيكون النجاح التام قرين عملهم لما هو معروف من حميتهم وحمية البلاد . وهذه الثقة مؤيدة بما يبذله مديرو المصارف (البنوك) من المعونة الصادقة القائمة على الخبرة والروية ، فانهم يساعدون مساعدة لا تثمن ويرشدون بآرائهم ومشورتهم . ثم قال : —

ما جئت لأروج القرض وانما جئت منتهزا هذه الفرصة لأكلمكم على أفكار تظهر لكم الامور التي يدور عليها هذا النزاع العظيم وتجلوها لعيونكم أكثر من قبل فتزداد حماستكم لحمل واجب تأييد الحكومة برجالكم وما عندكم من الوسائل المادية والبذل والايثار (وانكار الذات) الى أقصى الحدود . فليس في الدنيا رجل أو امرأة استوعب معنى هذه الحرب وهو يتردد في بذل كل ما عنده . فهمتي الليلة هي أن أشرح لكم مرة أخرى معنى هذه الحرب ومغزاها لنا . وحسبي هذا اذكاء لشعوركم وتذكيرا لكم بالواجب عليكم ، فانه كلما انقضى دور من أدوار هذه الحرب تجلى لنا ما نروم أن نبلغ بها . ومتى هاج فينا عامل الرجاء والانتظار أشد هياج ازداد تأملنا في النتائج التي تجنى منها والاغراض التي تنال بها ، وازداد ذلك كله وضوحا لاعيننا ، فان للحرب أغراضا معينة لم نوجدها نحن ولا نستطيع تغييرها ، ليست هذه الاغراض

من مخترعات رجال السياسة ومجالس الحكومات ، وليس في طاقة الساسة والمجالس تغييرها وتبديلها، لانها نشأت من طبيعة الحرب وأحوالها، فجهد ما يستطيعه الساسة ومجالس الحكومات تنفيذ هذه الاغراض أو نبذها خيانة منهم . ويحتمل أن هذه الاغراض لم تكن جلية في أول الامر ولكنها صارت جلية اليوم، فقد دامت الحرب أكثر من أربعة أعوام وخاضها العالم كله وحلت مشيئة بني البشر فيها محل مقاصد الدول . ويحتمل أن تكون الحرب أضرمت بيد فريق من رجال السياسة والدول ولكن ايقافها فوق طاقتهم وفوق طاقة خصومهم، لانها صارت حرب شعوب وشملت شعوبا من جميع الاجناس على اختلاف المراتب في القوة والثروة . وقد خضناها لما ثبتت صبغتها، وظهر أنه لا يوجد أمة تستطيع الوقوف أمامها مغلولة اليدين غير مكترثة لنتائجها . وقد محدتنا الحرب فتحدت في قلوبنا كل ما نعز في الدنيا وكل ما نحيا لاجله، وسمعنا صوتها فكان له رنة في قلوبنا، وسمعنا أيضا أصوات اخواننا من جميع أقطار العالم، وأصغينا الى نداء اخواننا الذين نادونا بعد ما سقطوا قتلى الى قاع البحار فلبينا دعوتهم بهمة عقلية وشجاعة . وكان الجو حولنا صافيا نقيا فرأينا الامور على حقيقتها وظللنا نراها بأعين شاخصة وعقول لم تتغير من ذلك الحين . وقبلنا الوجوه التي تدور الحرب عليها بحكم الحقائق، لا كما عرفها جماعات من الناس هنا أو في البلدان الاخرى، فلا يمكننا أن نقبل نتيجة لا تطابق تلك الوجوه أولا تحلها .

وهذه الوجوه أو الامور الجوهرية هي :

هل يسمح للسلطة العسكرية في أمة أو مجموعة من الامم أن تثبت الحكم في مصير شعوب ليس لها من الحق في حكمها سوى الحق المكتسب بالقوة ؟

هل يجوز للامم القوية أن تتعدى على الامم الضعيفة وتخضعها لمقاصدها ومصالحها ؟

هل يكون حكم الشعوب في أمورها الداخلية بقوة مطلقة غير مسؤلة أم بمشيئتها واختيارها .

هل يكون في العالم مقياس عام للحق والامتياز في جميع الشعوب أم يفعل القوي ما يشاء ويعذب الضعيف ولا نصير له ؟

هل يوطد الحق اتفاقا بمحالفات تعقد اعتباطا أو تكون هنالك جمعية من الامم

توجب احترام الحق العام المشترك ؟

هذه وجوه الحرب لم يخترها رجل واحد ولا جماعة من الناس فهي ملازمة الحرب ويجب أن تبت إما بالاتفاق أو التساهل أو بالتوفيق بين المصالح، ولكن يجب أن يكون بتها نهائيا مع التسليم التام الصريح بالمبدأ القائل أن مصلحة أضعف الخلق مقدسة كمصلحة أقواهم. وهذا ما نعنيه بالسلم الوطيد الدائم اذا تكلمنا باخلاص وفهم وعلم حقيقي بالمسألة التي نحن فيها. فنحن متفقون على أن لا صلح يحرز بالمساومة والتساهل مع الدولتين الجرمانيتين لانا عاملناهما قبل اليوم ورأيناهما في تعاملهما مع حكومات أخرى كانت تحارب في هذه الحرب وشاهدناهما فيما جرى في (برست ليتوفسك) و(بخارست) فأقنعتانا بأنهما خاليتان من الشرف، وأنهما لا تبتغيان العدل ولا ترعيان عهدا ولا تعرفان مبدأ سوى القوة ومصلحتهما، فالاتفاق معهما غير مستطاع وقد جعلتاه مستحيلا، والشعب الالماني يعلم الآن أننا لا نقبل عهود الذين جرونا الى هذه الحرب فاننا وإياهم على طرفي نقيض في معنى الاتفاق والتفاهم.

ومن أهم الامور أن نجمع إجماعا تاما صريحا على اجتناب كل صلح يحرز بالتساهل أو التنازل عن شيء من المبادئ التي جاهرنا بأننا نحارب لاجلها. ولهذا أتكلم بمنتهى الصراحة عن الامور التي يشملها ما تقدم. فاذا كانت الحكومات التي تحارب ألمانيا وشعوب تلك الحكومات متفقة على إحراز صلح وطيد ثابت كما أعتقد وجب على جميع الذين يجلسون حول مائدة الصلح أن يأتوا اليها وهم مستعدون أن يدفعوا الثمن الوحيد الذي يحرز هذا الصلح به، وأن يوجدوا الاداة الوحيدة التي تكفل تنفيذ معاهدات الصلح واحترامها. وهذا الثمن هو العدل المجرد عن الهوى في تنفيذ كل مادة من مواد الصلح بقطع النظر عن المصالح التي يتعرض ذلك لها ومن أصحاب هذه المصالح. لا أقول العدل المطلق فقط بل ارتياح الشعوب التي يحكم في أمورها ومصيرها أيضا. والاداة التي توصل الى ذلك والتي لا بد منها هي جمعية الامم التي تؤلف بعهود فعلية. ومن دون هذه الاداة التي تكفل دوام السلام يظل السلم العالم قائما على وجود قوم مستقلين من [illegible] قوق، لان ألمانيا يجب أن تبقى سواد جنودها لا في مجلس الصلح بل فيما يعقبه. وعندي ان تأليف جمعية الامم هذه وتعيين

الغرض منها تميناصر محا جليا يجب أن يكون جزءا من الصلح نفسه بل أهم جزء فيه.

ولا يمكن تأليف هذه الجمعية الآن فانها اذا ألفت الآن كانت عبارة عن محالفة جديدة مقتصرة على الامم المتحدة على عدو مشترك . ولا يحتمل أن تؤلف بعد عقد الصلح اذ من الواجب ضمان السلم والسلم لا يضمن بخاطر يخطر بالبال بعد الصلح . أما السبب الذي يقضي بضمان السلم فهو — بالقلم العريض — وجود فريق من الذين يحرمونه أثبت العالم أن عهوده لا يعول عليها، فيجب تدبير وسيلة عند عقد الصلح لازالة هذا العامل . ومن الحماقة أن يترك الضمان لمشيئة الحكومتين اللتين رأيناهما تدمران روسيا وتخدعان رومانيا

ولكن هذه الاقوال العمومية لا تكشف التمام عن المسألة كلها ولا بد من تفاصيل تجعلها أقرب الى الامور العملية منها الى الامور النظرية . فاليكم بعض التفاصيل أتلوها عليكم بثقة أعظم لانها رسمية تعبر عن تأويل الحكومة الاميركية لواجب عليها في مسألة السلم

الاول ان معنى العدل المجرد عن الهوى هو أن لا نميز بين الذين نريد أن نعدل فيهم والذين لا نريد أن نعاملهم بالعدل. فالعدل يجب أن لا يفرق ولا يميز ولا يحابي ولا يعرف من المقاييس سوى التساوي في الحقوق بين الشعوب المختلفة صاحبة الشأن

الثاني لا يجوز أن تجعل المصلحة الخاصة لامة أو أمم أساسا لجزء من الصلح اذا كانت مناقضة لمصلحة الكل

الثالث لا يجوز انشاء محالفات أو عهود خاصة واتفاقات داخل جمعية الامم العامة

الرابع لا يجوز أن تعقد في قلب جمعية الامم اتفاقات ومعاهدات اقتصادية خصوصية مصدرها حب الذات ، ولا يجوز استخدام المقاطعة الاقتصادية في أي شكل كان الا كعقاب اقتصادي باخراج المعاقب من أسواق العالم، وهذه سلطة تخول لجمعية الامم التأديب والسيطرة

الخامس يجب نشر جميع الاتفاقات التي تبرم بين الدول على رؤوس الاشهاد بحذافيرها وقد كانت المحالفات القومية والمعاهدات على اختلاف انواعها والمنافسة الاقتصادية مصدرا كبيرا للخطط والشهوات التي تؤدي الى الحرب فكل صلح

لا يقضي على هذه المحالفات والاتفاقات يكون ما حافظنا به من الاخلاص غير مأمون البقاء .

ان الثقة التي أتكلم بها عن شعبنا في هذه الامور لم تنشأ عن تقاليدنا فقط ولا عن مبدإ العمل الدولي الذي جاهرنا باتباعه دائماً فقط، فاذا قلت ان الولايات المتحدة لا تعقد معاهدات واتفاقات خصوصية مع أمم معينة فاني أقول أيضاً ان الولايات المتحدة مستعدة لحمل نصيبها الكامل من تبعة المحافظة على العهود العامة والاتفاقات المشتركة التي يشاد السلم عليها من الآن . فانا لا نزال نتلو وصية وشنطن الخالدة باجتناب « المحالفات المؤدية الى المشاكل » ونفهم مضمونها ونلبي الدعوة التي فيها على ان المشاكل تأتي من محالفات خصوصية محدودة، فنحن نقبل الواجب الذي يفرض علينا في العصر الجديد الذي نرجو فيه محالفة عامة نجتنب فيها المشاكل وتطهر جو العالم للتعارف بين شعوبه والمحافظة على حقوقه المشتركة

وصفت الحالة الدولية كما خلقتها الحرب، لا لاني أظن أن زعماء الشعوب العظيمة التي نحن متحدون معها مخالفون لي في الرأي والقصد، بل لان الجو يظلم من حين الى حين بما ينتشر فيه من الضباب وما يطرأ فيه من الريب والظنون التي لا اساس لها وتأويه الآراء المشوشة المؤدية الشر فيجب من حين الى حين دحض الاقوال التي يقولها غير المسؤولين عن دعاوي المصالح أو عن منافع في أمزجة وهوى في القصد من جانب ولاة الامور ويجب من حين الى حين المجاهرة بأتم صراحة بما تكرر ذكره من قبل

قلت اني لم أوجد وجوه الخلاف في هذه الحرب والمحاور التي تدور عليها ولم يوجدها غيري من رجال الحكومة بل قابلتها بما أوتيت من بعد النظر والتصميم الذي اشتد بزيادة وضوح هذه الامور . ومن الواضح الآن ان هذه النتائج مما لا يستطيع أحد ان يقلبها إلا اذا تعمد ذلك، فانا مضطر أن أقول لاجلها كما أظهر الزمان والاحوال لي ولكل العالم، وحقيقة هذه الامور تزداد كلما ازدادت جلاء والقوات التي تقاتل لاجلها تتحد وتتألب وتقوى بما يتم كلما ازدادت هذه الامور وضوحاً امام أعين الشعوب المحاربة ، ومن مميزات هذه الحرب الخاصة انه بينما رجال الدول يبحثون عن تعاريف لتعريف مقاصدهم وأغراضهم ويظهرون بمظهر الثائب الذي يغير اتجاه نظره كانت عقول الشعوب التي يعرض على أولئك

الرجال تعليمها وإثارة أذهانهـا تصقل وتتبين الاغراض التي تحارب لاجلهـا ، فصرف النظر عن الاغراض القومية ، وحل محلها الغرض العام المشترك للانسانيـة المستنيرة، وصارت آراء الناس أبسط مما كانت وأصدق وأشد اتحادا من آراء رجال الاعمال الذين لا يزالون يعتقدون أنهم يقامرون لاجل القوة والسلطة . يقامرون بمبالغ عظيمة ، لهذا قلت ان الحرب حرب شعوب وليست حرب ساسة، فعلى رجال السياسة أن يتبعوا سير الفكر العام وإلا سقطوا . وعندي ان هذا هو المداول عليه في الاجتماعات التي يعقدها عامة الناس الآن و يطالبون في كل واحد منها تقريبا من رجال حكوماتهم أن يخبروهم بالصراحة التامة ما يبغون من هذه الحرب وما هي الشروط التي يظنون أنها ستكون شروط تسويتها النهائية . ولم يرجع من ذكرت الى ماقيل لهم حتى الآن جوابا عن سؤالهم، لانهم يخشون أن يكون جواب السؤال مفرغا في عبارات تقسيم الاملاك والبحث في السلطة لا في قالب العدل والرحمة والسلام، وارواء غليل المظلومين من الرجال والنساء والشعوب المستعبدة، وهي الامور التي يرون أنها جديرة بحرب كهذه غمرت العالم ، ويحتمل أن يكون الساسة لم يدركوا هذا التغيير في عالم السياسة والعمل، ويحتمل أنهم لم يجيبوا مباشرة عن السؤال المطروح عليهم لانهم لم ينتبهوا الى دقة السؤال والجواب المطلوب . أما أنا فيسرني أن أحاول ترديد الجواب راجيا أن يفهم العالم أن الشغل الشاغل لي هو إرضاء الذين يحاربون في الصفوف وهم أولى الناس بالجواب الذي لا يعذر أحد على عدم فهمه مادام يفهم اللغة التي يصاغ هذا الجواب بها أو يستطيع الحصول على من يترجمه له الى لغته بالضبط . وعندي أن زعماء الحكومات التي نحن مشتركون معها سيتكلمون بالصراحة التي أحاول أن أتكلم بها كلما جانت لهم فرصة، وعسى أن يشعروا أنهم أحرار في تخطئتي اذا اعتقدوا أنني مخطىء في تعيين الامور التي تنشأ عن الحرب أو في ما أقول عن الوسائل التي يمكن بها الحصول على الحل الموافق لهذه الامور

ان توحيد القصد بين الدول في هذه الحرب ضروري كتوحيـد القيادة في الميدان، وهذا التوحيد في المشورة والرأي يكفل النصر التام ، فالنصر لا يحرز بغير ذلك « والهجوم الصلحي » لا يهم الامتي أظهرنا أن كل انتصار تحرزه الشعوب

المعتدية على ألمانيا بدني الامم من الامان والطمأنينة ويجعل تكرار حروب كهذه مستحيلا . ا . ألمانيا لا تنأ تلمح الى الشروط التي تقبلها (العقد السابع) فنجد أن العالم لا يقبل شروط الصلح بل يطلب انتصار العدل انتصارا نهائيا ، ويغير الانصاف في المعاملة . انتهى

﴿ تعليق المقطم ثم المقتطف على هذه الخطبة ﴾

نشر المقطم هذه الخطبة في ٢ اكتوبر وعلق عليها التعليق التالي قال :

« جعل الدكتور ولسن موضوع خطبته « جمعية الامم » التي يصبو الى تأليفها من جميع الدول ليكون منها حائل يحول دون وقوع حرب عظيمة أخرى تنكب بها الانسانية نكبات تمزقها عرق المدى . والذي ينعم النظر في هذه الخطبة النفيسة البليغة يجد أنه لم يقل فيها قولا لم يسبق له أن جاهر به في خطبته السابقة وخطاباته التاريخية الى مجالس الامة الاميركية فقيمتها اذاً في تأييد المبادئ والقواعد التي رسمها وبسط الآراء التي كان أول من نادى بها في معترك الامم فدل ذلك على أن نبي الحق ونصير العدل والرأفة في هذا العصر مصمم على أن يطبق هذه المبادئ النظرية على سياسة العالم العملية بكل ما أوتي من علم وذكاء وهمة ونشاط وما رزق شعبه من قوة وثروة وعلم وحمية

« إن الاشتراكية الصحيحة الخالصة من كل شائبة والتي ترفع قدر الانسانية هي الاشتراكية التي نادى بها الدكتور ولسن بقوله في خطبته هذه « ان مصلحة أضعف الخلق مقدسة كمصلحة أقواهم »

« ورب قائل يقول ان الدكتور ولسن ليس بمبتكر لهذا المبدإ فقد جاهر به غيره من قبله . وقد يكون الامر كذلك ولكن ولسن ينوي أن يكون أكبر عامل في تطبيقه فعلا واخراجه من حيز القوة الى حيز الفعل واتخاذ الوسائل التي تضمن المحافظة عليه وعقاب كل من يجرؤ على نقضه . واذا كانت الاديان المنزلة قد علمت هذا المبدأ من قديم الزمان فان الذين اشتغلوا بالسياسة في ما مضى من العصور جعلوا دأبهم التجمل بهذا المبدإ في الظاهر ومحاربته في الباطن فكانوا يسخرونه لقضاء الاوطار ثم يعبثون بروحه

« فالشعوب الصغيرة في جميع أقطار العالم ترفع أيديها مبتهلة الى الله أن يطيل عمر ولسن ويمنحه القوة اللازمة لتحقيق أمانيه . واسم ولسن سيظل منقوشا على صفحات قلوب المظلومين من الرجال والنساء والامم المستعبدة التي يسعى لإرواء غليلها بجعل نتيجة هذه الحرب خدمتها ونفعها ، لا لتقسيم البلدان والبحث في توزيع السلطة والسؤدد

« ان الصوت الصاعد من أميركا هذه الايام صوت نبوة يقرع أسماع العالم بالحق ويدل الدول على سبيل الصلاح والبقاء . واذا كان في التاريخ عبر وفي علم الاجتماع أوليات فانما هي ما نادى به خاف وشنطن . فهو ليس شاعرا ولا هو من السابحين في بحار الخيال ولكنه رجل أشبع مروءة ووفاء ، واستوعب العلم الصحيح المبني على استقراء سليمي العقل والدين من البشر ، ورأى الواجب يقضي عليه بارشاد الناس الى سبيل الحق . ورجل كهذا قاد أمة عظيمة الى مواطن الحرب والبذل والجود ولبت أمته دعوته عن طيب خاطر لتؤيد مبدأ مس قلوبها لا يذهب كلامه صرخة في واد

« وقد فصل خطته تفصيلا حسنا في هذه الخطبة وعرف العدل تعريفا ما رأى الناس أسمى منه في ما صدر عن عقول البشر فقال « ان معنى العدل المجرد عن الهوى هو أن لا نميز بين الذين نريد أن نعدل فيهم والذين لا نريد أن نعدل فيهم فالعدل يجب أن لا يفرق ولا يميز ولا يحابي ولا يعرف من المقاييس سوى التساوي في الحقوق بين الشعوب المختلفة »

« نقول وقد يظل العالم بعيدا عن بلوغ هذه المرتبة الرفيعة التي وضعها نخبة الاميركيين نصب العيون لان الارتقاء اليها صعب شاق ، ولكن انشاء هذا المقياس الرفيع سيفيد العالم لانه ينشطه على التطاول لبلوغه وستعلم أوربا اليوم أن سياسة مترنخ وتيلران وبسمرك لا تثبت على طوارق الحدثان كما ظهر في ما جرى بعد مؤتمر فينا ومعاهدة فرنكفورت لان البناء المتين لا يقوم على الرمل وانما يثبت اذا قام على الصخر

« فليرحب العالم بصوت المدافع عن الضعفاء من الافراد والاقوام وليكرم صاحبه ويعظم قدره فقد أنار سبيل الانسانية ومسح دموعها فخفق فؤادها أملا وامتلأ صدرها رجاء

« ان الرجل الذي لبى دعوة الانسانية في أشد عصورها خطرا عليها تنصت الانسانية الى صوته انصات كل مخلوق الى صوت من يعرف حبه وعطفه ويدرك تفانيه وايثاره ويحترم كفاءته ومقدرته » اه

[المنار] صدق المعظم في قوله ان الرئيس ولسن ليس هو الوضع لهذه القواعد الحق والعدل ولا هو أول من نادى بها ، فان الواضع لها هو الله تعالى بمثل قوله (٤ :٥٧ ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) فذكر الناس كلهم ، ويؤيده قوله (٥ : ٩ ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لاتعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى) والشنآن البغض مع الاحتقار. وأول من نادى بها في هذا العهد وزمن هذه الحرب احرار الروس وخاطبوا بذلك دول الحلفاء فأكبروا خطابهم وأجابوا عنها عابداء في المجلد (العشرين) الماضي من المنار (ص٤٨ـ٥٧)

وصدق المعظم أيضا في حصر مزية الرئيس ولسون في استعمال قوة أمته لتنفيذ هذه القواعد بعد تفصيله لها ، وفي قوله ان ديدن السياسيين فيامضى هو التجمل بها في الظاهر، ومحاربتها في الباطن ، وتسخيرها لقضاء المآرب ، وقد أصبح جميع الناس يعرفون هذا . ويسرنا أن نرى جميع أمم الحلفاء تعظم ولسن وتؤيده اليوم

(٤)

خطاب الرئيس ولسن

في مجلس الامة الاميركي

ألقى الرئيس على مجلس الامة المؤلف من الشيوخ والنواب تقريره السنوي وذكر فيه مسألة تأثير أمته الفاصل في الحرب ومسألة الصلح وجاءنا روتر في أول دسمبر « ك ١ » بخلاصة منه ننقل ترجمتها عن الجرائد مع تصحيح ما بمقابلتها على جريدة التيمس ، وهي:

« كان العام الذي انقضى منذ وقوفي أمامكم للقيام بالواجب الذي فرضه عليّ الدستور هو ابلاغ مجلس الامة المعلومات الخاصة بأحوال البلاد (أمريكة) ـ مفعما بحوادث عظيمة وأعمال كبيرة ونتائج جمة بحيث لا أرجو أن أعطيكم صورة كافية تمثلها أو تمثل التغييرات البعيدة الغور التي طرأت على حياة أمتنا وحياة العالم . وقد شاهدتم بأنفسكم هذه الامور كما شاهدتها أنا وعليه قد حان الوقت لتعيين نصيب كل منا فيها . ولا ريب في أننا نحن الذين نقف في وسط هذه الامور بمنزلة جزء منها وأقل كفاءة من رجال أي جيل آخر فيما يقولونه عن معنى هذه الحوادث أو عن ماهيتها . على أن هناك حقائق ظاهرة لا يمكن الخطأ فيها وهذه الحقائق تكون في

الآن جزءا من الاعمال العامة التي يقضي علينا واجبنا بالبحث فيها . وما ذكر هذه الحقائق الا اعداد المكان الصالح لبناء العمل التشريعي والتنفيذي الذي يجب علينا أن نكيفه ونقرره »

وتناول الرئيس بعد ذلك الكلام على نقل أكثر من مليوني جندي الى ما وراء البحار بخسارة ٧٥٨ شخصا بسبب أعمال العدو ثم قال «ولسنا نذر روا كد الحسد اذا قلنا ان وراء هذه الحركة العظيمة دعامة تدعمها وهي قائمة على تنظيم في صناعات البلاد وفي جميع أعمالها المثمرة يفوق بكماله و بتمام طريقته وتباشير نتيجته و بالنشوة المحيية عليه و باتحاد غايته وسعيه كل تنظيم وضعته أية دولة من الدول العظمى الداخلة في الحرب »

ثم أطرى روح الحمية والبسالة التي ظهرتها الجنود الاميركية في ساحة القتال قائلا « ان الجيش الاميركي قام بدوره في أعظم وقت مناسب وفي أعظم ساعة حرجة كان مصير العالم فيها هدفا للاخطار ألقى بقوته بين صفوف الحرية فبدأ أفل نجم العدو وما زال يزداد أفولا حتى أدرك قواد دولتي الوسط انهم قد غلبوا . وهنا نحن أولاء نرى الآن بلا دم نصفي

و بعد أن أثنى الرئيس على أعمال بناتي السفن وعمال السكك الحديدية والذين اشتغلوا في الحرب بأيديهم وعقولهم أطرى النساء الاميركيات وصرح بأن « أقل ثناء يمكن توجيهه اليهن هو أن نجعلهن مساويات للرجل في الحقوق السياسية بما برهن على أنهن كفؤ لهم في كل عمل اشتغلن به لانفسهن أو لبلادهن »

واستطرد الرئيس فقال : « الآن وقد ضمنا نيل الفوز العظيم الذي بذلت في سبيله كل تضحية . وقد جاء هذا الفوز تاما كاملا فعلينا أن نعود حالا الى واجباتنا الخاصة بالسلام — السلام الذي سيقينا اعتداء الملوك المطلقين من كل قيد ومطامع العصابات العسكرية — والاستعداد لنظام جديد ولوضع أساسات جديدة للعدالة والحق

و بعد أن تناول الرئيس الكلام على علاقة أميركا بالدول الاجنبية ذكر مسألة الاصلاح والترميم والغاء القيود التجارية وغيرها في أميركا ثم حث على مساعدة بلجيكا وفرنسا والجهات الاخرى التي اجتاحها العدو وناشد المجلس على تأييد برنامج الاسطول ، ثم تناول مسألة سفره أوربا لحضور مؤتمر الصلح فقال

« واني أرحب بهذه الفرصة لاعلان المجلس عزمي على الالتحاق بندوبي الحكومات التي تشترك معنا في الحرب ضد دولتي اوسط لادرس معهم النقط الجوهرية في معاهدة الصلح . واني لا أجهل عدم ملاءمة سفري ولا سيما في هذه الاونة . على اني أرجو أن تبدو العوامل التي أوجبت علي السفر امامكم وجيهة كما تبدو لي . فقد قبلت حكومات الحلفاء قواعد الصلح التي بينتها لكم يوم ٨ يناير الماضي كما قبلتها حكومتا دولتي الوسطى وترغب هذه الحكومات رغبة كلها عقل في استشارتي الشخصية فيما يتعلق بتفسير هذه القواعد وتطبيقها فمن الواجب أن أقدم هذه المشورة كي تبدو تماما رغبة حكومتنا الصادقة في العمل — بدون أن تكون هناك مصلحة ذاتية ما — لتسوية المسائل التي ستكون ذات فائدة عامة لجميع الامم ذات الشأن

« ولا ريب في أن تسوية المسائل الخاصة بالصلح الذي سيتفق عليه على جانب عظيم من الاهمية والشأن فيما يتعلق بنا وبقية العالم . واني لا أعرف مهمة أو مصلحة تبدو ذات أهمية أعظم من تسوية هذه المسائل . فقد قاتلت قواتنا في البر والبحر لحماية مبادئ تعرف انها مبادئ بلادها . ولقد حاولت ان اعبر عن هذه المبادئ فقبلها رجال السياسة كخلاصة افكارهم واغراضهم ، وبما ان الحكومات المشتركة قد قبلت هذه المبادئ فان علي أن أعمل بحيث لا يمكن ادخال خطأ عليها وبحيث يبذل كل مجهود لتنفيذها

قال فالواجب يقضي علي والحالة هذه بأن ألعب دوري لاحصل لهم على ما بذلوا لاجله دماءهم وأرواحهم . وليس عندي هنالك واجب يمكن تفضيله على هذا

ثم وعد الرئيس ولسن بأن سيوقف المجلس على جميع المفاوضات التي ستدور في مؤتمر الصلح كما هي بكل سرعة ممكنة مشيرا الى الغاء الرقابة في انكلترا وقال

« أفلا أرجو أن أكون متمتعا بتأييدكم أيها النواب في جميع الواجبات الدقيقة التي ستلقى على عاتقي في أوروبا وفي مجهوداتي التي سأبذلها بصدق وأمانة لتفسير المبادئ والاغراض التي تحبها بلادنا التي نحبها ؟

قال : «ولا أجهل عظم الواجب الذي أخذته على عاتقي ولا المشاق التي ستعترضني في سبيلي ولا التبعة العظيمة الملقاة علي .

« اني خادم الامة، وليس لدي فكرة خاصة أو غرض خاص في القيام بمثل هذه المهمة . وسأذهب لابذل أقصى جهدي في التسوية العامة التي يجب أن أصل الوصول اليها في مؤتمر الصلح مع زعماء الحكومات المشتركة ، وسأعتمد على تأييدكم ومساعدتكم لي وسأكون على صلة معكم فاقف بواسطة البرقيات البحرية واللاسلكية على كل شيء تريدون أخذ رأيي فيه وسأكون مرتاح الفكر لانني سأكون دائما على إلمام تام بمعرفة الامور الجليلة الشأن الخاصة بشؤوننا الداخلية

« وسأجعل مدة غيابي قصيرة ما أمكن وأملي أن أعود اليكم وأنا على يقين تام بأن المبادئ العظيمة التي ناضلت أميركا لاجلها قد دخلت في دور العمل والتنفيذ » اه

مستقبل سورية وسائر البلاد العربية

(١)

﴿ البلاد المحررة ﴾

هذا اعلان رسمي من قبل الحكومتين البريطانية والفرنسوية نشر بهذا العنوان في الجرائد المصرية اليومية في يوم الجمعة ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨ — ٤ صفر سنة ١٣٣٧

« ان الغرض الذي ترمي اليه فرنسة وبريطانية العظمى بمواصلتهما في الشرق تلك الحرب التي أثارها الطمع الالماني هو تحرير الشعوب التي طالما ظلمها الترك تحريراً نهائيا وتأسيس حكومات ومصالح أهلية تبني سلطتها على اختيار الاهالي الوطنيين لها اختياراً حراً وقيامهم بذلك من تلقاء أنفسهم . وتنفيذاً لهذه النيات قد وقع الاتفاق على تشجيع العمل لتأسيس حكومات ومصالح أهلية في سورية والعراق اللتين أتم الحلفاء تحريرهما وفي البلاد التي يواصلون العمل لتحريرها وعلى مساعدة هذه الهيئات والاعتراف بها عند تأسيسها فعلا . والحلفاء بعيدون عن ان يرغموا سكان هذه الجهات على قبول نظام معين من النظامات وانما همهم ان يحققوا بعونهم ومساعدتهم النافعة حركة الحكومات والمصالح التي ينشئها الاهالي لانفسهم مختارين حركة منتظمة وان يضمنوا لهم قضاء عادلا واحداً للجميع وان يسهلوا انتشار العلم في البلاد

وتؤيدها اقتصاديا وذلك بتحريك همم الاهالي وتشجيعها وان يزيلوا الخلاف والتفرق الذي طالما استخدمته السياسة التركية. ذلك هو ما أخذت الحكومتان الحليفتان على المسؤلية القيام به في البلاد المحررة »

(٢)

« البر بالمواثيق »

نشر المقطم في يوم الاثنين ٢٣ دسمبر ١٩١٨ و١٩ ربيع الاول ١٣٣٧ ما نصه:

« اطلعنا في الاسبوع الماضي على العدد ١١ من جريدة المستقبل الغراء الصادر في باريس يوم ٣٠ سبتمبر الماضي فقرأنا فيه ما يأتي:

« جاء في برقية رسمية من لندن هذا النبأ الذي طربت له أفئدة أبناء سورية ولبنان:

« لندن في ٢٥ سبتمبر – ان الجيوش البريطانية التي تؤازرها جنود افرنسية قد وصلت الآن الى حدود البقاع الراجع أمر تهيئة سكانها للحكم الذاتي الى فرنسة طبقا للاتفاق الافرنسي البريطاني المبرم عام ١٩١٦

« وبرا بالمواثيق ترى الحكومة البريطانية والحكومة الافرنسية أيضا انه من اللازم تنظيم الادارة الموقتة في هذه البقاع طبقا لاتفاق عام ١٩١٦ وان السلطة العسكرية البريطانية الموجودة هناك برا بالمواثيق بين الحكومة البريطانية بها ستوضع قريبا هنا على بساط البحث مسألة ادخال هذا الاتفاق في طور العمل » — انتهى بحروفه

(٣)

« اعلان اتفاق سنة ١٩١٦ المذكور في باريس »

ان جريدة المستقبل التي تصدر في باريس لخدمة فرنسة في مستعمراتها الافريقية وسائر البلاد العربية ويديرها أفراد من مسيحيي لبنان وسورية يعبرون عن أنفسهم ب(الجمعية السورية المركزية) قد بينت أغراضها لاتفاق الذي أشار اليه فيما تقدم هنا المقطم الآن مفصلة كاملة في العدد ٩ منها في ٢٢ ربيع الاول سنة ١٣٣٦ — ١٠ يناير سنة ١٩١٨ مزينا بطبعه بالحبر الاحمر والازرق

مصدرا بمقالة افتتاحية في (مستقبل سورية) الذي صرح به في الجمعية الشورية ممثلا الحكومتين البريطانية والفرنسية . ذلك بأن الحكومة الانكليزية أوفدت (السر مارك سايكس) المشهور الى باريس فضمت اليه حكومتها (المسيو جان غو) ممثلا لها ليحضرا في الجمعية السورية باتفاقهما، فعقدوا فيها اجتماعا حضره بعض أعضاء مجلسي النواب والشيوخ الفرنسيين ونائب بطرك الكاثوليك في فرنسة وأعضاء الجمعية السورية وهم المسيو شكري غانم رئيسها الاول والمسيو أنيس شحاده رئيسها الثاني والدكتور جورج سمنه كاتم أسرارها العام والمسيو نجيب مكرزل أمين صندوقها — واعتذر يوسف افندي سعد أحد أعضائها عن الحضور بانحراف صحته — ورأس الجلسة المسيو (فرنكلان بويون) أحد أعضاء مجلس النواب، وعند افتتاحه الجلسة القى المسيو شكري غانم خطبة ذكر فيها حبهم لفرنسة واعجابهم بانكلترة والتوازن بين الدولتين وانه هو أساس «ما صح الرأي العام على تسميته باسم جمعية الامم» (!) وقال «ان في هذا التوازن ضمانا للشعوب الصغيرة، لانه يكفل استقلالنا بصفة أكيدة، بعد تحريرها من رق الاتراك الثقيل . ويجعل لنا مقاما رفيعا برعاية فرنسة وعونها وبمصادقة انكلترة » الخ

ثم تلاه السر مارك سايكس فحث في خطابه السوريين على الاتحاد ونبذ الخلاف، والاتفاق على القاعدتين الآتيتين اللتين زعم ان في استطاعة جميع أجناس سورية وأديانها الاتفاق عليهما (!) وان الواجب على السوريين الذين يتمتعون بالحرية في أوربة وأمريكة ومصر ان يرفعوا أصواتهم بهما لان الذين في البلاد مكرهون على الصمت . وهما قوله .

١ يجب بادئ بدء قلب الحكم التركي المشؤوم، لان ما هو — باجماع الآراء — قائم في أرمينية، يرضاه لسورية

٢ ثم يجب ان تنتظروا من فرنسة أن تأتيكم بالمساعدة التي لاغنى للشعب المظلوم عنها ، وهو في حاجة اليها ، كي يقدر على السير بنفسه في طريق الحياة . وينبغي ان تطلبوا ضمانات من الدول المتمدنة في العالم لئلا تخضعوا مرة أخرى لحكم الاتراك الذي قاد بكم الى الفقر والى الشقاق

وتلاه المسيو غو ممثل الحكومة الفرنسية فقال :

أيها السادة

فانه ليسرني أن أؤكد لكم برخصة من وزير خارجية الجمهورية — بعد النصائح الرشيدة التي سمعتموها من فم السر مارك سايكس ممثل الامة الحليفة — ان فرنسة وانكلترة متفقتان تمام الاتفاق على تحرير الشعوب غير التركية من النير التركي في آسيا الصغرى . مهما كانت أديان هذه الشعوب وأجناسها . وتهيئتهم المستقبل أحسن من ماضيها

وقد صممت الدولتان الحليفتان العزم — بعد طرح كل فكرة ترمي الى السيطرة الاستعمارية — على هداية الشعوب التي تتكلم العربية وغيرها من اللغات . والساكنة في الربوع التي تمتد من الجبال الاناطولية الى بحر الهند . والسير بها في طريق الاستقلال بالحكم ، وفي سبيل الحضارة ، مع احترام العقائد الدينية وحقوق الوطنيات . وستعمل كل من الدولتين في منطقة نفوذها . وسيكون الدور الذي تمثله فرنسة وانكلترة دور دليل لتحسين حالة المستقبل . ودور حكم بين الجماعات الدينية والجنسية . والاولى مستعدة للقيام بهذا الدور في الشمال . والثانية في الجنوب .

اننا نرغب في ان يحيط مواطنوكم كلهم علما بهذا الاتفاق الولائي المعقود بين دولتين الحرتين الكبيرتين حتى يقدروه حق قدره ، ولا سبيل الى تحقيق مستقبل مجيد — وقد أهلتهم له عذاباتهم الماضية وثقتهم بمصير وطنهم — الا بالاتفاق ، و بنبذ الشقاق الناتج من حكم الاتراك

واني أدعوكم الى تحية فجر هذا المستقبل لسورية ، ولغيرها من البلدان التي تتكلم بالعربية ، شاملين في تحياتنا بريطانية العظمى ، وفرنسة ، وسورية اه

ثم أن مسيو شكري غانم فاه بكلام خلاصته أن السوريين الذين في مصر كثيرون وهم أرقى السوريين علما وثروة وأشدهم اختلافا فينبغي للسر مارك سايكس السعي لاتفاقهم على الامرين اللذين دعا اليهما أي بنفوذ حكومته هنا ، ولم يقل موسيو شكري غانم هذا القول الا لعلمه بأن السواد الاعظم من السوريين هنا مخالفون له في رأيه ورأي جمعيته ، وانهم لا يرون أنفسهم غير أهل للاستقلال التام ولا يطالبون نصب وصي عليهم حتى يؤهلهم له ، لانهم يعتقدون أنهم راشدون لا سفهاء ولا معتوهون

(٤)

﴿ دخول المسألة العربية في طور جديد ﴾

بعد ذلك الاتفاق دخلت المسألة في طور جديد بما وضعه الدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة من الشروط لصلح الامم ، وما فسرها به في تلك الخطب ، فصار أمر الشعب العربي في كل قطر منوطا به ومفوضا اليه باتفاق الدول ، ولم يبق للافتيات عليه من سبيل ، الا ان يجني على نفسه ، فالدول وأحرار أممها يقولون له ان أمره بيده ، والمستعمرون الطامعون يقولون له قد قضي الامر في شأنه ، فما عليه الآن تساعدهم على تمدينه وسير بلاده ،

هذا وانا قد بينا من قبل ان الشروط لصحة مثل هذا الاعتراف والاقرار ، ان لا يكون تحت سيطرة عسكرية ولا ضغط سلطة تنافي الاختيار ، وان يكون من المقر المعترف على علم بأن أمره بيده ، وأن قضيته لم يقض فيها وان يقضى فيها الا برأيه ، (راجع ص ٤٨ — ٥٩ و ٤٩٩ و ٢٤٦ من المجلد ٢٠)

بعد هذا نقول :

من المقرر الذي لا ريب فيه أن مسألة الولايات العربية العثمانية ستعرض على مؤتمر الصلح وما يقرره فيها هو الذي ينفذ — وأن الدولة العثمانية ستطالب ان تكون مستقلة في ادارتها الداخلية عملا بالشروط الـ١٢ من شروط الرئيس ولسن التي قبلت الصلح بها ، وقد نقلت التيمس في شهر نوفمبر ان مجلس النواب العثماني قرر ان تكون الولايات العربية مستقلة تحكم نفسها كما تشاء بشروط الارتباط بالسلطان وحده . والظاهر ان المراد بذلك أن تكون تحت سيادته باعترافها له بالخلافة ، لا تحت سيادة الباب العالي ومجلس الامة — وأن انكلترة وفرنسة ستطلبان تقسيم سورية والعراق على حسب اتفاقهما في سنة ١٩١٦ وكل هذا وذاك ينافي تحرير البلاد واستقلالها خلافا لما أذاعته البرقيات والجرائد عن دول الحلفاء من أول سني الحرب الى آخرها ، ولقواعد ولسن وخطبه المفسرة لها المصرحة بوجوب استفتاء كل شعب في أمره ، والعمل برأيه في حكم بلاده ، وهذا الاستفتاء لم يقع

فالحق ان أمرهم بيدهم من كل وجه ، ولهم أن يطلبوا ما يبغونه بدافع الفطرة

والعقل، من الاستقلال التام المطلق من كل قيد، وهو ما أجمع عليه زعماؤهم وعقلاؤهم، وقتل في سبيله شهداؤهم. فإذا فاتتهم هذه الفرصة واختاروا العبودية على الحرية والاستقلال باتباع دعاة الاستعمار، كانوا في حكم من بخع نفسه بيده، بل كانوا قاتلين لأمتهم بأسرها. وناهيك في تاريخنا وتاريخ الأمم كلها

كما وإن أهل الفرقة يصرخون – كما أمكنهم التصريح – بمطالب البلاد السورية الحرة التي لا يخالفهم فيها إلا المخدوعون أو المأجورون. والمرجو من الرئيس والمس العظيم وكل أحرار سائر الأمم الذين لا ينخدعون بمكايد المستعمرين ولو كانوا من أمتهم أن ينصروا الحرية الكاملة فيحرروا الشعب العربي كغيره تحريرا تاما يجعل أمره بيده. ولله الأمر من قبل ومن بعد

رد المنار

على الناقد لذكرى المولد النبوي (١)

الموضع الثالث عشر آل البيت (٢)

قال الناقد ما ذكرناه في حاشية ص ٤٣ من ذكرى المولد من القولين في تفسير حديث الثقلين قول زيد بن أرقم (رض) إن آل النبي (ص) هم الذين تحرم عليهم الصدقة، وقول غيره هم علي وذريته من فاطمة عليهم السلام. واستنبط من تقديمنا القول الأول وإبهام القائلين بالثاني ترجيحه، وتعقبه بقوله «والحق الصواب ما يقوله الآخرون كما حققه شيخ مشايخنا العلامة مولانا السيد أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوي في رسالته كما قال «إن المراد بآل البيت في آية التطهير علي وفاطمة والحسن والحسين عند جمهور العلماء وأكابر أئمة الحديث المعتد بروايتهم ودرايتهم وإن الأدلة تضافرت بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والصحيح إلى تقرير من آثرت عليه مشيخي» ثم بين ذلك بحديث أم سلمة المروي في تفسير آية التطهير وأشار إلى حديث عائشة بمعناه، وذكر أن جميع ذرية فاطمة داخلة في ذلك إلى يوم القيامة

(١) تابع لما في الجزء ٩ و ١٠ من المجلد ٢٥ (٢) راجع المنار ص ٢٥٠ م ٢٥

وأن الاحاديث مصرحة بذلك ومثل بحديث الجمع بين القرآن والعترة وبحديث «أهل بيتي أمان لأهل الارض» وجزم بأن ذلك دال قطعا على أن هذه السلالة الطاهرة هم أهل البيت المطهرون المرادون بكل ماورد في فضل أهل البيت من الآيات والاحاديث وانهم عدول هذه الامة وأحد الثقلين المأمور بالتمسك بهما قال «وقد أجمعت الامة على ذلك»

وأقول (أولا) انني لم أرد بتقديم قول زيد ترجيحه ولا بتأخير قول الآخرين تضعيفه لانني لست بصدد ذلك وانما أخرت ما أخرت لانني عليه ما ذكرته بعده من البناء والتعقيب، وهذا سبب من أسباب التأخير معهود في أساليب الكلام الفصيح ، وكان له ان يفهم منه الترجيح . (وثانيا) أن ما ذكره من التصويب، وادعى انه هو التحقيق ، وأن الاحاديث الصحيحة ناطقة به ، والآية حجة عليه ، فيه نظر ظاهر ، ولا أحب أن أعبر عنه بما دون ذلك. فالاحاديث الصحيحة في الآل والذرية والعترة كثيرة والخلاف فيها كثير . والمتبادر من آية التطهير انها في نساء النبي (ص) لانها تعليل لما قبلها من الاوامر والنواهي الخاصة بهن، وما بعدها خطاب لهن كالذي قبلها ، فلا يمكن ان يكون هذا التعليل أجنبيا في وسط الكلام . ولا يمكن ان يصح عن النبي (ص) تفسير آية بما ينافي أساليب البلاغة فكيف بما ينافي المتبادر من اللغة؟ وقد بينت هذا في المنار من قبل

ولولا التعصب الذي أوقع أدق علماء اللغة وفرسان بلاغتها في الغلط أحيانا لما كان يقبل أحد له شمة من العربية أن يقول فيما نزل نصا قاطعا في خطاب معين انه في غير ذلك المخاطب المعين حتى انه لا يشمله بعمومه خلافا للاصل الذي جرى عليه جميع العلماء . قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى (إنما يريد ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) هذا نص في دخول أزواج النبي (ص) في أهل البيت ههنا لانهن سبب نزول هذه الآية . وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح . اه ويريد الصحيح ما جرى عليه أهل الاصول من ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . ولفظ أهل البيت هنا عام يدخل فيه كل منتسب الى ذلك البيت. ولكن المخاطب منهم في الآية نساؤه (ص) وهن أهل

بيت السكني المتبادر هنا ، وأهل بيت الرجل وآله يطلق على بيت القرابة وعلى اتباعه ومنه قوله تعالى (ادخلوا آل فرعون أشد العذاب) وقول عبد المطلب يوم الفيل:

وانصر على آل الصليـ ـب وعابديه اليوم آلك

ولا يمكن ان يراد هذا الاخير من الآية بقرينة الخطاب ومثله آل القرابة لولا ما ورد من في الحديث من ادخاله (ص) أهل العباء فيهم خبرا أو دعاء والدعاء هو الذي ثبت في الصحيح . وأما حديث أم سلمة فمضطرب المتن ومخالف لمنطوق الآية وفي أسانيد طرقه كلها علل تمنع الاحتجاج به فكيف يمكن ترجيح مفهومه على منطوق القرآن ؟ وفي حديث علي عند النسائي وأبي هريرة عند أبي داود مرفوعا « من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا آل البيت فليقل : اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد » فقد عطف آل البيت على الازواج والذرية والاصل في العطف المغايرة .

انني لا أحب أن أطيل الكلام في مناقشة الناقد في هذه المسألة من عندي ، بل أستغني عن ذلك بأن أنقل له أوسع ما رأيته في تفسير آية التطهير وأجمعه لاقوال أهل السنة والشيعة ليعلم مكان ما ادعاه من اتفاق العلماء أو اجماع الامة من الصحة ، وهو ما أورده الشهاب الآلوسي في روح المعاني تفسيرا لقوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)

قال: استئناف بياني مفيد تعليل أمرهن ونهيهن ، والرجس في الاصل الشيء القذر وأريد به هنا عند كثير الذنب مجازا وقال السدي الاثم وقال الزجاج الفسق وقال ابن زيد الشيطان وقال الحسن الشرك وقيل الشك وقيل البخل والطمع وقيل الاهواء والبدع وقيل ان الرجس يقع على الاثم وعلى العذاب وعلى النجاسة وعلى النقائص والمراد به هنا ما يعم كل ذلك ولا يخفى عليك ما في بعض هذه الاقوال من الضعف وأل فيه للجنس أو للاستغراق والمراد بالتطهير قيل التحلية بالتقوى . والمعنى على ما قيل انما يريد الله ليذهب عنكم الذنوب والمعاصي فيما نهاكم ويحليكم بالتقوى تحلية بليغة فيما أمركم ؛ وجوز أن يراد به الصون والمعنى انما يريد سبحانه ليذهب عنكم الرجس ويصونكم من المعاصي صونا بليغا فيما أمر ونهى جل شأنه . واختلف في لام

ليذهب فقيل زائدة وما بعدها في موضع المفعول به ليريد فكأنه قيل يريد الله اذهاب الرجس عنكم وتطهيركم. وقيل للتعليل، ثم اختلف هؤلاء فقيل المفعول محذوف أي انما يريد الله أمركم ونهيكم ليذهب، أو انما يريد منكم ما يريد ليذهب، أو نحو ذلك. وقال الخليل وسيبويه ومن تابعهما: الفعل في ذلك مقدر بمصدر مرفوع بالابتداء واللام وما بعدها خبر أي انما ارادة الله تعالى للاذهاب، على حد ما قيل في «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» فلا مفعول للفعل وقال الطبرسي اللام متعلق بمحذوف تقديره: وارادته ليذهب وهو كما ترى. وهذا الذي ذكروه جار في قوله تعالى (يريد الله ليبين لكم وأمرنا لنسلم لرب العالمين) وقول الشاعر

أريد لأنسى ذكرها فكأنما   تمثل لي ليلى بكل مكان

ونصب «أهل» على النداء ويجوز أن يكون على المدح فيقدر أمدح أو أعني وأن يكون على الاختصاص وهو قليل في المخاطب ومنه «بك الله نرجو الفضل» وأكثر ما يكون في المتكلم كقوله: نحن بنات طارق نمشي على النمارق

وأل في «البيت» للعهد وقيل عوض عن المضاف اليه أي بيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، والظاهر أن المراد به بيت الطين والخشب، لا بيت القرابة والنسب، وهو بيت السكنى لا المسجد النبوي كما قيل، وحينئذ فالمراد بأهله نساؤه صلى الله تعالى عليه وسلم المطهرات للقرائن الدالة على ذلك من الآيات السابقة واللاحقة مع أنه عليه الصلاة والسلام ليس له بيت يسكنه سوى سكناهن، وروى ذلك غير واحد: أخرج ابن أبي حاتم وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت (انما يريد الله) الخ في نساء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة. وأخرج ابن مردويه من طريق ابن جبير عنه ذلك بدون لفظ خاصة، وقال عكرمة من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن عكرمة أنه قال في الآية ليس بالذي تذهبون اليه، انما هو نساء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. وروى ابن جرير أيضا أن عكرمة كان ينادي في السوق ان قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) نزل في نساء النبي عليه الصلاة والسلام. وأخرج ابن سعد عن عروة (ليذهب عنكم الرجس

أهل البيت) قال يعني أزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. وتوحيد البيت لان بيوت الازواج المطهرات باعتبار الاضافة الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بيت واحد وجمعه فيما سبق ولحق باعتبار الاضافة الى الازواج المطهرات اللاتي كن متعددات، وجمعه في قوله سبحانه الآتي ان شاء الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم) دفعا لتوهم ارادة بيت زينب لو أفرد من حيث ان سبب النزول أمر وقع فيه كما ستطلع عليه ان شاء الله تعالى. وأورد ضمير جمع المذكر في عنكم ويطهركم رعاية للفظ الاهل . والعرب كثيرا ما يستعملون صيغ المذكر في مثل ذلك رعاية للفظ. وهذا كقوله تعالى خطابا لسارة امرأة الخليل عليهما السلام (أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد) ومنه على ما قيل قوله سبحانه (قال لاهله امكثوا اني آنست نارا) خطابا من موسى عليه السلام لامرأته ولعل اعتبار التذكير هنا أدخل في التعظيم . وقيل المراد هو صلى الله تعالى عليه وسلم ونساؤه المطهرات رضي الله تعالى عنهن وضمير جمع المذكر لتغليبه عليه الصلاة والسلام عليهن

وقيل المراد بالبيت بيت النسب ولذا أفرد ولم يجمع كما في السابق واللاحق، فقد أخرج الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معا في الدلائل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ان الله تعالى قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسما فذلك قوله تعالى (وأصحاب اليمين ... وأصحاب الشمال) فانا من أصحاب اليمين وانا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا فذلك قوله تعالى[1] (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون) فانا من السابقين وانا خير السابقين، ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله تعالى ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) أنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب »

(١) قوله وأصحاب المشأمة الخ كذا بخطه وفيه حذف صدر الآية وهو الثلث الاول اه مصححه

فان المتبادر من البيت الذي هو قسم من القبيلة البيت النسبي

واختلف في المراد باهله فذهب الثعلبي الى أن المراد بهم جميع بني هاشم ذكورهم واناثهم ، والظاهر انه أراد مؤمني بني هاشم وهذا هو المراد بالآل عند الحنفية ، وقال بعض الشافعية المراد بهم آله صلى الله تعالى عليه وسلم الذين هم مؤمنو بني هاشم والمطلب. وذكر الراغب ان أهل البيت تعورف في أسرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مطلقا . وأسرة الرجل على ما في القاموس رهطه أي قومه وقبيلته الادنون. وقال في موضع آخر صار أهل البيت متعارفا في آله عليه الصلاة والسلام. وصح عن زيد ابن أرقم في حديث أخرجه مسلم انه قيل له من أهل بيته نساؤه صلى الله تعالى عليه وسلم؟ فقال لا أيم الله ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفي آخر أخرجه هو أيضا مبين هؤلاء الذين حرموا الصدقة أنه قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس

وقال بعض الشيعة أهل البيت — سواء أريد به بيت المدر والخشب أم بيت القرابة والنسب — عام، أما عمومه على الثاني فظاهر وأما على الاول فلانه يشمل الاماء والخدم، فان البيت المدري يسكنه هؤلاء أيضا، وقد صح مايدل على أن العموم غير مراد: أخرج الترمذي والحاكم وصححاه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت في بيتي نزلت (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فجللهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بكساء كان عليه ثم قال «هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » وجاء في بعض الروايات أنه عليه الصلاة والسلام أخرج يده من الكساء وأومأ بها الى السماء وقال «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» ثلاث مرات . وفي بعض آخر انه عليه الصلاة والسلام ألقى عليهم كساء فدكيا ثم وضع يده عليهم ثم قال «اللهم ان هؤلاء أهل بيتي — وفي لفظ — آل محمد فاجعل صلواتك و بركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل ابراهيم انك حميد مجيد » وجاء في رواية أخرجها الطبراني عن أم سلمة انها قالت

فرفعت الكساء لادخل معهم فجذبه صلى الله تعالى عليه وسلم من يدي وقال «انك على خير» وفي أخرى رواها ابن مردويه عنها أنها قالت ألست من أهل البيت فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انك الى خير انك من أزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي آخرها رواها الترمذي وجماعة عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي عليه الصلاة والسلام قال قالت أم سلمة وأنا معهم يانبي الله؟ قال «أنت على مكانك وانك على خير» وأخبار ادخاله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا وفاطمة وابنيهما رضي الله تعالى عنهم تحت الكساء وقوله عليه الصلاة والسلام اللهم هؤلاء أهل بيتي ودعائه لهم وعدم ادخال أم سلمة أكثر من أن تحصى وهي مخصصة لعموم أهل البيت بأي معنى كان البيت فالمراد بهم من شملهم الكساء ولا يدخل فيهم أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم . وقد صرح بعدم دخولهن من الشيعة عبد الله المشهدي وقال المراد من البيت بيت النبوة ولا شك أن أهل البيت لغة شامل للازواج بل للخدام من الاماء اللاتي يسكن في البيت أيضا وليس المراد هذا المعنى اللغوي بهذه السعة بالاتفاق، فالمراد به آل العباء الذين خصصهم حديث الكساء، وقال أيضا ان كون البيوت جمعا في بيوتكن وافراد البيت في أهل البيت يدل على أن بيوتهن غير بيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اه وفيه ما ستعلمه ان شاء الله تعالى

وقيل المراد بالبيت بيت السكنى وبيت النسب وأهل ذلك أهل كل من البيتين وقد سمعت ما قيل فيه وفيه الجمع بين الحقيقة والمجاز . وقال بعض المحققين المراد بالبيت بيت السكنى وأهله — على ما يقتضيه سياق الآية وسباقها والاخبار التي لا تحصى كثرة ويشهد له العرف — من له مزيد اختصاص به اما بالسكنى فيه مع القيام بمصالحه وتدبير شأنه والاهتمام بأمره وعدم كون الساكن في معرض التبدل والتحول بحكم العادة الجارية من بيع وهبة كالازواج، أو بالسكنى فيه كذلك بدون ملاحظة القيام بالمصالح كالاولاد، أو بقرابة من صاحبه تقضي بحسب العادة بالتردد اليه والجلوس فيه من غير طلب من صاحبه لذلك أو بعدم المنع من ذلك كالاولاد الذين لا يسكنونه وكاولادهم وان نزلوا وكالاعمام وأولاد الاعمام، وعلى هذا يحصل الجمع بين الاخبار، وقد سمعت بعضها كحديث الكساء، ولا دلالة فيه على الحصر، وكالحديث الحسن أنه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم

قال «يا رب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه» فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين. ثلاثا.وجاء في بعض الروايات أنه عليه الصلاة والسلام ضم الى أهل الكساء علي وفاطمة والحسنين رضي الله تعالى عنهم بقية بناته وأقاربه وأزواجه» وصح عن أم سلمة في بعض آخر انها قالت فقلت يارسول الله أما أنا من أهل البيت؟ فقال «بلى ان شاء الله تعالى». وفي بعض آخر أيضا انها قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم: ألست من أهلك؟ قال «بلى» وأنه عليه الصلاة والسلام أدخلها الكساء بعد ماقضى دعاءه لهم.وقد تكرر. كما أشار اليه المحب الطبري . منه صلى الله تعالى عليه وسلم الجمع وقول «هؤلاء أهل بيتي» والدعاء في بيت أم سلمة وبيت فاطمة رضي الله تعالى عنهما وغيرهما وبه جمع بين اختلاف الروايات في هيئة الاجتماع وما جلل صلى الله تعالى عليه وسلم به المجتمعين وما دعا به لهم وما أجاب به أم سلمة، وعدم ادخالها في بعض المرات تحت الكساء ليس لانها ليست من أهل البيت أصلا بل لظهور أنها منهم حيث كانت من الازواج اللاتى يقتضي سياق الآية وسباقها دخولهن فيهم بخلاف من أدخلوا تحته رضي الله تعالى عنهم فانه عليه الصلاة والسلام لو لم يدخلهم ويقل ماقال لتوهم عدم دخولهم في الآية لعدم اقتضاء سياقها وسباقها ذلك ، وذكر ابن حجر على تقدير صحة بعض الروايات المختلفة الحمل على أن النزول كان مرتين ، وقد أدخل صلى الله تعالى عليه وسلم بعض من لم يكن بينه وبينه قرابة سببية ولا نسبية في أهل البيت توسعا وتشبيها كسلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه حيث قال عليه الصلاة والسلام «سلمان منا أهل البيت» وجاء في رواية صحيحة ان واثلة قال وأنا من أهلك يا رسول الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام «وأنت من أهلي» فكان واثلة يقول انها لمن أرجى ما أرجو. والخبر الدال بظاهره على أن المراد بالبيت البيت النسبي أعني خبر الحكيم الترمذي ومن معه عن ابن عباس يجوز حمل البيت فيه على بيت المدر، والحيوان ينقسم الى رومي وزنجي مثلا كما ينقسم الانسان اليهما ، على أن في رواته من وثقه ابن معين وضعفه غيره والجرح مقدم على التعديل

وما روى عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه من نفي كون أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم أهل بيته وكون أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده

عليه الصلاة والسلام فالمراد بأهل البيت فيه أهل البيت الذين جعلهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثاني الثقلين لا أهل البيت بالمعنى الاعم المراد في الآية، ويشهد لهذا ما في صحيح مسلم عن يزيد بن حيان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم الى زيد بن أرقم فلما أجلسنا اليه قال له حصين لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا: رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه، لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا، حدثنا يازيد بما سمعت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: يا أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي فنسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فما حدثتكم فاقبلوا ومالا لا تكلفونيه. ثم قال قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال « أما بعد ألا يا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وإني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به — فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال — وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي » ثلاثا، فقال له حصين ومن أهل بيته يازيد أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال ومن هم؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس» الحديث فان الاستدراك بعد جعله النساء من أهل بيته صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهر في أن الغرض بيان المراد بأهل البيت في الحديث الذي حدث به عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وهم فيه ثاني الثقلين. فلأهل البيت اطلاقان يدخل في أحدهما النساء ولا يدخلن في الآخر وبهذا يحصل الجمع بين هذا الخبر والخبر السابق المتضمن نفيه رضي الله تعالى عنه كون النساء من أهل البيت . وقال بعضهم ان ظاهر تعليله نفي كون النساء أهل البيت بقوله « أيم الله ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها » يقتضي أن لا يكن من أهل البيت مطلقا فلعله أراد بقوله في الخبر السابق «نساؤه من أهل بيته» أنساؤه الخ بهمزة الاستفهام الانكاري فيكون بمعنى ليس نساؤه من أهل بيته كما في معظم الروايات في غير صحيح مسلم ويكون رضي

الله تعالى عنه ممن يرى أن نساءه عليه الصلاة والسلام لسن من أهل البيت أصلاء ولا يلزمنا أن ندين الله برأيه لا سيما وظاهر الآية معنا وكذا العرف ، وحينئذ يجوز أن يكون أهل البيت الذين هم أحد الثقلين بالمعنى الشامل للازواج وغيرهن من أهله وعصبته صلى الله تعالى عليه وسلم الذين حرموا الصدقة بعده ولا يضر في ذلك عدم استمرار بقاء الازواج كما استمر بقاء الآخرين مع الكتاب كما لا يخفى اه

وأنت تعلم أن ظاهر ما صح من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « أني تارك فيكم خليفتين وفي رواية ثقلين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والارض وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » يقتضي ان النساء المطهرات غير داخلات في أهل البيت الذين هم أحد الثقلين لان عترة الرجل كما في الصحاح نسله ورهطه الادنون، و«أهل بيتي» في الحديث - الظاهر أنه بيان له أو بدل منه بدل كل من كل وعلى التقديرين يكون متحدا معه فحيث لم تدخل النساء في الاول لم تدخل في الثاني ، وفي النهاية أن عترة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بنو عبد المطلب وقيل أهل بيته الاقربون وهم أولاده وعلي وأولاده رضي الله تعالى عنهم وقيل عترته الاقربون والابعدون منهم اه . والذي رجحه القرطبي أنهم من حرمت عليهم الزكاة وفي كون الازواج المطهرات كذلك خلاف ، قال ابن حجر والقول بتحريم الزكاة عليهن ضعيف وان حكى ابن عبد البر الاجماع عليه فتأمل. ولا يرد على حمل أهل البيت في الآية على المعنى الاعم ما أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « نزلت هذه الآية في خمسة فيّ وفي علي وفاطمة وحسن وحسين (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) اذ لا دليل فيه على الحصر والعدد لا مفهوم له ، ولعل الاقتصار على من ذكر صلوات الله تعالى وسلامه عليهم لانهم أفضل من دخل في العموم وهذا على تقدير صحة الحديث ، والذي يغلب على ظني انه غير صحيح ، اذ لم أعهد نحو هذا في الآيات منه صلى الله تعالى عليه وسلم في شيء من الاحاديث الصحيحة التي وقفت عليها في أسباب النزول ، و بتفسير أهل البيت بمن له مزيد اختصاص به على الوجه الذي سمعت يندفع ما ذكره المشهدي من شموله

الخدام والاماء والعبيد الذين يسكنون البيت ، فانهم في معرض التبدل والتحول بانتقالهم من ملك الى ملك بنحو الهبة والبيع وليس لهم قيام بمصالحه واهتمام بأمره وتدبير لشأنه الا حيث يؤمرون بذلك ، ونظمهم في سلك الازواج ودعوى ان نسبة الجميع الى البيت على حد واحد مما لا يرتضيه منصف، ولا يقول به الا متعسف.

وقال بعض المتأخرين ان دخولهم في العموم مما لا بأس به عند أهل السنة، لان الآية عندهم لا تدل على العصمة، ولا حجر على رحمة الله عز وجل ولأجل عين ألف عين تكرم ، وأما أمر الجمع والافراد فقد سمعت ما يتعلق به والظاهر على هذا القول ان التعبير بضمير جمع المذكر في عنكم للتغليب ، وذكر ان في عنكم عليه تغليبين أحدهما تغليب المذكر على المؤنث وثانيهما تغليب المخاطب على الغائب اذ غير الازواج المطهرات من أهل البيت لم يجر لهم ذكر فيما قبل ولم يخاطبوا بأمر أو نهي أو غيرهما فيه ، وأمر التعليل عليه ظاهر وان لم يكن كظهوره على القول بأن المراد بأهل البيت الازواج المطهرات فقط ، واعتذر المشهدي عن وقوع جملة (انما يريد الله) الخ في البين بأن مثله واقع في القرآن الكريم فقد قال تعالى شأنه (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل) ثم قال سبحانه بعد تمام الآية (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فعطف أقيموا على أطيعوا مع وقوع الفصل الكثير بينهما ، وفيه انه وقع بعد (أقيموا الصلاة) الخ (وأطيعوا الرسول) فلو كان العطف على ما ذكر لزم عطف أطيعوا على أطيعوا وهو كما ترى ، سلمنا أن لا فساد في ذلك الا أن مثل هذا الفصل ليس من محل النزاع ، فانه فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالاجنبي من حيث الاعراب وهو لا ينافي البلاغة، وما نحن فيه على ماذهبوا اليه فصل بأجنبي باعتبار موارد الآيات اللاحقة والسابقة ، وانكار منافاته للبلاغة القرآنية مكابرة لا تخفى ، ومما يضحك منه الصبيان أنه قال بعد: أن بين الآيات مغايرة انشائية وخبرية لان آية التطهير جملة ندائية وخبرية وما قبلها وما بعدها من الامر والنهي جمل انشائية وعطف الانشائية على الخبرية لا يجوز، ولعمري انه أشبه كلام من حيث الغلط بقول بعض عوام الاعجام : حسن وحسين دختران معاوية . ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » اه ..

التقاضي والتخاصم في رسالة آدم

الحسد غريزة قديمة في الثقلين كان أول مظهر عرف لها في التاريخ المأثور حسد إبليس أبي الشياطين لعنه الله لآدم أبي البشر عليه السلام . وكان ينبغي ان يكون أطهر البشر من هذه الخليقة الذميمة أهل العلم الديني ولكن ثبت في بعض الآثار انهم أشد تغايرا من التيوس في زروبها كما ثبت بالاختبار انهم أشد تحاسدا من النساء الضرائر في بيوتها

وقد ابس الحسد الابليسي في هذا العام وما قبله ثوبي زور من الغيرة على آدم عليه السلام . ثوبان ظهر بهما بعض محبي الظهور من شبان الازهريين، وانما فصلهما وخاطهما بعض شيوخهم المعروفين ، فأما الثوب الاول فهو تكفير من يقول بأن قوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) ليس نصا قطعيا في كون هذه النفس (المنكرة) هي آدم وفي كونه هو أصل جميع البشر — وان كان يقول بهذا عملا بدلالة الظواهر — وعدم قبول اسلام أحد من القائلين بتعدد أصول البشر أو الشاكين في صفة تكوينهم وقد بينا في المنار كيف كان عاقبة المفترين في هذه المسألة (راجع ص ٦م ٢٠)

وأما الثوب الثاني فهو تكفير من يقول ان رسالة آدم غير ثابتة بنص قطعي بل القول بها معارض بظواهر بعض الآيات وبحديث الشفاعة المتفق عليه فان خاتم النبيين والمرسلين (ص) يروي فيه عن آدم ان نوحا أول رسول أرسله الله الى أهل الارض . ذكر هذه المسألة في مجلس خاص بدمنهور الشيخ محمد أبوزيد من مريدينا طلاب دار الدعوة والارشاد ، فانبرى لتكفيره والتشهير به صاحب الثوب المستعار ثم ألبس الثوب من رفع عليه دعوى حسبة الى قاضي دمنهور الشرعي ليحكم بردته، ويفرق بينه و بين زوجه . فكان مثله مع مفصل الثوب ولابسه الاول كمثل من تعلم السحر من هاروت وماروت (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله . ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق)

نظر في الدعوى قاضي دمنهور فكان فقهه فيها كفقه لابس الثوب وخائطه ، فحكم بردة الرجل وفرق بينه وبين زوجه ، فأحدث هذا الحكم هزة واضطرابا في القطر المصري كله وأظهر الناس استنكاره في جميع الجرائد ، وبين أهل العلم وجوه رجاله في المجالس والمدارس ، وانزعجت له وزارة الحقانية ، فحظرت النظر في أمثال هذه الدعوى على المحاكم الشرعية الا أن يكون بعد اطلاع الوزارة على الدعوى ، وأخذ الاذن الخاص بالنظر والحكم فيها . وهذا ملخص الحكم المشار اليه :

صورة ملخص الحكم الصادر فى قضية الشيخ ابو زيد

سئل الشيخ عما يعتقده في رسالة ونبوة آدم فقال « ان آدم ليس نبيا ولا رسولا بنص قطعي وانما نبوته ورسالته ظنيتان ، هذا ما نطقت به وما أعتقده الى الآن »

(الحكم والاسباب)

حيث ان نبوة سيدنا آدم عليه السلام ثابتة بالكتاب والسنة وبالاجماع معلومة من الدين بالضرورة لذا كفر جاحدها — قال في كتاب العقائد النسفية أول الانبياء آدم عليه السلام، وآخرهم محمد عليه الصلاة والسلام — أما نبوة آدم فبالكتاب والسنة والاجماع، بالكتاب الدال على أنه أمر ونهي مع القطع بأنه لم يكن في زمنه نبي آخر فهو بالوحي لا غير وكذا بالسنة والاجماع، فانكار نبوته على ما نقل عن البعض يكون كفرا. وفي الفتاوى الهندية جزء ثاني من يقول آمنت بجميع الانبياء ولا أعلم أن آدم نبي أم لا يكفر، كذا في التتارخانية وفي بعضها خلافا. وفيها أيضا: رجل قال لغيره ان آدم عليه السلام نسج الكرباس، فقال له الغير: فحينئذ نحن أولاد النساج، فهذا كفره ماذلك الا يكون استخفافا بالنبي لان هذه العبارة لو قيلت لولي من أولياء الله ما ترتب عليها الكفر. وفي الجزء الاول من مجمع الانهر في شرح ملتقى الابحر: ويكفر بقوله لا أعلم أن آدم عليه الصلاة والسلام نبي أم لا

وحيث أن المنصوص عليه شرعا ان المرتد عن دين الاسلام ينفسخ نكاحه في الحال ويفرق بينه وبين زوجته

وحيث أن الشيخ محمد أبو زيد قد نطق بما يوجب الردة لانكاره نبوة ورسالة

آدم عليه السلام وان هذه عقيدته كما أقر بذلك وبهذا ارتد عن دين الاسلام وانفسخ نكاحه بزوجه (فلانة) فوجب التفريق

(لهذا) فرقنا بين الشيخ محمد أبو زيد المذكور وزوجته

[المنار] هذا نص الحكم كما وصل الينا وهو على ما فيه من خطأ في العبارة ظاهر البطلان بعدم انطباقه على الدعوى من جهة الصورة وبعدم صحة ما استدل به القاضي — فاما الاول فان الشيخ أبا زيد قد صرح بأن نبوة آدم ورسالته ثابتتان بالادلة الظنية وهذا ليس انكارا لها كما زعم القاضي والا كان القاضي نفسه منكرا لمعظم أحكام الشريعة التي يحكم بها بين الناس في مسائل الابضاع والاموال والكفر والايمان فان معظمها ظني بغير نزاع ، وقد صرحوا في العقائد النسفية وشروحها ان الادلة الظنية كافية في العقائد . وأما الثاني فهو ان الردة انما تكون بجحد المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة وهو ما لا يخفى على أحد من عوام المسلمين وخواصهم ونبوة آدم ورسالته ليست كذلك فما نقله عن الفتاوى الهندية وغيرها في التكفير بها غير صحيح. وقد قصر القاضي فيما يجب عليه من كشف شبهة المدعى عليه ومن استتابته.

﴿ الغاء الحكم في قضية سيدنا آدم ﴾

بحكم محكمة الاستئناف الشرعية الصادر في أول ديسمبر سنة ١٩١٨

منقول عن جريدة وادي النيل

عرضت قضية سيدنا آدم المعروفة على محكمة الاسكندرية الكلية الشرعية أمس برئاسة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ مصطفى سلطان وكان الزحام شديدا جدا. وقد حضر الجلسة جمهور كبير من المحامين الاهليين والشرعيين والعلماء وكان المدعي عليه الشيخ محمد أبو زيد حاضرا ومعه اثنان من المحامين . وكان المدعي الشيخ محمد صالح الزواوي حاضراً ومعه محامياه

وبعد استكمال الاجراءات النظامية سمعت المحكمة كلام المحامين ثم سألت المدعى عليه:

— نريد المحكمة أن تتبين رأيك في نبوة آدم

— ان نفسي مطمئنة الى أنه نبي ونظري في النصوص هو الذي اطمأنت به نفسي

— قلت في مذكرتك في الصفحة التاسعة « فما بال هؤلاء يطلبون حكما شرعيا

من قاض مسلم يعتقد أن نبوة آدم ورسالته ليستا من العقائد في شيء؟؟

— انهما ليستا من العقائد التي تثبت بالنص القطعي . وهذا تعريف أصولي اتجته في بيانات من المذكرة [1]

— جاء في المذكرة ما يدل على أنك ترى الادلة ظنية

— ان كلامي لاينافي اعتقاد النبوة فانه لامانع من أن آخذ من الادلة الظنية شيئا ترتاح به نفسي ويطمئن اليه ضميري ، وان أدلة نبوة آدم عليه السلام وان كانت ظنية في اصطلاح الاصوليين فاني مرتاح اليها وليس هناك خلاف بين ماأقوله الآن وما قلته فيما مضى

وبعد هذا أخذ فضيلة الرئيس يفيض في نصائحه وكان الاسف والالم آخذين من نفسه فقال : أخجلتمونا امام الناس أعظم خجل . فالافرنج مشتغلون بما يفيدهم وأنتم مشغولون بما لايفيد. ألستم ترون الكسل والكذب اللذين يتفشيان في الاخلاق حتى كادا يقتلانا ؟ أفما كان الاولى أن نعالج هذين الدائين وغيرهما من الادواء المنتشرة بيننا ؟ لقد كان الاولى أن يكتب القلم الذي كتبت به هذه المذكرة فيما ينفع الامة فيقول لها : اتحدوا . لا تحاسدوا . لاتباغضوا . اعملوا كما يعمل غيركم. اطلبوا العيش بعزة النفس لا بالمذلة للامراء وغير الامراء ، نرجو يارجال الدين أن تعالجوا الادواء المنتشرة بين المسلمين .

وبعد أن فرغ فضيلته من هذه النصائح الثمينة استحلف رجال الدين ان ينبذوا الشقاق وصغائر الامور وقال انني أعرف الآن انكم حزبان أتيا ليسمعا ماتقضي به في هذه القضية فأرجو أن تخرجوا متحدين. ثم قامت المحكمة للمداولة ثم عادت فأصدرت الحكم وهذا نصه :

بعد سماع أقوال الخصوم والاطلاع على ملف القضية الابتدائية وبعد المداولة والاسباب التي هي

الاستئناف جاز شكله القانوني فهو مقبول

المقرر شرعاً ان الكفر هو تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم في شيء مما علم مجيئه

(١) يعني بالمذكرة رسالة كتبها في المسألة بين فيها خلاف العلماء فيها وظنيتها

به من الدين علماً ضروريا بحيث يستوي فيه الخاصة والعامة كالتوحيد وأركان الاسلام وألحقوا به كفر العناد أو مايدل على الاستخفاف المتضمن لذلك معنى الجحود

نبوة آدم وان دل عليها الكتاب والسنة واتفق عليها العلماء ولم يعرف بينهم خلاف فيها فانكارها بأي شكل كان ضلال ومخالفة لما عليه المسلمون ، الا انها ليست من ضروريات الدين بحيث يعرفها الكافة كالصلاة والصوم . بل هي من الامور النظرية والقول بأنها معلومة من الدين بالضرورة دعوى غير مقبولة

منكر شيء من الامور النظرية مستندا الى شبهة ولو غير صحيحة لا يحكم عليه شرعاً بالكفر على ما هو الحق الذي يجب العمل به في مذهب الحنفية . ذلك لان الكفر نهاية في العقوبة فلا يكون الا عن نهاية الجناية وذلك بانكار الثابت بالنص القطعي الخالي من الشبهة والاحتمال من الكتاب والسنة المتواترة أو الاجماع القولي الثابت تواترا ، ولذلك قالوا لا يفتى بكفر مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في عدم كفره رواية ضعيفة ولو في مذهب غيرهم ، وأجازوا مع الكراهة امامة أهل البدع في الصلاة وهم ممن يعتقدون خلاف المعروف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا معاندة بل بنوع شبهة وان كانت فاسدة حتى الخوارج الذين يستحلون دماء وأموال مخالفيهم من المسلمين أو ينكرون صفات الله ، وقالوا لا نكفر أهل البدع ببدعهم لكونها عن تأويل وشبهة وللنهي عن تكفير أهل القبلة وللاجماع على قبول شهاداتهم وذلك ما لم ينكر أحد منهم شيئا من المعلوم ضرورة

وفي الفتاوى الصغرى « الكفر شيء عظيم » وفي جامع الفصولين « لا يخرج الرجل من الايمان الا جحود ما أدخله فيه وما يشك في أنه ردة لا يحكم بها اذ الاسلام الثابت لا يزول بالشك ان الاسلام يعلو » وقال صاحب نور العين « ان المسائل الاجماعية تارة يصحبها التواتر كوجوب الخمس وقد لا يصحبها الا يكفر جاحدها (؟) لمخالفته التواتر لا الاجماع » ثم نقل انه « اذا لم تكن الآية أو الخبر المتواتر قطعي الدلالة أو لم يكن الخبر متواترا أو كان قطعيا ولكن فيه شبهة أو لم يكن اجماع الجميع أو كان ولم يكن اجماع جميع الصحابة أو لم يكن قطعيا بان لم يثبت بطريق التواتر أو كان قطعيا لكن كان اجماعاً سكوتيا ففي كل هذه الصور لا يكون الجحود كفرا »

ومن كل هذا ترى العلماء رضوان الله عليهم قد احتاطوا نهاية الاحتياط في عدم تكفير المسلمين

ماورد من الآيات والاحاديث في نبوة آدم عليه السلام وكذا الاجماع عليها ، كل ذلك لم تتوفر فيه تلك القيود وهذا ما يجب التعويل عليه دون ما عداه وعليه يكون حكم محكمة أول درجة في غير محله ويتعين إلغاؤه

وكيل المستأنف عليه قال انه مكتف بالادلة الموجودة بمحضر القضية الابتدائية وهي أدلة غير منتجة للدعوى خصوصا وقد قرر المستأنف عليه اليوم انه يعتقد تمام الاعتقاد بنبوة آدم عليه السلام

لهذا — تقرر قبول هذا الاستئناف شكلا وفي الموضوع بالغاء ما حكمت به محكمة أول درجة ورفض دعوى المدعي » اهـ

[المنار] هذا الحكم هو الحق وما ذكره القاضي الفاضل في أثناء كلامه من المواعظ يرجى ان يزيد المدعى عليه المظلوم في تكفيره والتفريق بينه وبين زوجه هدى فانه قد عاهد الله تعالى على يدنا بوقف حياته على خدمة دينه وأمته بمثل هذه المواعظ وما كتب مذكرته الا دفاعاً عن دينه وهو أثمن شيء يحرص عليه فكانت كتابتها في وقتها أفضل مما استحسن القاضي ابداله بها ، وأما المبطلون المكفرون للمؤمنين مع علمهم بما ورد في ذلك فلم يتعظوا — وهم أحوج الى الموعظة — اذ طلبوا اعادة النظر في الحكم مخطئين له ، وذلك يتضمن تكفير قاضي الاستئناف بزعمهم لانه قال بأن نبوة آدم مسألة نظرية لا قطعية فهل فقهوا هذا أم يقولون ان أبا زيد يكفر بما لا يكفر به غيره ؟؟ قالت جريدة وادي النيل :

﴿ عود الى قضية آدم ﴾

لم يقنع المدعون في قضية آدم المعروفة بالحكم الذي أصدرته المحكمة الشرعية الكلية فيها . ويظهر أنهم لم يتأثروا بتلك النصائح الثمينة التي أفاض بها فضيلة رئيس المحكمة عليهم وعلى رجال الدين عامة ومن أغلاها وأثمنها ترك الخلاف في توافه الامور والتدقيق لحاجة الادواء التي تضر الامة في كل شيء . وانا لا يسعنا لا أن

بأسف لهذه الحالة فقد رفعوا التماس أعادة نظر الى المحكمة وعرض عليها في جلسة أمس (أي ٢٩ ربيع الاول سنة ١٣٣٧ ــ ٢ يناير ١٩١٩) فأصدرت الحكم الآتي:

«بعد الاطلاع على عريضة الالتماس المطلوب بها الغاء ما حكمت به محكمة الاستئناف في القضية نمرة ٤ سنة ١٩١٨ بتاريخ أول ديسمبر سنة ١٩١٨ وخلاصتها انه لم يصادف (كما زعم الطالب) قبولا في المذهب لبنائه على مجرد استنتاجات من قواعد عامة ولان اتفاق العلماء على نبوة آدم (باعتراف المحكمة) يدل على انها معلومة من الدين بالضرورة لامن الامور النظرية فضلا عن وجود نصوص قاطعة تدل على انها معلومة من الدين بالضرورة، ولان كل الاحكام الشرعية نظرية ولما اشتهر بعضها اشتهارا تاما سمي ضروريا وذلك لاينافي نظريته وان الضروري متفاوت في الشهرة ويكفي فيه أي شهرة وعلى تسليم انه نظري كما فهمت المحكمة فان منكره لايعفى من التكفير الا اذا كان خفيا والمنكر له شبهة وان عدول المستأنف الى الاقرار بنبوة آدم أمرا زائدا عن الموضوع الذي فصل فيه ابتدائيا. الخ »

المحكمة: حيث إن الالتماس تقدم في ميعاده القانوني

وحيث ماقررته محكمة الاستئناف في بيان ماحكمت به في القضية المشار اليها لاعمل لها فيه بشيء سوى جمع ماقاله علماء الحنفية في عدة مواضع في كتب الفروع المعول عليها «كرد المحتار» وشرحه في باب الامامة والردة «والبحر» في الردة و«فتح القدير» في باب البقاء وغير ذلك . ومن كتب الاصول «كالتحرير» و«مسلم الثبوت» القاضية تلك النصوص بأن مذهب أبي حنيفة عدم تكفير أحد من المخالفين فيما ليس من الاصول المعلومة من الدين بالضرورة. واذن يكون ماقضي به استئنافيا في هذه الحادثة ليس الا بالتطبيق لما نصوا على أنه المذهب والذي يعلم منه أن ماجاء في (الهندية) و(مجمع الانهر) مخالفا له لا يمكن الاخذ به في الاحكام التي لاتكون الا بأرجح الاقوال من مذهب أبي حنيفة عملا بما قالوه في رسم المفتي (راجع مقدمة شرح الدر جزء أول) وجاء القانون نمرة ٣١ مقررا له

وحيث ان التطرف بدعوى أن نبوة آدم معلومة من الدين بالضرورة توصلا لتكفير مسلم بأي وسيلة انقيادا لاحقاد نفسية ثم الاستدلال عليها بماجاء بعريضة الالتماس

تعده المحكمة تهاترا وشغبا في أمر بديهي ومثله مكابرة مردود من ذاته لا يستحق التفاتا

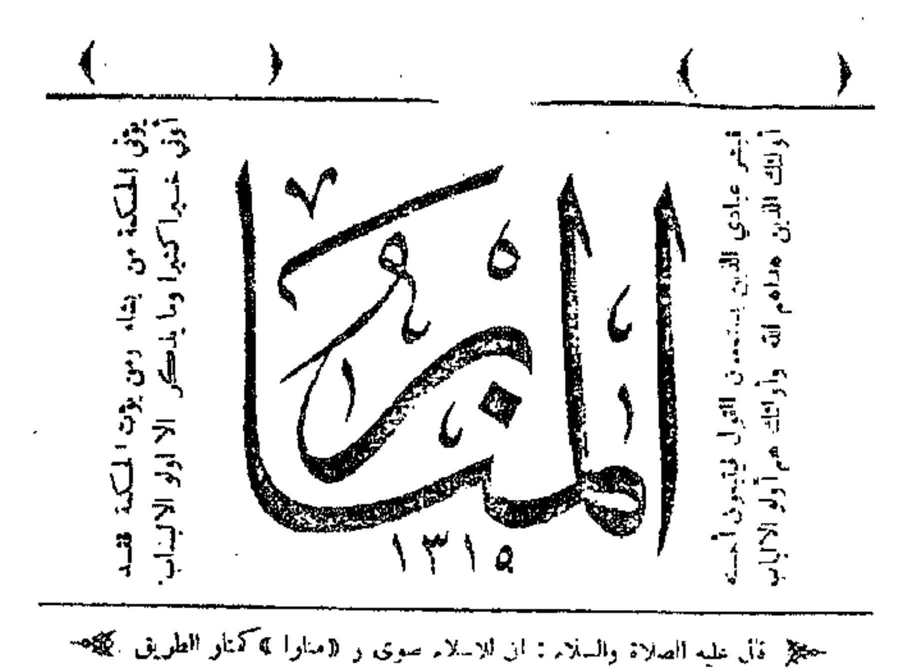
وحيث ان حكم محكمة الاستئناف لم يبن الا على ان المستأنف أنكر لشبهة غير صحيحة أمرا نظريا ليس من الاصول المعلومة ضرورة كما هو صريح في أسباب ذلك الحكم ولا دخل فيه مطلقا لما قرره المستأنف بالجلسة فالقول أن ما حصل منه أمر زائد لم يفصل فيه ابتدائيا وجعل ذلك من أسباب الالتماس قول صادر بلا روية، وبما ذكر كله وما تبين في أسباب الحكم المستأنف ومن الرجوع الى الكتب التي أخذت منها أسبابه والى كتاب (فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة) للامام الغزالي رضي الله عنه يرى أن ما حكمت به محكمة الاستئناف هو ما يجب الحكم به شرعا ويتعين لما ذكر رفض هذا الالتماس موضوعا عملا بالفقرة الثانية من المادة ٣٣١ قانون نمرة ٣١ سنة ١٩١٠

فبناء عليه — تقرر قبول هذا الالتماس شكلا وفي الموضوع برفضه وعدم قبوله اهـ

[المنار] نشكر القاضي الفاضل تصريحه بما ظهر له من أن هذه القضية لم تكن صادرة عن غيرة على الدين ، ولا حرص على اعراض المسلمين ، وانما هي أحقاد نفسية أثارها الحسد ، والا فما بالنا لم نر أحدا من هؤلاء المكفرين لاهل الصلاح والاصلاح من المسلمين لا يدافعون عن الاسلام بالانكار على من يدعون الى ترك جميع نصوصه حتى نصوص الكتاب والسنة والاجماع بجميع أنواعه ، وتفضيل ما يضعونه هم من القوانين عليها كالذين يرد عليهم المنار من رجال القضاء الاهلي، ولا بالانكار على المستبيحين لجميع الفواحش والمنكرات ؟ ؟

﴿ حجم المنار والجزء الاول من المجلد الحادي والعشرين ﴾

بدأنا بهذا الجزء في ربيع الاول واضطررنا الى تأخيره زهاء شهرين ، وقد زدنا فيه كراستين على ما قبله ونرجو أن نزيد فيما يصدر بعد الجزء الثالث اذا ورد ورق جديد على مصر في هذه المدة وأن يصدر مطردا بلا انقطاع . وقد أخرنا المقالة الرابعة من مقالات (المادنيون والاصلاح الاسلامي) ولعلها تنشر في الجزء التالي له مع ترجمة (باحثة البادية رثاؤها) وشيء من تقريظ المطبوعات الحديثة



بداية الجزء الثاني

حسب ترقيم الكتاب في اعلى الصفحة

[المنار:ج1 م21] - [المنار:ج2 م21]

صفحة 71

المتفرنجون والاصلاح الاسلامي (*)

(٤)

قد بينا في المقالة الثانية رأي أحمد صفوت أفندي (١) في الكتاب والسنة والاجماع والقياس من أصول الشريعة وتكلمنا في المقالة الثالثة على أصلي الاجماع والقياس ، وأرجأنا الكلام على الاصلين الاولين بالتفصيل الى هذه المقالة فنقول :

أحكام السنة

ملخص ما نقلناه من خطبة الرجل في أحكام السنة (ص ٤٠٧ م ٢٠) أنها قسمان خاص وهو ما كان من قبيل أحكام المحاكم في القضايا الفردية وعام وهو ما كان من قبيل القواعد والقوانين لزمنه (ص) . وزعم أن كلا من القسمين قد ثبت للرسول صلى الله عليه وآله وسلم بصفته حاكم الامة وقاضيها أي لا بكونه رسول الله تعالى والمبلغ عنه . وان لكل حاكم يجيء بعده حق الحكم والتشريع الذي كان له في الاحكام المدنية وله أن يغير ويلغي من تلك الاحكام مايرى مصلحة الناس في تغييره والغائه

ونقول ان هذا الذي قرره مخالف لما جرى عليه المسلمون منذ ظهر الاسلام الى

(*) تابع لما في المجلد العشرين (١) وكيل نيابة الدلنجات بالامس والسكرتير القضائي لفلسطين اليوم

هذا اليوم فهو مشاقة للرسول واتباع لغير سبيل المؤمنين وخروج عن اجماعهم الحقيقي لا العرفي عند الاصوليين فقط، ولكنه يقرره بصفته مسلما كما قال، وقد علم مما بيناه في المقالة الثالثة مكانه من الاسلام

أما المسلمون فهم متفقون على أن الحكم لله وحده (إن الحكم الا لله) وان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مبلغ عن الله تعالى، وأمر أن يحكم بين الناس بما أراه الله فيما أنزل الله من الكتاب والميزان ، والمراد بالميزان العدل والقسط ، والموازنة بين أحكام النصوص في القياس والرأي، قال تعالى (٥:٥٥ وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) الآية . وقال (٤:١٠٤ انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) وقال تعالى (٤٢:٥ ا الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان) وقال عز وجل (٥٧:٢٤ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وقال تبارك اسمه (٥:٤٤ وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين) وقد أمر الله المؤمنين بما أمر به الرسول (ص) فقال (٤:٥٧ ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) وقال (٥ : ٩ ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) أي ولا يكسبنكم بغض قوم وعداوتهم لكم أو بغضكم لهم جريمة ترك العدل فيهم بل يجب أن تعدلوا فيمن تبغضون ومن يعاديكم كما يجب أن تعدلوا فيمن يحبكم وفيمن توالون على سواء، فالعدل واجب لذاته لا يختلف باختلاف من يحكم بينهم ومن يعاملون

قلنا ان المسلمين اتفقوا على أن الحكم لله وحده أي هو له لذاته لانه هو رب العباد الذي يعلم ما فيه الخير والمصلحة لهم والذي يجب عليهم الخضوع والانقياد له، ولهم العز والشرف في ذلك ، وليس لبشر أن يعلو على جماعة البشر فيكون سيدا مسيطرا عليهم بقوته ، أو عصبيته رضوا أم سخطوا لان هذا ذل وعبودية لا تجب عليهم الا لربهم وخالقهم ولذلك جعل الله الرسل معلمين هادين ، لا جبارين ولا

مسيطرين ، وقد اختلف العلماء في أحكام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هل كانت كلها بوحي من الله أم كان بعضها بالاجتهاد والقياس ؟ وهل أذن الله له أن يحكم برأيه فيما لم يوح اليه فيه شيء لا بالنص ولا بالاقتضاء أم لا ؟ وقد جعل الله تعالى أمر المؤمنين شورى بينهم حتى انه أمر الرسول نفسه بمشاورتهم في الامر، وانما أوجب عليهم طاعة أولي الامر منهم بالتبع لطاعة الله ورسوله ، فلا يطاع أحد منهم في معصيته و «انما الطاعة بالمعروف» كما ثبت في الحديث الصحيح[1] بل قال تعالى في آية المبايعة للرسول (ولا يعصينك في معروف) وبهذا يعلم الفرق بين طاعة الرسول وطاعة غيره من أولي الامر ، وقد فصلنا ذلك في تفسير (٤: ٥٨ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم)[2] فما قرره أحمد افندي صفوت من مساواة الرسول صلى الله عليه وسلم بغيره من الملوك والسلاطين في التشريع باطل مخالف لكتاب الله وسنة رسوله واجماع المسلمين وكذا المعقول فطاعة الرسول من أصول الايمان واستحلال مخالفته والقول بنسخ آحاد الحكام لاحكامه وشرعه كفر صريح ، بل يشترط في صحة الايمان الاذعان لحكمه والرضاء به ظاهرا وباطنا (٤: ٦٤ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)[3]

هذا واننا نرى هؤلاء المتفرنجين يقتدون بأئمتهم الافرنج في كل شيء ضار ولا يقتدون بهم في احترام سلفهم من رجال القانون والمشترعين ورؤساء الحكام، وناهيك بالانكليز والامريكان منهم فانهم لا يزالون يحافظون على أقوال سلفهم وحكامهم مالم يضطروا الى تركها اضطرارا، ومن ذلك ما يطرق مسامعنا كثيرا في هذه الايام من تكرار ذكر مذهب (منرو) واستمساك أهل الولايات المتحدة بعروته حتى ان منهم من يقاوم به مشروع جمعية الامم الذي هو أشرف مشروع يعلو بقدر أمتهم ورئيسهم اذا هو نجح في تنفيذه والا كان الامر بالعكس أو الضد وتراهم مع هذا يقولون انه يجب الوقوف به عند حد مذهب (منرو) الذي من مقتضاه عدم تدخل حكومتهم في شؤون العالم القديم في مقابلة

(١) رواه أحمد والشيخان وغيرهما من حديث علي (٢) يراجع تفسيرها في ص ١٨٠-٢٢٢ من ج ٥ من التفسير (٣) راجع تفسيرها في ص ٢٣٢ ج ٥ ت

عدم السماح له بالتعرض لشؤون العالم الجديد تحقيقاً لقول (مونرو) «أمريكا للامريكيين»
أفليس كل من يوصف بالاسلام أجدر بالاستمساك بأقوال نبيه من استمساك هؤلاء الناس
بمن لا يساوي قلامة ظفره من زعمائهم؟ أما انه كان ينبغي ذلك للمنسوب الى دينه
أو قومه وان لم يكن مؤمناً به، الا أنهم جهلوا الدين وفوائده الروحية والدنيوية فأرادوا
التفلت منه مع البقاء على الاستفادة من الانتساب اليه على ما تقدم بيانه في المقالة الاولى

وقد وقع في بعض ما نقلناه في المقالة الثانية من كلام أحمد صفوت افندي ان الخروج
عن السنة لمصلحة لا ينافي طاعة الرسول التي فرضها الله تعالى على المؤمنين، وفيه أن
دعوى الخروج للمصلحة يتوقف على معرفة السنة وجعلها هي الاصل المتبع بعد كتاب
الله تعالى وعدم الخروج عن شيء منها الا بعد أن يثبت لاهل الحل والعقد من
المؤمنين في بعض المسائل انه عرض من أحوال العصر ما يجعل العمل بالسنة في تلك
المسألة مخلا بالمصلحة العامة ومفضيا الى مفسدة راجحة أو حرج وعسر مارفعه نص
الكتاب العزيز بحيث يظهر لاهل الحل والعقد ان ترك السنة والحالة هذه منطبق على
القواعد الشرعية المقررة في اباحة الضرورات للمحظورات وتقديرها بقدرها وارتكاب
أخف الضررين اذا كان لابد من أحدهما — ولكننا نرى هؤلاء المتفرنجين لا يدرسون
شيئاً من كتب السنة البتة، بل يقبلون ما يخالفها من المفاسد ويدعون اليه وينسخون
به سنناً كثيرة ونصوصاً في كتاب الله صريحة، كقاعدة الحرية الشخصية التي كررنا
ذكرها في المقالات السابقة من جهة اباحتها للزنا واستحسانه وابطال أحكام شرعية
كثيرة لاجله.

على انه قال بعد ذلك عند الكلام على الكتاب ان ما زاد عليه من سنة أو
اجماع فحكمه الجواز ان شاء قام به الفرد وإن لم ير مصلحة في ذلك فله العدول عنه.
فجعل السنة واجماع الامة كآراء أفراد الناس وأقوالهم وان كانوا من الجهال والانذال،
فان الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من حيث وجدها، فهل وجدت أمة من أمم الارض
تجعل أحكام أنبيائها وحكم حكمائها واجماع علمائها وحكامها وزعمائها كآراء عوام
الناس وغوغائهم يتبع كل فرد فيها رأيه وهواه، فان رأى مصلحة له في شيء منها
كان له أن يأخذ به وان لم ير له فيه مصلحة رده؟ أما انه لو رزئ البشر بمثل هذا

الرأي الافين من أول نشأتهم لكانوا أدنى منزلة من جميع أنواع الحيوان ولم يتكون منهم قبيلة ولا شعب ولا أمة ، لان الشعوب والامم انما تكون بما يفعل ماضيها في مستقبلها، وسنة الارتقاء فيها أن يبني الخلف على أساس السلف فيحفظوا من الماضي أمثل ما اهتدى اليه العلماء والفضلاء ويزيدوا عليه مايزيد مقومات الامة ومشخصاتها قوة وتمكينا

القرآن أصل الاصول للشريعة

جعل احمد صفوت افندي أحكام القرآن المجيد ثلاثة أقسام المحرم والواجب والجائز ، وقال ان حكم الاول أن لا يتعرض له ولا يحكم بشيء يخالفه في مرماه . ومثل له بتحريم نكاح الام والاخت والجمع بين خمسة أزواج — وحكم الثاني أن يبقى منه ما تتحقق به الحكمة المقصودة منه ، ومثل له بايفاء العدة والاشهاد على الزواج — وحكم الثالث ان الانسان مخير فيه وان لكل حكومة أن تحرم منه بالقوانين الوضعية ما تشاء ، ومثل له بتعدد الزوجات

أما كلامه في حكم الاول — وهو ماحرمه الله في كتابه — فمجمل غامض فان قوله «ولا يحكم بشيء يخالفه في مرماه» يجعله كالقسم الثاني، لان مرمى الشيء هو الغرض الذي يقصد به وهو عين حكمته، واذا كان المراد مراعاة حكمته دون نصه لا يبقى معنى لقوله «أن لا يتعرض له» وقد حرم الكتاب الزنا وجعل للزنا عقابا بقوله (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة) الآية — فهل يجعل هذا العقاب على فعل الزنا نفسه أم على مرمى تحريمه والغرض الذي حرم لاجله ؟ وما هو ذلك المرمى ؟ هل لكل أحد من أفراد الناس أو من رؤساء الحكام أن يعين ذلك المرمى ويعلق الحكم به؟ واذا فهم أحد الافراد أن الغرض من تحريم الزنا ما يترتب عليه من ضرر اختلاط الانساب أو التعادي بين الناس أو قلة النسل أو حدوث بعض الامراض فهل له أن يستبيح منه ما يأمن هو ذلك الضرر فيه ؟ واذا اعترف بعض الناس للقاضي المسلم بالزنا فهل يوقف اقامة الحد عليه حتى يعلم أن زناه قد ترتب عليه مرمى التحريم ؟ وما يقال في الزنا يقال في محرمات النكاح كالام والبنت والاخت فقد يدعي أفراد المكلفين أو القضاة أن لذلك غرضا ومرمى هو الذي تمتنع مخالفته وان التحريم يزول

بزواله ، وعند ذلك يمكن استباحة جميع ماحرمه الله تعالى لمن شاء

وأما حكم الثاني — وهو ما أوجبه الله تعالى في كتابه — فقد بين المراد من بقاء ماتتحقق به الحكمة المقصودة منه بالمثلين اللذين ذكرهما وهو ان حكمة العدة براءة الرحم من الحمل وحكمة الاشهاد على الزواج اعلانه (قال) « فلا حرج في أن نصل الى الغرض المقصود من أقيد الطرق وأخصرها » وعد جعل عقد الزواج رسميا مغنيا عن الاشهاد ، ومرور أكثر مدة الحمل على الطلاق مغنيا عن التقيد بالتربص ثلاثة قروء . وقد قلنا في المقالة الثانية انه يمكن الاستغناء عن العدة البتة بناء على قاعدته فيما اذا علم بطريقة فنية براءة الرحم من الحمل كرؤيته خاليا من الحمل بمثل الاشعة المعروفة بأشعة (رونتجن)

ونقول ان الاشهاد على عقد النكاح غير منصوص في الكتاب العزيز وانما أمر في سورة الطلاق بالاشهاد على الرجعة وبت الطلاق ولا شك في أن أحمد مفوت أفندي لايفرق بينهما في حكمه بالاستغناء عن الاشهاد بجعل ما ذكر رسميا مهما تكن حكمة الامر به ، وجمهور أهل السنة على أن هذا الاشهاد مستحب لا واجب وان الاشهاد على عقد النكاح واجب وشرط لصحة العقد ، وقد ينازع في زعمه ان جعل العقد رسميا يغني عن الاشهاد ، فان فائدة الاشهاد أن يعلم الناس بأن زيدا تزوج فلا يتهمه أحد بأنه يباشر امرأة بالفسق ، وجعل الزواج رسميا لا يترتب عليه هذه الفائدة لانه قد يحصل بعلم كاتب العقد وحده

ثم انه على تقدير قبول قاعدته الفاسدة ينازع بما زعم انه هو حكمة العدة فان للعدة عدة حكم وفوائد منها ما هو غير مطرد وهو ظهور براءة الرحم فانه خاص بالحائل المستعدة للحمل وقد أوجب الله العدة على غير المستعدة له كالصغيرة واليائسة، ومنها ماهو مطرد كحفظ كرامة الزوج الاول والتوسعة على المطلق في الوقت الذي يمكن أن يؤاخذ فيه نفسه لعله يراجع . وبهذا نعلم شيئا آخر من مفاسد القاعدة وهو تحكم الاهواء في اختراع الحكم التي تراعى ويحافظ عليها في الاحكام التي أوجبها كتاب الله وإذا أخطأ الناس في معرفة الحكمة نكون قد تركنا حكم ربنا لوهم جهلي تراءى لهم (بئس للظالمين بدلا) وأهواؤهم هذه ليس لها أساس ثابت من الحق ولا من

الفضيلة ، وما يسمونه المصلحة تابع للهوى أيضا فان أصل التشريع الاعظم عندهم أن تكون الاحكام موافقة لعادات الامة وأحوالها التي تختلف باختلاف الزمان والمكان ، فاذا هم لم يقفوا عند عقائد الدين وفضائله ولا غيره من مقومات الامة السابقة كما علمنا من أقوالهم وأفعالهم فلا يبعد أن يحللوا ما أشرنا اليه آنفا من نكاح البنات والاخوات فقد نقل عن بعض كبرائهم الزنا بينته وأمثال ذلك . وحكم قاض من قضاتهم في هذه البلاد منذ سنين قليلة ببراءة أستاذ من أساتذتهم في المدارس الاميرية تصبى امرأة متزوجة بما يفتنها عن زوجها ويزري بكرامتها بمثل قوله لها في الطريق العام ان جمالها حرم عليه نوم الليل!! وعلل القاضي المتفرنج حكمه بالبراءة بأن الاستاذ لم يأت شيئا نكرا وان ما صدر عنه ليس الا الاعجاب بالحسن والجمال، وهو من آيات الارتقاء في الذوق والخيال، الذي هو منتهى الكمال!! وقد اضطربت البلاد لهذا الحكم ولهجت الجرائد باستهجانه والانكار عليه، ونحمد الله أن أبطلته محكمة الاستئناف ، فأرضت الصيانة والعفاف

وأما حكم الثالث - وهو ما جعله القرآن جائزا - فقد بينه أيضا وجعله كأن لم يكن ، فأما كون الافراد مخيرين فيه عملا فصحيح ، وأما كون الحكام يجوز لهم أن يحرموا منه ماشاؤا فباطل ، اذ ليس الحكام أربابا حتى يحللوا ويحرموا على الناس بمحض مشيئتهم . فما أحله الله فليس لاحد أن يحرمه الا باذن من الله عز وجل (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) والله أرحم بعباده من أنفسهم فهو لم يحرم عليهم الا ماهو خبيث ضار ولم يحل لهم الا ماهو طيب نافع ، كما قال تعالى في وصف رسوله (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) فاذا عرض من حوادث الزمن ما جعل بعض الحلال ضارا أو بعض الحرام ضرورياً تغير الحكم بحسب ذلك العارض وعلى قدره فقد قال تعالى بعد تحريم محرمات الطعام (الا ما اضطررتم اليه) فالضرورات تبيح المحظورات وتحظر المباحات ولكنها تقدر بقدرها، والرأي في ذلك لاولي الامر من الامة وهم أهل الحل والعقد ورجال الشورى في المصالح العامة ، ويجب على الحكام أن يحكموا بما يستنبطونه لهم من أمثال هذه الاحكام التي تختلف باختلاف

الزمان والمكان ، ومثلهم نواب الامة عند أمم الحضارة في هذا العصر

وخلاصة مايقترحه هذا المقترح من لاصلاح في أحكام كتاب الله ان ما أحله الله للناس فلكل حاكم أن يحرمه عليهم اذا شاء، وما حرمه عليهم تراعى فيه حكمة التحريم بحسب فهم الناس لها، ولهم أن يفعلوا المحرم اذا كان فعله لا يبطل تلك الحكمة ، وكذا ما أوجبه عليهم فليس عليهم الا ترك الحكم بما يخالف مرماه وغرضه من الايجاب لا نفس الواجب — وصرح بهذه النتيجة في الاقسام الثلاثة بقوله عقب التصريح بالاستغناء عن عدة النساء والشهادة على عقد النكاح بقوله

«وبذلك يتقض وجوب التقيد بالمعاني الحرفية للالفاظ القانونية الواردة في القرآن»

وهذا نص صريح في ترك أحكام القرآن كلها وعدم الرجوع الى شيء منها لا العمل بها ولا للاستنباط منها ، ويكفي المسلمين على هذا الرأي أن يجمع مثل أحمد صفوت افندي ما يفهمه من مرامي الواجبات وحكم المحرمات في عدة مسائل أو قواعد تذكر في مقدمات القوانين الوضعية أو تجعل شروطا لبعض أحكامها كأن يقال: يشترط في صحة زواج المطلقة أو المتوفى زوجها أن لا تكون حاملا من الزوج الاول

ومن المعلوم بالضرورة أن هذا القانوني الذي تصدى لاصلاح شريعة الاسلام باسم الاسلام يقول بوجوب التقيد بالمعاني الحرفية للقوانين الوضعية التي وضعها الافرنج لمصر فهي مفضلة عنده وعند أمثاله على كتاب الله تعالى. وليس هذا بعجيب منه ولكن العجيب الذي ليس وراءه عجب أن يخطب خطبة في جمهور كبير من رجال القانون بمصر يدعو فيها المسلمين باسم الاسلام الى نبذ كتاب جميع أحكام ربهم وسنة رسولهم واجماع أمتهم، وفقه جميع أئمتهم، ويسمى ذلك اصلاحاً لشريعتهم ، ومبدأ لترقيتهم ، ثم يطبع ذلك وينشره بين الناس فيقره جمهور من رجال القضاء. ويسكت عنه الكتاب والعلماء ، وحسب هؤلاء تكفير بعضهم بعضا بالمسائل الخلافية ، ككون العربية على نبوة آدم وابوته للناس ظنية أو قطعية ، والى الله المشتكى ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

انتشار الاسلام

سرعة لم يعهد لها نظير في التاريخ

هذا فصل من رسالة التوحيد للاستاذ الامام أكرم الله مثواه ، قال : —

كانت حاجة الامم الى الاصلاح عامة فجعل الله رسالة خاتم النبيين عامة كذلك، لكن يدهش عقل الناظر في أحوال البشر عندما يرى أن هذا الدين يجمع اليه الامة العربية من أدناها الى أقصاها في أقل من ثلاثين سنة ، ثم يتناول من بقية الامم ما بين المحيط الغربي وجدار الصين في أقل من قرن واحد ، وهو أمر لم يعهد في تاريخ الاديان، ولذلك ضل الكثير في بيان السبب، واهتدى اليه المنصفون فبطل العجب

ابتدأ هذا الدين بالدعوة كغيره من الاديان ، ولقي من أعداء أنفسهم أشد ما يلقى حق من باطل : أوذي الداعي صلى الله عليه وسلم بضروب الايذاء ، وأقيم في وجهه ما كان يصعب تذليله من العقاب لولا عناية الله، وعذب المستجيبون له وحرموا الرزق، وطردوا من الدار ، وسفكت منهم دماء غزيرة . غير أن تلك الدماء كانت عيون العزائم تتفجر من صخور الصبر، يثبت الله بمشهدها المستيقنين ، ويقذف بها الرعب في أنفس المرتابين، فكانت تسيل لمنظرها نفوس أهل الريب، وهي ذوب ما فسد من طباعهم ، فتجري من مناحرهم جري الدم الفاسد من المفصود على أيدي الاطباء الحاذقين (٨ : ٣٧ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون)

تألبت الملل المختلفة ممن كان يسكن جزيرة العرب وما جاورها على الاسلام ليصدوا نبته ، ويخنقوا دعوته . فما زال يدافع عن نفسه دفاع الضعيف للاقوياء ، والفقير للاغنياء ، ولا ناصر له الا أنه الحق بين الاباطيل، والرشد في ظلمات الاضاليل، حتى ظفر بالعزة ، وتعزز بالمنعة ، وقد وطئ أهل الجزيرة أقوام من أديان أخر كانت تدعو اليها وكانت لهم ملوك وعزة وسلطان وحملوا الناس على عقائدهم بأنواع من المكاره ومع ذلك لم يبلغ بهم السعي نجاحا ، ولا أنالهم القهر فلاحاً

ضم الاسلام سكان القفار العربية الى وحدة لم يعرفها تاريخهم ولم يعهد لها نظير في ماضيهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أبلغ رسالته بأمر ربه الى من جاور البلاد العربية من ملوك الفرس والرومان. فهزؤا واشمأزوا وناصبوه وقومه الشر وأخافوا السابلة وضيقوا على المتاجر ، فغزاهم بنفسه. و بعث اليهم البعوث في حياته. وجرى على سنته الأئمة من صحابته. طلبا للأمن وابلاغاً للدعوة. فاندفعوا في ضعفهم وقلتهم يحملون الحق على أيديهم. وانهالوا به على تلك الامم في قوتها ومنعتها، وكثرة وكثرة عددها، واستكمال أهبها وعددها. فظفروا منها بما هو معلوم، وكانوا متى وضعت الحرب أوزارها واستقر السلطان للفاتح عطفوا على المغلوبين بالرفق واللين، وأباحوا لهم البقاء على اديانهم وإقامة شعائرها آمنين مطمئنين، ونشروا حمايتهم عليهم يمنعونهم مما يمنعون منه أهلهم وأموالهم، وفرضوا عليهم كفاء ذلك جزءاً قليلا من مكاسبهم على شرائط معينة

كانت الملوك من غير المسلمين اذا فتحوا مملكة أتبعوا جيشها الظافر بجيش من الدعاة الى دينها ، يلجون على الناس بيوتهم ويغشون مجالسهم ليحملوهم على دين الظافر ، وبرهانهم الغلبة ، وحجتهم القوة ، ولم يتم ذلك لفاتح من المسلمين ولم يعهد في تاريخ فتوح الاسلام أن كان له دعاة معروفون لهم وظيفة ممتازة يأخذون على أنفسهم العمل في نشره . ويقفون مساعيهم على شرعة أحد من غير المسلمين ، بل كان المسلمون يكتفون بمجاملة من عداهم ومجاملتهم في المعاملة. ويشهد التاريخ العام أن الاسلام كان يعد مجاملة المغلوبين فضلا واحسانا عند ما كان يعدها الاوربيون رحمة وضعفا

رفع الاسلام ما ثقل من الإتاوات ، ورد الاموال المسلوبة الى اربابها ، وانتزع الحقوق من مغتصبيها، ووضع المساواة في الحق عند القاضي بين المسلم وغير المسلم . بلغ أمر المسلمين فيما بعد أن لا يقبل اسلام من داخل فيه الا بين يدي قاض شرعي باقرار من المسلم الجديد أنه أسلم بلا اكراه ولا رغبة في دنيا . وصل الامر في عهد بعض الخلفاء الامويين أن كره عمالهم دخول الناس في دين الاسلام لما رأوا أنه ينقص من مبالغ الجزية ، وكان في حال أولئك العمال صد عن سبيل الدين لا محالة ، ولذلك أمر عمر بن عبد العزيز بتعزير مثل أولئك العمال [1]

(١) شكا اليه عامله بمصر ذلك فأجابه « ان محمدا (ص) بعث هاديا ولم يبعث جابيا »

عرف خلفاء المسلمين وملوكهم في كل زمان ما لبعض أهل الكتاب بل وغيرهم من المهارة في كثير من الاعمال فاستخدموهم وصعدوا بهم الى أعلى المناصب حتى كان منهم من تولى قيادة الجيش في اسبانيا . اشتهرت حرية الاديان في بلاد الاسلام حتى هجر اليهود أوربا فرارا منها بدينهم الى بلاد الاندلس وغيرها

هذا ما كان من أمر المسلمين في معاملتهم لمن أظلوهم سيوفهم : لم يفعلوا شيئا سوى أنهم حملوا الى أولئك الاقوام كتاب الله وشريعته ، وألقوا بذلك بين أيديهم وتركوا الخيار لهم في القبول وعدمه ، ولم يقوموا بينهم بدعوة ، ولم يستعملوا لاكراههم عليه شيئا من القوة ، وما كان من الجزية لم يكن مما يثقل أداؤه على من ضربت عليه ، فما الذي أقبل بأهل الاديان المختلفة على الاسلام وأقنعهم أنه الحق دون ما كان لديهم حتى دخلوا فيه أفواجا ، وبذلوا في خدمته ما لم يبذله العرب أنفسهم ؟

ظهور الاسلام على ما كان في جزيرة العرب من ضروب العبادات الوثنية ، وتغلبه على ما كان فيها من رذائل الاخلاق وقبائح الاعمال ، وسيره بسكانها على الجادة القويمة ، حقق لقراء الكتب الالهية السابقة أن ذلك هو وعد الله لنبيه ابراهيم واسماعيل ، وتحقيق استجابة دعاء الخليل (٢ : ١٢٩ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) وأن هذا الدين هو ما كانت تبشر به الانبياء أقوامها من بعدها ، فلم يجد أهل النصفة منهم سبيلا الى البقاء على العناد في مجاحدته فتلقوه شاكرين ، وتركوا ما كان لهم بين قومهم صابرين ، أوقع ذلك من الريب في قلوب مقلديهم ما حركهم الى النظر فيه ، فوجدوا لطفا ورحمة ، وخيرا ونعمة ، لا عقيدة ينفر منها العقل وهو رائد الايمان الصادق ، ولا عمل تضعف عن احتماله الطبيعة البشرية وهي القاضية في قبول المصالح والمرافق ، رأوا أن الاسلام يرفع النفوس بشعور من اللاهوت يكاد يعلو بها عن العالم السفلي ويلحقها بالملكوت الاعلى ، ويدعوها الى إحياء ذلك الشعور بخمس صلوات في اليوم ، وهو مع ذلك لايمنع من التمتع بالطيبات ، ولا يفرض من الرياضات وضروب الزهادة ما يشق على الفطرة البشرية تجشمه ، ويعد برضا الله ونيل ثوابه حتى في توفية البدن حقه ، متى حسنت النية وخلصت السريرة ، فاذا نزت شهوة أو

غلب هوى كان الغفران الالهي ينتظره متى حصلت التوبة ، وكانت الاوبة ، تبدت لهم سذاجة الدين عند ما قرؤا القرآن ونظروا في سيرة الطاهرين من حامليه اليهم، وظهر لهم الفرق بين ما لا سبيل الى فهمه ، وما تكفي جولة نظر في الوصول الى عمله ، (*) فتراموا اليه خفافا من ثقل ما كانوا عليه

كانت الامم تطلب عقلا في دين فوافاها ، وتتطلع الى عدل في ايمان فأتاها ، فما الذي يحجم بها عن المسارعة الى طلبتها ، والمبادرة الى رغيبتها ؟ كانت الشعوب تئن من ضروب الامتياز التي رفعت بعض الطبقات على بعض بغير حق ، وكان من حكمها أن لا يقام وزن لشؤون الادنين ، متى عرضت دونها شهوات الاعلين ؛ فجاء دين يحدد الحقوق، ويسوي بين جميع الطبقات في احترام النفس والدين والعرض والمال ، ويسوغ لامرأة فقيرة غير مسلمة أن تأبى بيع بيت صغير بأية قيمة لامير عظيم مطلق السلطان في قطر كبير، وما كان يريده لنفسه ولكن ليوسع به مسجدا، فلما عقد العزيمة على أخذه مع دفع أضعاف قيمته رفعت الشكوى الى الخليفة فورد أمره برد بيتها اليها مع لوم الامير على ما كان منه ؛ عدل يسمح ليهودي أن يخاصم مثل علي بن أبي طالب أمام القاضي وهو من نعلم من هو! ويستوقفه معه للتقاضي الى أن قضى الحق بينهما، هذا وما سبق بيانه مما جاء به الاسلام هو الذي حببه الى من كانوا أعداءه، ورد اليه أهواءهم حتى صاروا أنصاره وأولياءه

غلب على المسلمين في كل زمن روح الاسلام فكان من خلقهم العطف على من جاورهم من غيرهم، ولم تستشعر قلوبهم عداوة لمن خالفهم الا بعد أن يحرجهم الجار فهم كانوا يتعلمونها ممن سواهم، ثم لا يكون الا طائفا يحل ثم يرتحل، فاذا انقطعت أسباب الشغب تراجعت القلوب الى سابق ما ألفته من اللين والمياسرة ، ومع ذلك بل ومع غفلة المسلمين عن الاسلام وخذلانهم له وسعي الكثير منهم في هدمه بعلم وبغير علم لم يقف الاسلام في انتشاره عند حد، خصوصا في الصين وفي أفريقيا، ولم يخل زمن من رؤية جموع كثيرة من ملل مختلفة تنزع الى الاخذ بعقائده على بصيرة فيما تنزع اليه : لا بسيف وراءها، ولا داعي امامها ، وانما هو مجرد الاطلاع على ما أودعه، مع قليل

(*) الاول كالجمع بين التثليث والتوحيد والثاني [illegible]

من حركة الفكر في العلم بما شرعه، ومن هذا تعلم أن سرعة انتشار الدين الاسلامي واقبال الناس على الاعتقاد به من كل ملة انما كان لسهولة تعقله، ويسر أحكامه وعدالة شريعته، وبالجملة لان فطر البشر تطلب دينا وترتاد منه ماهو أمس بمصالحها، وأقرب الى قلوبها ومشاعرها، وأدعى الى الطمأنينة في الدنيا والآخرة ، ودين هذا شأنه يجد الى القلوب منفذا، والى العقول مخلصا، بدون حاجة الى دعاة ينفقون الاموال الكثيرة، والاوقات الطويلة، ويستكثرون من الوسائل، وينصبون الحبائل ، لاسقاط النفوس فيه — هذا كان حال الاسلام في سذاجته الاولى ، وطهارته التي أنشأه الله عليها، ولا يزال على جانب عظيم منها في بعض أطراف الارض الى اليوم

قال من لم يفهم ما قدمناه أو لم يرد أن يفهمه : ان الاسلام لم يطف على قلوب العالم بهذه السرعة الا بالسيف، فقد فتح المسلمون ديار غيرهم والقرآن باحدى اليدين والسيف بالاخرى، يعرضون القرآن على المغلوب فان لم يقبله فصل السيف بينه وبين حياته . سبحانك هذا بهتان عظيم ! ما قدمناه من معاملة المسلمين مع من دخلوا تحت سلطانهم هو ماتواترت به الاخبار تواترا صحيحا لايقبل الريبة في جملته وان وقع اختلاف في تفصيله، وانما شهر المسلمون سيوفهم دفاعا عن أنفسهم، وكفا للعدوان عنهم، ثم كان الافتتاح بعد ذلك من ضرورة الملك، ولم يكن من المسلمين مع غيرهم الا أنهم جاوروهم وأجاروهم، فكان الجوار طريق العلم بالاسلام، وكانت الحاجة لاصلاح العقل والعمل داعية الانتقال اليه

لو كان السيف ينشر دينا فقد عمل في الرقاب للاكراه على الدين والالزام به مهددا كل أمة لم تقبله بالابادة والمحو من سطح البسيطة ، مع كثرة الجيوش ووفرة العدد وبلوغ القوة أسمى درجة كانت تمكن لها، وابتدأ ذلك العمل قبل ظهور الاسلام بثلاثة قرون كاملة واستمر في شدته بعد مجيء الاسلام سبعة أجيال أو يزيد ، فتلك عشرة قرون كاملة لم يبلغ فيها السيف من كسب عقائد البشر مبلغ الاسلام في أقل من قرن. هذا ولم يكن السيف وحده، بل كان الحسام لايتقدم خطوة الا والدعاة من خلفه، يقولون ما يشاءون تحت حمايته، مع غيرة تفيض من الافئدة ، وفصاحة تتدفق عن الالسنة ، وأموال تخلب ألباب المستضعفين ، ان في ذلك لآيات للمستيقنين ،

جلت حكمة الله في أمر هذا الدين: سلسبيل حياة نبع في القفار العربية، أبعد بلاد الله عن المدنية، فاض حتى شملها فجمع شملها فأحياها حياة شعبية ملية، علا مده حتى استغرق ممالك كانت تفاخر أهل السماء في رفعتها، وتملوا أهل الارض بمدنيتها، زلزل هديره على لينه ما كان استحجر من الارواح، فانشقت عن مكنون سر الحياة فيها. قالوا كان لا يخلو من غلب (بالتحريك) قلنا تلك سنة الله في الخلق لا تزال المعارضة بين الحق والباطل والرشد والغي قائمة في هذا العالم الى أن يقضي الله قضاءه فيه، اذا ساق الله ربيعا الى أرض جدبة ليحيي ميتها، وينقع غلتها، وينمي العشب فيها، أفينتقص من قدره أن أتى في طريقه على عقبة فعلاها، أو بيت رفيع العماد فهوى به؟

طلع الاسلام على الديار التي بلغها أهله فلم يكن بين أهل تلك الديار وبينه الا أن يسمعوا كلام الله ويتدبروه، واشتغل المسلمون بعضهم ببعض زمنا، وانحرفوا عن طريق الدين أزمانا، فوقف وقفة القائد خذله الانصار وكاد يتزحزح الى ما وراءه، لكن الله بالغ أمره، فانحدرت الى ديار المسلمين أمم من التتار يقودها جنكيزخان، وفعلوا بالمسلمين الافاعيل، وكانوا وثنيين جاؤا لمحض الغلبة والسلب والنهب، ولم يلبث أعقابهم أن اتخذوا الاسلام دينا، وحملوه الى أقوامهم فعمهم منه ماعم غيرهم: جاءوا لشقوتهم، فعادوا بسعادتهم

حمل الغرب على الشرق حملة واحدة لم يبق ملك من ملوكه ولا شعب من شعوبه الا اشترك فيها، واستمرت المجالدات بين الغربيين والشرقيين أكثر من مائتي سنة جمع فيها الغربيون من الغيرة والحمية للدين ما لم يسبق لهم من قبل، وجيشوا من الجند وأعدوا من القوة مابلغته طاقتهم، وزحفوا الى ديار المسلمين، وكانت فيهم بقية من روح الدين، فتغلب الغربيون على كثير من البلاد الاسلامية وانتهت تلك الحروب الجارفة باجلائهم عنها، لم جاءوا وبماذا رجعوا؟ قام رؤساء الدين في الغرب، باثارة شعوبهم ليبيدوا ما يشاءون من سكان الشرق، أو يستولوا سلطان تلك الشعوب على ما يعتقدون لانفسهم الحق في الاستيلاء عليه من البلاد الاسلامية، جاء من الملوك والامراء وذوي الثروة وعلية الناس جم غفير، وجاء ممن دونهم من

الطبقات ماقدروه بالملايين ، استقر المقام لكثير من هؤلاء في أرض المسلمين ، وكانت فترات تنطفئ فيها نار الغضب وتثوب العقول الى سكينتها تنظر في أحوال المجاورين ، وتلتقط من أفكار المخالطين ، وتنفعل بما ترى وما تسمع ، فتبينت أن المبالغات التي أطاشت الاحلام ، وجسمت الآلام ، لم تصب مستقر الحقيقة ، ثم وجدت حرية في دين ، وعلما وشرعا وصنعة مع كمال في يقين ، وتعلمت أن حرية الفكر وسعة العلم من وسائل الايمان لا من العوادي عليه ، ثم جمعت من الآداب ماشاء الله وانطلقت الى بلادها ، قريرة العين بما غنمته من جلادها ، هذا الى ما كسبه السفار من أطراف الممالك الى بلاد الاندلس بمخالطة حكامها وأدبائها ، ثم عادوا به الى شعوبهم ليذيقوهم حلاوة ما كسبوا ، وأخذت الافكار من ذلك العهد تتراسل ، والرغبة في العلم تتزايد بين الغربيين ، ونهضت الهمم لقطع سلاسل التقليد ، ونزعت العزائم الى تقييد سلطان زعماء الدين ، والاخذ على أيديهم فيما تجاوزوا فيه وصاياه ، وحرفوا في معناه ، ولم يكن بعد ذلك الا قليل من الزمن حتى ظهرت طائفة منهم تدعو الى الاصلاح والرجوع بالدين الى بداجته ، وجاءت في اصلاحها بما لا يبعد عن الاسلام الا قليلا ، بل ذهب بعض طوائف الاصلاح في العقائد الى ما يتفق مع عقيدة الاسلام الا في التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وان ما هم عليه انما هو دينه يختلف عنه اسما ولا يختلف معنى الا في صورة العبادة لاغير .

ثم أخذت أمم أوربا تفتك من أسرها ، وتصلح من شؤونها ، حتى استقامت أمور دنياها على مثل مادعا اليه الاسلام ، غافلة عن قائدها ، لاهية عن مرشدها ، وتقررت أصول المدنية الحاضرة ، التي تفاخر بها الاجيال المتأخرة ماسبقها من أهل الازمان الغابرة ، ــ هذا طل من وابله أصاب أرضا قابلة فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، جاء القوم ليُبيدوا ، فاستفادوا وعادوا ليفيدوا ، ظن الرؤساء ان في إهاجة شعوبهم شفاء ضغنهم ، وتقوية ركنهم ، فباؤا بوضوح شأنهم ، وضعضعة سلطانهم ، وما بيناه في شأن الاسلام ــ ويعرفه كل من تفقه فيه ــ قد ظفر به كثير من أهل النظر في بلاد الغرب فعرفوا له حقه ، واعترفوا أنه كان أكبر اساتذتهم فيما هم فيه اليوم ، والى الله عاقبة الامور

﴿ ايراد سهل الايراد ﴾

يقول قائلون اذا كان الاسلام انما جاء لدعوة المختلفين الى الاتفاق وقال كتابه « ٦ : ١٥٩ ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » فما بال الملة الاسلامية قد مزقتها المشارب ، وفرقت بين طوائفها المذاهب ؟ اذا كان الاسلام توحيدا فما بال المسلمين عددوا ؟ اذا كان مولِيا وجه العبد، وجهة الذي خلق السموات والارض، فما بال جمهورهم يولون وجوههم من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا يستطيع من دون الله ضيرا ولا شرا ، وكادوا يعدون ذلك فصلا من فصول التوحيد؟ اذا كان أول دين خاطب العقل ودعاه الى النظر في الاكوان ، وأطلق له العنان يجول في ميادينها بما يسعه الامكان، ولم يشرط عليه في ذلك سوى المحافظة على عقد الايمان ، فما بالهم قنعوا باليسير ، وكثير منهم أغلق على نفسه باب العلم، ظنا منه أنه قد يرضي الله بالجهل ، واغتفال النظر فيما أبدع من محكم الصنع ؟ — ما بالهم وقد كانوا رسل المدنية أصبحوا اليوم وهم يتنسمونها ولا يجدونها ؟ ما بالهم بعد أن كانوا قدوة في الجد والعمل ، أصبحوا مثلا في القعود والكسل ؟ — ما هذا الذي ألحق المسلمون بدينهم وكتاب الله بينهم يقيم ميزان القسط بين ما ابتدعوه ، وبين ما دعاهم اليه فتركوه ؟ — اذا كان الاسلام في قربه من العقول والقلوب على ما بينت، فما باله اليوم على رأي القوم تقصر دون الوصول اليه يد المتناول؟ اذا كان الاسلام يدعو الى البصيرة فيه، فما بال قراء القرآن لا يقرؤنه الا تغنيا، ورجال العلم بالدين لا يعرفه أغلبهم الا تظنيا ؟ — اذا كان الاسلام منح العقل والارادة شرف الاستقلال ، فما بالهم شدوهما الى أغلال أي أغلال؟ — اذا كان قد أقام قواعد العدل، فما بال أغلب حكامهم يضرب بهم المثل في الظلم ؟ — اذا كان الدين في تشوف الى حرية الارقاء، فما بالهم قد واقروها في استعباد الاحرار — اذا كان الاسلام يعد من أركانه حفظ العهود والصدق والوفاء ، فما بالهم قد فشا بينهم الغدر والكذب والزور والافتراء؟ — اذا كان الاسلام يحظر الغيلة ، ويحرم الخديعة ، ويوعد على الغش بأن الغاش ليس من أهله ، فما بالهم يحتالون حتى على الله وشرعه وأوليائه ؟ — اذا كان قد حرم الفواحش ما ظهر منها

وما بطن ، فما هذا الذي نراه بينهم في السر والعلن ، والنفس والبدن ؟

اذا كان قد صرح بأن الدين النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين خاصتهم وعامتهم ، وان الانسان لفي خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، وانهم ان لم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر سلط عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم ، وشدد في ذلك بما لم يشدد في غيره ، فما بالهم لا يتناصحون ولا يتواصون بحق ، ولا يتواصون بصبر ، ولا يتناصحون في خير ولا شر ، بل ترك كل صاحبه ، وألقى حبله على غاربه ، فعاشوا أفذاذا ، وصاروا في أعمالهم أفرادا ، لا يحس أحدهم بما يكون من عمل أخيه ، كأنه ليس منه ، وكأن لم تجمعه معه صلة ، ولم تضمه اليه وشيجة ؟

ما بال الابناء ، يقتلون الآباء ، وما بال البنات ، يعققن الامهات ؟ أين وشائج الرحمة ؟ أين عاطفة الرحم على القريب ؟ أين الحق الذي فرض في أموال الاغنياء للفقراء ، وقد أصبح الاغنياء يسلبون مابقي في أيدي أهل البأساء ؟

قبس من الاسلام أضاء الغرب كما تقول ، وضوءه الاعظم وشمسه الكبرى في الشرق وأهله في ظلمات لا يبصرون ! أصح هذا في عقل ، أو عهد في نقل ؟ ألم تر الى الذين تذوقوا من العلم شيئا وهم من أهل هذا الدين أول ما يعلق بأوهام أكثرهم ان عقائده خرافات ، وقواعده وأحكامه ترهات ، ويجدون لذتهم في التشبه بالمستهزئين ممن سموا أنفسهم أحرار الافكار ، وبعداء الانظار - والى الذين قصروا همهم على تصفح أوراق من كتبه ، ووسموا أنفسهم بأنهم حفاظ أحكامه والقوام على شرائعه ، كيف يجافون علوم النظر ويزرون بها ، ويرون العمل فيها عبثا في الدين والدنيا ، ويفتخر الكثير منهم بجهلها كأنه في ذلك قد هجر منكرا وترفع عن دنيئة ؟ فمن وقف على باب العلم من المسلمين يجد دينه كالثوب الخلق يستحي ان يظهر به بين الناس ، ومن غرته نفسه بأنه على شيء من الدين وانه مستمسك بعقائده ، يرى العقل جنة ، والعلم ظنة ، أليس في هذا ما يشهد الله وملائكته والناس أجمعين ، على ان لا وفاق بين العلم والعقل وهذا الدين ؟

﴿ الجواب ﴾

ربما لم يبالغ الواصف لما عليه المسلمون اليوم بل من عدة أجيال ، وربما كان ما جاء في الايراد قليلا من كثير ، وقد وصف الشيخ الغزالي رحمه الله وابن الحاج وغيرهما من أهل البصر في الدين ما كان عليه مسلمو زمانهم عامتهم وخاصتهم بما حوته مجلدات ، ولكن قد أتيت في خاصة الدين الاسلامي بما يكفي للاعتراف به بمجرد تلاوة القرآن مع التدقيق في فهم معانيه ، وحملها على مافهمه أولئك الذين أنزل فيهم وعمل به بينهم ، ويكفي في الاعتراف بماذكرته من جميل أثره قراءة ورقات في التاريخ على ما كتبه محققو الاسلام ومنصفو سائر الامم ، فذلك هو الاسلام . وقد أسلفنا أن الدين هدى وعقل من أحسن في استعماله والاخذ بما أرشد اليه نال من السعادة ما وعد الله على اتباعه ، وقد جرب علاج الاجتماع الانساني بهذا الدواء فظهر نجاحه ظهورا لا يستطيع معه الاعمى انكارا ، ولا الاصم إعراضا ، وغاية ما قيل في الايراد أن أعطى الطبيب المريض دواء فصح المريض وانقلب الطبيب بالمرض الذي كان يعالج لمعالجته ، وهو يتجرع الغصص من آلامه والدواء في بيته وهو لا يتناوله ، وكثير ممن يعودونه ، أو يتأففون منه ويشمتون لمصيبته ، يتناولون من ذلك الدواء فيشفون من مثل مرضه ، وهو في يأس من حياته ، ينتظر الموت أو تبديل سنة الله في شفاء أمثاله . كلامنا اليوم في الدين الاسلامي وحاله على ما بينا ، أما المسلمون وقد أصبحوا بسيرهم حجة على دينهم فلا كلام لنا فيهم الآن ، وسيكون الكلام عنهم في كتاب آخر ان شاء الله

[المنار] جمع الاستاذ الامام رحمه الله في هذا السؤال والجواب جملة مساوي المسلمين المخالفة لهدي الاسلام ، وبين فيه كليات محاسنه المفصلة في رسالة التوحيد بعض التفصيل ، ووعد ببيان تفصيل هذه المساوي في كتاب آخر ولكنه لم يوفق لكتابته ، على انه جاء في كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) بكثير مما أراد من ذلك

مستقبل سورية وسائر البلاد العربية (*)

(٥)

خطب مؤسسي اتفاق سنتي ١٩١٦ و ١٩١٧

خطبة موسيو بيكو في دمشق

ألقى موسيو بيكو معتمد فرنسا السامي في سورية هذه الخطبة في حفلة أعدت له ولزميله السر مارك سيكس في النادي العربي بدمشق ونشرت جرائدها ترجمتها فنقلها المقطم في عدد ٢٣ ربيع الآخر - ٢٥ يناير (ك ٢) الماضي عن «المقتبس» الدمشقية وهذا نصها:

أيها السادة

لم أكن أنتظر بعد ان قضيت أياما عديدة وساعات كثيرة في السفر على متون القطارات والسيارات أن أصل الى دمشق فأشهد هذه الحفلة الجميلة التي ضمت خير الرجال والشبان بيد اني لم أستغرب هذا الامر من صديقي السر مارك سايكس الذي عودني ان يفاجئني بهكذا حفلات مستفيدا هذه الفرصة التي سنحت لاهنئ الحكومة العربية بما نالته من الاستقلال الذي جاهدت الامة العربية وقاتلت في سبيله

انضمت الحكومة العربية الى الحلفاء زمن الحرب وقاتلت معهم لكونها عرفت قدسية المبدأ الذي يقاتلون عنه فهي بعملها هذا تستحق الشكر واني باسم فرنسة أشكر الامة العربية والحكومة العربية لجهادهما

انتهى دور الحرب ودخلنا في دور جديد دور العمل والاجتهاد ولا أظن ان الدور الجديد يقل في خطورة شأنه عن دور الحرب خصوصا وان أعداءنا واعداءكم لا يزالون موجودين فلذلك يجب ان نكون متفقين متحدين

أخذت برقية بالامس من فرنسة جاء فيها ان الامير فيصل قابل المسيو كلنصو

(*) تابع لما في الجزء الاول

بمقابلة طويلة انتهت باتفاقهما على جميع المبادئ والآراء ولم يوجد بينهما أثر من آثار الاختلاف

اتحدنا زمن الحرب وعملنا معاً للوصول الى النتيجة فلذلك يجب أن لا يكون اتحادنا وقتيا بل ثابتا وطيداً لتنال الامة العربية ثمرة أتعابها وتقطع مع دول الحلفاء العقبات ويكون مبدأ تمدنها ورقيها

اننا نرى في الزمن الحاضر زمن المذاكرات الصلحية كثيرا من الاعداء ونصادفهم أينما حللنا وذهبنا

ان هؤلاء الاعداء أتراك يعملون للمصلحة التركية ولقد شاهدناهم يعملون أعظم الاعمال في أوربة عندي أنا والسير مارك سايكس

شاهدناهم في دار نظارة الخارجية يقولون للفرنسويين لا تؤمنوا للعرب ولا تصدقوهم ولا تنتظروا منهم ان يؤلفوا حكومة، وسمعناهم يقولون للانكليز لا تتفقوا مع الفرنسويين ولا تمدوا يدكم اليهم ولا تساعدوا العرب — فلذلك يجب أن تعرف هؤلاء الدساسين فيما يتكلمون به

قال أحد الخطباء اننا الآن في دور جديد وعلينا واجبات جمة . لقد صدق أيها السادة فان الامم التي كافحت مع العرب للوصول الى هذه النتيجة نتيجة الظفر العظيم قد ولد فيها فكر جديد وشعور جديد لم يكونا لها من قبل — ذلك الشعور شعور الاستقلال والحرية للامم

يجب أن تقاوموا كل من يخالف هذا المبدأ ان كان تاجرا يعمل لرواج سلعته أو صحافيا يشتغل لترويج صحيفته، وان تذللوا كل المصاعب والعقبات التي تحول دون اتفاق الشعوب العربية أي كل من ينطق بالعربية، لان الاديان لا تكون مانعة للاتحاد ولا تسمعوا للمفسدين الذين يحاولون تفريق وحدتكم وكلمتكم

ان فرنسا لم تخض غمار هذه الحرب لصد عادية الالمان عن بلادها فقط بل لتأييد مبدأ الحرية والاستقلال وترى كل أمة تعيش متمتعة بالاستقلال وان يكون لها الحق باختيار طريقة الحكم الذي تريده

التحابّ مطلوب وخصوصا بين الامم التي حاربت جنبا لجنب، وان فرنسا

لا تميل قط الى الرجل الذي يأتيها و يقول لها اني أحبك أكثر من وطني — لانه منافق لا يعرف أن يحب فترده وتقول له اذهب وحب وطنك أولا - وان أعظم سرور لفرنسا هو ان ترى الامة العربية متحدة متفقة والحكومة العربية مستقلة وانها أي فرنسا مستعدة لمساعدتها . واذا كانت أوربا فرنسا ان تساعد الحكومة العربية فهي مستعدة لايفائها بالخلاص ويسرنا ان نرى الحكومة والامة العربية ناجحة نامية باذن الله » اه

خطبة السر مارك سايكس في دمشق

والقى السر مرك سيكس في تلك الحفلة نفسها وقد نقل المقطم ترجمتها في عدد ٢٥ ربيع الآخر ٢٧ يناير عن جريدة البلاغ البيروتية الغراء وهو :

« ياسعادة الحاكم وياحضرات المجتمعين : سأتكلم بصعوبة هذه الليلة فقد سمعت أمرين أوقعاني في الاضطراب فالامر الاول اني سمعت أحد الخطباء يقص على حضراتكم تاريخ حياتي ويظهر انه حفظ شيئا منه حتى خشيت أن يتكلم عن سيئاتي ولكنني أقول بكل ارتياح ان معلوماته كانت قاصرة من هذه الجهة. والامر الذي أحرج مركزي ذكره اني طفت البلاد العربية التي تبلغ مساحتها ٧٠٠٠ ميل ولا أقدر أن أخطبكم باللغة العربية . ووصفني خطيب آخر بالبطل الساكت وهذا الوصف جيد ومطابق جدا اذا كان موجهاً الى عسكري ولا يكون مطابقا اذا نعت به أحد السياسيين لان السياسي متكلم بالطبع

لا أقيد الشرق بهذا الكلام واني أريد أن القي عليكم أمرا هذه الليلة :

ان يومكم هذا يوم مشهود اذ سيفتح فيه مؤتمر الصلح (على ما أظن) الذي ستقرر فيه أعمال مهمة وتدبر فيه شؤون الكون لمدة قرنين

منذ أربع سنين والحرب العامة تلتهم كبار العالم ومشاهيرهم واننا نخون عهد اخواننا الذين ذهبوا ضحيتها — ولا يقل عددهم عن ٥ — ٦ ملايين — اذا لم نعمل لمؤدة . لافرق عندي في المحلات والاماكن التي قتلوا فيها فالنتيجة واحدة وهي مفارقتهم هذا العالم سواء قضى الفرنسوي بفرنسا أو قضى البريطاني في فلندرا أو في العراق أو في هذه البلاد بلادكم ، أو قضى ذلك البحري الذي كان يقطع أجواز

البحار وهو أعزل من السلاح يحمل الميرة الى المحاربين في أنحاء المعمورة — في البر أو البحر ، أومن رجالكم الذين جاهدوا في سبيلكم، أو كانوا من النساء والاولاد الذين أخرجوا من ديارهم في المدينة المنورة وأرمينية منفيين وقتلوا في الصحراء — فان كل واحد من هؤلاء مات بسبب واحد ولغاية واحدة . وعلينا أن نعتقد أن هؤلاء الابرياء لم يكونوا سوى ضحية التمدن الذي ماتوا في سبيله وهو أن الشعوب المظلومة تجدد أيامها وأن العالم ينال سلاما عاما دائما - تلك هي الغاية العظمى التي ماتوا لاجلها ولنأت الآن الى تشريح أقسام هذه الغاية ومنها ماهو أمامنا.

هذه مدينتكم دمشق التي كانت مطلع التمدن في الزمن الماضي أصبحت متأخرة خربة، وبعبارة أخرى متهورة،وهذا المكان ربماكان ملك أحد أولئك لاقوام الذين شبحوا أنفسهم . واذا نظرنا الى هذه البلاد نظرة عامة لا نرى سوى خرائب ونشاهد آثار الحكم الجائر خلال ٤٠٠ سنة تحكم فيها الاتراك . واذا أمعنا النظر أكثر من ذلك نجد شيئاً آخر لم يتمكن التركي نفسه من تخريبه

ان هذا الميل الطبيعي الى الاتجار والاستثمار الذي بنى تدمر — والشجاعة والحكمة الذين اتصف بهما العرب — وتلك الصفات صفات الشجاعة والاقدام التي كانت ملازمة لخالد بن الوليد لاتزال للجندي العربي، وان الرجولية والشهامة التي اتصف بها صلاح الدين لاتزال للعرب

ان الميل الى الشعور والآداب الذي أوجد الشعر القديم وكان الباعث على وضع كتب التصوير والنقوش التي تعلمناها نحن منكم لا تزال موجودة عندكم، وان الميل الى العلم الذي شيدت أركانه في بغداد وقرطبة والذي تلقاه نحن الاوربيين عنكم لا يزال لكم

ان الطبيعة قد وهبتكم هذه الهبات التي فطرتم عليها فلا التركي ولا العفريت ولا الشيطان يستطيع نزعها منكم

والآن أنتقل الى الامر الآخر . ان هذه الهبات موجودة لديكم أولا وآخرا فان العرب هم الذين أفاضوا روح التمدن على العالم كله ونشروا ضياء العلم الساطع ولكن و يالسوء الحظ ان زمن النور الذي انبثق من جانب العرب كان قصير المدى

دققوا في التاريخ واسألوا أسفاره تخبركم أن الممالك العربية كانت قصيرة الأعمار لم يمتد زمن ملكها طويلا فلم يسد الهاشميون ولا الامويون ولا العباسيون اكثر من قرن أو قرنين وتأملوا أن هرون الرشيد ذلك الخليفة الذي مات حاكما لجميع البلدان — قد أباد أولاده ذلك الملك العظيم. فعليكم أن تحاذروا الوقوع في مثل هذا الامر ولا تدعوا نهضتكم تكون قصيرة العمر

ان تمدنكم السابق كان مثل ينبوع ماء عذب تفجر في الصحراء فوق أرض رملية صخرية فلم يمض عليه قليل حتى أنبت أزهارا ونباتات ثم هلت الغزالة فأحرقت تلك الازهار وعادت تلك القفار الى حالها وهذا كان خطؤكم العظيم

في رايتكم شارة سوداء فلتكن هذه الشارة رمزا يذكركم بالماضي ويحذركم من الوقوع فيه ويدعوكم للاجتماع والاتحاد، فكفاكم ٤٠٠ سنة قضيتموها في الظلم والاستبداد. لقد مضى هذا الدور والحمد لله فقابلوا المستقبل بثبات وعزم وشجاعة وانظروا الى باطن الارض وتأملوها واستخرجوا كنوزها ومخبآتها

أنظروا الى القرى انظروا الى كثرة وفيات الاطفال انظروا الى هذه الطرقات الخربة انظروا الى هذه العاصمة العظيمة والى أية حال وصلت من الخراب مع انها ربما كانت أقدم مدينة في العالم

اذا أحييتم احياء هذه الاراضي فهي تحتاج الى جميع قواكم وقوانا نحن الحلفاء أيضا لنحيا حياة طيبة سعيدة طويلة لا قصيرة تتجاوز المائة أو المائتين أو الثلاثمائة قرن [كذا ولعل أصله سنة] وأرجوكم بعد ذلك ان تضعوا ثقتكم في أمر واحد هذا الامر هو الفكر الجديد الذي انتشر في أوروبا

اعلموا جيدا ان السياسة الاوربية قد تغيرت نحو الشرق وان السياسة السرية والاستعدادات الحربية التي قادت أوروبا الى هذه الحرب الطاحنة قد ذهب زمنها وانه توجد روح جديدة تنتشر في أوروبا، وان الاوربيين لا يفكرون في توسيع ممالكهم بل في تمدين الامم الذين حاربوا لاستقلالهم

وأرجو منكم قبل الجلوس أن تفكروا جيدا في مستقبل أبنائكم الذين لم يولدوا بعد، وفي أجدادكم الذين ماتوا من قبل والسلام عليكم . اهـ

﴿ خطابا بكو وسايكس في حلب ﴾

زار علي رضا باشا الركابي الحاكم العسكري للشام والمسيو جورج بكو مندوب فرنسا والسر مارك سايكس مندوب انكلترا مدينة حلب فأقام نادي العرب حفلة اكراما للمسيو جورج بكو ممثل حكومة فرنسا حضرها الشريف ناصر والحاكم العسكري العام ورجال الحكومة العربية وكثير من ممثلي دول الحلفاء وجم من العلماء والادباء والرؤساء الروحيين والاعيان فابتدأ الكلام رئيس النادي مرحبا بالقوم وتلاه أحمد افندي الابري فألقى خطابا بديعا ثم خطب بالافرنسية يوسف افندي سركيس ونهض بعده مسيو جورج بكو وألقى خطابا بالافرنسية عربه أمين افندي غريب وهذه خلاصته : (١)

خطاب موسيو بكو

حضرة الحاكم العام وأيها السادة

أشكركم كثيرا لانكم سمحتم لي اليوم بأن آتي وأحمل سلام فرنسا الظافرة الى ممثلي الحكومة العربية العظيمة اذ ليس لنا بهجة في هذا الظفر أعظم من رؤية مثل هذا المحفل فهو بداية عمل كريم نتج عن الحرب هو انتهاء الاستبداد التركي وتقرير الحرية لشعب عظيم يديره رجال عظام

كل يعلم ماهي الاسباب التي جعلت هذه الحرب حربا خاصة بفرنسا اذ قد كان منذ سبع وأربعين سنة في جنبنا جرح غير مندمل وكان لا بد لنا من الانتقام ولكن كنا نجتنب الحروب اشدة هولها على الانسانية فلما جاء اليوم الذي تجمعت به القوى البربرية في العالم اضطررنا الى محالفة قوى التمدن ابقاء عليه من الشر المحدق به فانضمت الينا انكلترا ثم العرب ثم ايطاليا ثم أميركا وبغية كل منهم الوصول الى يوم يأمن فيه كل شعب على حريته واستقلاله (تصفيق حاد)

لا شيء يرضي فرنسة ويسرها كرؤيتها حكومة نشأت بالامس وأخذت تتقدم وترتقي يوما بعد يوم في هذه الاماكن المحررة من الاستعباد وغدا مع تمام

(١) منقول عن عدد ٢٨ ربيع الآخر الماضي ٣٠ يناير (ك ٢) من جريدة الاهرام

الصلح لا بد أن يزول الحكم العسكري الذي ترونه اليوم مع مناطقه الحاضرة التي اقتضتها ضرورات الحرب فيطل عليكم نور يوم جديد وعظيم فليوحد العرب جميعا كلمتهم ومساعيهم من حلب حتى أقاصي الصحراء ولينبذوا كل شقاق مهما اختلفت عقائدهم أو عاداتهم وليبذلوا ما بوسعهم من الاقدام امام هذه الغاية المنشودة

«حاربت فرنسا أربع سنوات توصلا للنتيجة التي نراها الآن ولها الطالع الاسعد بأن ترى الحكومة العربية شديدة الازر محترمة من الجميع وتحل بالاتفاق المتبادل جميع المسائل التي يشكلها عمران سورية وحرية اتصالها بالبحر لان اتصالها بالبحر ضروري ولا بد لها منه (؟) ولكن يجب عليكم يارجال سوريا ومستقبلها العراق أن توحدوا كلمتكم لتبلغوا هذا النجاح اذ أنكم محاطون بالاعداء الذين رأيتهم أنا والسير مارك سايكس حيث كنا نجهر بحقوقكم أمام أوربا فكانوا يتذرعون لاحباط مساعينا متلبسين بزي الاصدقاء فما آلوا الا بالفشل اذ صممت الحليفتان على الاعتراف بحكومة عربية كبيرة مستقلة » اه

خطبة السر مارك سيكس بحلب

ونهض بعده السير مارك سايكس فقال :

«أيها السادة الكرام والمسيو جورج بيكو المحترم: أكلمكم اليوم وأنا مرتاح الضمير اذ حزت الانتخاب في مجالس الامة فأصبحت قادرا على اتمام العمل الذي زاولته من أجلكم

« طرق مساعدكم الآن ما قاله المسيو جورج بيكو وأؤيده تأكيدا انه قل أن يشتغل انسان كما اشتغل هو في معاونة المبدأ العربي وقد ظهرت نتائجه جلية

«تذكرون ماهي الايام السوداء التي اضطررنا لاجتياز مراحلها فان الايام السعيدة التي نحن فيها الآن لاتنسينا مكاره تلك الايام ومتاعبها التي كان يشاطرني مضضها المسيو بيكو الذي لم يقنط قط من نجاح المبدإ العربي رغم ماكنا نلاقيه من المراقيل الجمة وأهول بها من عراقيل لان العدو اذ ذاك المانيا وجيشها الجرار الذي هو اكثر جيوش العالم انتظاما

« كانت بريطانيا سيدة البحار وما كان يخطر على بالها ما كانت تدبره لها عدوتها المانيا من المكايد البحرية ألا وهي الغواصات

ان العدو الذي كنا نصادمه هو ذلك القادر ذو العظمة والجبروت (المانيا) فمن ذا الذي يستطيع أن يقول سواء كان انكلتريا أو عربيا أو افرنسيا أو ايطاليا أو أميركيا أنا الذي أنزلت المانيا من حالق عظمتها وضربت خنزوانة كبريائها ، لايستطيع أحد أن يدعي هذه الدعوى وانه لم يقهرها الا الله وحده ، ان القدرة الالهية التي منحتنا هبة النصر العظيمة تأمرنا بالمحافظة عليها والانتباه كيف يقتضي أن نستفيد منها لاننا اذا أسأنا استعمالها فهي تستردها منا

والآن أريد أن أقدم كلمة على سبيل النصيحة لكافة الحاضرين هنا ممن يتكلم بالعربية وهي قصيدة (اذا)

وعندها أنشد قصيدة لاحد شعراء الانكليز عنوانها (اذا) ضمت من الحكم الرائعة ما أصاخ له الجمهور وقابله بالاستحسان. وعقب ذلك نهض توفيق افندي شامية والقى خطابا بديعا وانفضت الحفلة والجذل باد على أسرة الجميع ه اه ما في الاهرام

(٦)

اقوال جرائد الحلفاء

رأي حكومة الحجاز

جاء في آخر مقالة افتتاحية طويلة نشرت في العدد ٢٤٠ من جريدة القبلة التي تصدر في مكة المكرمة يوم الخميس ١٥ ربيع الاول ما نصه :

« وها مقطما الاغر ينقل الينا في عدد ٩٠٣٨ الصادر بتاريخ ٢٦ صفر ١٣٣٧ من تصريحات أم صحف العالم ولسان حال الشعب البريطاني الذي أثبت فضله على العالم ومنته على مجتمعه ولا حرج بمواقفه وثباته واقتداره السياسي والحربي والمالي امام أهوال منبذا هذه الاربع من سني نواياها وآمالها وماتريده ثقة واعتماد على معاشر العرب بقولها من بحث (المسألة) القديمة التي كانت ترمي الى تسنيد تركيا وشد أزرها على أعدائها وأخذنا نحول البحث عن بديل حر يحل محل السلطنة العثمانية البالية الفاسدة » ومن هؤلاء الابدال الذين يحلون محل ترك العرب أماسواهم

فلسطين الجديدة وأرمينيا الجديدة)

« نرحب ونؤهل ونسهل بمن أنزلنا محل ثقته ، وتوسمنا بالاهلية لمصادقته ، ولا ريب فان على مثل هذا يتنافس المتنافسون، ولمثله فليعمل العاملون

« الف الف أهلا وترحيبة وأضعافها شكر لحسن الظن . وانا لا نجيبه بما قال أحد أشياخ جاهليتنا: أهلا بي صغيرا وحتى كبيراه ولكن نقول ان العرب اليوم هم كالاشبال أو أفراخ الشياهين والبازي المحتاجة لصيانة آبائها

« ومع هذا فستجدهم أيها الداعي المحسن الظن ان شاء الله تعالى من حيث تريد ، وترغم بعنايته بيت القصيد. فليكم بني يعرب ما أوتيتوه من طموح الانظار اليكم، وآمال أجل شعوب العالم فيكم، فانظروا ماذا تأمرون بعد ماوصفكم ذلك الشعب بما وصف ، فأجيبوا داعي المكرمات ، وحققوا في نجابتكم التصورات ، وكونوا خير أمة أحيت مندرس مالم سؤدد أسلافها للناس ، ولانتم أرفع وأسمى من أن تذكر له نكبات التخاذل وموارد الانعاس ، أو تسيئوا بقولنا الظن وعكس القصد . وايم الله انه الحق ، ونكرر ما أشرنا اليه في أعدادنا السابقة بانا معاشر الحجازيين ولا شيء من الرياسة أو السيادة ان كانت في سوري أو في يمني أو في حجازي ونحوه ، ولا يهمنا ورب الكعبة الا توليكم لبلادكم كتولي الشعوب الحرة لبلادها. وان داء الشامي هو داء لبناني وان في شقاء الآخر شقاء للاول . وان ما يصيب أحدهما يصيب الآخر من خير أو عكسه. ومتى تفطنهم في أن أبسط دليل على هذا قيام الحجازيين ونهضتهم وهم ولا شيء مما أصاب اخوتهم من الضيم الذي سارت بأفواهه الركبان علمتم أنهم أدركوا تلك الغاية الجليلة واغتنموا تلك الفرصة لتحليهم بجلائلها، وان يتمتعوا بدقة العيش التي هم بها على مسمع من أنين المضطهدين من اخوانهم عار عظيم لا يغسله الا دماؤهم وكان بفضله ما كان فلا تمقموا النتيجة ولا تهدروا تلك الدماء الزكية والنفوس الابية » اه كلام القبلة بحروفه

[المنار] ان عبارة جريدة القبلة على — مافيها من الغلط والمغالطة — صريحة في اتفاق حكومة الحجاز مع حكومتي الحليفتين انكلترة وفرنسة في أمر الولايات العربية العثمانية وأهمها مسألة فلسطين الجديدة . ولكن جاء في جرائد الحلفاء ولاسيما جريدتي الطان والتيمس كلام عن مذكرة للامير فيصل التي قدمها لمؤتمر مايجلي المقاصد كما ترى

الدولة العربية القادمة (*)

« هذا عنوان مقالة افتتاحية للتيمس في ٧ فبراير عربناها فيما يلي

« شهد فيصل الامير الحجازي جلسة المؤتمر في باريس أمس وبسط قضية أمته ويندر أن يكون بين المواضيع التاريخية ما يجهله الجمهور (في بريطانيا) جهله التاريخ العرب وما قد يكون لهم من الشأن كامنة في المستقبل . وقد كان السر مرك سيكس أعظم رجال الدولة البريطانية اهتماماً بوصف البواعث التي حملت البريطانيين على تعضيد العرب في حربهم الطويلة مع الترك

« ان الامبراطورية العربية القديمة التي كانت تمتد في أوج عزها من بغداد الى قرطبة (المنار: كذا في الاصل والصواب انها كانت تمتد من بلاد فارس الى قرطبة) كانت أفضل حكومة قامت بين انحطاط الامبراطورية الرومانية ونشوء أوربا الحديثة ولعلها كانت أمتن جسر للحضارة في العصور الوسطى ، وكان منشأ هذه الامبراطورية في الحجاز الذي تكلم الامير فيصل باسمه في باريس أمس . وكان للامبراطورية العربية تهذيب وحضارة خاصان بها خلافا للسلطنة العثمانية . ومما تختلف به عن السلطنة العثمانية أيضا انها عرفت كيف تنتفع أعظم انتفاع بجميع العناصر التي اتصلت بها حتى لقد دعي عصر عظمتها وعزها العصر الذهبي للشعب اليهودي . والحقيقة ان وجوه الشبه بين العرب واليهود لا تقتصر على ما بينهما من القرابة وصلة الرحم بل تتناول ما بينهما من الشبه العظيم في تاريخهما ، فقد أضاع اليهود قوميتهم بالنزاع الشديد الذي وقع بينهم وبين الامبراطورية الرومانية فحل العرب محل اليهود وصاروا قادة الافكار بين الشعوب السامية ، ثم سقط العرب فريسة للمغول الذين غزوا بلادهم واستولى الترك على الميراث الذي ورثه العرب من اليهود . وقد كان الانبياء اليهود أنبياء عربا وعند الشعبين كثير من الاخبار والاقاصيص التقليدية التي يشتركان فيها وبينهما شبه كثير في تاريخهما فقد فقدا قوميتهما وانفصل الواحد من الآخر تبعيتهما السياسية للبلاد التي اختارها للاقامة فيها

« ونأمل أن يعالج المؤتمر مشكلة التصرف في أملاك تركيا التي أخذت منها

(*) منقولة عن مقطم ٢٤ جمادى الاولى — ٢٥ فبراير

ويعدها وحدة كاملة فهنالك العرب كما تقدم ويليهم اليهود وآمالهم القومية في فلسطين ويعدهم الارمن . فمستقبل الشرق يتوقف كثيرا على ما يكون من الاتفاق بين هذه الاجناس الثلاثة التي سيكون لها أوطان قومية في القريب العاجل ومصير كل منها بهم الآخرين، فاذا أبدل الحكم العثماني الذي حافظ ولو في الظاهر على وحدة تلك الانحاء مع انه لم يفعل شيئا لترقيتها ماديا أو أدبيا أو عقليا — اذا أبدل هذا الحكم بمنافسات ومناظرات محلية كان هذا الابدال مصابا

« ان المرء يتطلع الى جامعة عربية تمد من دمشق الى بغداد ولها منافذ تجارية الى البحر المتوسط والبحار الشرقية. وقد لا تكون امبراطورية واحدة متجانسة ولكن يمكن أن تكون ولايات متحدة وتكون هنالك دولة (أجنبية) منتدبة . ويرجح أن هذه الامبراطورية الجديدة تستعين كثيرا بقدرة يهود فلسطين كما استعانت امبراطورية العرب القديمة بيهود أفريقية وأسبانيا فيجد اليهود بذلك لقدرتهم مجالا جغرافيا أوسع من فلسطين التي هي ليست سوى بلد صغير وحينئذ تتحد أعمال الشعبين في انهاض الشرق من كبوته

« ويشترط لبلوغ هذا الغرض شرطان جوهريان الاول أن تنال اليهودية ميراثها التام في فلسطين فلا يكون في الدنيا مسألة اسمها « فلسطين الشريدة » والثاني أن يتحامى يهود فلسطين من نفوذ الاعمال المالية عليهم فلا ينصرفوا الى اقتراف موارد الشرق المادية بل يتخذوا لانفسهم ضربا من الحضارة الصحيحة من البلاد نفسها ويوجهوا هممهم الى انشاء تهذيب حقيقي خاص بها يطابق المبادىء السامية الانسانية التي وضعتها جمعية الامم وتحقيق هذه الامنية يهم العرب كما يهم اليهود تقريبا » اهـ

الامير فيصل في المؤتمر (*)

نشرت المورننج بوست في ٨ فبراير التلغراف التالي لمكاتبها الباريسي وهو :

« ظل الامير فيصل يتكلم في مجلس العشرة عشرين دقيقة . فكان أوجز المندوبين الذين سمع المجلس أقوالهم وكان وقع كلام الامير شديدا في نفوس أعضاء المجلس حتى قال أحد هؤلاء الاعضاء ان وقع كلامه كان كوقع كلام المسيو فنزيلوس . وكان الامير يتكلم بالعربية والكولونل لورنس يترجم كلامه الى الانكليزية

(*) من عدد [illegible]

ثم نقل ترجمان كلام هذا الى الفرنسوية؛ وكان الامير يتكلم ببلاغة وحكمة وفاز فوزا كبيرا لما ذكر سامعيه بأن مملكته دامت في عالم الوجود تسعمئة سنة

« وخلاصة أقواله ان والده ملك الحجاز لا يطلب أن يضم شبرا واحدا من الارض الى مملكته ولكنه يطلب للعرب — ويريد بالعرب الشعوب التي تتكلم العربية — حق تعيين مصيرهم بحسب نظام التوكيل الدولي وهو النظام الذي يعتقد أن البريطانيين مستعدون لتطبيقه على عرب الحجاز (؟) ولكنه لا يصر على توكيل دولة دون أخرى ولا يعلق باسم عرب افريقية . ولا يعارض الفرنسويين الا حيث يحتمل أن يعارض الفرنسويون في مطالب الذين كانوا حلفاء دول الاتفاق أكثر من ثلاثة أعوام

« ومما هو جدير بالذكر هنا أن فيصلا طلب العلم في الاستانة في حكم عبد الحميد وقضى أعواما في مدارسها فهو لا يجهل تاريخ السياسة الاوربية الحديث . والصحف الفرنسوية تراعي قواعد اللياقة والمجاملة معه اذا استثنينا بضع جرائد لا يعتد بها .

« وليس ثمة تنافر جوهري بين مصالح انكلترا ومصالح فرنسا ولكن يجب حل هذه المسألة بأسرع ما يستطاع وعندي ان هذا هو تعليل قرار المجلس الفجائي على أن يسمع أقوال الامير

« وقد وصفت جريدة الغلوب الامير فيصلا بقولها : انه عميل الحكومة البريطانية ذكي غيور وقالت انها متثبتة بأن المستر لويد جورج سيخفف من حدته . واهتمت به الصحف الاخرى ولكنها اهتمت أيضا بالكولونل لورنس اهتمامها بالامير

« وحادث الامير فيصل مندوب جريدة اكسلسيور فأشار الى الاقوال غير الصحيحة التي قالها الصحافيون الفرنسويون والبريطانيون عنه وعن المسألة العربية بالاجمال ثم قال « ان الحجاز لا يطمع بالتوسع وبسط السيادة ولا يرمي الى ملك الشرق الادنى ولا يروم فتح البلدان » ثم قال وجل ما أطلبه هو تطبيق قاعدة الدكتور ولسن الخاصة بحق الشعوب في تعيين مصيرها على العرب في آسيا الصغرى ، ان تحرير العرب لا يلاشي النفوذ الموجود أو الآتي للبريطانيين لا بجاده في سورية ولكنه يتم هذا النفوذ بالطرق السلمية باجتناب كل نزاع قد ينشأ عن مقاصدهم الاستقلالية [illegible] تركية أو عثمانية فالعرب يطلبون أن يعاملوا كما عومل اليونان والصربيون والبلغاريون الذين خلصوا أمثالهم من استبداد الترك » اه.

رد المنار

على الناقد لذكرى المولد النبوي — تتمة (١)

الموضع الرابع عشر — افتتان آل البيت بالغلاة فيهم

أشار الناقد الى قولنا في حاشية ص ٤٣ من ذكرى المولد بعد الثناء على آل البيت النبوي العلوي : وان فتن الكثيرون منهم بغلاة المحبين ، فكانت فتنتهم لهم أعم وأدوم من فتنة الامراء الظالمين ، اذ كان من أثرها في ذريتهم أن ترك أكثرهم العلم والاعمال النافعة استغناء عنهما بشرف النسب غافلا عن قول جدهم علي المرتضى كرم الله وجهه ، قيمة كل امرئ ما يحسنه الخ وقال : «ولعل المناسب : وان فتن بعضهم واغتر بشرف نسبه وترك العلم والاعمال النافعة غافلا عن قول جده علي الخ لان اثبات الفتنة للاكثرية ينافي آية التطهير كما لا يخفى »

ونقول في الجواب اننا لم نثبت الفتنة للاكثرين منهم بل للكثيرين وانما ذكرنا ان أكثر ذريتهم أي المتأخرين منهم تركوا العلوم والاعمال النافعة اللازمة استغناء عنهما بشرف النسب . وهذا أمر مشاهد معروف في الاقطار كلها فانك قلما تجد في بطن من بطونهم المشهورة المعظمة بنسبها علماء محققين يؤخذ عنهم العلم والدين، أو رؤساء جمعيات ومصالح يرجع الناس اليهم في أمور دينهم ودنياهم . فاذا كان هذا هو الواقع فهو حجة على أن الآية الكريمة ليست بالمعنى الذي يقول به الناقد ، وان لم يكن هو الواقع فليرده بسرد أسماء العلماء الاعلام منهم في الحجاز واليمن وسائر البلاد العربية والعجمية وبيان نسبتهم العددية الى الجاهلين المثبتة انهم هم الاكثرون عددا . وقد علم مما أوردناه في تفسير الآية من الجزء الماضي أن الآية في أفق غير أفق هذه المسألة والتحقيق أن قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) الخ تعليل لما قبله من الاوامر والنواهي التي خوطب بها نساء النبي (ص) وما قرنت به من الوعد بمضاعفة الاجر على الطاعة والوعيد بمضاعفة العذاب على المعصية، أي ان الله تعالى لا يريد بذلك اعناتكم والتضييق عليكم يا أهل البيت وانما يريد به اذهاب الرجس عنكم وتطهيركم بحملكم على امتثال ما أمركم به ولانتهاء عما نهاكم عنه، فهو كقوله تعالى

(١) يراجع نص هذه المسألة في آخر ص ٣٥١ من المجلد العشرين

في تعليل الامر بالوضوء والغسل والتيمم (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)

خاتمة النقد في العترة والسنة

أشار الناقد الى ما ذكرناه في تلك الحاشية من اختلاف الرواية في حديث الثقلين اذ فسر الثقل الثاني في بعضها بالعترة وفي بعضها بالسنة وقال : يظهر للعاجز أن رواية الابدال المذكورة على حذف مضاف أي حملة سنتي فتكون مخصصة لرواية الاولى كما ان الاولى مخصصة للثانية — فالمعنى حملة سنتي الذين هم من عترتي أو عترتي حملة سنتي . وأيضاً يظهر أن المراد بالطائفة من أمته التي لا تزل ظاهرة على الحق قوامة على أمر الله الى أن تقوم الساعة هم عترته الحاملون لسنته . والله أعلم »

أقول ان هذا الجمع بين الروايتين قوي في المعنى ضعيف في اللفظ فان حذف المضاف لا يجوز الا حيث تدل عليه القرينة كقوله تعالى (واسأل القرية) وأما قوته في المعنى فظاهرة ، وذلك عين ما أردناه بقولنا في أصل ذكرى المولد : « فتوفي صلى الله عليه وآله وسلم تاركا للامة ما ان تمسكوا به لن يضلوا من بعده ، كتاب الله وسنته في تبيينه ، وعترته العاملين بهما من أهل بيته » وأقول الآن انهم ثلة من الاولين ، وقليل من الآخرين ، وقد هدم الناقد بقوله هذا جل ما كان بناه من جعل معنى هذين الحديثين ومثلهما عاما شاملا للسلالة العلوية الفاطمية من وجد منها ومن يوجد الى يوم القيامة حتى اني استغربت منه قوله في نقد الموضع الرابع عشر «وان فتن بعضهم وغرر بشرف نسبه» الخ بعد ما تقدم من تعصبه في المواضع السابقة لكفار قريش من أجلها ، على انه وان أطلق ما يدل على ذلك بالاجمال ، فانه لا يعتقده اذا فكر فيه بالتفصيل ، ولا نعرفه الا محبا للحق وخادما للعلم وساعيا الى الاصلاح ، وما ذلك لا أثر شدة الحب ، بالاولى الناس وأجدرهم بالحب ،

واذا كان الصحيح عنده ما قال أخيرا فاني أسأله سؤال مستفيد مخلص أن يدلني على من يعرف من أفراد هذه الطائفة التي ورد الحديث فيها من أهل هذا العصر عسى أن يكون لنا بهم من ولاء العلم والادب ، وصلة القرابة والنسب ، ما يعيننا على التعاون معهم على خدمة العلم والدين ، والله يتولى الصالحين ، اه الرد

باحثة البادية وحفني ناصف بك

﴿ وفاتهما وترجمتهما ﴾

« باحثة البادية » لقب للاديبة الشهيرة ملك كريمة حفني بك ناصف اختارته لتوقيع ماكانت تنشره من مقالاتها وشعرها في الجرائد كما يفعله كثير من المتنكرين والمتنكرات في الشرق والغرب . توفيت لعشر خلون من المحرم فاتحة هذا العام ، ثم احتفل بتأبينها في اليوم الثاني من شهر ربيع الاول . وقد كان شهر وفاتها وما بعده من الفترة التي لم يصدر فيها المنار وشهر تأبينها ضاق عما أعد له فرجونا فيه بأن نكتب شيئا في ترجمتها وتأبينها في هذا الجزء

وفي هذه الفترة بين الجزئين توفي والدها الاسيف وكان قبل وفاتها مريضاً فضاعف الحزن عليها المرض حتى صار حرضا انتهى بالموت . وكان سبب موتها هي الانتقال من الفيوم الى القاهرة وهي مصابة بالنزلة الوافدة لاجل مواساته في أثر انكشاف كارثة كانت سبب مرضه أو سبب شدته وأصيبت بضاعف النزلة فكانت القاضية . وقد خسر القطر المصري بل الامة العربية بوفاتهما ركنين من أركان النهضة العربية الرجال والنساء معا، كما يتضح ذلك لغير العارف بفضلهما من أهل الاقطار البعيدة، مما نثبت من ترجمتهما الوجيزة

باحثة البادية

هي كبرى أولاد حفني بك ناصف عني بتربيتها وتعليمها وهو في شرخ الشباب، وزمن الجهاد في اصلاح التعليم وترقية الآداب ، وضعها في المدرسة السنية ، التي هي أرقى مدارس البنات الاميرية ، فكانت أولى ابنة مصرية نالت شهادتها الابتدائية ، ثم انتقلت من القسم الابتدائي ، الى قسم المعلمات العالي، فجدت حتى نالت شهادة هذا القسم فيه وكانت الاولى أيضاً . وكان من مبادي التوفيق ان كان من أساتذتها في القسم الاول الشيخ حسن منصور وفي القسم الآخر الشيخ أحمد ابراهيم ، وهذان الاستاذان في الذروة العليا من مدرسي علوم الامة العربية وفنونها في مصر علما وآدابا وأخلاقا وحذقا في التعليم . ثم انها اشتغلت بالتعليم في

المدرسة نفسها فكانت خير معلمة كما كانت خير متعلمة، امتازت بالذكاء النادر والجد والاجتهاد ، والتنزه عما ينتقد من عادات الفتيات في هذه البلاد ، فنرها بالتعلم ركنان من أركان العلم أو طوران من أطواره الثلاث التي لاينضج عالم الا بمجموعها — وثالثها الكتابة والتأليف التي وجهت اليه عنايتها بعد زواجها واختبارها بنفسها شؤون الحياة الزوجية وتدبير المنزل، ولم ينقصها من الخبرة التي تؤهلها لرتبة الاصلاح النسائي على وجه الكمال، الا الحرمان من صفة الامومة والقيام على تربية الاولاد ، فسبحان من تفرد بالكمال، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

ثم ان والدها زوجها برضاها من عبد الستار بك الباسل أحد زعماء العرب المصريين وشيوخهم، وهو وأخوه الاكبر حمد باشا الباسل رئيسا قبيلة الرماح المقيمة بجوار الفيوم، وقد امتاز هذان الاخوان في عربان الديار المصرية وغيرهم بالجمع بين فضائل البداوة ومحاسن الحضارة والتنزه عن رذائلهما، فمن الاولى الوفاء والسخاء والنجدة والمروءة وقرى الضيف واغاثة الملهوف، ومن الثانية محبة العلم والادب وأهلهما والاطلاع على شؤون الاجتماع والعمران، ولهما مشاركة في هذا وما يتعلق به من مسائل التاريخ القديم والحديث والقوانين زادتها معاشرتهما للطبقة العليا من العلماء ورجال الحكومة والسياحة في أوربة وبعض البلاد الشرقية اتساعا وصقلا. ولكن هذه المزايا التي اجتمعت لزوجها وسعة الرزق التي هي في نظر أكثر النساء خير منها ، ومن النبوغ في أي علم من علوم الدين والدنيا، كان يظن أن سيعارضها ماهو أقوى منها في نظر فتاة مصرية تعلمت التعليم العالي، وهو زي عبد الستار بك العربي من الشملة البيضاء والطربوش المغربي ، ذلك بأن وجهة التعليم بمصر أوربية يقصد بها فرنجة المصريين كما قال لورد كرومر، ومن شأن اللواتي يتعلمن ويتربين على هذه الطريقة أن ينفرن من كل ماهو وطني محض من الزي والعادات، ويفضلن كل ماهو تقليد للافرنج منهما، حتى ان بعض بنات الوجهاء المتعلمات لايقبلن زوجا لانفسهن الا من كان حاملا لشهادة عالية من أوروبة — لذلك استغرب كثير من الناس رضاء (ملك ناصف) بقرين لها من شيوخ العرب وان كان بيته أرقى من بيت أبيها ثروة، وأوسع معيشة ، كما يرى القارئ هذا فيما ننقله في هذه الترجمة من تأبين تلميذة الفقيدة وصديقتها (نبوية موسى) التي هي نظيرها في الذكاء

والتحصيل . وما ذاك الا أن فطرة (ملك) وتربيتها المنزلية وهدي أستاذيها في المدرسة حالا دون افساد التفرنج لها، واستحواذ زخرفه على قلبها ، وبذلك كانت جديرة بمعرفة قيمة رجل من كرام أمتها، لم يخطبها الا لعلمها وحسن تربيتها، ففضلته على الشبان المتفرنجين المتطرسين المتورنين، الذين انسلوا من شرف الصيانة وفضائل الدين،

وجدت الفقيدة من قصر الباسل أجمل منظر يتجلى فيه ذوق المرأة وعلمها بتدبير المنزل ، ووجدت من عبد الستار أوفى زوج تهنأ معه الحياة الزوجية ، لادبية مثلها يتساهلان تفضيل المزايا المعنوية على المظاهر الصورية، ووجدت من حريته الادبية ما مكنها من نشر أفكارها الاصلاحية، ويقل أن يوجد في المسلمين حتى المتفرنجين منهم من يرضى لزوجه أن تنشر آراءها في الصحف المنشرة وتتصدى لمناظرة أرباب الاقلام فيها، بل اكثر البنات اللواتي يتعلمن في مثل بلاد أوربة ينتهي بالزواج اشتغالهن بالعلم فلا يجدن بعده وقتا للتأليف ولا لانشاء المقالات للصحف، ولذلك كانت آثار النساء العالمية قليلة بالنسبة الى عدد المتعلمات منهن في كل أمة اذا قوبلت بآثار الرجال بالنسبة الى عددهم. ولكن عقيلة الباسل لم تجد من بيتها و بعلها الا التنشيط على الكتابة والنشر

لآل الباسل هؤلاء ثلاث دور آهلة (احداها) بجوار مزارعهم وقبائلهم من مديرية الفيوم بالقرب من مدينة الفيوم وتعرف بقصر الباسل وهي سكنهم الاصلي وفيها يكونون في أكثر أوقاتهم ، (والثانية) بمدينة الفيوم نفسها (والثالثة) في القاهرة يقيم فيها حمد باشا أيام انعقاد الجمعية التشريعية التي هو أحد أعضائها ومن يتعلم من ولده في المدارس، ويختلف اليها هو وعبد الستار بك أياما من كل شهر لمصالح لهما في العاصمة ولقاء أصدقائهما فيها ، ويلم بها أزواجهما أيضا . وقد حبب لابنة حفني المقام في قصر الباسل لما فيه من اجتماع محاسن الحضارة والبداوة وصفاء المعيشة الخلوية مع رفاه المعيشة الحضرية وزينتها، وتسنى لها فيه اختبار حال الفلاحين المقيمين بقرية قصر الباسل وسكان الخيام من البدو المخيمين بجواره، فكانت تعاشر نساء الفريقين وتعرف حال حياتهن الزوجية ، ومن ثم انتزعت لنفسها لقب « باحثة البادية » .

ظهر اسم « باحثة البادية » أول مرة في صحيفة (الجريدة) سنة ١٣٢٦ في ذيل اقتراح بناء مدفن لعظماء رجال مصر، فرددنا على هذا الاقتراح في المنار ردا دينيا

رجعنا أن المقترح رجل متنكر قلنا في أول الرد: نشر هذا الاقتراح بتوقيع « باحثة البادية » وما هو الا خيال باحث في الحاضرة ؛ أو تمني متفرنج في العاصمة ، الخ (راجع ص ٣٨٠ م ١١) وقد أخبرني عبد الستار بك من عهد غير بعيد انها أرادت يومئذ أن ترد على المنار واستشارته في ذلك فأشار عليها بأن لا تفعل قائلا انك لن تستطيعي أن تجادلي كاتبا من أئمة الدين في مسألة دينية كهذه . . . ثم انه علم منها بعد ذلك انها استنبطت من ذلك انه يكره لها أن تكتب في الصحف مطلقا، فصرح لها بأن ظنها هذا خطأ، وانه لايكره أن تكتب مايرجى فائدته ، فكان هذا بدء حياتها الاصلاحية وخدمتها العامة — فالعامل في هذه الحياة . الاستعداد الفطري . ثم دار النشأة وروحها الوالد الذي نبين كنهه في ترجمته . ثم المدرسة وروحها من ذكرنا من الاساتذة . ثم دار الزوج وهو روحها وقد ذكرنا من أمر هذا العامل الاخير مايعرف به قدر تأثيره في هذه الحياة، فهذه العوامل هي التي كونت « باحثة البادية » في حياتها التي تتجلى للقارئ في مقالاتها الخالدة وآثارها الباقية ، ولما لم يجتمع ذلك لغيرها من بنات مصر في هذا العصر كانت في مسلمات مصر نادرة شاذة

مقالاتها او آثارها القلمية

كتبت مقالات كثيرة ونظمت بعض القصائد والمقاطيع من الشعر ، وألقت عدة خطب في محافل اجتمع فيها ألوف من كرائم النساء في القاهرة ، وشرعت في تأليف كتاب في حقوق النساء في الاسلام وفي أوربة لم يتم ، وقد نشرأ كثر ما كتبت في الجريدة وجمع بعضه في كتاب سمي (النسائيات) وطبع الجزء الاول منه في سنة ١٣٢٨ فقرظه نفر من الادباء والعلماء . وقد ذكرت في تأبينها ان آثارها القلمية تدور على بضعة أقطاب أو تدخل في ستة أبواب

(الاول) تربية البنات وتعليمهن في البيوت والمدارس

(الثاني) المرأة — تأثيرها في العالم — تأثيرها الخاص في زوجها وولدها وأهلها — ما ينبغي لها في كل طور من أطوار حياتها — أحوال القرويات والبدويات والمدنيات — المقارنة بين المرأة المصرية والمرأة الافرنجية — الحلل والعادات والازياء

(الثالث) الزواج ، سنه — حقوق الزوجين والعشرة بينهما — تقصير كل منهما فيما يجب عليه — تزوج المصريين بالاجنبيات

(الرابع) الحجاب والسفور

(الخامس) الرجال والنساء — جناية كل منهما على الانسانية بجنايته على الآخر — وظائف كل منهما — مزايا كل ومساويه

(السادس) شجون وشؤون عامة كوصف البحر والعيشة الخلوية والجمال ، وأقلها شوارد شعرية في الحال الاجتماعية السياسية

وقيمة هذه الآثار ومزيتها التي استحقت به المقيدة الترجمة في المجلات العلمية والاصلاحية، وتأبين فضلاء الرجال لها في حفلة عامة، هي في نظري انها اصلاحية جاءت وسطا بين آراء المحافظين الجامدين على كل قديم ، والمتهافتين كالاطفال على كل جديد ، وان الكاتبة مستقلة فيها غير مقلدة (الترجمة بقية)

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ منتخبات في اخبار اليمن ﴾

من كتاب (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلام) لنشوان بن سعيد الحميري

أما كتاب شمس العلوم فقد قال صاحب كشف الظنون فيه مانصه: «شمس العلوم في اللغة ثمانية عشر جزءا لنشوان بن سعيد الحميري اليمني المتوفى سنة ٥٧٣ ثلاث وسبعين وخمسمائة سلك مسلكا غريبا يذكر فيه الكلمة من اللغة فان كان لها نفع من جهة ذكره وذكر في كل مادة أبواب الكلمة واستعمالاتها ، ثم اختصره ابنه في جزءين وسماه (ضياء الحلوم، في مختصر شمس العلوم) أوله شمس العلوم « أما بعد مستحق الحمد» الخ اه ولم يتكلم على المختصر، وفي مقدمة كتاب المنتخبات كلام عنه وعن مؤلفه ونسخه ومبانه ، ومما ذكر فيها عن المختصر « الجزء الاول من كتاب المختصر من شمس العلوم ، ودواء كلام العرب من الكلوم ، املاء القاضي السيد أديب الادباء ، وقدوة النجباء ، امام الائمة، وسراج الظلمة ، أبي عبد الله محمد بن نشوان بن سعيد الحميري طول الله تعالى مدته، وأعلى في الدارين درجته»

وأما هذه المنتخبات فتدل أن الكتاب معجم لغوي أدبي تاريخي لكن رأينا عناية صاحب المنتخبات خاصة بما في الاصل من انباء حمير وتاريخها ولا سيما ملوكها وأمرائها

وشعرائها وسائر تاريخ اليمن. وفي مادة س ن د منه صورة حروف المسند وهو خط حمير. قال وهو موجود كثير في الحجارة والقصور. وكان يكتب حروفاً مقطعة كالخطوط الافرنجية ولكن يفصل بين الكلام بالصفر عندهم وهو حرف الالف في خطنا

طبعت هذه المنتخبات في مطبعة (بريل بليدن) سنة ١٩١٦ وكتب على طرتها بعد ما تقدم من اسم الكتاب المنتخبة منه واسم مؤلفه «وقد اعتنى بنسخها وتصحيحها عظيم الدين أحمد» وصفحاتها ١١٩ واذا أضيف اليها صفحات الفهارس كان المجموع ١٦٣ صفحة. وهو من الكتب التي طبعت على نفقة أوقاف ذكرى مستر (جب) الشهير وله مقدمة وتعليقات على الكتاب بالانكليزية وطبعت في الجانب الايسر فيها كلام عن مؤلفه ورواته واختلاف نسخه

﴿ كتاب العقود اللؤلؤية ، في تاريخ الدولة الرسولية ﴾

الكتاب من تأليف الشيخ علي بن الحسن الخزرجي ، وقد عني بتصحيحه وتنقيحه الشيخ محمد بسيوني عسل المصري، وطبع على نفقة أوقاف ذكرى مستر (جب) بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٣٣٢هـ — ١٩١٤ وأهدي الينا الجزء الثاني منه منذ أشهر ولكن لم يرسل الينا الجزء الاول. وصفحات الجزء الثاني ٣٢٠ وهي بقطع المنار وبضم الفهارس اليها تبلغ الصفحات ٤٨٦ وهو يدخل في ثلاثة أبواب الاول منها في أخبار الدولة المجاهدية والثاني في قيام الدولة الافضلية ووقائعها والثالث في قيام الدولة الاشرفية الكبرى وبعض أيامها ، وعسى أن لا نحرم من الجزء الاول وأن نوفق الى كتابة نبذة في بني رسول عند تقريظه

﴿ حضارة العرب ﴾

كتاب علمي وجيز صغير الحجم كبير الفائدة جمع فيه واضعه أسعد افندي داغر خلاصة من تاريخ العرب في الجاهلية والاسلام في أربعة فصول (الاول) في تاريخ العرب القومية أو العرب قبل الاسلام (الثاني) في تاريخ العرب بعد الاسلام من عصر الخلفاء الراشدين الى العصر العثماني التركي وفيه نبذة في صفات العرب وأخلاقهم وعاداتهم وملابسهم وآدابهم وآداب الاكل عندهم (الثالث) في

علوم العرب اللغوية والدينية والادبية والعقلية والكونية والرياضية والسياسية والاقتصادية (الرابع) في فنون العرب الحربية والبحرية والعمرانية والجميلة .

وقد قال المؤلف في خاتمة كتيبه الجليل « يرى القارئ مما تقدم اننا أوردنا في هذا الكتاب بعض مفاخر العرب بغاية ما يمكن من الايجاز واننا اقتصرنا على كليات علومهم دون جزئياتها وفروعها لاننا لو أردنا الاحاطة بها كلها لاحتجنا الى مجلدات ضخمة وقد جعلنا غايتنا من هذا المؤلف الصغير الاشارة الى ما أحدثه العرب من الاكتشافات والاختراعات وما لهم من الآثار الخالدة في عالم الفنون والصناعة وما وضعوه من العلوم وما استدركوا فيها على المتقدمين من تصحيح أو تكميل مما ثبتت صحته وتناوله الخلف من بعدهم ، وهو ليس الا نقطة من بحر أو جزءا من كل »

وفي الكتاب زهاء تسعين رسما بعضها للاناسي المشهورين وأولهم حمورابي صاحب أقدم شريعة عرفت في التاريخ البشري وبعضها للمدن والقصور والمساجد وغيرها من المباني وبعضها للنقود والكتابة والاواني والنسيج والآلات الحربية والعلمية كالمنجنيق والاصطرلاب والمرصد وبعضها للاقطار والممالك وهو ما يسمونه الخرائط وهو محرف مأخوذ من مادة خرت الارض وهو معرفة مضايقها وأنحائها .

كل هذه الرسوم وتلك المسائل الكثيرة قد أودعت في أقل من مئة وخمسين ورقة من قطع أصغر من قطع المنار فقال بعض المنتقدين ان هذا فهرس لا كتاب ، وهذا قول خطأ ليس بصواب ، فان الفهرس عناوين ناقصة ، وهذه مسائل وقضايا تامة ، وعندي أن وجود مثل هذا الكتاب في أيدي القارئين من هذه الامة العربية ضروري لانه خلاصة وجيزة لتاريخ أمتهم المدني يسهل فهمها وتعميمها بين جميع الطبقات والاصناف حتى يكون جمهور الامة على علم اجمالي بما لسلفه ومفاخرهم يرجى أن يبعثه على احياء مجدهم ، وتجديد عهدهم

وينتقد على الكتاب ان بعض مسائله غير محررة وسبب ذلك انها ذكرت على سبيل النموذج لا التحرير والتحقيق . ومن ذلك التفرقة بين بعض العلوم والفنون وذكر أعظم رجالها وأئمتها ، ويتبع ذلك التساهل في التعبير كقوله في الكلام عن التصوف : قيل التصوف نسبة الى الصوف ! أراد أن يقول ان التصوف مشتق من الصوف ، أو ان الصوفي منسوب الى الصوف الذي كان يلبسه . وفيه أغلاط طبعية

لم تذكر في آخر الكتاب من جدول التصحيح ككلمة الذكاة وصوابها الزكاة وكلمة القاني البقلاني وصوابها القاضي الباقلاني — كلاهما في ص ١٥٣ ، ومثل هذا غير مقلل من فائدة الكتاب التي بيناها . وقد طبع الكتاب بمطبعة هندية بالقاهرة سنة ١٣٣٦ وتوجه مؤلفه باسم الامير فيصل الشهير — جعله (تقدمة) له — فنال منه جائزة سنية ، وهو يباع في مكتبة المنار وغيرها وثمن النسخة منه ٢٥٠ قرشا

شذرات

﴿ لقب السيد والسي ﴾

ابتدع بعض الجرائد العربية المحدثة في زمن الحرب اطلاق لقب (السيد) على كل أحد وجعله بدلا من كلمة افندي التركية (ومسيو ومستر) الافرنجيتين. فأنكر ذلك السواد الاعظم من العرب المسلمين والنصارى جميعا لان اكثر المسلمين يخصون بهذا اللقب آل بيت الرسول عليه وعليهم الصلاة والسلام وبعضهم يجعله للحسينيين منهم ويخص الحسنيين بلقب (الشريف) ولا يشذ عن هذا التخصيص الى استعمال هذا اللقب لتعظيم كل من يراد تعظيمه الا القليل من الشاميين والاقل من غيرهم ويرى بعض الباحثين أن الاصل في ذلك نزعة ناصبية أو يزيدية . وأما النصارى فيخصون بهذا اللقب سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وبعض كبراء رجال الدين كالبطرك والمطران . وقد سبق المغاربة والمصريون الى استعمال كلمة (السي) في هذا المقام ويظن كثيرون انها مختصرة من كلمة السيد . والصواب ان هذا اللفظ مستقل مكسور السين مشدد الياء ومعناه المثل ، ومثناه (سيان) مستعمل . وجمعه أسواء كشبه ومثل وأشباه وأمثال ، وهو جدير بأن يعم في الاستعمال

﴿ خسارة سورية من رجال العلم والدين ﴾

خسرت سورية في أثناء هذه الحرب اكبر رجال الدين فيها علما وهديا وأخلاقا الشيخ عبد الرزاق البيطار الدمشقي والشيخ محمد كامل الرافعي الطرابلسي ، واننا ننتظر من أوليائهما أن يوافونا بمذكرتين من تاريخهما نستعين بهما على ترجمتهما

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار
١٣١٥

ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق

٢٩ شعبان ١٣٣٧ — ٧ الجوزاء (ر ٣) ١٢٩٧ هـ ش ٢٩ مايو ١٩١٩

أعراب الشام

في القرنين السابع والثامن للهجرة الشريفة

جاء في الكلام على المملكة الشامية من الجزء الرابع من صبح الاعشى بيان عن العربان التابعين لها وبطون العرب أولو الامرة فيهم نلخص منه ما يأتي. قال:

﴿ البطن الاول ﴾

﴿ آل ربيعة من طيء من كهلان من القحطانية ﴾

وهم بنو ربيعة بن حازم، بن علي، بن مفرج، بن دغفل، بن جراح؛ وقد تقدم نسبه مستوفى مع ذكر الاختلاف فيه في الكلام على ما يحتاج اليه الكاتب في المقالة الاولى قال في «العبر»: وكانت الرياسة عليهم في زمن الفاطميين خلفاء مصر لبني جراح، وكان كبيرهم مفرج بن دغفل بن جراح، وكان من إقطاعه الرملة. ومن ولده حسان، وعلي ومحمود وجرار، وولي حسان بعده فعظم أمره وعلا صيته، وهو الذي مدحه التهامي الشاعر في شعره قال الحمداني: وكان مبدأ ربيعة أنه نشأ في أيام الاتابك زنكي صاحب الموصل، وكان أمير عرب الشام أيام طغتكين السلجوقي صاحب دمشق ووفد على السلطان نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام فأكرمه وشاد بذكره. قال: وكان له أربعة أولاد، هم فضل، ومراد، وثابت، ودغفل. ووقع في كلام المسبحي أنه كان له ولد اسمه بدر. قال الحمداني: وفي آل ربيعة جماعة كثيرة أعيان لهم مكانة وأبهة، أول من رأيتُ منهم حاتم بن حديثة وغنام بن الطاهر، على أيام الملك

الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب . قال : ثم حضر بعد ذلك منهم الى الابواب السلطانية في دولة المعز أيبك والى أيام المنصور قلاوون زامل بن علي بن حديثة ، وأخوه أبو بكر بن علي ، وأحمد بن حجي وأولاده واخوته ، وعيسى بن مهنا وأولاده وأخوه ؛ وكلهم رؤساء أكابر وسادات العرب ، وجوهها ، ولهم عند السلاطين حرمة كبيرة وصيت عظيم ، الى رونق بيوتهم ومنازلهم

من تلق منهم تقل : لاقيت سيدهم

مثل النجوم التي يسري بها الساري

ثم قال : الا أنهم مع بعد صيتهم قليل عددهم . قال في « مسالك الابصار » لكنهم كما قيل :

تعيرنا أنا قليل عديدنا ... فقلت لها : ان الكرام قليل

وما ضرنا أنا قليل وجارنا ... عزيز وجار الاكثرين ذليل

ولم يزل لهم عند الملوك المكانة العلية والدرجة الرفيعة ، يحلونهم فوق كيوان ، وينوعون لهم أجناس الاحسان . قال الحمداني : وفد فرج بن حية على المعز أيبك فأنزله بدار الضيافة وأقام أياما ، فكان مقدار ما وصل اليه من عين وقماش واقامة — له ولمن معه — ستة وثلاثين ألف دينار قال : واجتمع أيام « الظاهر بيبرس » جماعة من آل ربيعة وغيرهم فحصل لهم من الضيافة خاصة في المدة اليسيرة أكثر من هذا المقدار وما يعلم ما صرف على يدي من بيوت الاموال والخزائن والغلال للعرب خاصة الا الله تعالى

واعلم ان آل ربيعة قد انقسموا الى ثلاثة أفخاذ ، هم المشهورون منهم ، ومن عداهم أتباع لهم وداخلون في عددهم ، ولكل من الثلاثة أمير مختص به

الفخذ الاول — (آل فضل) — وهو فضل بن ربيعة المقدم ذكره ، وهم رأس الكل وأعلاهم درجة وأرفعهم مكانة . قال في « مسالك الابصار » : وديارهم من حمص الى قلعة جعبر ، الى الرحبة ، آخذين الى شقي الفرات وأطراف العراق حتى ينتهي حدهم قبلة بشرق الى الوشم ، آخذين يساراً الى البصرة ؛ ولهم مياه كثيرة ومناهل موروده :

ولها منهل على كل ماء ... وعلى كل دمنة آثارُ

ثم نقل المؤلف بعد هذا نبذة من (مسالك الابصار) في تشعب بني فضل الى شعب كثيرة وان أفضل بيت من بيوتهم في عهد مؤلفه (آل عيسى) وقوله فيهم : وهؤلاء آل عيسى في وقتنا هم ملوك البر فيما بعد واقترب ، وسادات الناس ولا تصلح الا عليهم العرب

قال المؤلف : وأما الامرة عليهم فقد جرت العادة أن يكون لهم أمير كبير منهم يولى من الابواب السلطانية ويكتب له تقليد شريف بذلك ، ويلبس تشريفاً أطلس أسوة النواب ان كان حاضراً ، أو يجهز اليه ان كان غائباً ، ويكون لكل طائفة منهم كبير قائم مقام أمير عليهم ، وتصدر اليه المكاتبات من الابواب الشريفة الا انه لا يكتب اليه تقليد ولا مرسوم . قال في (مسالك الابصار) ولم يصرح لأحد منهم بامرة على العرب بتقليد من السلطان الا من أيام (العادل أبي بكر) أخي السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب)

ثم ذكر بعض امرائهم وموالاة بعضهم للتتار وشؤونهم مع سلاطين مصر وبعد انتهاء الكلام على الفخذ الاول من آل ربيعة قال

(الفخذ الثاني من آل ربيعة — آل مرا) نسبة الى مرا بن ربيعة . وقال في (مسالك الابصار) ديارهم من بلاد الجيدور والجولان الى الزرقاء والمناهل الى بصرى ، ومشرقاً الى الحرة المعروفة بحرة كشب قريباً من بركة الناعمة الى شعباء الى ثنية ان تزيد الى الهضب المعروف بهضب الراقي [illegible] طلب لهم البر وعند لهم المرعى أوان خصب الشتاء فتوسعوا في الارض [illegible] وأطالوا [illegible] الايام والليالي حتى تعود مكة المعظمة وراء

ظهورهم ، ويكاد سهيل يصير شامهم ، ويصيرون بوجوههم مستقبلين الشام . وقد تشعب آل مرا أيضا شعبا كثيرة ، وهم آل احمد بن حجي وفيهم الإمرة ، وآل مسخر ، وآل نمي . وآل بقرة ، وآل شماء

وممن ينضاف اليهم ويدخل في امرة أمرائهم حارثة ، والخاص ، لام ، وسعيدة ، ومذلج ، وثرير ، وبنو صخر ، وزبيد حوران : وهم زبيد صرخد ، وبنو غني ، وبنو عرقالة ويأتيهم من عرب البرية آل ظفير ، والمفارجة ، وآل سلطان ، وآل غزي ، وآل برجس ، والحرسان ، وآل المنيرة ، وآل أبي فضل والزراق ، وبنو حسين الشرفاء ، وقطين ، وخثعم ، وعدوان ، وغزة . قال : وآل مرا أبطال مناجيد ورجال صناديد ، وأقيال قيل (كونوا حجارة أو حديدا) ، لا يعد منهم عنترة العبسي ، ولا عرابة الأوسي ، لا أن الحظ يحظ بني عمهم [أكثر] مما يحظهم ، ولم تزل بأيديهم نوب الحرب ، ولهم في أكثرها الغلب .

قال الشيخ شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبي رحمه الله : كنت في نوبة حمص في واقعة التتار جالسا على سطح باب الاصطبل السلطاني بدمشق اذ أقبل آل مرا زهاء أربعة آلاف فارس شاكين في السلاح على الخيل المسومة ، والجياد المطهمة . وعليهم الكرغندات الحمر الاطلس المعدني والديباج الرومي ، وعلى رؤوسهم البيض ، مقلدين بالسيوف ، وبأيديهم الرماح كأنهم صقور على صقور ، أمامهم العبيد تمل على الركائب ، ويرقصون بتراقص المهارى ، وبأيديهم الجنائب التي اليها عيون الملوك صورا ، ووراءهم الظعائن والحمول ، ومعهم مغنية لهم تعرف بالحضرمية طائرة السمعة ، سافرة من الهودج وهي تغني :

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ... ليالي لاقينا جذاماً وحميرا
ولما لقينا عصبة تغلبية ... يقودون جرداً للمنية ضمّرا
فلما قرعنا النبع بالنبع[1] بعضه ... ببعض أبت عيدانه أن تكسّرا
سقيناهم كأساً سقونا بمثله[2] ... ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

وكان الامر كذلك، فان الكسرة أولا كانت على المسلمين ثم كانت لهم الكرة على التتار، فسبحان منطق الالسنة ومصرف الاقدار

الفخذ الثالث — من آل ربيعة (آل علي) — وهم فرقة من آل فضل المتقدم ذكرهم ينتسبون الى علي بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة. قال في «مسالك الابصار»: وديارهم مرج دمشق وغوطتها، بين إخوتهم آل فضل وبني عمهم آل مرا، ومنتهاهم الى الحوف والجبابنة الى السكة، الى البرادع قال في «التعريف»: وانما نزلوا غوطة دمشق حيث صارت الامرة الى عيسى بن مهنا وبقي جار الفرات في تلاليب التتار. قال في «مسالك الابصار»: وهم آل بيت عظيم الشأن، مشهور السادات، الى أمراء الجهة، ونم ضخمة ومكانة في الدول عالية. وأما الامرة عليهم فقد ذكر في «مسالك الابصار» أنه كان أميرهم في زمانه رملة بن جماز بن محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة. ثم قال: وقد كان جده أميرا ثم أبوه. قلد الملك الاشرف خليل بن قلاوون جده محمد بن أبي بكر إمرة آل فضل، حين أمسك مهنا بن عيسى. ثم يقلدها من الملك الناصر أخيه أيضا حين طرد مهنا وسائر اخوته وأهله.

(١) المراد بالنبع التمني وهو في الاصل شجر تتخذ منه (٢) الصواب بمثلها لأن الكاس مؤنثة

قال : ولما أمّر وله كان حدث السن فحسده أعمامه بنو محمد بن أبي بكر وقدموا على السلطان يتقادمهم وتراموا على الامراء وخواص السلطان وذوي الوظائف فلم يحضرهم السلطان الى قصده ولا أدنى أحداً منهم، فرجعوا بعد معاينة الحين، بخفي حنين، ثم لم يزالوا يتربصون به الدوائر، وينصبون له الحبائل، والله تعالى يقيه سيئات ما مكروا، حتى صار سيد قومه، وفرقد دهره، والمسود في عشيرته، المبيض لوجوه الايام بسيرته، وله اخوة ميامين كبراء، هم أمراء آل فضل وآل مرا. وقد ذكر القاضي تقي الدين ابن ناظر الجيش في « التثقيف » : أن الامير عليهم في زمانه في الدولة الظاهرية برقوق كان عيسى بن حجاز اه المراد منه

هذا تعريف وجيز بآل فضل وآل مرا من عرب الشام، ثم ذكر القلقشندي في الجزء الثاني عشر من صبح الأعشى في الكلام على من يولى عن الابواب السلطانية بمصر ممن هم خارج دمشق امراء العربان، وانهم طبقتان، الطبقة الأولى من يكتب له منهم تقليد في قطع النصف « بالمجلس العالي » وهو أمير آل فضل خاصة سواء كان مستقلا بالامارة أو شريكا لغيره فيها . وبعد ان ذكر صورة تقليدين لهؤلاء أعني امراء آل فضل ذكر ان الطبقة الثانية التي تلي طبقتهم من عرب الشام هي التي يكتب لها بالامرة مرسوم شريف لا تقليد — وانهم مرتبتان المرتبة الأولى من يكتب له في قطع النصف وهم ثلاثة (الأول) أمير آل علي (والثاني) المقدمة على عربي آل فضل وآل علي (والثالث) أمير آل مراء . وذكرا نموذجا مما يكتب لكل منهم،

وسننشر من ذلك ما فيه العبرة لمن يقابل أمثال هذا وذاك بما صارت اليه عرب الشام وغيرهم من بعد استيلاء الترك على مصر والشام، الى هذه الأيام، فقد كانت قبائل الاعراب قوة عظيمة للدول المصرية والشامية فاضعفتها الدولة التركية، وما كان سبب ذلك الا عدم ثقة الترك على عجمتهم، وتعصبهم لتركيتهم، على ما كانت عليه من الذعر والبداوة فانها لم تدون لها المعاجم . بدأ بجعلها لغة علم الا في النصف الثاني من القرن الماضي (الثالث عشر للهجرة) بعد ضعف الدولة ودبيب الانحلال فيها . ولو حافظت على العرب والعربية لما حل بها وبالاسلام، ما يكيان منه في هذه الايام، وسنبين ذلك بالجلاء التام .

معاهدة الصلح

وضع رؤساء وزراء الحلفاء مع الدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة شروط الصلح بينهم وبين الحكومة الالمانية في مجلد ضخم ونشرت خلاصته شركة روتر في برقية وردت من لندن في ٧ مايو وهذه ترجمتها بالعربية :

هذه خلاصة رسمية لمعاهدة الصلح وهي تتألف من مقدمة وصفية وديباجة وخمسة عشر فصلا :

﴿ المقدمة الوصفية للخلاصة ﴾

ان نص معاهدة الصلح الذي سلم الى الالمان الآن يراد به أولا تبيان الشروط التي بها وحدها يقبل الحلفاء والدول المشتركة معهم ان يعقدوا الصلح مع ألمانيا وثانيا ايجاد التدابير الدولية التي ابتكرها الحلفاء لمنع وقوع الحروب في المستقبل وتسوية أمور البشر . ولهذا السبب الاخير أدمج في المعاهدة عهد جمعية الامم والاتفاق الدولي الخاص بالعمل والعمال .

على ان المعاهدة لا تبحث الا نادراً في المشاكل الناشئة عن تصفية الامبراطورية النمسوية ولا في أملاك الدولتين المتحدتين التركية والبلغارية الا في ما يفيد ألمانية قبول التسويات المعلقة التي يستقر عليها قرار الحلفاء في ما يتعلق بهاتين الدولتين

وتنقسم المعاهدة الى ١٥ فصلا فالفصل الاول يحتوي على عهد جمعية الامم التي عينت لها وظائف في مواضع شتى من المعاهدة . والفصل الثاني يصف حدود ألمانية الجغرافية ابتداء من النقطة الشمالية الشرقية من حدود البلجيك الحالية .

ويتألف الفصل الثالث من ١٢ مادة يشترط فيها على الالمان قبول التغيير السياسي الذي تقضي به المعاهدة في أوربا وهذا الفصل يقضي بانشاء دولتين جديدتين دولة الزيك والسلوفاك ودولة بولاندة ، وينص على الاعتراف بهما ، وينقح قاعدة سيادة البلجيك ويغير حدودها ، وينص على انشاء أنظمة جديدة من الحكم في لكسمبرج ووادي السار ويرد الالزاس واللورين الى فرنسة ، ويقضي باحتمال اضافة أملاك

الى الدنمرك ، وبجبر ألمانية على الاعتراف باستقلال النمسة الجرمانية وقبول الشروط التي توضع للدول والحكومات التي نشأت منذ الثورة الروسية

ويبحث الفصل الرابع في التعديل السياسي للبلدان الواقعة في خارج أوربة والتي تأثر مركزها بالحرب وفيه تنازل عام في ألمانية عن أملاكها وحقوقها في الخارج وان تسلم الى الحلفاء مستعمراتها والحقوق التي اكتسبتها في افريقية بالاتفاقات الدولية المختلفة ولا سيما عقد برلين سنة ١٨٨٥ وعقد بروكسل سنة ١٨٩٠ التي عينت نصيب كل من الدول الاوربية في قلب افريقية . ويتضمن هذا الفصل اعتراف الدول بالحماية البريطانية على القطر المصري وينقض عقد الجزيرة الذي كان خطوة من خطوات سياسة الاعتداء الالمانية التي أوصلت الى الحرب

ويتضمن الفصل الخامس شروط الصلح العسكرية البرية والبحرية والجوية وتحديد جيش ألمانية وأسطولها ويقضي بالغاء التجنيد الاجباري في ألمانية توطئة لجعل هذا الالغاء عاما

وينص الفصل السادس على انه يجب على جميع الدول الموقعة للمعاهدة ان تصون قبور قتلى الحرب ويتضمن بيان كيفية اعادة اسرى الحرب الى أوطانهم

والفصل السابع خاص بأمور التبعة والعقاب وهو ينص على محاكمة الامبراطور وغيره

وفي الفصل الثامن بيان كيفية التعويض المطلوب من ألمانية وفيه نصوص خصوصية عن الاوراق ومفاخر الحرب التي أخذها الالمان في الحروب السابقة

ويتضمن الفصل التاسع المواد المالية وهي تختص بتنفيذ ما اشترط في الفصل السابق

والفصل العاشر طويل جدا كثير الوجوه وهو يحتوي على النصوص الاقتصادية ويؤيد المعاهدات والاتفاقات الدولية المختلفة التي ليست بذات صبغة سياسية كالمعاهدات الخاصة بالبوستة والتلغراف والقوانين الصحية وبالاجمال جميع الاتفاقات التي تقيدت بها الدول المتمدنة قبل الحرب . وقد أضيف الى هذا الفصل نصوص خاصة بالتحكم في تجارة الافيون والعقاقير التي تماثله .

وأما الفصل الحادي عشر فخاص بالملاحة الجوية

وفي الفصل الثاني عشر مواد تبحث في المراقبة الدولية على الموانئ والترع

والاسوار وسكك الحديد وفيه نصوص خاصة على قنال كيال

والفصل الثالث عشر يتضمن الاتفاق الدولي الخاص بالعمل والعمال

وأما الفصل الرابع عشر فيجري على الضمانات اللازمة لتنفيذ المعاهدة .

والفصل الخامس عشر عبارة عن مجموعات من المواد المختلفة منها الاعتراف بما يتقدم هذه المعاهدة من معاهدات الصلح وتأييد أحكام محاكم الغنائم

والمواد الاخيرة تبحث في ابرام المعاهدة وموعد الشروع في انفاذها وقد جاء فيها ان النص الفرنسوي والنص الانكليزي للمعاهدة يعدان رسميين يعول عليهما

بداية المعاهدة

في البداية بيان موجز لاصل الحرب وطلب ألمانية الهدنة ويلي ذلك أسماء الدول الموقعة للمعاهدة والتي تمثلها الدول الخمس العظمى أي ولايات أميركا المتحدة والامبراطورية البريطانية وفرنسة وايطالية واليابان ومنها البلجيك وبوليفية والبرازيل والصين وكوبا واكوادور واليونان وغواتيمالا وهايتي والحجاز وهندوراس وليبيريا ونكاراغوى وپناما وپرو وپولندا والپورتغال ورومانيـة وصربية وسيام والتشك لوفاكيا واروغواي من احدى الجهتين والمانية من الجهة الاخرى

ويلي ذلك أسماء المندوبين عن هذه الدول وبعدها هذه العبارة : « وبعد ما تبادل هؤلاء المندوبون أوراق اعتمادهم الملية لسلطتهم ووجدت هذه الاوراق وافية اتفقوا على ما يأتي :—

تنتهي الحرب في الساعة التي يبدأ فيها بتنفيذ هذه المعاهدة وتستأنف الملاقات الرسمية بحسب أحكام هذه المعاهدة مع المانيا ومع كل دولة من دولها من جانب الحلفاء والدول المشتركة معهم

الفصل الاول في جمعية الامم [1]

العضوية — يكون أعضاء الجمعية من الدول الموقعة لهذا العهد وسائر الدول

(١) اختار بعض المترجمين كلمة « عصبة الامم » على جمعية الامم وهو أصح ولكننا اعتمدنا في ترجمة المعاهدة وخطاب رئيس السابقة على من سبقنا جميعه

التي تدعى الى الانضمام اليه وعلى هذه الدول أن ترسل طلب انضمامها من غير قيد ولا شرط في خلال شهرين ويجوز قبول أي دولة ومستعمرة مستقلة أو مستعمرة كانت اذا وفق على قبولها ثلثا أعضاء هيئة الجمعية ويجوز لاية دولة كانت أن تنسحب من الجمعية اذا أعلنت عزمها على ذلك قبل الانسحاب بسنتين وكانت قد قامت بجميع عهودها الدولية

كتابة السر — تنشأ هيئة دائمة لكتابة سر (سكرتارية) الجمعية في مركزها الذي سيكون مدينة جنيف

هيئة الجمعية — تتألف هيئة الجمعية من مندوبي أعضاء الجمعية وتجتمع هذه الهيئة في مواعيد معينة ويكون الاقتراع بالدول (أي لا بعدد المندوبين) ولكل دولة من أعضاء الجمعية صوت واحد ولا يجوز أن يتجاوز عدد مندوبيها ثلاثة

مجلس الجمعية — يتألف المجلس من مندوبي الدول الخمس العظمى (انكلترة وفرنسة وايطالية والولايات المتحدة الامريكية واليابان) مع مندوبي أربع دول أخرى من الدول الداخلة في الجمعية وتختارهم هيئة الجمعية من وقت الى وقت. ويجوز للمجلس أن يشرك دولا أخرى معه بالانتخاب ويجتمع مرة واحدة في السنة على الاقل. وأما الدول الداخلة في الجمعية والتي ليس لها مندوبون في المجلس فتدعى الى ارسال مندوب عنها متى بحث المجلس في أمور تمس مصالحها. ويكون الاقتراع في هذا المجلس بالدول ولكل دولة صوت واحد ومندوب واحد. ويجب أن تكون قرارات الهيئة والمجلس بالاجماع الا ما يختص بطرق العمل والتنفيذ وبعض أمور أخرى نص عليها في عهد الجمعية وفي معاهدة الصلح ففي هذه تكون القرارات بالاكثرية

التسليح — يصوغ المجلس الخطط الخاصة بانقاص السلاح لتوضع موضع البحث والنظر والقبول وتنقح هذه الخطط مرة كل عشر سنوات ومتى تم الاتفاق عليها لا يجوز لدولة تكون عضوا في الجمعية أن تجاوز قدر السلاح المعين لها من غير موافقة المجلس . ويتبادل الاعضاء المعلومات الوافية عن السلاح والتسليح والبيانات العسكرية وتكون للمجلس لجنة دائمة عنده بالمشورة في الامور العسكرية البرية والبحرية

منع وقوع الحرب — اذا وقعت حرب أو بدا خطر من وقوع حرب فالمجلس

يجتمع لبحث في ما يجب اتخاذه من العمل المشترك ويتعهد أعضاء جمعية الامم بأن يعرضوا مسائل النزاع بينهم للتحكيم أو التحقيق وأن لا يلجؤا الى الحرب الا بعد صدور الحكم بثلاثة أشهر . ثم ان الاعضاء متفقون على تنفيذ حكم التحكيم وعلى عدم محاربة الخصم الذي يذعن له من الفريقين المتنازعين فاذا أبى أحد الاعضاء (الدول) تنفيذ الحكم فالمجلس يعرض التدابير التي يلزم اتخاذها

ويضع المجلس الخطط لانشاء محكمة دولية والمحكمة تحكم في المنازعات بين الدول وتقدم المشورة فالاعضاء (الدول) الذين لا يريدون عرض قضاياهم على التحكيم يجب أن يقبلوا حكم المجلس أو الهيئة فاذا اتفق أعضاء المجلس - ما عدا مندوبي الفريقين المتنازعين - اتفاقا اجماعيا على حقوق أحد الفريقين فالاعضاء (الدول) يسلمون بأنهم لا يحاربون الفريق المتنازع الذي يذعن لما يشير المجلس به . وفي هذه الحالة يكون لمشورة الهيئة باتفاق جميع أعضائها (الدول) الممثلين في المجلس وبأكثرية بسيطة من الباقين (أي من الدول الصغرى التي لها ٤ مندوبين في المجلس) - ماعدا الفريقين المتنازعين - قوة القرار الاجماعي من المجلس . وفي كلتا الحالتين اذا لم يتيسر الوصول الى الاتفاق المطلوب فالاعضاء يحفظون لانفسهم الحق في فعل ما يرونه لازما لصون الحق والعدل

والاعضاء (الدول) الذين يلجأون الى الحرب غير مكترثين للعهد يحرمون كل اتصال وعلاقة بسائر الاعضاء (الدول) . وفي هذه الاحوال يبحث المجلس في الاعمال العسكرية البرية والبحرية التي يمكن للجمعية أن تعملها لحماية العهد ويقدم التسهيلات للاعضاء (الدول) التي تعاون في هذه المهمة

صحة المعاهدات — جميع المعاهدات أو العهود الدولية التي تبرم بعد انشاء جمعية الامم يجب أن تسجل في كتابة السر (السكرتارية) وتنشر ويجوز لهيئة الجمعية أن تشير على أعضائها (دولها) من حين الى حين باعادة النظر في المعاهدات التي لم تعد صالحة للعمل أو التي يكون في تطبيقها خطر على السلام . والعهد يقضي بنقض جميع المعاهدات التي تعقد بين الدول الموقعة له والتي تناقض نصوصه ولكن ليس في العهد ما يمس صحة المعاهدات الدولية كمعاهدات التحكيم أو الاتفاقات المحلية

كذهب منرو لاجل صون السلام وتوطيد أركانه

نظام التوكيل — ان الوصاية على الشعوب التي لا تستطيع حتى الآن الوقوف وحدها يعهد فيها الى الامم الراقية التي هي أصلح من سواها للقيام بشؤون هذه الوصاية . والعهد يعترف بثلاث درجات من الارتقاء تقتضي أنواعا مختلفة من التوكيل وهي

(ا) الشعوب التي من قبيل شعوب السلطنة التركية وهي التي يمكن ان يعترف باستقلالها موقتا بشرط ان تستمد المشورة والمساعدة من دولة موكلة يسمح لهذه الشعوب بأن يكون لها صوت في اختيارها [1]

(ب) الشعوب هي من قبيل أهل أفريقية الوسطى وهذه تدار أمورها بواسطة دول موكلة بشروط يوافق عليها أعضاء جمعية الامم بالاجمال . وفي بلاد هذه الشعوب يتساوى جميع أعضاء الجمعية في التجارة ويحظر فيها بعض المساوىء كالنخاسة وبيع السلاح والمسكرات ويمنع انشاء القواعد العسكرية البرية والبحرية والخدمة العسكرية الاجبارية

(ج) الشعوب الاخرى التي من قبيل سكان القسم الجنوبي الغربي من أفريقية وجزائر الباسفيك الجنوبي فهذه تدار أمورها أحسن ادارة بقوانين الدول التي توكل بها كما لو كانت أجزاء من أملاك تلك الدول غير قابلة للانفصال عنها . وفي جميع الاحوال المتقدمة يتعين على الدولة الموكلة أن تقدم تقريرا سنويا والجمعية تعين لها درجة سلطتها

نصوص دولية عامة — تهتم الدول أعضاء الجمعية بالاجمال وتسعى بواسطة جمعية دولية يؤلفها مؤتمر العمال للمحافظة على شروط الانصاف مع العمال من الرجال والنساء والاولاد في بلدانهم وسائر البلدان وتتعهد أيضا بأن تعدل في معاملة الاهالي الوطنيين في البلاد التي تحت سيادتها وكل ذلك طبقا لنصوص الاتفاقات الدولية الموجودة أو التي يتفق عليها فيما بعد ، وهذه الدول تعطي الجمعية حق المراقبة العامة

(١) عبارة المقطم : الشعوب التي هي تابعة السلطنة التركية والتي يعترف باستقلالها الخ وعبارة الاهرام : الشعوب التي كانت شعوب السلطنة العثمانية التي يمكن الاعتراف موقتاً باستقلالها تكون تحت ارشاد ومساعدة احدى الدول المنتدبة التي يجب ان يكون لهذه الشعوب صوت في انتخابها

على تنفيذ الاتفاقات الخاصة بمنع الاتجار بالنساء والاولاد أوتشغيلهم الخ ومراقبة تجارة السلاح والذخيرة في البلاد التي تجب فيها هذه المراقبة. ثم ان هذه الدول تتخذ ما يلزم من التدابير لحرية المواصلات والنقل والمساواة في معاملة متاجر جميع أعضاء الجمعية مع المراعاة الخاصة لحاجات البلاد التي خربت في أثناء الحرب، وتسعى لاتخاذ التدابير والاحتياطات اللازمة لمنع انتشار الامراض ومراقبتها بالاتحاد الدولي. وجميع المكاتب واللجان الدولية الموجودة الآن توضع تحت تصرف جمعية الامم وكذلك اللجان والمكاتب التي تنشأ في المستقبل

تعديل العهد وتنقيحه — ينفذ كل تعديل يعدل به العهد متى وافق عليه المجلس وأكثر المندوبين في هيئة الجمعية

الفصل الثاني

في حدود المانية

وصفت حدود المانيا في مادتين احداهما خاصة بالمانية نفسها والاخرى بروسية الشرقية وقد وصفت الحدود بين دولة والندة الجديدة والمانية وبين والندة وبروسية الشرقية والحد الجديد بين بروسية الشرقية وليتوانية وصفاً مفصلا في كل ما لم يترك الحكم النهائي فيه لجان التحديد التي أرسلت الى هناك. أما الحد الفاصل بين المانية والبلجيك فيتبع خطا وصف في فصل آخر عن البلجيك. وأما الحد الفاصل بين المانية ولكسمبرج وبين المانية وسويسرة فهو عين الحد الذي كان في أغسطس سنة ١٩١٤ وأما الحد الفاصل بين المانية وفرنسة فهو الحد الذي كان بينهما في ١٨ يوليو ١٨٧٠ مع قيد خاص بوادي السار. والحد الذي يفصل بين المانية والنمسة هو الحد الذي كان بينهما في ٣ أغسطس ١٩١٤ الى الموضع الذي تبدأ منه دولة التشك والسلوفاك الجديدة. ويستوحد هذه الدولة الجديدة على الحد القديم بين المانية والنمسة الى حيث تبدأ بلاد دولة والندة الجديدة. وأما التخوم بين المانية والدنمرك وجزء من التخوم بين بروسية الشرقية وبولندة فهذه يحكم فيهما في ما بعد بحسب نتيجة الاستفتاء في هاتين

الفصل الثالث

في المواد السياسية في أوربة

البلجيك — تقبل المانية نقض معاهدة سنة ١٨٣٩ التي قضت بأن تكون البلجيك محايدة وضمنت حدودها الخ وتوافق سلفاً على أي عهد يتفق الحلفاء على استبداله بها . وعلى المانية أن تعترف بسيادة (مملكة) البلجيك التامة على بلاد (مورسناه) المختلف عليها وجزء من بلاد مورسناه البروسية وأن تتنازل البلجيك من جميع حقوقها على (اوبن ومليدي) وانما يحق لسكانهما أن يحتجوا بعد ستة أشهر[1] على هذا التغيير كله أو بعضه ويكون الحكم النهائي في المسألة لجامعة الامم . ويعهد في تسوية تفاصيل الحدود الى لجنة . ويتضمن هذا الفصل قوانين شتى عن تغيير الافراد رعويتهم وتكون البلاد التي تأخذها البلجيك خالصة من جميع الديون والاعباء

لكسمبرج — تتنازل ألمانية عن معاهداتها واتفاقاتها المختلفة مع (غراندوقية لكسمبرج) وتعترف بأنها لم تعد داخلة في النظام الجمركي الالماني ابتداء من أول يناير الماضي، وتتنازل عن كل حقوقها في استغلال سكك الحديد فيها وتسلم بالغاء حيادها وتقبل سلفا الاتفاقات الدولية التي يبرمها بشأنها الحلفاء والدول المشتركة معهم

ضفة الرين اليسرى — يجب على ألمانيا ـ طبقا لما نص عليه في الفصل العسكري التالي ـ ان لا تبقي حصونا ولا معاقل (استحكامات) في مواضع تبعد عن ضفة نهر الرين الشرقية أقل من خمسين كيلو متراً ولا تنشئ في تلك المواضع معاقل جديدة ولا يجوز لها ان تبقي في الشقة المذكورة قوات مسلحة دائمة ورقتية ولا تجري مناورات عسكرية ولا تكون لها مبان أو معامل تسهل تعبئة الجيش فاذا خرقت نصوص هذه المادة عدت مرتكبة عملا عدائيا ضد الدول الموقعة لهذه المعاهدة واعتبر ذلك منها عزما على تكدير صفاء السلم في العالم، وعليها بحكم هذه المعاهدة ان تلبي كل استيضاح يرسله اليها مجلس جمعية الامم

السار — تتنازل ألمانية لفرنسة عن الملكية التامة لمناجم الفحم في حوض السار

[1] (١) تركها بعضهم قبل مضي ستة أشهر

مع كل ما يتبع هذه المناجم من الادوات والمهمات والوسائل ويعد هذا تعويضاً لفرنسة من مناجم الفحم التي خربها الالمان في شمال بلادها وجزءاً من الاموال التي يتعين على ألمانية دفعها على حساب التعويض . وتقدر قيمة هذه المناجم لجنة التعويض وتقيد لالمانية في الحساب . وتكون الحقوق الفرنسوية في هذا الحوض خاضعة للقوانين الالمانية التي كانت نافذة عند عقد الهدنة الا فيما يختص بالتشريع الحربي . وتحل فرنسة محل أصحاب المناجم الحاليين وهؤلاء يأخذون العوض من المانية . وتقدم فرنسة المقادير اللازمة من الفحم لسد الحاجات المحلية وتدفع نصيبها الحق من الرسوم والضرائب المحلية . ويمتد هذا الحوض من حدود اللورين كما أعيدت الى فرنسة ويسير شمالاً الى (سانت فندل) فيشمل من الغرب وادي السار الى (سارهولز) ومن الشرق مدينة (هومبرغ) . ولكي تضمن للاهالي حقوقهم ورفاهيتهم ولفرنسة الحرية التامة في استغلال المناجم تتولى حكم الحوض المذكور لجنة تعينها جمعية الامم وتتألف من خمسة أعضاء أحدهم فرنسوي والآخر من أهل السار وثلاثة الباقون ينوبون عن ثلاث بلدان مختلفة غير فرنسة والمانية . وتعين جمعية الامم أحد أعضاء اللجنة رئيساً لها ويكون صاحب السلطة التنفيذية فيها وتكون لهذه اللجنة جميع سلطات الحكم الذاتي التي كانت قبلاً للامبراطورية الالمانية وبروسية وبفارية وتدير سكك الحديد والترع من المصالح العمومية ويكون لها السلطة التامة في تفسير مواد المعاهدة . وتستمر المحاكم المحلية ولكنها تكون خاضعة للجنة وتظل الشرائع الالمانية الحالية قاعدة للقانون ولكن يجوز للجنة ان تعدلها بعد استشارة مجلس نيابي محلي تؤلفه وتكون للجنة سلطة فرض الرسوم للاغراض المحلية فقط ويجب الحصول على موافقة هذا المجلس المحلي على فرض رسوم جديدة ...

وفي كل قانون يسن للعمل والعمال تراعي مشيئة جمعية العمال المحلية وبيانات جمعية الامم الخاص بالعمال ويجوز استخدام العمال الفرنسويين وسواهم بلا قيد ما ويجوز أن يكون العمال الفرنسويون الذين يستخدمون في العمل تابعين لنقابات العمال الفرنسية . ولا يكون في بلاد السار خدمة عسكرية وانما تؤلف فيها شرطة محلية لحفظ النظام ويحفظ الاهلي مالهم من المجالس المحلية وحرية الاديان والمدارس

والية ولكن لا يقترعون الا للمجالس المحلية وتبقى لهم جنسيتهم الحالية الا حيث يريد الافراد منهم تغييرها

والاهالي الذين يرغبون في مغادرة بلاد السار يمنحون كل تسهيل في ما يختص بأملاكهم وتكون البلاد داخلة في النظام الجركي الفرنسي ولا تجبى ضريبة على ما يصدر من فحمها ومعادنها الى ألمانية ولا على المحاصيل والمواد الالمانية التي يؤتى بها الى الوادي، ولا تجبى رسوم الواردات على ما يرسل من السار الى ألمانية ولا على ما يأتي من ألمانية الى السار للمقطوعية المحلية وذلك لمدة خمس سنوات . ويجوز تداول النقود الفرنسية بلا قيد ولا تحديد

وبعد انقضاء خمس عشرة سنة تستفتى قرى البلاد للوقوف على رغبة أهلها وهل يفضلون استمرار النظام المنصوص عليه هنا تحت حماية جمعية الامم أو يريدون الانضمام الى فرنسة أو الانضمام الى ألمانية . ويكون الاقتراع حقا لجميع من كان من السكان فوق العشرين من العمر اذا كانوا مقيمين في البلاد عند امضاء هذه المعاهدة ومتى أفتى أهل البلاد وظهر رأيهم فجمعية الامم تحكم في تابعيتها . فاذا أعيد قسم منها الى ألمانية وجب على الحكومة الالمانية ان تشتري المناجم الفرنسوية فيه بثمن يقدره الخبيرون فاذا لم يدفع الثمن بعد ذلك بستة أشهر فان هذا القسم يصير ملكا لفرنسة واذا ابتاعت ألمانية المناجم فجمعية الامم تعين مقدار الفحم الذي يرسل منها الى فرنسة

الالزاس واللورين — بعد ما تعترف ألمانية بالواجب الادبي المفروض عليها وهو تلافي الضرر الذي ألحقته سنة ١٨٧١ بفرنسة وشعب الالزاس واللورين فان الاملاك التي أعطيت لالمانية بموجب معاهدة فرنكفورت ترد الى فرنسة الآن وتكون حدودها كما كانت قبل سنة ١٨٧١ ويعتبر تاريخ ذلك من يوم توقيع الهدنة وتكون هذه البلاد المردودة خالصة من الديون العمومية . أما الرعوية فيها فتنظم بنصوص مفصلة يميز فيها بين الذين يعادون حالا الى الرعوية الفرنسية الكاملة والذين يجب عليهم ان يطلبوا هذه الرعوية رسميا والذين يفتح لهم باب التجنس بالجنسية الفرنسية بعد ثلاث سنوات والفريق الاخير يشمل السكان الالمان في الالزاس واللورين تمييزا لهم عن الذين ينالون حقوق أهل البلاد كما جاء في المعاهدة

وتنتقل ملكية جميع أملاك الحكومة وأملاك عواهل (أمبراطرة) ألمانية السابقين في الالزاس واللورين الى فرنسة من غير أن تدفع ثمنها وتحمل فرنسة محل ألمانية في ملكية سكك الحديد والحقوق التي لها على امتيازات الترموابي وتنتقل ملكية كباري الرين الى فرنسة وعليها أن تعنى بصونها وتظل مصنوعات الالزاس واللورين تدخل ألمانية من غير أن تدفع رسوما لمدة خمس سنوات بحيث لا يتجاوز المجموع السنوي مما يدخل منها كذلك المتوسط السنوي في السنوات الثلاث السابقة للحرب ويجوز استيراد مواد النسج من ألمانية الى الالزاس واللورين واعادة اصدارها معفاة من الرسوم . وتجب المحافظة على العقود الخاصة بالتيار الكهربائي من الضفة اليمنى للرين لمدة عشر سنوات وتكون ادارة مينائي (كال وستراسبورج) لمدة سبع سنوات ويجوز مدها الى عشر سنوات في يد مدير فرنسي تعينه لجنة الرين المركزية وتراقب أعماله

وتضمن حقوق الملكية في الميناءين والمساواة في المعاملة في كل ما يتعلق بالنقل لسفن الامم وبضائعها . وتبقى العقود المبرمة بين أهل الالزاس واللورين والالمان مرعية الا أن لفرنسة حقا في نقضها بحجة المصلحة العامة . وتبقى أحكام المحاكم نافذة في بعض القضايا أما في غيرها فلا بد من مرجع قضائي يعيد النظر فيها . وأحكام العقوبات السياسية التي صدرت في أثناء الحرب تعد ملغاة ويفرض حق تسديد غرامات الحرب كما هي الحالة في سائر بلدان الحلفاء .

وفي هذا الباب نصوص عامة في المعاهدة تتعلق بأحوال الالزاس واللورين الاقتصادية وقد تركت بعض أمور التنفيذ الى اتفاقات تعقد بين فرنسة وألمانية

النمسة الجرمانية — تعترف ألمانية بالاستقلال التام للنمسة الجرمانية

بلاد التشك والسلوفاك — تعترف ألمانيا بالاستقلال التام لدولة التشك والسلوفاك وهذا يشمل بلاد (الروثينيين) المستقلين جنوبي جبال كرباتية وتقبل أن تكون حدود هذه الدولة كما ستعين أما الحدود التي تفصلها عن ألمانية فتتبع حد بوهيميا القديم كما كان سنة ١٩١٤ ويلي ذلك الشروط المعتادة الخاصة بنقل الرعوية وغيرها

بولندة — تتنازل ألمانية لبولندة عن الجانب الاكبر من (سيليزيا) العليا و(بوزن)

وولاية (بروسية) الغربية على الضفة اليسرى من نهر الفستولا و بعد عقد الصلح بخمسة عشر يوما تؤلف لجنة تحديد من سبعة أعضاء خمسة منهم ينوبون عن دول الحلفاء والدول المشتركة معهم وواحد لبولندة وواحد عن المانية لتعيين الحدود . والنصوص المخصوصة اللازمة لحماية الاقليات القومية أو الدينية توضع في معاهدة تالية تبرم بين الحلفاء و بولندة

[المنار : حذفنا من هنا حدود بروسية الشرقية ودنزج والدنمرك]

هليجولند — تدمر الاستحكامات والمباني العسكرية والموانئ في جزيرتي (هليجولند) وفي الكثيب ويكون هدمها تحت مراقبة الحلفاء بواسطة عمال المان وعلى نفقة ألمانية ولا يجوز أن يعاد بناؤها ولا يسمح بانشاء استحكامات أو مبان أخرى مماثلة لها في المستقبل

روسية — تعترف المانيا بالاستقلال التام لجميع البلدان التي كانت جزءاً من أمبراطورية روسية السابقة وتحترم هذا الاستقلال وتقبل المانية نهائيا الغاء معاهدة برست لتوفسك وجميع المعاهدات والاتفاقات المختلفة التي أبرمتها المانية منذ الثورة في نوفمبر ١٩١٧ مع جميع الحكومات أو الجماعات السياسية في بلاد أمبراطورية روسية السابقة ويحفظ الحلفاء لانفسهم بالنيابة عن روسية حق التعويض والترضي الذين يطلبان من ألمانية عملا بمبادئ المعاهدة الحالية (لها بقية)

الملخص في أوائل هذا الشهر وصل مندوبو الالمان للنظر في شروط الصلح الى باريس وعددهم مع المساعدين والمترجمين مئة وخمسون نسمة واجتمعوا بمندوبي الحلفاء بقصر (فرسايل) في ٤ من الشهر وفي ٧ منه عقد الاجتماع الرسمي الاول لمؤتمر الصلح فافتتحه الرئيس (كلمنصو) بخطبة وجيزة ذكر فيها أن دول الحلفاء أكرهت على الحرب وان ساعة الحساب الرهيبة دنت قال : وهذه شروط الصلح أقدمها لمندوبي الالمان فاذا كان لهم اعتراض عليها فليقدموه مكتوبا في مدة خمسة عشر يوما فقط . وناول كاتب سر المؤتمر كتاب معاهدة الصلح — وهو مجلد ضخم فيه أكثر من الف مادة — للكونت (بروكدورف رنتزو) رئيس مندوبي الالمان فتناوله وخطب خطبة معتدلة وهو قاعد ثم ترجمت خطبته بالفرنسية والانكليزية وأهم ماذكره فيها الاعتراف بفشلهم في الحرب أو خسارتهم لها وبان

تبعة الحرب ليست عليهم وحدهم وانه مستعد للاعتراف بما ارتكبته دولته في الحرب ويعيد ماقاله في مجلس النواب سنة ١٩١٤ في شان الاعتداء على البلجيك وان الالمان مستعدون للتعويض ونوه برضاء الجميع بناء شروط الصلح على قواعد الرئيس (ولسون) و وجوب انضمام ألمانية وجميع الدول الى جمعية الامم وبانهم سيفحصون شروط الصلح بحسن النية .

ترجمة

السيد عبد الحميد ابن السيد محمد شاكر ابن السيد ابراهيم الزهراوي (١)

وُلد هذا الفقيد رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين وثمان وثمانين للهجرة الشريفة بمدينة حمص من أسرة كريمة ينتهي نسبها الى الامام الحسين ابن السيدة الطاهرة البتول فاطمة الزهراء رضي الله عنها . ولما أتم السادسة من عمره وضعه والده في المكتب فتعلم القراءة والكتابة والحساب واللغة التركية على يد شيخه الشيخ مصطفى الترك . ثم نقله والده الى المكتب الرشدي بحمص فأتقن وبرع في دروسه حتى أتمها ففاق أقرانه ، وتقدم رفاقه وأترابه . وكان في خلال تحصيله موضع الاعجاب بتؤدته وتروّيه وحسن خلقه وتحصيله . وبعد اكمال دروسه خرج من المكتب المومى اليه حاملا شهادة التحصيل وعكف دائبا على تحصيل العلوم بأنواعها فقرأ فنون العربية بأقسامها على بعض شيوخ بلده والفقه الحنفي على أستاذه الشيخ حسن الخوجه والحديث والتفسير والعقائد على محدث زمانه الشيخ عبد الساتر افندي الاتاسي ومنه أخذ الاجازة بقراءة الحديث وروايته . وقرأ الاصول والكلام والمعقول على الشيخ عبد الباقي الافغاني نزيل حمص المتوفى فيها . وكان رحمه الله تعالى يجهد نفسه على التحصيل ومطالعة الكتب المطولة في كل فن حتى بلغ شأوا قصر عنه أقرانه بعد ان أتم دروسه على أساتذته كما تقدم سافر الى الاستانة سنة ١٣٠٨ بقصد

(١) جاءتنا هذه الترجمة للفقيد العزيز من أحد أخلاء غلامه وخلاء الاستاذ الشيخ أحمد نبهان الحمصي وهي ترجمة تاريخية وجيزة ليس فيها شرح أعماله ولا مبالغة في وصف فضله فلهذا نقدمها الى ما كتبناه في رثائه وترجمته من قبل وان كان بعضها تكرارا له تاما

السياحة وأقام فيها برهة وجيزة ثم سافر منها الى مصر محط رحال العلماء فحل نزيلا في دار نقيب الاشراف وقتئذ السيد توفيق البكري . وهناك اجتمع بكثير من الفضلاء والادباء وجرت بينه وبينهم مطارحات شعرية على البداهة فكان محل اعجاب الجميع . ثم رجع الى وطنه حمص عن طريق بيروت فالشام

بعد مكثه في بلده بضعة شهور أصدر جريدة سماها (المنير) كان ينشر في كل عدد منها مقالات في الامامة وشروطها وينتقد أعمال الحكومة الجائرة مبينا لها على سوء العاقبة أن دام هذا الجور والعسف [1] وكان يطبعها على مادة غروية على حسابه ويرسلها مجانا الى البلدان بواسطة البريد فلذلك اتصلت أبحاثها بمسامع الحكومة فكانت تصدر التلغرافات الرمزية الى المراكز بمنع هذه الجريدة كغيرها مما ينبه الاذهان وينشط الكسلان حسب العادة المألوفة في ذلك الزمان

وفي سنة ١٣١٣ سافر ثانية الى الاستانة بقصد التجارة فاتخذ مخزنا هناك في محل يسمى (السلطان أوطه لر) ولما كان مخلوقا للعلم والحكمة والاصلاح لا للتجارة ثقلت عليه أعمال التجارة فتركها وعكف على مطالعة الفنون والعلوم في دور الكتب العمومية وقلما خلت منها واحدة من مراجعته لاكثر كتبها

في غضون تلك الايام طلبه صاحب جريدة المعلومات طاهر بك ليكون محررا لجريدته (ثروت) العربية فباشر العمل بكل نشاط فكان يكتب فيها المقالات الادبية والاصلاحية التي لم يكن يتجرأ أحد في البلاد العثمانية على نشر مثلها مع شدة المراقبة على الجرائد في ذلك الحين [2] ثم أخذ تحت المراقبة من قبل السلطان عبد الحميد لانه زار سفارة انكلترة هو واسماعيل كمال بك الالباني الشهير مع آخرين لاظهار ارتياحهم لانتصارهم على البوير فساء السلطان أن الف وفد سياسي في الاستانة لمثل ذلك ولم يعلم هو به الا بعد وقوعه ، ثم عين اسماعيل كمال

(١) كان [illegible] الجريدة السرية مؤيدة [illegible] في الاولى التي كان [illegible]

(٢) و [illegible] الاولى أصولا الاسلام [illegible] في جريدة المعلومات [illegible] بين أفكارنا وأفكار [illegible] من حيث لا [illegible] في المعلومات بقلمه لم يكن [illegible] اليه ولان المنار كان ممنوعا من البلاد العثمانية

والياً اطرابلس الغرب بقصد ابعاده عن الآستانة الى حيث لا يستطيع عملا سياسيا بل حيث يسهل الانتقام منه فلم يقبل فاسترضته الحكومة حينئذ فلم ينخدع فلما أعيتهم الحيل فيه صرفوا النظر عنه — وعين المترجم في ذلك الوقت قاضيا لاحد الالوية فلم يقبل أيضاً وكان القصد من هذا التعيين كالاول خشية أن تسري كهربائية أفكاره المتنورة الى الغير

وبعد ان أوقف تحت المراقبة أربعة أشهر أرسل الى دمشق الشام ومأمور اقامته تحت المراقبة براتب خمسمائة قرش كل شهر

وفي خلال اقامته بدمشق كتب رسالة في الامامة بين شروطها التي ذكرها الفقهاء والمتكلمون ورسالة في الفقه والتصوف نقد فيها بعض المسائل فيهما وبحث في الاجتهاد شأن من سبقه في مثل هذا النقد والبحث . فلما اطلع على هذه الرسالة بعض المعاصرين الجامدين أغروا العامة به زاعمين انه مخالف للدين * فضج الناس وقتئذ عن غير روية لانهم أتباع كل ناعق وكان الوقت عصر جمعة من أيام رمضان[1] وحشدت العامة من كل فج فكادوا أن يوقعوا بالمترجم شراً لولا أن تداركته العناية الالهية وذلك مما يدل على شجاعته واخلاصه بقينه بربه حيث كان غريبا وحيدا عن عشيرته في بلد غير بلده وقد أثار بعض المتعصبين بصفة الظلم هذه الفتنة باسم الانتصار للدين والله يعلم المفسد من المصلح

شاع خبر فتنة الوالي يومئذ وهو ناظم باشا فخشي أن ينالوا منه نيلا فيما الفتنة وتخلصا لصاحب الترجمة من شرهم وتسكينا لحميتهم استجلبه محافظة على حياته وقوته (أي حبسه حبسا سياسيا لا يخل بكرامته) ليقف على حقيقة الامر ثم انه أحضر أولئك المحرضين وجمعه بهم في مجلس خاص للمباحثة في موضوع الرسالة وطلب منهم اثبات ما زعموه من أنها مخالفة للدين ، فما قامت لهم حجة مقنعة على دعواهم بل كانت حجته هي الدامغة

---

(١) كان تأليب بعض الجامدين المقلدين للعوام في دمشق على الفقيد في مثل ذلك الوقت من شهر رمضان كتأليبهم علينا فيما بعد ذلك ببضع سنين فكان ذلك مما يذكر الفقيد من المصاب ووثق المودة بيننا . وهذه الرسالة هي التي أشار اليها الاستاذ الامام في مقالات الاسلام والنصرانية (راجعه ص ١٦٩ و ١٧٠ من مجلد المنار التاسع عشر)

عند ما يئسوا من الوصول اليه بالاذى من هذا الطريق أوحوا الى الوالي ما لفقوه من الابحاث السياسية بحقه حتى ألجأوا الوالي لمراجعة الآستانة في أمره فجاء الامر بطلبه اليها فأرسل محفوظا عن طريق بيروت (وكانت مدة اقامته بدمشق سنة وستة أشهر) فبقي في الآستانة تحت المحافظة ستة أشهر ثم أرسل محفوظا الى وطنه حمص « مأمور اقامة » بالراتب المذكور ، وكانت اعادته عن طريق ميناء الاسكندرونة فحلب فحماه فحمص

قضى مدة عند أهله فضاق صدره ففر هاربا الى مصر معهد الحرية عن طريق طرابلس الشام سنة ١٣٢٠ وبعد وصوله بمدة وجيزة رغب اليه صاحب جريدة المؤيد ان يكون محرراً فيها ، فاستلم الوظيفة ، وكتب ما كتب فيها من المقالات المفيدة . ثم ألف بعض كبراء القطر المصري حزبا سموه حزب الامة وأنشأوا جريدة له سموها (الجريدة) فدعوه الى التحرير والتنقيح فيها فلبى طلبهم وداوم على عمله حتى حصل الانقلاب العثماني وأعلن الدستور فطلبه اخوانه بحمص ليكون نائبا عنهم في مجلس النواب (المبعوثين) فأجابهم حبا بخدمة الامة والوطن فانتخب هو وخالد أفندي البرازي مبعوثين من لواء حماه فذهب الى الآستانة فكان صوته في المجلس من أعلى الاصوات وأقواها في اقامة الحجة وايضاح المحجة

(لها بقية)

الشيخ محمد كامل الرافعي

في أواخر العام الماضي فجعت طرابلس الشام وهي غارقة مع سائر البلاد السورية في طوفان مصائبها ، بوفاة أفضل علمائها وأعلم فضلائها ، مثال الفضيلة والاخلاص الاعلى في هذا العصر ، وذكرى السلف الصالح في ذاك العصر ، أصدق أصدقائنا ، وأخلص أوليائنا « الشيخ محمد كامل ابن الشيخ عبد الغني الرافعي الطرابلسي الشهير

ولد الفقيد في طرابلس الشام سنة ١٢٧٢ أو ١٢٧٠ ولما بلغ سن التمييز أقرىء

القرآن الكريم وتعلم مبادئ الخط والحساب في أحد مكاتب الصبيان ثم دخل المكتب الرشدي العثماني أي المدرسة الابتدائية الرسمية للحكومة فتعلم فيها مبادئ اللغة التركية وما يدرس بها من مبادئ الفنون الرياضية وغيرها ومنه النحو والصرف للغتين العربية والتركية وعلم الحال وهو عبارة عن العقائد والعبادات الدينية والآداب . ثم تلقى العلوم العربية والدينية على أعلم علماء العصر ، الذين بذت طرابلس بهم كل مصر ، والده والشيخ محمود نشابه والشيخ حسين الجسر ، فقد كان وجود هؤلاء في طرابلس مصدقا لقول المتنبي

أكارم حسد الارض السماء بهم وقصرت كل مصر عن طرابلس

ولما كانت الرحلة في طلب العلم مزيد كمال في التعليم كما قال الحكيم ابن خلدون لما فيها من حفز الهمة ، والانقطاع اليه بمفارقة الاهل والاحبة ، وكان حب عشيرة الرافعية للازهر وتعلقهم به يفوق ما يعرف من ذلك عند غيرهم من أهل طرابلس وغيرها من البلاد الاسلامية ، لان الرافعي الذي يرحل من طرابلس الى مصر لا يشعر كغيره بمفارقة وطن ، ولا بغربة عن الاهل والسكن ، لان أكثر عشيرته يقيمون في مصر ، فهو في الهجرة الموقتة اليها يجمع بين فوائد الغربة ، وأنس القرابة والقربة . رحل الفقيد الى مصر في سنة ١٢٩٧ وجاور في الازهر سنين لم أقف على عددها ، وكان أشهر شيوخه فيه كبير الرافعية ، وأفقه فقهاء الحنفية ، الشيخ عبد القادر الرافعي ، والشيخ محمد الشربيني الشافعي الشهير الذي أدركنا الناس أخيرا يضعونه في الذروة من علماء الازهر في كل علم وفن يدرس فيه ، وفي المحافظة على أخلاق علماء الدين ، والشيخ عبد الهادي الابياري الشافعي الشهير بالجمع بين العلوم الدينية ، والتفنن في أدبيات اللغة العربية ، والشيخ أحمد الرفاعي المالكي الشهير الذي كان شهيرا مزيته له انه كان آخر من قرأ جميع كتب السنة الستة في الازهر

وهؤلاء الشيوخ الكبار لم يكونوا يفوقون شيوخه الثلاثة في طرابلس في علم من العلوم ولا فن من الفنون ولا في أخلاق الدين وفضائله الا أن يكون ما اشتهر عن الشيخ عبد القادر الرافعي من سعة الاطلاع والتحقيق في فقه الحنفية

وانما نقدم على ترجمة الفقيد تعريفا وجيزا بشيوخه الثلاثة في طرابلس لاننا رأينا لكل منهم أثرا واضحا في سيرته العلمية والعملية والادبية ·

الشيخ محمود نشابه

أما الشيخ محمود نشابه فقد أقام في الازهر زهاء ثلاثين سنة طالبا ومدرسا وأتقن جميع ما يدرس فيه حتى علم الجبر والمقابلة الذي هجر بعد عهده ، ثم قضى بقية عمره المبارك في طرابلس في تدريس تلك العلوم فتخرج به كثيرون وكان شيخ الشافعية والحنفية جميعا وقلما أتقن أحد فقه المذهبين مثله، وقد أدركته في أوائل الطلب وقرأت عليه الاربعين النووية وأجازني بها قبل الشروع في طلب العلوم ثم كنت أحضر درسه لشرح البخاري في الجامع الكبير واقرأ عليه صحيح مسلم وشرح المنهج بداره وحضرت عليه طائفة من شرح التحرير وهو في فقه الشافعية كالمنهج . وما عرفت قيمته وتفوقه على جميع من لقيت من علماء الاسلام في علومه الا بقراءة صحيح مسلم عليه فانني كنت أقرأ عليه المتن فيضبط لي الرواية أصح الضبط من غير مراجعة ولا نظر في شرح، واسأله عن كل ما يشكل عليّ من مسائل الرواية والدراية فيجيبني عنها أصح جواب ، وكنت أراجع بعض تلك المسائل بعد الدرس في شرح مسلم وغيره ولا أذكر انني عثرت له على خطأ في شيء منها . وكان اذا راجعه بعض تلاميذه أو غيرهم في غلط وقع فيه يقبله بدون أدنى امتعاض لما تحلى به من الانصاف والتواضع وغيرهما من الاخلاق المحمدية . أعطاني شرحه للبيقونية في مصطلح الحديث بخطه فرأيته استعمل في فاتحته لفظ الفالح بمعنى المفلح فراجعته فيه فأمرني أن أصلحه وأصلح كل خطأ من قبيله ، ورأيته ارتاح لذلك وسر به .

وكانت معيشته معيشة الزهاد لا يبالي بزينة الدنيا ولازخرفها ولا يحفل بحكامها وكبرائها ، كان في طرابلس متصرف من أهل العلم اسمه عارف باشا وكان يزوره علماؤها الا الشيخ فذهب المتصرف لزيارته في داره فرده عن الباب ولم يأذن له بالدخول . خرجت مرة معه للرياضة في ضواحي البلد فلما كدنا نحاذي دار الحكومة بجوار تل الرمل حتى تعب الشيخ . فالتفت الي وقال : ياسيد رشيد أعندك

كبر؟ قلت أرجو أن لا يكون عندي كبر. قال اذاً اقعد معي على الارض هنا لنستريح. فقعدنا بجانب الطريق

وقد رثيته بقصيدة أذكر منها هذه الابيات للدلالة على ما كان له من المكانة في نفسي وقتئذ مع القول بأن هذه المكانة لم تتغير الى اليوم:

شيخ الشيوخ امام العصر أوحده ... ووارث المصطفى فينا ونائبه
فلك الطريقة أو در الحقيقة في ... يم الشريعة راسيه وراسبه
ومرجم الكل في حل النصوص وفي ... حل العويص اذا أعيت مصاعبه
رب الحقائق كشاف الدقائق محمود الخلائق من جلت مواهبه
من حلقت هامة الافلاك همته ... وزاحمت منكب الجوزا مناكبه
من لا نحد بتعريف معارفه ... وليس تحصى بتقريب مناقبه
من كان عن خشية لله منكسرا ... ولان عن رفعة للناس جانبه
من أحيت السنة الغرا مآثره ... وأفنت البدعة السودا قواضبه
وما قواضبه الا يراعته ... والكتب كم ألفت منها كتائبه

ومنها

خطب أصاب فؤاد الشرع فانفطرت ... مرارة الكون وارتاعت مغاربه
قد مزق الفلك العلمي أطلسه ... ومن مكوكبه انقضت كواكبه
ومنهج العلم أمسى اليوم مسلكه ... وعرا تجوب مجاهيلا جوانبه
وصدر شرح البخاري ضاق فيه وكم ... قامت على مسلم تبكي نوادبه
لئن بكى تابعو النعمان مذهبه ... فالدين من بعده ضاقت مذاهبه
هذا ابن ادريس بعد الشيخ قد درست ... دروس مذهبه وارتاع طالبه

ومنها

لله مثوى ببطن الارض مد به ... بحر تفيض بلا جزر ثوائبه (١)
مثوى حوى منه ذا فضل لقد حمدت ... ترابه من أخي العليا ترائبه

---

(١) الثوائب مياه المد الذي يعقب الجزر ففي البيت الاعتراض من أنواع البديع

شوى فقد حفظ التأثر الاثير على ثراه اذ ظفرت فيه رغائبه

اثن دفنا به شخص الكمال ضحى فالروح طارت الى عدن نجائبه

الشيخ عبد الغني الرافعي

وأما والد الفقيد الشيخ عبد الغني الرافعي فقد حصل العلوم والفنون الدينية واللغوية في طرابلس ودمشق الشام وأشهر شيوخه في طرابلس الشيخ نجيب الزعبي الجيلاني، ولا أعرف شيوخه في دمشق ومن المعروف المشهور انه كان فيها يومئذ نفر من اكبر علماء الاسلام في العالم، وكان الشيخ لوذعي الذكاء يحصل في سنة ما لا يحصله الاكثرون في سنين ، وقد امتاز بين فقهاء عصره بالجمع بين النبوغ في علوم الشرع والتصوف والادب فكان فقيها مدققا وصوفيا مصفى وأديبا شاعرا ناثرا، وله في كل ذلك ذوق خاص . سلك طريق الصوفية على الشيخ رشيد الميقاتي الشهير سلوكا صحيحا بالرياضة الشديدة ومداومة الذكر حتى رأى من الاسرار والعجائب الروحية ما لا محل لذكر شيء منه في هذا التعريف الاستطرادي . وكان عالي الهمة قوي العناية شديد المواظبة فيما يأخذ فيه من علم أو عمل على غير المعهود من اكثر مفرطي الذكاء أمثاله . سمعت منه أنه قرأ كتاب أدب الدنيا والدين ثلاثين مرة، وقرأ احياء العلوم للغزالي مرارا كثيرة لا أذكر عنه عددها

أدركناه في شيخوخته قوي الجسم والعقل والذاكرة وكان جميل الصورة كان وجهه ورد يحيط به الياسمين من شيبته الناصعة، وكان يلبس أحسن الملابس ويأكل أطيب المآكل ويسكن دارا مزينة بالنقش والاثاث الجميل، وتزوج في شيخوخته بكرا رزق منها أولادا، وكان يرى في سن السبعين انه لم يفقد من مزايا الشباب شيئا ، ولم يشغله رخاء العيش عن اشتغال القلب واللسان بذكر الله ومذاكرة العلم ، ولي افتاء طرابلس وهو أعلى منصب لرجال العلم في عرف الدولة العثمانية ، وولي القضاء لولاية اليمن ، ولم يكن في مكانه من الرياسة والجاه يمتنع من وضع يده بيد رجل فقير يلبس الاسمال البالية ويمشي معه في السوق اذا كان له مزية من علم أو صلاح ، اذ كانت أخلاقه أخلاق كبار الصوفية ومظهره مظهر كبار رجال الدنيا ، ولكنه ما كان ليجلس بجانب الطريق العام على التراب امام دار الحكومة كما فعل الشيخ محمود نشابه

أذكر مما سمعت من أخبار تصوفه انه سافر من بلده وهو في مقام التوكل ولم يكن معه شيء من الدراهم فيسر الله له الامر ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن أخبار أدبه انه لما سافر الى الآستانة التقى في الباخرة ببعض رجال العلم والادب فلما عرف الرجل فضله قال له :

فيم اقتحامك لج البحر تركبه وأنت تكفيك منه جرعة الوشل

فأجابه على الفور ببيت من هذه القصيدة (المعروفة بلامية العجم) :

أريد بسطة كف أستعين بها على قضاء حقوق للعلى قبلي

ولما لم يعرف له رجال الآستانة قيمته أراد التحول عنها الى مصر ، فأرسل الى الشيخ عبد الهادي نجا الابياري رسالة برقية يتوسل بها الى توفيق باشا عزيز مصر في ذلك العهد وهي هذان البيتان :

قالت لي النفس الابية مذ رأت في الروم ضاع اسمي وضل رشادي

سر بي لدار الفضل مصر اهله يهديك للتوفيق عبد الهادي

وأذكر مما رأيت من انصافه وتواضعه انه كان عند مايزورنا في القلمون يعهد الي أن أقرأ عليه شيئاً من احياء العلوم لانني كنت مولعاً بمطالعته من قبل الشروع في طلب العلم ، فانتهيت في القراءة مرة الى فصل في الحكايات التي يذكرها أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في بعض الابواب كحكايات المتكبرين والاسخياء فاستوقفني الشيخ وقال : انني مستغرب لحشو المصنف قدس سره هذه الحكايات في هذا الكتاب وكله علم وتحقيق لولا هذه الحكايات . قلت انني أرى هذه الحكايات من أهم مقاصد الكتاب فانه كتاب تربية وانما تتم التربية بالتأسي والقدوة ، فالترغيب في السخاء بالآثار المروية والحكم المقولة لا يبلغ تأثيره وحده مايبلغه ما نرى في هذا الكتاب وغيره من ذكر حكايات الاجواد من السلف وانما كمال التربية في الجمع بين الترغيب بالقول ، والقدوة بالعمل ، فقال لي : أعيذك بالواحد * من شر كل حاسد * انني أقرأ هذا الكتاب من قبل أن تخلق وقد قرأته مراراً وأنا أفكر في هذه المسألة وأنتقدها على المؤلف . ولم يخطر في بالي هذا الغرض الواضح الذي لاشك في انه كان يرمي اليه رضي الله عنه . ولم يكتف الشيخ قدس الله روحه بهذا الثناء بل كان

يذكر هذا الجواب في كل مجلس من مجالسه العلمية الادبية عنه ويقول لجالسيه وأكثرهم من تلاميذه ومريديه: انني كنت مستشكلا هذه المسألة منذ عشرات من السنين وقد حلها لي هذا الغلام النابغ النابه على البداهة. أو ما هذا معناه بالاختصار

وقد استفاد من اقامته في اليمن فوائد عظيمة منها ان مذاكراته ومناظراته لعلماء الزيدية مع ما علمت من انصافه قوى في نفسه ملكة الاستقلال في فهم الدين وفقه الحديث عرف سيرة الامام الشوكاني فاقتنى كتابه (نيل الاوطار. شرح منتقى الاخبار) ولما عاد الى طرابلس كان يقرأه درسا للنابغين المنتهين من طلاب العلم كنجله الشيخ محمد كامل المترجم. وقد حضرت بعض هذه الدروس ولكنني كنت مبتدئا لا أفهم شيئا من الاصطلاحات الاصولية والحديثية فيه. وإنما كان يسمح لي بحضورها ما كان لي من الكرامة الشخصية عند الشيخ وأهل بيته بعوائدهم مع والدي وأهل بيتنا ومن أعجب ما سمعناه منه عن أهل اليمن انه لم يتفق له في مدة توليه القضاء فيهم أن سمع من أحد منهم شهادة زور، أو كذبا على الحكم أو الخصوم، بل كانوا يقولون له أتحكم بالشرع ياعبد الغني ؟ فيقول نعم، فيصدقونه في شرح منازعاتهم

توفي حاجا بمكة فرثيته بقصيدة مطلعها

طوبى لمن بجوار الله قد نزلا	وقد أعد له جناته نزلا
وياهنيئا لمن أسقاه سيده	في عهده القرب من كأس الشهود طلا

ومنها

نعم لقد مات علم الدين وانكسفت	شمس الرشاد وبدر الهدى قد أفلا
نعم لقد قبضت روح التصوف ولا	نصاف منا وجيد الفقه قد عطلا
نعم قد اخترم التبيين واحتكم التلو	ين واصطلم التمكين مرتحلا

ومنها

لئن بكاه بنا علم اليقين فقد	قرت به عينه مذ كأسها نهلا
وان غدا فيه كل الفضل مجتمعا	فقد تفرق في أبنائه النبلا
فللمعارف والارشاد كاملهم	من حالف العلم فيه الهدى والعملا
وفي البلاغة كم عبد الحميد سما	والتحدي بها آي البيان تلا

المقارنة بين الشيخين

أختم هذا التعريف المختصر بالشيخين اللذين انتهت اليهما الرياسة العلمية في وطننا بمقابلة وجيزة بينهما فأقول ان الشيخ نشابه كان أوسع من الشيخ الرافعي اطلاعا ومعرفة لما عدا التصوف والادب من العلوم المنقولة والمعقولة وكان واقفا عليهما تمام الوقوف بفهم تام لكل ماقرأه من الكتب في الازهر وغيره كتفسير البيضاوي وغيره وشروح كتب السنة وكتب الاصول والفقه وفنون العربية الخ ولكنه كان مقلدا في المسائل وأدلتها غالبا قلما يفكر في استعمال فهمه في انتقاد المعتمد في تلك الكتب. فكان لهذه العلوم والفنون كحفاظ الحديث غير المستنبطين ، ويالها من مزية قلما نجد الآن أحدا من رجالها . وكانت عبادته كعبادة السلف وهي النوافل المأثورة وكثرة تلاوة القرآن . وأما الشيخ الرافعي فكان على ما امتاز به من علوم الاخلاق والتصوف والادب فقيه النفس مستقل الفكر اذا ظهر له رجحان مذهب الزيدية مثلا على مذهب الحنفية الذي نشأ عليه تحصيلا وعملا وافتاء وقضاء لا يمتنع من القول بترجيحه

وقد كان بين الشيخين شيء من تغاير المعاصرة في سن الشباب لانتهاء الرياسة العلمية اليهما ، ولكن علو أخلاقهما وقف بهما دون التنافس الذي يجر عادة الى التحاسد والطعن ، ومما وقع بينهما من المناظرة أن الشيخ عبد الغني رحمه الله استخرج من قوله تعالى (سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا) مئة سؤال وجاء مجلس الشيخ محمود نشابه إذ كان يقرأ تفسير هذه الآية في البيضاوي درسا وشرع يلقي عليه سؤالا بعد سؤال وهو يجيبه غير مكترث ولا شاعر بأنه مناظر مختبر، فلما كثرت الاسئلة تنبه فأطبق الكتاب ووضع يديه على صدره والتفت الى السائل وقال: أتريد أن تسأل ياعبد الغني ؟ اسأل هيه ، اسأل ، هيه ، فما زال السائل حتى فرغ مما عنده ولم يعجز المسؤول ولا توقف في سؤال من تلك الاسئلة

الشيخ حسين الجسر

وأما الشيخ حسين الجسر فقد حصل العلوم في طرابلس واكبر شيوخه فيها الشيخ محمود نشابه وجاور في الازهر بضع سنين ومن أشهر شيوخه فيه الشيخ المرصفي الشهير وقد امتاز بين علماء الدين بالنظر في العلوم والفنون التي اسموها العصرية ،

وبقراءة الجرائد السياسية والمجلات العلمية ، فكان لذلك يرغب في جعل طلاب العلوم الدينية جامعين بينها وبين الالمام بتلك العلوم والفنون فسعى لحمل بعض الاغنياء على انشاء مدرسة دينية نظامية تعلم فيها بعض الرياضيات والطبيعيات على الطريقة الاوربية والاتنان التركية والفرنسية فأنشئت (المدرسة الوطنية) وكان هو مديرها وقد دخل كاتب هذه السطور في القسم الداخلي منها سنة ١٢٩٩ أو ١٣٠٠ فكان ذلك أول العهد بطلبه للعلم بعد أن تعلم القراءة والخط في مكتب الصبيان بالقلمون وطالع بعض كتب الادب والتاريخ والتصوف منفردا . ولكن لم يطل عمر المدرسة فان الحكومة التركية لم تقبل جعلها من المدارس الدينية التي يعفى طلابها من الخدمة العسكرية وأصر مديرها الشيخ رحمه الله تعالى على اتقانها أن لم تعترف بها فأقفلت ، وطلب للتدريس في المدرسة السلطانية ببيروت فأقام فيها مدة قصيرة ثم عاد الى طرابلس وواظب على التدريس لطلاب العلوم الدينية في المدرسة الرجبية وفي داره وواظبنا على حضور تلك الدروس حتى تخرجنا بها وأخذنا الاجازة بالتدريس والتعليم منه سنة ١٣١٥ رحمه الله تعالى وجزاه عنا خيرا .

وكانت طريقته في التدريس أن يوجه كل همه الى حل المسائل بسهولة وعبارة سهلة يفهمها الطالب . ولم ندرك زمن تلقي المترجم عنه ولكننا سمعنا منه أنه قرأ كتاب ... الاذكياء وان الشيخ محمد كامل الرافعي كان يقول أننا عند ما نسمع العبارة من الاستاذ نفهمها ونرى أنها ظاهرة فاذا أردنا بيانها بعد الدرس تعذر ذلك علينا ورأيناها مغلقة . ولشيخنا الجسر مؤلفات مطبوعة مشهورة أشهرها (الرسالة الحميدية ، في حقيقة الديانة الاسلامية ، وحقية الشريعة المحمدية) التي بين فيها عقائد الاسلام وأركان عباداته وأهم معاملاته الاجتماعية مقرونة بحكمها وأدلتها، وذكر ما يرد عليها من الشبهات العصرية وأجوبتها ، وقد كافأه السلطان عبد الحميد بنسبة الرسالة اليه برتبة ... امية ووسام، فانتقد الناس ذلك عليه لانهم كانوا ينسبون اليه قصيدة بائية فيها طعن شديد على الحكومة ولا سيما رتبها وأوسمتها . وطلبه السلطان الى الآستانة ليكون من شيوخ (يلدز) فأقام بضعة أشهر ثم طلب الاذن له بالعودة الى طرابلس معتذرا بأن هواء الاستانة لا يوافق صحته — وكان مصدورا — فأذن له ،

وأخبرنا بأن العلة الصحيحة للهرب من الاستانة هي المحافظة على الدين

وكان رحمه الله على سعة اطلاعه وأخذه حظا من العلوم العصرية ووقوفه على طريقتها الاستدلالية ، شديد المحافظة على التقليد في جميع العلوم الدينية ، وكنت فتحت في درسه باب المناقشة في أدلة العقائد والمذاهب فكان ينهاني عن ذلك . وكان شديد المحافظة على شرفه وصيته . ولما طبعت الرسالة الحميدية اهداني نسخة منها، ثم سألني بعد أيام هل قرأت الرسالة ؟ قلت قرأت بعضها، قال انه يعجبني رأيك فكيف رأيتها ؟ قلت بعد الثناء عليها بالاجمال اني انتقدت منها شيئين (أحدهما) التعبير عن المسائل العلمية القطعية التي تعتقدون صحتها ككروية الارض بما يدل على الشك أو الانكار، فاعتذر عن هذا بمراعاة عقول العوام والمتعصبين الذين يطعنون في دين من يقول بهذه المسائل . فقلت اذا لم يتجرأ مثلك من الموثوق بعلمهم ودينهم على الجزم بهذه المسائل فمن يجزم بها ومتى يكون ذلك ؟ (والثاني) عدم تقسيم الرسالة الى أبواب وفصول يوضع لكل منها عنوان يدل عليه على نحو ماهو مفصل في الدرس للتنشيط على المطالعة وسهولة المراجعة . فقال ان اتصال الكلام ببعض كلام الجاري من حسن الانشاء وأساليب البلاغة . قلت فلماذا جعل القرآن سورا وهو أبلغ الكلام وأفصحه ؟

هذا واني لما أنشأت المنار انتقد علي عفا الله عنه الانحاء على خرافات أهل الطريق والشدة والاستقلال في مسائل أخرى في كتاب كتبه لي بعد اشهر من صدور المنار قال فيه : « ظهر منار منار عربية الا ان أشعته مؤلفة من خيوط قوية كادت تذهب بالابصار » ثم ذكر تلك المسائل في ورقة واحدة من ورق المخاطبات العادية ، فكتبت اليه جوابا مفصلا يدخل في بضع ورقات بينت فيه ماعندي من الحجة على صحة ما كتبت وكونه نافعا وضروريا . وقلت فيه ما معناه انني أعرض هذا على مسامع أستاذي معترفا بأني لا أزال تلميذا له اكر على ما عهد مني من عدم قبول شيء الا بعد الاقتناع به، واني انتظار ما يجيب به لأقرره مذعنا له اذا ظهر لي انه الصواب والا راجعته فيه كتابة الى ان يتجلى لي الحق . فلم يرجع الي قولا في ذلك ، وهو لم يكن ينتقد يومئذ الا الاسلوب وما فيه من نشر عيوب المسلمين

توفي رحمه الله تعالى وأنا بمصر فطلبت من نجله الكبير الشيخ محمد ان يرسل الي ما عنده

من المواد لاجل كتابة ترجمة حافلة له، وطال انتظار ذلك زمنا طويلا فلم أظفر منه بشيء ولم أكتب شيئا لانني لم أحب أن أكتب ترجمة بتراء . وما رثيته لانني تركت الشعر من قبل الهجرة الى مصر والدك لم أرث شيخنا الاستاذ الامام أيضا . الا انني زدت في مقصورتي أبياتا فيه وفي السيد جمال الدين رحمهم الله الجميع وجزاهم عنا خيرا . وسنذكر في النبذة التالية من الترجمة تأثير كل من هؤلاء الشيوخ في المترجم رحمه الله تعالى .

﴿ باحثة البادية — تتمة ترجمتها ﴾

حقيقتها النفسية ومذهبها الاصلاحي

ان ما بيناه من خبر نشأتها وتربيتها وما أشرنا اليه من آثارها القلبية فيها كالعلة والمعلول والمقدمات والنتيجة في اظهار صورتها النفسية العقلية، وسيرتها العملية ، فثبت عندنا ان باحثة البادية ذات رأي ثابت ومذهب كونه العلم والبحث في تربية النساء المسلمات وتعليمهن وما يجب أن يقمن به من الاصلاح الاجتماعي في العالم الاسلامي في هذا العصر . وانها كانت داعية اصلاح منبعثة بفطرة نفسية الى نشر مذهبها والحمل على اتباعه ومناضلة المخالفين له

قبل أن نبين حقيقة هذا المذهب نقول ان هذه منقبة للمترجمة لم تسبقها اليها امرأة في مصرها في عصرها ، ولعلي لا أبالغ اذا قلت في أمتها العربية كلها، بل هذا مما يقل في الرجال بله النساء ، وقد غفل عن معرفة هذا لها من رثوها وأبنوها في الصحف وفي حفلة التأبين التي نذكرها بعد لان مثل هذه الدقائق لا يلتفت اليها الشعراء والخطباء ولا أكثر كتاب الصحف

كتب كثير من الرجال والنساء في المسائل التي كتبت فيها باحثة البادية في هذا العصر ، ولا نجزم بان أحدا منهم صاحب مذهب ثابت له حافز من نفسه للدعوة اليه والدفاع عنه الا قاسم بك أمين وباحثة البادية . لا أنكر أن من أولئك الكاتبين من هم أوسع اطلاعا وأفصح عبارة من باحثة البادية، وأن منهم من له رأي ثابت فيما كتب خطأ كان أو صوابا، ولكنه مقلد فيه لغيره حتى في الاستدلال . ومزيتها

على أمثال هؤلاء أنها قد ارتقت الى طبقة أهل الاصلاح وأصحاب المذاهب الاجتماعية

لما شبت حرب المناظرة والجدال في المسألة التي سموها تحرير المرأة وجعل أساس عقيدتها ما سموه السفور أو رفع الحجاب كنا نرى مقالات كثيرة لمقلدة المحافظين على الحجاب وأخرى لمقلدة التفرنج طلاب السفور ، هؤلاء متهوكون في فتنة التشبه بالافرنج ظانين أنهم في التشبه بهم في أهون الامور وأقذها يكونون مثلهم حتى في غير ما تشبهوا بهم فيه ، وأولئك مستمسكون بكل ماتعودوه ودرجوا عليه ولا سيما اذا كان له شيء من صبغة الدين ، خائفون أن يكون في التحول عنه انحلال أمتهم بذهاب مقوماتها أو مشخصاتها ، وان لم يكونوا على علم بأن للامم مقومات ومشخصات تقوى بالاعتصام بها ، وتنحل بانحلالها ، وأن ما يحافظون عليه ويناضلون دونه منها ، لان ذلك الخوف وجداني مبهم ، لا علمي مبين ، فترى جمهورهم يظن أن ما جرى عليه أكثر نساء المدن وبعض نساء القرى من وضع البراقع على أفواههن هو الحجاب الشرعي

لم تكن باحثة البادية من هؤلاء ولا من أولئك بل كان لها مذهب وسط مبني على أصلين أحدهما وجوب التزام النساء جميع ماقرره الاسلام من عقيدة وأمر ونهي ، وثانيهما اقتباس جميع ما تحتاج اليه المرأة المسلمة من الفنون والنظام والاعمال للقيام بما يناط بها عند ماتكون زوجاً لرجل وأماً لولد ورئيسة لمنزل أو منقطعة لاتقان علم أو عمل ، على ماتقتضيه حالة العصر من مجاراة الامم العزيزة القوية في مضمار الارتقاء

ان تسمية هذا المذهب وسطاً بين نزغات المتفرنجين ورغبات المحافظين على القديم على علاته يشعر بتفضيله ، وناهيك بقاعدة « خير الامور أوساطها » المسلمة عند الجمهور وقد رويت حديثاً مرفوعا أخرجه السمعاني في ذيل تاريخ بغداد عن علي كرم الله وجهه بسند مجهول ولكن معناه يؤيد بقوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) مع قوله في آية أخرى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وبما تقرر في علم الاخلاق من كون الفضائل أوساطاً بين أطراف هي الرذائل كالجود بين طرفي البخل والاسراف .

ويمكن بيان ذلك في هذا المذهب بطريقة علمية مستمدة من سنة الله تعالى في أجساد الناس وأنفسهم وعقولهم . ذلك بأن الله تعالى في تسلسل أفراد الناس

(وغيرهم من الاحياء) بعضهم من بعض سنتين متقابلتين : سنة التباين وسنة التوافق والتوارث ، فبمقتضى سنة التوافق يشبه الابن أباه والفرع أصله في بعض صفاته الجسدية والنفسية وبمقتضى سنة التباين يخالفه في بعض تلك الصفات . فلا يوجد أحد يماثل أباه أو غيره من أصوله في كل شيء أو يخالفه ويباينه في كل شيء ، ولولا هاتان السنتان لكان كل فرد من الافراد التي يتولد بعضها من بعض مباينا لغيره كأنه نوع من جنس لم يوجد منه غيره أو لكان جميع البشر كأبيهم الاول في كل شيء بحيث يتعذر التفرقة بين اثنين منهم في سن واحدة ، فسبحان الخلاق العليم الحكيم

ثم ان لله تعالى سنتين كهاتين السنتين في سيرة الناس العملية ، وحياتهم الاجتماعية ، وهما سنة المحافظة والتقليد ، وسنة الاستقلال والتجديد ، وحكمة الله تعالى في جعل مدار ارتقاء البشر في العلوم والاعمال على اجتماع هاتين السنتين كحكمته في جعل مدار وجود الاجناس والانواع على تينك السنتين ، ولو قلد كل أحد من قبله في كل ما وجدهم عليه لكانت حياتهم العملية متماثلة كحياة النحل والنمل من الحشرات التي تعيش بالاجتماع والتعاون ، ولو خالف كل أحد من قبله في كل شيء واستقل بجعله جديدا لخرج الانسان بذلك عن كونه عالما اجتماعيا يرتقي بالتعاون وبناء الجديد على القديم مع التحسين فيه ، ولما تكونت الامم والشعوب ولا ارتقى علم ولا عمل ولا صناعة ، فالامم تتكون بما يشترك أفرادها فيه من العلوم والاعمال التي تطبع في أنفسها ملكات وأخلاقا وأذواقا خاصة تكون من أقوى مقوماتها التي تفصلها من غيرها . ولا يتكون للامة خلق جديد في أقل من جيل وقلما يكمل لها خلق أو ذوق خاص في الفنون والصناعات في أقل من ثلاثة أجيال كما يقول بعض علماء الاجتماع

بعد هذا البيان التمهيدي لبيان قيمة مذهب باحثة البادية في مسألة تربية النساء المسلمات في هذا العصر أقول ان أكثر الذين خاضوا في هذه المسألة يجهلون هذه الاصول فكان منهم من غلبت عليه سنة التقليد والمحافظة على القديم برمته وهو لا يدري أن الاقتصار عليه ضار على أنه محال ، ومنهم من غلبت عليه سنة حب التجديد لكل شيء وابطال كل قديم وهو لا يدري انه مفسدة على انه مطلب لا ينال ، وجهل الاكثرين

من الفريقين أن التطورات الجديدة الطارئة على الامة التي تدعوها الى تغيير شيء من ماضيها وتحدث التعارض والتدافع بين الفريقين المذكورين يجب أن يتروى في أمر تيارها فلا يساعد على جرفه للماضي الذي صار من مقومات الامة ولا يقاوم بمحاولة منعه من أي تغيير في شؤونها وان كان ازالة ضار واستبدال نافع به . لهذا نرى من المتفرنجين طلاب التجديد بغير علم صحيح ولا فطرة معتدلة من يستعجلون في هدم عقائد الدين وشعائره ، وفي التصرف في اللغة تصرفاً يخرجها عن أصولها وقواعدها، وفي تغيير الاخلاق والآداب الاجتماعية بسفور النساء ومخالطتهن للرجال في المجامع والملاهي والحانات والمراقص ، وما الدافع لهم الى هذا الا ما يرون فيه من اللذة والتمتع والتشبه بالافرنج فيما يشكو منه حكماؤهم وفضلاؤهم

كان قاسم بك أمين مستقلا معتدلا في فريق مقلدة التفرنج ، وخصمه محمد طلعت بك حرب مستقلا معتدلا في فريق مقلدة التدين والتعود ، ثم ظهرت باحثة البادية مستقلة معتدلة تجاذبها الفريقان كل منهما يعدها من حزبه فيما توافقه فيه ، غير مشدد عليها بالانكار فيما تخالفه فيه ، فبهذا التفصيل الوجيز تعرف قيمة هذه المرأة المسلمة العربية المصرية الفاضلة ، وانها فوق قيمة من توصف بأنها كاتبة ناثرة شاعرة ، أو خطيبة ماهرة ، فمزيتها في نساء قومها انها مصلحة مستقلة معتدلة

الاحتفال بتأبينها

تحدث بعض من حضر مأتم الباحثة من المفكرين في استحسان إقامة حفلة تأبين لها تكون مظهراً لتكريم الرجال للنساء وترغيبا لهن في العلم النافع والسيرة الزوجية الصالحة ، ثم تألفت لذلك لجنة برياسة شيخ الادباء اسماعيل صبري باشا كان أول عملها أن عرضت على السير عدلي باشا يكن وزير المعارف جعل حفلة التأبين تحت رياسته فقبل مرتاحا ، ولما كان الراغبون في التأبين والرثاء كثيرين اضطرت اللجنة الى اختيار ثلاثة من الخطباء وبضعة من الشعراء الذين يحضرون الحفلة، واختارت من رسائل التأبين والرثاء كلمة وجيزة بليغة لصديقة الفقيدة نبوية موسى ناظرة مدرسة البنات الاميرية في الاسكندرية وقصيدة لاحمد افندي الكاشف الشهير

ثم اختارت ان يكون الاحتفال في قاعة الخطابة الكبرى من دار المدرسة السعدية التي كانت دار الجامعة المصرية ، وضربت موعداً لذلك الساعة الرابعة من مساء يوم الجمعة ثاني ربيع الاول ولم يكد يجيء الموعد حتى غصت تلك القاعة الفسيحة بأهل العلم والادب والوجاهة ، وطلاب الازهر والمدارس التجهيزية والعالية ، وكان المنظم للمكان والمراقب لنظام الاحتفال علي بك حسني ناظر المدرسة السعيدية وهو عريق في ذلك وأصيل . وقد اعتذر عن حضور الحفلة عدلي باشا بانحراف ألم بصحته وحضرها وكيل نظارة المعارف الذي تولى المساعدة نيابة عن الوزير في جعلها في احد معاهد الوزارة

وكان أول الخطباء ابراهيم بك الهلباوي المحامي الشهير وموضوع تأبينه ترجمة الفقيدة فذكر كل ماينبغي ذكره في ذلك بفصاحته وطلاقته التي تشبه السيل المدرار وتدفق الانهار ، وألم بما دار من الجدل والمناقشات في تعليم المرأة وحجابها ، وعد باحثة البادية حجة على المنكرين ، وقد اضطرب الحاضرون عند ذكر مسألة الحجاب وكاد بعضهم يقاطع الخطيب ويصرحون بأن الفقيدة حجة على طلاب السفور لانها فاقت جميع المتعلمات في مصر وهي محافظة على حجابها الشرعي وناصرة للقائلين به .

وتلاه الشيخ مصطفى عبد الرازق كاتب سر مجلس الازهر والمعاهد الدينية الاعلى فتلا خطبة فصيحة العبارة موضوعها الغرض من اقامة هذه الحفلة وهو تكريم النابغين المستحقين للتكريم من الرجال والنساء لما في ذلك من حسن الاسوة والترغيب في العلم والعمل النافع للامة . وألم بذكر النهضة الحديثة في التعليم وتربية البنات وما للشيخين الاستاذ الامام محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان من الجهاد واليد البيضاء في ذلك واستغرب من تقصير أصدقاء الشيخ عبدالكريم الذين هم من كبراء الامة فيما كان ينبغي من الاحتفال بتأبينه ، وما كان ينبغي لغيرهم أن يتقدم عليهم في الدعوة الى ذلك . ونوه بما كان من نجاح باحثة البادية في العلم والدعوة الى اصلاح حال المرأة وما كان من صلاحها في نفسها واشتهارها بعلو الآداب والتقوى الذي استحقت به مثل هذا الاحتفال

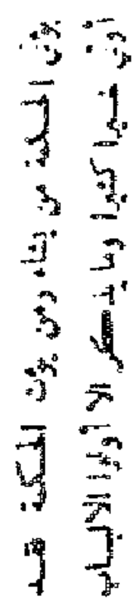
وتلاه كاتب هذه السطور وكان موضوع خطابته نبوغ باحثة البادية وانتظامها في سلك المصلحين وآيات ذلك من مقالاتها وخطبها . وقد بدأت بذكر أولياتها التي تقدمت الاشارة اليها وذكرت أن منها أن أول مكان خطبت فيه هو هذه القاعة التي كان تأبينها فيها أول احتفال في مصر بتأبين امرأة . ثم ذكرت نحواً مما تقدم في الترجمة من أخبار نشأتها وتعليمها وتربيتها واستنبطت منه أن مدارس البنات الأميرية – وغير الأميرية بالأولى – لا يرجى أن تخرج مثلها لأن نبوغها كان بمجموع تلك الأسباب التي ذكرناها لا بالمدرسية السنية التي تعلمت فيها ولا لرأينا في كل سنة عدداً من المتخرجات مثلها . ذلك بأن التعليم عندنا تقليدي آلي (نسبة الى الآلة) يقصد به ايجاد آلات الحكومة وما يشبه مصالح الحكومة من الأعمال الادارية والزراعية والتعليمية وغيرها ، ولم يكثر النابغون في معاهد التعليم الاستقلالي وهي لم توجد عندنا بعد . ولذلك كان كل من ظهر من نابغينا في هذه العصور الأخيرة كالسيد الأفغاني والأستاذ الامام ورياض باشا من أصحاب الاستعداد الفطري وما أتيح له من التوفيق والأسباب العارضة

ثم بينت أن باحثة البادية لم تصل الى درجة الطبقة العليا من كتّاب العصر لا بشعرها ولا بخطابتها ولا بمصنفاتها وإن كانت وسطاً في ذلك وإنما ميزتها التي امتازت بها الآن هي منفردة بالمذهب الاصلاحي الذي تدعو به قومها ونقلها للدعوة اليه . وأوجزت في بيان مذهبها الذي ذكرته في الترجمة تماماً وضيق الوقت عما كنت عازماً عليه من شرحه شرحاً علمياً بالطريقة التي رأيت في الترجمة

ثم أنشدت قصائد الرثاء مبتدأة بقصيدة شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكاظمي مختتمة بقصيدة شاعر النيل محمد حافظ بك ابراهيم . وبينهما قصائد الأساتذة الشيخ أحمد الاسكندري والشيخ مهدي خليل والشيخ أحمد الزين والشاعرين الشهيرين محمد افندي الهراوي ومحمد افندي الكاشف . وبعد انتهاء الساعة السادسة انفض الاحتفال وسيطبع كل ما قيل في الحفلة مع ما كتب في الصحف عقب الوفاة وعقب التأبين مع ما يرسل الى لجنة الاحتفال في أثناء الوقت بعد نشره ويجمع في كتاب خاص فمن عنده شيء منه فليرسله الى ادارة مجلة المنار بمصر .

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

٣٠ رمضان ١٣٣٧ — ٦ السرطان (ص١) ١٢٩٧ هـ ش ٢٨ يونيو ١٩١٩

امراء اعراب الشام في القرن الثامن

وما كان يكتب لهم من تقليد الامارة من سلاطين مصر

جاء في (ص ١١٨) من الجزء الثاني عشر من كتاب صبح الاعشى في بيان ما يكتب الى الطبقة الاولى من أمراء عربان الشام ما نصه :

تقليد بامرة آل فضل

وهذه نسخة تقليد بإمرة آل فضل[1] : كتب به للامير شجاع الدين « فضل بن عيسى » عوضاً عن أخيه مُهنّا ، عند ماخرج أخوه المذكور مع قراسنقر الافرم ومن معهما من المتسحبين ، وأقام [هو] بأطراف البلاد ولم يفارق الخدمة ، في شهور سنة اثني عشرة وسبعمائة ، من انشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي منح آل فضل في أيامنا الزاهرة بحسن الطاعة فضلا، وقدّم عليهم بقديم الاخلاص في الوّلاء من أنفسهم شجاعاً يجمع لهم على الخدمة ألفة وينظّم لهم على المخالصة شملا ؛ وحفظ عليهم من اعزاز مكان بيتهم لدينا مكانة لا تنقض لها الايام حكما ولا تنقص لها الحوادث ظلا

نحمده على نعمه التي شملت ببرّنا الحضر والبدو ، وألهمت بشكرنا ألسنة العجم في الشدو والعرب في الحدو ، وأعملت في الجهاد

---

[1] يراجع ما نشرناه عن آل فضل في الجزء الذي قبل هذا

بين يدينا من اليعملات ما يباري بالنص والعنق الصافنات في الخبب والعدو ؛ ونشهد أن لا اله لا الله وحده لا شريك له شهادة ندرأ بها الامور العظام، وتقلد بيمنها ما أهم من مصالح الاسلام لمن يجري بتدبيره على أحسن نظام ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث من أعلى ذوائب العرب وأشرفها ، المرجو الشفاعة العظمى يوم طول عرض الامم وهول موقفها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كرمت بالوفاء أنسابهم ، وأضاءت بتقوى الله وجوههم وأحسابهم ، صلاة لا تزال الالسن تقيم نداءها ، والاقلام ترقم رداءها ، وسلم تسليما كثيرا

وبعد فان أولى من أجنته الطاعة ثمرة اخلاصه ، ورفعته المخالصة الى أسنى رتب تقريبه واختصاصه ، وألف بمبادرته الى الخدمة الشريفة قلوب القبائل وجمع شملها ، وأبدى حسن الوفاء من أمر قومه وإمرتهم ما يستشهد فيه بقول الله تعالى (وكانوا أحق بها وأهلها) — من ارتقى الى أسنى رتب دنياه بحفظ دينه ، ودل تمسكه بإيمانه على صحة إيمانه وقوة يقينه ، ولاحظته عيون السعادة فكان في حزب الله الغالب وهو حزبنا ، وقابلته وجوه الاقبال فأرته أن المغبون من فاته تقريبنا وقربنا، ورأى احساننا اليه بعين لم يطرفها الجحود، ولم يطرفها اعراض السعود ، فسلك جادة الوفاء وهي من أبين الطرق طريقا ، واقتدى في الطاعة والولاء بمن قال فيهم بمثل قوله : (وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقًا)

ولما كان المجلس العالي ... هو الذي حاز من سعادة الدنيا والآخرة بحسن الطاعة ماحاز ، وفاز من برنا وشكرنا بجميل المبادرة الى الخدمة بما فاز ، وعلم موقع احساننا اليه فعمل على استدامة وبلها ، واستزادة

فضائلها ، والارتواء من معروفها الذي باه بالحرمان (منه) من خرج عن ظلها ، مع ما أضاف الى ذلك : من شجاعة تبيت منها أعداء الدين على وجل ، ومهابة تسري الى قلوب من بعد من أهل الكفر سرى سافر ب من الاجل — اقتضت آراؤنا الشريفة أن نمد على أطراف الممالك المحروسة منه سورا مصفحا بصفاحه ، مشرفا بأسنة رماحه

فرسم بالامر الشريف العالي لازال يمد وليه فضلا ، ويعلا ممالكه احسانا وعدلا — أن يفوض اليه كيت وكيت : لما تقدم من أسباب تقديمه ، وأومئ اليه من عنايتنا بهذا البيت الذي هو سر حديثه وقديمه ، ولعلمنا بأولويته التي قطبها الشجاعة ، وفلكها الطاعة ، ومادتها الديانة والتقى ، وجادتها الامانة التي لا تستزلها الاهواء ولا تستفزها الرقى

وليكن لاخبار العدو مطالعا ، ولتجري حركاتهم وسكناتهم على البعد سامعا ، ولديارهم كل وقت مصبحا حتى يظنوه من كل ثنية عليهم طالعا ، وليدم التأهب حتى لا تفوته من العدو غارة ولا غرة ، وبلزم أصحابه بالتيقظ لادامة الجهاد الذي جرب الاعداء (منه) مواقع سيوفهم غير مرة ، وقد خبرنا من شجاعته واقدامه ، وسياسته في نقض كل أمر وابرامه ، ما يغني عن الوصايا التي ملاكها تقوى الله تعالى وهي من سجاياه التي وصفت ، وخصائصه التي ألفت وعرفت ، فليجعلها مرآة ذكره ، وفاتحة فكره ، والله تعالى يؤيده في سره وجهره ، بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى

مرسوم بامرة آل فضل

وهذه نسخة مرسوم شريف بإمرة آل فضل ، كتب بها للامير

حسام الدين (مهنا بن عيسى) من انشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهي:

الحمد لله الذي أرهف حسام الدين في طاعتنا بيد من يمضي مضاربه بيديه، وأعاد أمر القبائل وأمرتهم الى ما لا يصلح أمر العرب الا عليه، وحفظ رتبة آل عيسى باستقرارها لمن لا يزال الوفاء والشجاعة والطاعة في سائر الاحوال منسوبات اليه، وجعل حصن العقبى بعنايتنا لمن لم يتطرق العدو الى أطراف البلاد المحروسة الا ورده الله تعالى بنصرنا وشجاعته على عقبيه.

نحمده على نعمه التي مازالت مستحقة لمن لم يزل المقدم في ضمائرنا، المعول عليه في أمور الاسلام وأمورنا، المعين فيما تنطوي عليه أثناء سرائرنا ومطاوي صدورنا؛ ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة توجب على قائلها حسن التمسك بأسبابها، وتقتضي للمخلص فيها بذل النفوس والنفائس في المحافظة على مصالح أربابها، وتكون للمحافظ عليها ذخيرة يوم تقدم النفوس بطاعتها واعمالها وأنسابها، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث من أشرف ذوائب العرب أصلا وفرعا، المفروضة طاعته على سائر الامم دينا وشرعا، المخصوص بالائمة الذين بثوا دعوته في الآفاق على سعتها ولم يضيقوا بالجهاد أعداء الله وأعدائه ذرعا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حازوا بصحبته الرتب الفاخرة، وحصلوا بطاعة الله وطاعته على سعادة الدنيا والآخرة، وعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف فلم يزحزحهم عن ظلها الركون الى الدنيا الساحرة، صلاة تقطع الفلوات ركائبها، وتسري بسالكي طرق

النجاة بجانبها ، وتنتصر باقامتها كتائب الاسلام ومواكبها ، وسلم تسليما كثيرا

أما بعد فان أولى من تلقته رتبته التي تروم إعراضها بأيمن وجه الرضا ، واستقبلته مكانته التي تخيل صدودها بأحسن مواقع القبول التي تضمنت الاعتداد من الحسنات بكل ما سلف والاغضاء من الهفوات عما مضى ، وآلت اليه إمرته التي خافت التعطل منه وهي به حالية ، وعادت منزلته الى ما ألفته لدينا : من مكانة مكينة وعرفته عندنا : من رتبة عالية ؛ من أمنت شمس سعادته في أيامنا من الغروب والزوال ، ووثقت أسباب نعمه بأن لا يروع سربها في دولتنا بالانقباض ولا ظلالها بالانتقال ، وأغنته سوابق طاعته المحفوظة لدينا عن توسط الوسائل ، واحتجت له مواقع خدمه التي لا تجحد مواقفها في نكاية الاعداء ولا تنكر شهرتها في القبائل ، وكفل له حسن رأينا فيه بما حقق مطالبه ، وأحمد عواقبه ، وحفظ له رعاية مكانته ومراتبه ، فما توهم الاعداء أن برقه خبا حتى لمع ، ولا ظنوا أن ودقه أقلع حتى همى وهمع ، ولا تخيلوا أن حسامه نبا حتى أرهفته عنايتنا فخيما حل من أوسالهم قطع ، وكيف يضاع مثله ؟ وهو من أركان الاسلام التي لا تنزل الاهواء ولا ترتقي الاطماع متونها ، ولا تستقر[1] الاعداء عند جهادها واجتهادها في مصالح الاسلام حسبها ودينها

ولما كان المجلس العالي ... هو الذي لا يحول اعتمادنا في ولائه ، ولا يزول اعتمادنا عن نفاذه في مصالحنا ومضائه ، ولا يتغير وثوقنا به

(١) لعله « ولا تستقل »

مما في خواطرنا من كمال دينه وصحة يقينه، وأنه ما رفعت بين يدينا راية جهاد إلا تلقاها عرابة عزمه بيمينه، فهو الولي الذي حقت عليه آثار نعمنا، والصفي الذي نشأ في خدمة أسلافنا ونشأ بنوه في خدمتنا، والتقي الذي يأبى دينه إلا حفظ جانب الله في الجهاد بين يدي عزائمنا وأمام هممنا، اقتضت آراؤنا الشريفة أن نصرح له من الإحسان بما هو في مكنون سرائرنا، ومضمون ضمائرنا، ونعلن بأن رتبته عندنا بمكان لا تتطاول إليه يد الحوادث، ونبين أن أعظم أسباب التقدم ما كان عليه من عنايتنا وامتناننا أكرم بواعث.

فلذلك رسم أن يعاد إلى الإمرة على أمراء آل فضل ومشايخهم ومقدميهم وسائر عربانهم، ومن هو مضاف لهم ومنسوب إليهم، على عادته وقاعدته.

فليجر في ذلك على عادته التي لا مزيد على كمالها، ولا محيد عن مبدئها في مصالح الإسلام ومآلها، آخذا للجهاد أهبته من جمع الكلمة واتحادها، واتخاذ القوة وإعدادها، وتضافر الهمم التي مازال الظفر من موادها والنصر من إمدادها، وإلزام أمراء العربان بتكميل أصحابهم، وحفظ مراكزهم التي لا تسد أبوابها إلا بهم، والتيقظ لمكايد عدوهم، والتنبه لكشف أحوالهم في رواحهم وغدوهم، وحفظ الأطراف التي هم سورها من أن تسورها مكايد العدا، وتخطف من يتطرق إلى الثغور من قبل أن يرفع إلى أفقها طرفا أو يمد على البعد إلى حوزتها المصونة يدا، وليبث في الأعداء من مكايد مهابته ما يمنعهم القرار، ويحسن لهم الفرار، ويحول بينهم وبين الكرى لاشتراك اسم النوم وحد سيفه في معنى الغرار

وأما ما يتعلق بهذه الرتبة من وصايا قد ألفت من خلاله ، وعرفت من كماله ، فهو ابن بجدتها ، وفارس نجدتها ، وجهينة أخبارها ، وخطبة ثنايها ومضمارها ، فيفعل من ذلك كله ما شكر من سيرته ، وحمد من اعلانه وسريرته ، وقد جعلنا في ذلك وغيره من مصالح امرته أمره من أمرنا : فيعتمد فيه ما يرضي الله تعالى ورسوله ، ويبلغ به من جهاد الاعداء أمله وسوله ، والله الموفق بمنه وكرمه ! والاعتماد ...

مرسوم شريف بامرة آل علي

ثم جاء في (ص ١٢٤) مما يكتب الى المرتبة الاولى من الطبقة الثانية ما نصه :

وهذه نسخة مرسوم شريف بإمرة آل علي ، كتب به للامير عز الدين «جماز» بعد وفاة والده محمد بن أبي بكر ، من انشاء المقر الشهابي ابن فضل الله ، وهي :

الحمد لله الذي أنجح بنا كل وسيله ، وأحسن بنا الخلف عمن قضى في طاعتنا الشريفة سبيله ، ومضى وخلي ولده رسيله ، وأمسك به دمعة السيوف في خدودها الاسيله ، وأمضى به كل سيف لا يرد مضاه مضاربه بحيله ، وأرضى بتقليده كل عنق وجمل كل جميله

نحمده على كل نعمة جزيله ، وموهبة جميله ، ونشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة ترشد من اتخذ فيها نجوم الاسنة دليله ، وتجعل أعداء الله بعز الدين ذليله ، وأن محمدا عبده ورسوله الذي أكرم قبيله ، وشرف به كل قبيله ، وأظهر به العرب على العجم وأخمد من نارهم

كل قبيله؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة بكل خير كفيله ، وسلم تسليما كثيرا

وبعد ، فان دولتنا الشريفة لما خفق على المشرق والمغرب جناحها، وشمل البدو والحضر سماحها ، ودخل في طاعتها الشريفة كل راحل ومقيم في الاقطار ، وكل ساكن خيمة وجدار — ترعى النعم بابقائها في أهلها ، والقائها في محلها ، مع ما تقدم من رعاية توجب التقديم ، وتودع بها الصنائع في بيت قديم ، وتزين بها المواكب اذا تمارضت جحافلها ، وتمارفت شعوبها وقبائلها ، واستولت جيادها على الأمد وقد سبقت أصائلها ، وتداعت فرسانها وقد اشتبهت مناسبها ومناصبها ومناصلها ، وكانت قبائل العربان ممن تعمهم دعوتنا الشريفه، وتضمهم طاعتنا التي هي لهم أكبر وظيفة ، ولهم النجدة في كل بادية وحضر ، وإقامة وسفر، وشام وحجاز ، وإنجاد وإنجاز ، ولم يزل (لآل علي) فيهم أعلى مكانه ، وما منهم الا من توسد سيفه وافترش حصانه ، وهم من دمشق المحروسة رديف أسوارها ، وفريد سوارها ، والنازلون من أرضها في أقرب مكان ، والنازحون ولهم الى لدارها قطار[1] وأوطار ، قد أحسنوا حول البلاد الشامية مقامهم ، واستغنوا عن القارعة على الضيفان لما نصبوا بقارعة الطريق خيامهم[2] وباهو كل قبيلة بقوم كاثر النجوم عديدهم ، وأوقدوا

(١) المنار : لفظ أقطار هنا لا معنى له فهو محرف عن أوطار أخذا من قول الشريف الرضي : لايذكر الرمل الا حن مغترب له بذي الرمل أوطار وأوطان

(٢) ماخوذ من قول الشاعر :

نصبوا بقارعة الطريق خيامهم يتقارعون على قرى الضيفان

وبعده ويكاد موقدهم يجود بنفسه حب القرى حطبا على النيران

هم في اليفاع نار" اذا هي القطر شبتها عبيدهم [1] ، هم من آل فضل حيث كان عليها ، وحديثه في المسامع حديث ، فلما انتهت الإمرة الى الامير المرحوم شمس الدين محمد بن أبي بكر رحمه الله — جمعهم على دولتنا القاهرة ، وأقام فيهم يبتغي بطاعتنا الشريفة رضا الله والدار الآخرة ، ثم أمده الله من ولده بمن ألقى اليه همه ، وأمضى به عزمه ، ونفذ به حكمه ، ونقل قسمه

وكان الذي يحمل دونه مشقات أمورهم ، ويتلقى شكاوى آمرهم ومأمورهم ، ويردُ الى أبوابنا العالية مستمطرا لهم سحائب نعمنا التي أخصب بها مرادهم ، وساروا في الآفاق ومن جدواها راحلتهم وزادهم ، وتفرد بما جمعه من أبوته وإبائه ، وركز في كل أرض مناخ مَهيّه ومرمى شبابه ، وسامى في الهجرة الى أبوابنا الشريفة النجوم في الس... ، وحافظ على مراضينا الشريفة فما انفك من نار الحرب إلا الى نار القرى ، وورد عليه مرسومنا الشريف فكان أسرع من السهم في مضائه. كم له من مناقب لا يغطي عليها ذهب الاصيل غروبها ! وكم تنقل من كور الى سرج ومن سرج الى كور فتمنى الهلال أن يكون لها شبيها ! كم أجمل في قومه سيره ! وكم جمل سريره ! كم أثمر لها أملا ! كم أحسن عملا ! كم سد خللا ! كم جمع في مهماتنا الشريفة كل من امتطى فرسا وركب جملا ! كم صفوف به تقدمت ... [illegible] ... الاعداء ترنحت !

---

(١) مأخوذ من قول المعري في رائيته :

الموقدون بنجد نار بادية   لا يحضرون وفقد العز في الحضر

اذا هي القطر شبتها عبيدهم   تحت الغمائم للسارين بالقطر

وكان المجلس السامي الاميري الأجلي الكبيري المجاهدي المؤيدي المضدي النصيري الاوحدي المقدمي الذخري الظهيري الاصيلي : مجد الاسلام والمسلمين ، شرف الامراء في العالمين ، همام الدولة حسام الملة ، ركن القبائل ذخر العشائر ، نصرة الامراء والمجاهدين ، عضد الملوك والسلاطين ، جماز بن محمد ، أدام الله نعمته — : هو المراد بما تقدم ، والاحق بأن يتقدم ، والذي لو أن الصباح صوارم والظلام جحافل لتقدمها فلما مات والده رحمه الله نحا الى أبوابنا العالية ونور ولائه يسعى بين يديه ، ووقف بها وصدقاتنا الشريفة ترفرف عليه ، فرأينا أنه بقية قومه الذين سلفوا ، وخلف آبائه الذين عن زجر الخيل ما عزفوا ، وكبيرهم الذي يعترف له والدهم ووليدهم ، وأميرهم الذي به ترعى به عهودهم ، وشجرتهم التي تلتف عليه من أنسابهم فروعها ، وفريدهم الذي تجتمع عليه من جحافلهم جموعها

فرسم بالامر الشريف أن تفوض اليه إمرة آل علي تامة عامة ، كاملة شاملة . يتصرف في أمورهم ، وآمرهم ومأمورهم ، قربا وبعدا ، وغورا ونجدا ، وظعنا واقامه ، وعراقا وتهامه ، وفي كل حقير وجليل ، وفي كل صاحب رغاء وثغاء وصرير وصليل ، على أكمل عوائد أمراء كل قبيله ، وفي كل أمورهم الكثيرة والقليلة

ونحن نأمرك بتقوى الله فيها صلاح كل فريق ، وإصلاح كل رفيق ، ونجاح كل سالك في طريق والحكم : فليكن بما يوافق الشرع الشريف ، والمتوفق : فخذه بأعلى وجه الحق من القوي والضعيف . والرفق بمن وليته من هذا الجم الغفير والجمع الكبير . والزام قومك بما يلزمهم من طاعتنا

الشريفة التي هي من الفروض اللازمة عليهم ، والقيام في مهماتنا الشريفة التي تبرز بها مراسمنا المطاعة اليك واليهم ، وحفظ أطراف البلاد والذب عن الرعايا من كل طارق يطرقهم الا بخير ، والمسارعة الى ما يرسم لهم به ما دامت الاسفار في عصاها سير ، والافراج لمرك لا تسمح به الا لمن له حقيقة وجود ، وله في الخدمة أثر موجود ، ومنهم : فلا يكون الا اذا توجه منهم ، أو توانت عزائمهم وقل نفعهم . والمهابة : فانشرها كسمعتك في الآفاق ، ودع بوارق سيوفها تشام بالشام ودماها تراق بالعراق وخيول التقادم : فارتد منها كل سابق وسابقة تف منهما الرياح ، ويحسدها الطير اذا طارا بغير جناح ، ولا تتخذ دوننا لك بطانة ولا وليجة ، ولا تقطع عنا أخبارك البهيجة . وليعرف قومه له حقه ، ويوفره من التعظيم مستحقه ، فانه أميرهم وامره من امرنا المطاع ، فمن نازع فقد خالف النص والاجماع ، والله تعالى يوفقه ما استطاع ، بمنه وكرمه ! والخط الشريف...

خلاصة معاهدة الصلح (١)

٢

الفصل الرابع في المواد السياسية في خارج أوربا

حقوق ألمانية في خارج أوربة — تتنازل ألمانية في خارج أوربة للدول الحلفاء والدول المشتركة [illegible] من [illegible] والامتيازات في البلاد التي لها أو لحلفائها وتتعهد أن تقبل التدابير التي تتخذها دول الحلفاء الخمس بشأن ذلك

المستعمرات والأملاك وراء البحار — تتنازل ألمانية لدول الحلفاء والدول المشتركة معها عن أملاكها الواقعة وراء البحار مع كل ما لها من الحقوق والامتيازات

(١) تابع لما نشر في الجزء الثالث

فيها وتنتقل جميع الاموال المنقولة وغير المنقولة التي للامبراطورية الالمانية أو لأية دولة من دولها الى الحكومة التي تكون صاحبة السلطة هناك ولهذه الحكومات أن تتخذ ما تستصوب من التدابير لارجاع الرعايا الالمان من هناك الى أوطانهم والشروط التي تشترط على الرعايا الالمان من سلالة أوربية اذا أرادوا البقاء وامتلاك الاملاك والاتجار وتتعهد المانية بأن تعوض من الخسارة التي أصابت الرعايا الفرنسويين في الكمرون أو على حدودها بفعل ولاة الامور الالمان الملكيين والعسكريين والافراد الالمان من أول يناير ١٩٠٠ الى ١ أغسطس ١٩١٤ وتتنازل المانيا عن جميع الحقوق التي اكتسبتها باتفاق ٤ نوفمبر ١٩١١ و٢٨ سبتمبر ١٩١٢ وتتعهد بأن تدفع الى فرنسا جميع الودائع والحسابات والسلف التي حصلت عليها بموجب هذين الاتفاقين وذلك بحسب التقدير الذي تقدره لجنة التعويض وتتعهد المانيا أن تقبل وتنفذ النصوص التي تضعها دول الحلفاء والدول المشتركة معها للاتجار بالسلاح والمسكرات في أفريقية وتعديل عقد العام ١٨٨٥ وعقد بروكسل العام ١٨٩٠ أما الحماية السياسية لاهالي المستعمرات الالمانية السابقة فتناط بالحكومات التي تدير أمور تلك المستعمرات

الصين — تتنازل المانيا للصين عن جميع الامتيازات والغرامات التي نالتها باتفاق البوكسر المبرم سنة ١٩٠١ وعن جميع المباني والارصفة والثكنات والحصون وذخيرة الحرب والبواخر وآلات التلغراف اللاسلكي وسائر الاملاك العمومية — ماعدا المباني التي للوكالة السياسية والقنصليات — في منطقة امتياز الالمان في تيان تسن وهنكو وفي سائر الاملاك الصينية ما عدا كياوتشو وتقبل أن ترد على حسابها الى الصين جميع الآلات الفلكية التي أخذتها سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩٠١ على ان الصين لا تتخذ اجراءات للتصرف بالاملاك الالمانية في حي السفارات في بكين من غير رضى الدول المتوحدة لاتفاق البوكسر . وتقبل المانيا الغاء امتيازاتها في هنكو وتيان تسن وتقبل الصين أن تفتحها لاستعمال الامم . وتتنازل المانية عن كل دعوى على الصين أو أية دولة أخرى من دول الحلفاء والدول المشتركة معها في ما يختص باعتقال رعاياه في الصين أو اخراجهم منها أو ضبط المصالح الالمانية أو تصفيتها هناك من ١٤ أغسطس سنة ١٩١٧ وتتنازل لبريطانية العظمى عن أملاكها

في منطقة الامتياز البريطاني في كنتون ولفرنسا والصين معا عن ملكية المدرسة الالمانية في منطقة الامتياز الفرنسوي في شنغاي

سيام — تعترف ألمانية بأن جميع الاتفاقات المبرمة بينها و بين سيام وفي جملتها حقوق الامتيازات الاجنبية زالت من ٢٢ يوليو ١٩١٧ وان جميع الاملاك العمومية الالمانية في سيام تنتقل ملكيتها الى سيام بلا عوض ما عدا دور الوكالة السياسية والقنصليات. أما الاملاك الالمانية الخصوصية فتعامل طبقا لنصوص المواد الاقتصادية (في المعاهدة). وتتنازل ألمانية عن كل دعوى لها على سيام تختص بضبط بواخرها ومصادرتها وتصفية أملاكها وأموالها واعتقال رعاياها

ليبريا — تتنازل ألمانية عن جميع الحقوق التي اكتسبتها بالاتفاقات الدولية التي أبرمت في ١٩١١ — ١٩١٢ بشأن ليبريا ولا سيما الحق في تعيين صنديك الجمارك ولا تدخل في كل مفاوضة مقبلة لارجاع ليبريا الى سابق منزلتها وتعد في حكم المنقوض جميع المعاهدات التجارية والاتفاقات المبرمة بينها و بين ليبريا وتعترف بحق ليبريا في تعيين شروط اقامة الالمان في بلادها ومنزلتهم فيها

المغرب الاقصى — تتنازل ألمانية عن جميع الحقوق والامتيازات التي نالتها بعقد الجزيرة والاتفاقات الفرنسوية الالمانية في سنة ١٩٠٩ وسنة ١٩١١ وبجميع المعاهدات والاتفاقات التي برمتها مع السلطنة الشريفية (المغربية) وتتعهد بأن لا تتعرض لاية مفاوضة تدور على المغرب الاقصى بين فرنسة وسواها من الدول وتقبل جميع النتائج الناجمة عن الحماية الفرنسوية هناك وتتنازل عن امتيازاتها الاجنبية ويكون للحكومة الشريفية الحرية التامة في التصرف نحو رعايا الالمان ويكون جميع الاشخاص المشمولين بالحماية الالمانية خاضعين لقانون البلاد ويجوز ان تباع جميع الاموال الالمانية المنقولة وغير المنقولة وفي جملتها حقوق التعدين بالمزاد العلني ويعطى الثمن للحكومة الشريفية ويخصم من المطلوب لها من التعويض وعلى ألمانية أيضا ان تتخلى عن مصالحها في بنك الدولة في المغرب الاقصى وتعامل جميع البضائع المغربية التي تدخل ألمانية بالامتيازات التي للبضائع الفرنسوية

مصر — تعترف ألمانية بالحماية البريطانية التي بسطت على مصر في ٢٨ دسمبر

١٩١٤ وتتنازل اختيارا من ٤ أغسطس ١٩١٤ عن الامتيازات الاجنبية فيها وعن جميع المعاهدات والاتفاقات المبرمة بينها و بين مصر وتتعهد أن لاتتعرض لاية مفاوضة تدور على مصر بين بريطانيا العظمى والدول الاخرى ، وفي هذا القسم نصوص تختص بالقوانين التي تسري على الرعايا الالمان والاموال الالمانية وعلى قبول ألمانية لكل تغيير يعمل في مجلس صندوق الدين وتقبل ألمانية ان تنتقل الى بريطانيا العظمى السلطة التي كانت ممنوحة لسلطان تركيا السابق لضمان حرية الملاحة في قنال السويس . والاجراءات التي تتبع في أموال الرعايا الالمان في مصر جعلت مشابهة للاجراءات المتبعة في المغرب الاقصى وسواه من البلدان وتعامل البضائع المصرية الانكليزية التي تدخل ألمانية بمثل المعاملة التي تعامل بها البضائع البريطانية

تركية وبلغارية — تقبل ألمانية جميع التدابير التي تتخذها دول الحلفاء والدول المشتركة معها مع تركية وبلغارية في ما يختص بالحقوق والامتيازات والمصالح التي تطالب ألمانية أو رعاياها بها في تينك البلادين ولم ينص عليها في مكان آخر

شانتنغ — تتنازل ألمانية عن جميع الحقوق والامتيازات التي لها ولا سيما في كياوتشا وعن سكك الحديد والمناجم والاسلاك التلغرافية البحرية التي أحرزتها بالمعاهدة التي أبرمتها مع الصين في ٦ مارس ١٨٩٨ وباتفاقات أخرى

أما في شانتنغ فجميع حقوق ألمانية على سكة الحديد من تسنغ تاو الى تسن انفو وفي جملتها حقوق التعدين وحقوق الاستغلال تنتقل الى اليابان أيضا وكذلك أسلاك التلغراف البحري الممتدة من تسنغ تاو الى شنغاي وشيفو فهذه أيضا تنتقل الى ملكية اليابان بلا مقابل وتستولي اليابان على جميع أملاك الدولة الالمانية المنقولة وغير المنقولة في كياوتشا بلا مقابل

الفصل الخامس

في الشروط العسكرية البرية والبحرية والجوية

انه توطئة للشروع في انقاص سلاح الامم انقاصاً عاما تتعهد ألمانية مباشرة بأن تسير على المواد العسكرية البرية والبحرية والجوية التالية وهي : —

الشروط البرية — تنص الشروط العسكرية البرية على تسريح الجيوش الالمانية

وتنفيذ القيود العسكرية الاخرى بعد امضاء المعاهدة بشهرين (ويكون ذلك الخطوة الاولى نحو نزع السلاح الدولي) وانى الخدمة العسكرية الاجبارية في بلاد ألمانية وتدخل قوانين لا جنيد على قاعدة التطوع في قوانين ألمانية العسكرية تقضي بتجنيد بعض الضباط والجنود لمدة لا تقل عن ١٢ سنة متوالية وتشترط ان يخدم الضباط ٢٥ سنة ولا يحالوا الى المعاش قبل ان يبلغوا الخامسة والاربعين ولا يسمح بانشاء احتياطي من الضباط الذين خدموا في الحرب . ويكون مجموع رجال الجيش الالماني مئة الف لايزيد عدد الضباط فيهم على أربعة آلاف ولا يجوز تأليف قوة عسكرية غير هذه القوة ويمنع منعا خاصا زيادة موظفي الجمارك والغابات أوالبوليس وتعليمهم تعليما عسكريا وتكون وظيفة الجيش الالماني صون النظام الداخلي ومراقبة الحدود وعلى قيادته العليا ان تحصر عملها في المهام الادارية ولا يسمح بأن يكون لها هيئة أركان حرب عامة وينقص عدد المستخدمين الملكيين في وزارة الحربية والمصالح المشابهة لها الى عشر ماكان في سنة ١٩١٣ ولا يجوز ان يكون لالمانية أكثر من سبع فرق من المشاة وثلاث فرق من الفرسان وفيلقين من أركان الحرب و يقفل مايزيد عن حاجة هذا الجيش من المدارس العسكرية ومدارس الضباط وتلاميذ المدارس الحربية الخ ويقتصر في قبول التلاميذ الذين يعينون ضباطاً على سد المناصب التي تفرغ في الجيش

أما صنع السلاح والذخيرة ومهمات الحرب في ألمانية فيقتصر فيه على بيان يبنى على قاعدة المقدار اللازم لجيش كالجيش المتقدم ولا يجوز انشاء احتياطي من السلاح والذخيرة فجميع الاسلحة والمدافع والمهمات الموجودة فوق الحد المعين يجب أن تسلم الى الحلفاء لتصرف فيها ولا يجوز لالمانية أن تصنع غازات سامة ولا سوائل نارية ولا يسوغ لها استيرادها ولا يجوز لهـا أن تصنع دبابات ولا أتوموبيلات مدرعة . وعلى الالمان أن يبلغوا الحلفاء أسماء جميع المصانع التي تصنع الذخيرة والسلاح ومواقعها وبيان مصنوعاتها لاجل الحصول على موافقة الحلفاء عليها . ويجب القاء الترسانات التي لحكومة المانية وصرف مستخدميها . وأما الذخيرة التي تصنع لاستعمالها في الاستحكامات فتقتصر على ١٥٠٠ طلقة لكل مدفع من المدافع التي من عيار

١٠٫٥ سنتمتر فما دون و ٥٠٠ طلقة لكل مدفع من المدافع التي هي أكبر من ذلك.
ويحظر على المانية أن تصنع السلاح والذخيرة لبلدان أجنبية واستيرادها من الخارج
ولا يجوز لالمانية أن تحافظ على الاستحكامات أو تنشيء استحكامات في أرض
ألمانية واقعة على أقل من خمسين كيلو مترا شرقي الرين ولا يجوز لها أن تبقى في
الشقة المذكورة قوات مسلحة لا دائمة ولا وقتية، ويحفظ على الحالة الحاضرة في ما
يختص بالحصون القائمة على الحد الجنوبي والشرق الاصلي للامبراطورية الالمانية
ولا يجوز اقامة المناورات العسكرية (في الشقة المذكورة) ولا انشاء مبان دائمة
للمساعدة على تعبئة الجيش ويجب نزع السلاح من الاستحكامات في خلال ثلاثة
أشهر (بعد المعاهدة)

الشروط البحرية — تنص الشروط البحرية على انه في خلال شهرين لا يجوز
أن تتجاوز قوات المانية البحرية ست بوارج من طرز ديتشلندا ولوترنجن وستة
طرادات خفيفة و١٢ مدمرة و١٢ نسافة أو ما يساوي هذا العدد من السفن
التي تحل محلها. ولا يجوز أن يكون في هذه القوة البحرية غواصات. أما سائر
البوارج فتوضع في الاحتياطي أو تختص بالاعمال التجارية ويجوز لالمانية أن
تبقي على قدم الاستعداد عددا معينا من السفن التي تلتقط الالغام الى أن يتم التقاط
الالغام في بعض المناطق المعينة في البحر الشمالي وبحر البلطيق. وبعد انقضاء شهرين
(على امضاء المعاهدة) لا يجوز أن يتجاوز مجموع رجال الاسطول الالماني ١٥ الفا
منهم ١٥٠٠ من الضباط وصف الضباط على أعظم تقدير. وتسلم (الى الحلفاء)
نهائيا جميع البوارج الالمانية التي تسير على سطح الماء والمعتقلة في موانئ الحلفاء أو
المحايدين. وفي خلال شهرين تسلم في موانئ الحلفاء بوارج المانية أخرى مبينة في
المعاهدة وهي راسية الآن في الموانئ الالمانية ويجب على الحكومة الالمانية أن تتعهد
بتحطيم جميع البوارج الالمانية التي تسير على سطح الماء والتي لم يتم صنعها حتى
الآن وأما الطرادات المحولة ونحوها فينزع سلاحها وتعد بواخر تجارية. وبعد شهر
تسلم في موانئ الحلفاء جميع الغواصات الالمانية والبواخر المستعملة لاخراج الفارق
والحياض الخاصة بالغواصات والتي يمكن أن تسير في البحر بعددها أو التي يمكن

قطرها . وأما الباقي وما لا يزال يصنع في دور الصنعة فيجب على ألمانية أن تحطمه في خلال ثلاثة أشهر ولا يجوز لالمانيا أن تستعمل حطام هذه السفن الا للاغراض الصناعية ولا يجوز بيعها لبلدان أجنبية الا بشروط معينة لتعويضها. ويحظر على ألمانية أن تبني أو تحرز بوارج ويحظر عليها أن تبني أو تحرز غواصات والبوارج التي تبقى لها تعطى قدرا معينا من السلاح والذخيرة والمهمات الحربية وأما ما يفضل من السلاح والذخيرة والمهمات الحربية فيسلم ولا يجوز لالمانية خزن شيء منه أو انشاء احتياطي

ويجب ان يؤخذ رجال الاسطول الالماني بالتطوع التام ولا تقل مدة الخدمة للضباط وصف الضباط عن ٢٥ سنة متوالية وأما صغار صف الضباط أو البحارة فمدة الخدمة لهم لا تقل عن ١٢ سنة متوالية بقيود مختلفة

ولاجل ضمان سلامة الدخول في بحر البلطيك لا يجوز لالمانية ان تنشئ حصونا في بقاع معينة ولا أن تنصب مدافع تشرف على الطرق البحرية بين البحر الشمالي والبلطيك ويجب عليها ان تهدم (المعاقل) لاستحكامات القائمة في تلك البقاع وتنزع ما فيها من المدافع وأما الحصون الواقعة على بعد ٥٠ كيلو مترا من شاطئ ألمانية أو القائمة على جزر ألمانية فهذه تبقى لانها دفاعية ولكن لا يجوز انشاء حصون جديدة ولا زيادة السلاح في الموجود منها . والحد الاعلى لما يخزن من الذخيرة في هذه المعاقل هو ١٥٠٠ طلقة للمدفع الواحد من عيار ٤،١ بوصة فما دون و ٥٠٠ طلقة لكل مدفع من المدافع التي هي أكبر من هذا

ولا يجوز استعمال محطات التلغراف اللاسلكي الالمانية في ناون وهنوفر وبرلين لارسال تلغرافات بحرية وعسكرية أو سياسية من غير رضاء الحلفاء والدول المشتركة معهم في مدة ثلاثة أشهر وانما يجوز استعمالها لاغراض تجارية تحت المراقبة . وفي هذه المدة لا يجوز لالمانية ان تنشئ محطات كبيرة أخرى للتلغراف اللاسلكي ويجوز لها ان ترمم الاسلاك التلغرافية البحرية التي قطعت والتي لا يستعملها الحلفاء وكذلك أجزاء الاسلاك البحرية التي نقلت بعد قطعها والتي لا ينتفع بها الآن . وفي هذه الاحوال تظل الاسلاك المذكورة أو القطع التي نقلت أو التي استعملت ملكا للحلفاء

والدول المشتركة معهم وبناء على ذلك فان ٤١ ملكا أو أجزاء أسلاك عينت في هذه المادة لاترد الى ألمانية

الشروط الجوية — تنص الشروط الجوية على ان لا يكون في قوات ألمانية المسلحة أسلحة طيران عسكري أو بحري ولكن يسمح لها أن تبقي عندها مالا يزيد على ١٠٠ طيارة بحرية غير مسلحة لغاية أول أكتوبر ١٩١٩ تستعمل للبحث عن الالغام تحت سطح الماء فقط. ويسرح جميع رجال سلاح الطائرين في ألمانية في خلال شهرين ماعدا ١٠٠٠ رجل يتمم الضباط يجوز ابقاؤهم الى اكتوبر وتتمتع طيارات الحلفاء والدول المشتركة معهم بحرية المرور فوق أملاك ألمانية والنزول فيها والنزول في منطقة المياه المحلية التي لها الى أول يناير ١٩٢٣ الا اذا كانت ألمانية قد سبق قبلت قبل هذا التاريخ في جمعية الامم أو سمح لها بالعمل باتفاق الجو الدولي ويحظر صنع الطيارات أو أجزائها في جميع أنحاء ألمانية لمدة ستة أشهر وتسلم جميع الطيارات العسكرية والبحرية والبالونات المسيرة ومهمات الطيران الى الحلفاء والحكومات المشتركة معهم في خلال ثلاثة أشهر الا الطيارات البحرية المئة التي تقدم ذكرها

شروط عمومية — وتنص الشروط العمومية على تعديل القوانين الالمانية لتصير مطابقة للمواد المتقدمة وعلى ألمانيـة ان تنفذ جميع المواد الواردة في المعاهدة تحت مراقبة لجنة دولية من الحلفاء يعينها الحلفاء والحكومات المشتركة معهم وعلى الحكومة الالمانية ان تمد هذه اللجنة بجميع التسهيلات ونفقات مصروفاتها . وأما مهمة اللجان العسكرية والبحرية والجوية التي للمراقبة فقد نص عليها بالتفصيل

(لها بقية)

﴿ فائدة، في هدي القرآن في المعاهدة ﴾

من عجائب حكم القرآن وعلومه أن كل زمان يظهر منها مالم يكن ظاهرا فيما قبله كظهوره فيه كما فصلناه في تفسير قوله تعالى (٦: ٦٥ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) ومن هذا القبيل قوله تعالى بعد الامر بالايفاء بعهد الله من سورة النحل

١٦: ٩٢ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دَخَلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة — الى قوله — ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها) الآية. الايمان بالفتح العهود والمواثيق والدخل بالتحريك ما داخل الشيء من أسباب الفساد كالخديعة والحيلة والعبارات التي يراد تأويلها وتحريفها عن ظواهرها في العهود وسنبين ذلك بالتفصيل ان شاء الله تعالى

المسألة السورية والاحزاب

بينما كان العرب في سورية والعراق يمنون أنفسهم بالنجاة من طغيان الطورانيين وما سامهم جلادهم جمال باشا وغيره من سوء العذاب الى نعيم الاستقلال الصحيح والحرية التامة ويتلذذون بما يقرأون في المنشورات والجرائد التي تنقلها اليهم العيون أو تنثرها عليهم الطيارات (كالقبلة والمقطم والكوكب) كان السر مارك سايكس والموسيو بيكو « صديقا العرب » يضعان أصول الاتفاق بين دولتيهما على اقتسام هذه البلاد بينهما ويضعان لها خارتة[1] تحدد منطقة كل قسم منها كما فعل غيرهما من من رجال دول الاحلاف في بلاد الترك أيضا. وقد كان أول من كشف النقاب عن أسرار هذه المعاهدات السرية أحرار الروس لما أسقطوا حكومتهم القيصرية، ونشروا أسرارها المطوية ؛

وقد اشتهر أمر معاهدة تقسيم ولايات سورية والعراق بين فرنسة وانكلترة وكثر كلام الجرائد الاوربية والعربية فيه ولما ظهرت شروط الرئيس ولسن واتفقت الدول المتحاربة على جعلها أساسا للصلح باعتبار ما فسرها من خطبه التي نشرنا أهمها من قبل كان يظن أنها تنسخ هذه المعاهدة ونظائرها من المعاهدات السرية التي وضعت لاستيلاء الاقوياء على بلاد الضعفاء نسخا تاما، ولكننا وجدنا ان عهد عصبة

---

(١) الخارتة في الاصل اسم فاعل من خرت الارض يخرتها (من باب نصر) اذا عرف طرقها ومضايقها ومنه الدليل الخريت وهو المعروف بذلك. وفي اللسان عن الكسائي: خرتنا الارض اذا عرفناها ولم تخف علينا طرقها اه فاذا أطلق لفظ الخارتة على الصحيفة التي يرسم فيها وجه الارض وما فيها من جبال وبحار وغير ذلك كان هذا الاطلاق صحيحا باعتبار ان الصحيفة المشتملة على ذلك كالعارفة به فهو وصف مجازي يكثر مثله في العربية

الامم الذي يحسب الرئيس ولسن أنه غير به نظام الدول والامم ونقل البشر من طور سافل الى طور عال من الحرية والسلام قد أجاز تقسيم بلاد الشعوب الضعيفة بين الاقوياء بشرط ان يسمى تصرف كل دولة فيما تأخذه منها وصاية وتوكيلا لا حماية ولا امتلاكا ولا استعمارا، وزاد على ذلك أن الشعوب الراقية من أولئك الضعفاء التي يعترف باستقلالها موقتا بشرط قبول هذه الوصاية (أي بشرط أن لا تكون مستقلة) يسمح لها بأن يكون لها صوت في اختيار الدولة الموكلة بها ليكون ذلك حجة عليها. واذا احتج الضعيف على هذا بأنه مناقض لما قاله ولسن وأمثاله من كبار رجال دول الحلفاء من أن أحد أغراضهم الرئيسية من الحرب تحرير الشعوب المطلوبة واستقلالها اذ هو عبارة عن وضع اسم جديد للاستعمار والاستعباد يخدع الجاهلين ويصرفهم عن المقاومة — قال له من عساه يتعطف بالجواب: ليس المراد من تحرير الشعوب غير الاوربية جعلها حرة كالاوربيين كما ظنهم البلداء الذين يفسرون الالفاظ بما يرون في معاجم اللغة المخالفة لمعاجم السياسة وانما المراد منه انقاذها من حكامها الظالمين وجعلها تحت سيادتنا العادلة التي هي أفضل للشعب الضعيف من الحرية المطلقة التي لا يقدر على القيام بأعبائها وشؤونها، واذا كان ما قارب الشيء يعطى حكمه فما القول في ما هو أفضل منه؟

فاذا قيل ان صحت هذه النظرية فاسترقاق الراقين في الحضارة من الافراد لمن دونهم خير لهم من الحرية فلماذا تحرمون استرقاقهم؟ ثم لماذا تبيحون حرية الفسق والفجور للشعوب الجاهلة وأنتم ترون ما يجني عليها فشو الزنا والسكر من الامراض والفقر وفساد البيوت (العائلات) والامة؟ ان قيل هذا سكت لسان المقال، وصاح لسان الحال:

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

كان أولوا الالمام بالسياسة من السوريين يعتقدون منذ آذن دول الحلفاء الدولة العثمانية بالحرب ان التصارع يفضي الى تقسيم بلادها بينهم على قاعدة مطامعهم القديمة فيها بأن تكون الاستانة لروسية وسورية لفرنسة والعراق لانكلترة، ولم تكن أقوال رجال السياسة منهم انهم يبغون تحرير الامم والشعوب مضعفة لاعتقادهم هذا ولكن منهم من حسن الظن بالرئيس ولسن اذ نادى بهذه الحرية وبوجوب تعميمها وتعميم

العدل وعدم التفرقة بين من يجب أن يعدل فيهم إذ حسبوا ذلك ناسخا لما جرت عليه أوربة من وجوب حصر حرية الشعوب في أقوامها دون الشعوب الاسيوية والافريقية، ومنهم من لم يحسن الظن به ولم يفضله على ساسة أوربة في شيء ، وربما كان هؤلاء السيئو الظن هم الاقلين من أهل الالمام بالسياسة وكان سائرهم على رأي عامة شعبهم وعامة سائر الشعوب من حسن الظن والرجاء الى ان ظهر عهد عصبة الامم فقال المتمرسون بالسياسة ان قواعده واسس وخطبه لم تأت بشيء جديد الا زيادة كلمات في معجم السياسة الخادع ، وظل أكثر العامة يفهمون ان المراد من مساعدة الدول الموكلة للشعوب ليس الا عبارة عن امدادها بما يعوزها من المال والسلاح وغيره كما يرون من مساعدة انكلترة لحكومة الحجاز الموالية لها

هذا وان من المعلوم المشهور أن لكل من الفرنسيس والانكليز صنائع وأولياء من السوريين يلقون اليهم بالمودة ، فطائفة الموارنة من صنائع فرنسة وأوليائها ولها أفراد من الطوائف أخرى قد اجتهد رجالها في تكثير عددهم بعد احتلال سورية ، وطائفة الدروز من صنائع انكلترة وأوليائها وكذلك اليهود صاروا من أوليائها بوعدها اياهم بجعل بيت المقدس وما حوله من سورية الجنوبية وطنا قوميا لهم يرجون أن يستعيدوا فيه ما فقدوا من الملك ، وقد استمال رجالها بعد احتلال هذه البلاد كثيرا من أفراد الطوائف الاخرى واستمال اليها الامير فيصل كثيراً من المسلمين . زد على ذلك ان جمهور المتعلمين بالمدارس الفرنسية يفضلون فرنسة على انكلترة والمتعلمين بالمدارس الانكليزية والاميركانية يفضلون اميركة وانكلترة على فرنسة ، وللدين والمذاهب تأثير عظيم في تفضيل دولة على دولة وأمة على أمة ودعاة الدين والمذاهب ما زالوا يتبارون في جذب قلوب من يربونهم ويعلمونهم في مدارسهم الى أنفسهم وينفرونها من المخالفين لهم

لم يكن للدولة التركية أدنى عناية بمقاومة دعاة النفوذ الاجنبي في بلادها ولا اهتمام بمعارضته بمثله فيها ، ولا في بلاد أولئك الاجانب أو مستعمراتهم بالاولى وليس لغيرها من أمم الشرق الاسلامية ولا غيرها دولة ولا امارة لها دعاة يستميلون الناس باسم الدين ولا باسم الحضارة ولا المصالح ، فلهذا كان الذين ينفرون من

الترك بالتأثير لاجنبي أو بسبب الظلم وسوء الادارة — والذين يتوقعون افضاء ما عليه الترك من سوء الادارة الى سقوط دولتهم واقتسام الدول الكبرى لها — لم يكن أحد من هؤلاء ولا أولئك يفكر في مستقبل بلاده لا وتتمثل له احدى الدول الاوربية الطامعة مسيطرة عليها متمتعة بخيراتها مستخرجة لكنوزها

كان الامر كذلك الى أن قام الاتحاديون الطورانيون من الترك ببث دعوة الجنسية التركية ومحاولة تتريك جميع الخاضعين لحكمهم من الاجناس الاخرى بالقوة القاهرة حتى دعوا هذه الاجناس دعاء الى المحافظة على جنسياتها ، واحياء ما أماته الجهل والاهمال من لغاتها ، ثم الى التفكر في حريتها واستقلالها ، فلما اتخذ الاتحاديون الحرب ذريعة الى تنفيذ خطتهم في القضاء على العرب في سورية والعراق بالقوة القاهرة وشرعوا ينكلون بهم تقتيلا وتصليبا وتغريبا ومصادرة وتخريبا — كما فعلوا بالارمن والروم — واشتعلت نار الثورة العربية في الحجاز وانتهى أمره الى دول الائتلاف المحاربة للترك والجرمان تعلقت آمال السوريين الذين يسامون سوء العذاب في سورية وغيرهم من المراقبين بأن تكون لهم دولة عربية يكون المؤسس لها ملك الحجاز ، وكان النصارى كالمسلمين في تمني ذلك لان الشدائد التي ذاقوها بأنهم عرب ، قد أزالت كل خلاف وشقاق كان بينهم

ولما احتل الحلفاء سورية بعد جلاء الترك عنها وأخذ جزء من جنوبيها عنوة أقاموا فيها ثلاث حكومات عسكرية على قاعدة معاهدة سنة ١٩١٦ : حكومة انكليزية في سورية الجنوبية (فلسطين) لانها منطقة انكلترة ، وحكومة فرنسية في سواحل سورية الشمالية لانها منطقة فرنسة ، وحكومة عربية في الداخلية لانها منطقة العرب ، وكانت كل حكومة تبث نفوذها في منطقتها حتى اعتقد المتمرسون بالسياسة من أهل البلاد في كل منطقة أنها صارت ملكا خالصا لمحتليها مهما يكن الاسم الذي يسمى به هذا الملك . وكانت كل حكومة تشدد في منع الاتصال بين كل قسم من سورية وبين مصر بشدة المراقبة على البريد وشدة التدقيق في منع السفر من أحد القطرين الى الآخر الا لمن يوثق بمشايعته للحلفاء في سياستهم ثم لمن يوثق بأنه لا يخالفهم ولا يشتغل بسياسة غير سياستهم ، ذلك بأن من في مصر أجدر بمعرفة حقائق

السياسة وخفاياها من أهل سورية وسائر أقطار الشرق الادنى ، ولكن الاخبار والافكار كانت تنقل بالتدريج بتلقين بعض ضباط الجيش العربي وغيرهم من خدمة الحكومة العربية الذين كانوا يترددون بين مصر والحجاز وسورية، ثم بتلقين غيرهم وبما كان يحمل كل من الرسائل ، فعرف بذلك الكثيرون من أهل سورية حقائق المسائل ، وكان مما ترتب عليه قوة رجائهم بما يحبون من الاستقلال التام ، وضعف أملهم وتغير رأيهم في ارتباط سورية بحكومة الحجاز، فلم يعد يرغب في هذا أحد يعتد به من الذين عرفوا حقيقة الحال، ولكن الامير فيصلا نجح بلطفه ومصانعته ومظاهرة الانكليز له في تأليف حزب كبير يرغب في جعله ملكاً لسورية مستقلة

الأحزاب السورية

من فقه ماتقدم لم يعجب مما يراه من كثرة اختلاف السوريين في أمر بلادهم كما يعجب من لا يعرف من شؤونهم سوى الظواهر التي تتجلى له في جرائدهم وجمعياتهم ومراتبهم في التجارة بمصر وأوربة والمالك الامريكية ، وادارتهم لبعض أعمال الحكومة المصرية والسودانية ،

قال عالم أوربي لشاب سوري من تلاميذه اني وقفت على كثير من شؤون السوريين الاجتماعية وغيرها وحضرت بعض أنديتهم ومحافلهم فلم أر بيننا وبينهم فرقا يذكر فلذا أخذني العجب بأخذه لما علمت ان كثيرا منهم يطلبون ان يكون وطنهم تحت حماية أو وصاية أجنبية ، هذه خطة خسف وضعة لا يرضى لنفسه بمثلها من نعلم انهم أدنى من السوريين في كل علم وعمل، وأقل شعوراً بمعنى الحرية والشرف...

ولو علم هذا العالم ان مصدر هذا الخسف والضعة بعض أولئك الذين اذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا يسمع لقولهم دون الجمهور السوري الاعظم الذي لم يسلبه التفرنج ولا التعصب الديني ماعرف به السوريون وسائر العرب من الشمم والاباء، ثم علم سائر ما أشرنا اليه من أسباب الخلاف لما احتقر السوريين كافة بما صدر عن الاقلين منهم بذر من الاعذار التي أشرنا اليها في هذا المقال أو بغير عذر

من جراء ذلك ألف السوريون في البلاد وفي الممالك الامريكية ومصر عدة

أحزاب وجمعيات كلها تطلب الاستقلال لسورية ، منها متحدة غير متجزئة ومنها فلسطين ولبنان إما وحدها وإما متحدة مع العراق وجزيرة العرب ، وبعض اللبنانيين منهم يطلب ان يكون لبنان مملكة مستقلة و يضم اليه معظم ولاية بيروت وجزء من ولاية الشام مما يكثر فيه النصارى بحيث يكون أكثر الاهالي منهم فتكون البلاد السورية مملكتين الساحلية منهما مسيحية والداخلية اسلامية . بهذا صرح لي بعض كبرائهم وأدبائهم فما الظن بما يصرح به بعضهم لبعض ؟ ثم ان طلاب الاستقلال لسورية من هؤلاء السوريين المهاجرين منهم من يطلبه تاما مطلقا ناجزا كحزب الاتحاد السوري بمصر وبعض الاحزاب والجميات في الممالك الامريكية الموافقة لهذا الحزب ، ومنهم من يطلب استقلالا اداريا تحت وصاية إحدى الدول الاوربية الكبرى أو الولايات المتحدة

وأما السوريون الذين في البلاد فالسواد الاعظم منهم كانوا يطلبون الاستقلال المطلق الناجز مع الارتباط بالوحدة العربية التي يرغبون ان تتألف من جميع الولايات العربية العثمانية على قاعدة اللامركزية ، وقد بثت فيهم دعوة طلب الوصاية الاجنبية باسم المساعدة فراجت بين الكثيرين لاعتقادهم أنها عبارة عن مساعدة بالمال لاتنافي الاستقلال لابتشريع ولا بتنفيذ فلما فهموا المراد منها نبذها لا كثرون .

أول حزب ألف بمصر (حزب الاتحاد السوري) وكان أعضاؤه المؤسسون من المسلمين والنصارى والدروز وأساس برنامجه الاستقلال التام الناجز ، والمراد بالناجز الحالي ، ويقابله الاستقلال المستقبل الذي يتوقف على مساعدة أجنبية ترشح الشعب له وتتوده اليه ان كانت تريد ذلك ، وانما فسرناه لان بعض الناس لم يفهم المراد منه حتى قالت احدى الجرائد السورية ان المراد بالناجز التام ، فحسبته تأكيداً للتام ، والمراد بالتام مايشمل السياسي والاقتصادي والقضائي وان كان مؤجلا

ألف الحزب أولا من فريقي الاستقلاليين والاحتلاليين وكانت المواد الاولى التي وضعت له مشتملة على الجمع بين النقيضين — الاستقلال والاحتلال — فكان كل فريق يقوي المادة الموافقة لمشربه ويدعي الاحتلالي انه استقلالي وأنه انما طلب مساعدة موقتة للضرورة

وكل يدعي وصلا بليلى　　وليلى لاتقر لهم بذاكا

فاشتغلا بالجدال والنضال عدة أشهر كان الفلج فيها للاستقلاليين ، وكان الاحتلاليون يتسللون منه لواذا، وينفصلون مثنى وأفذاذا، وتقرر البرنامج المؤلف من أربع عشرة مادة بالاجماع في بعضها وأكثر الآراء في بعض . ورضي كاتب هذه السطور بأن يكون من مؤسسي هذا الحزب المخالف لمذهبه السياسي في الجامعة العربية من وجوب اتحاد جزيرة العرب بالولايات العربية العثمانية للحرص على تعاون المسلمين مع النصارى على طلب الاستقلال التام الناجز لسورية بعد أن أطال الدعوة الى مذهبه فلم يستجب له من فضلاء النصارى بمصر الا أفراد قليلون ، ولان التعاون على استقلال بعض الاقطار العربية لا ينافي السعي لاستقلال سائرها من طريق آخر كما صرح به في بعض أيمان الجامعة العربية . وأنا أصرح هنا بأني لم أكن موافقا على كل مواد البرنامج بل منها ما أسفر النضال فيه بيني وبين بعض الاعضاء عن فوزي بموافقة الاكثرين من الاعضاء لي ثم برجوع بعضهم الى رأي المخالفين لي ارضاء لهم لئلا يخرجوا من الحزب ، ولكنهم خرجوا بعد ذلك . على ان كل قانون وكل نظام يشترك في وضعه كثيرون يتقرر بعض مواده بالاتفاق وبعضها برأي الاكثرين

وتلا حزب الاتحاد السوري الحزب الفرنسي الذي يطلب جعل سورية برمتها (ومنها فلسطين ولبنان) مملكة واحدة مستقلة في ادارتها تحت حماية فرنسة أو وصايتها، ولم يوجد في مؤسسي هذا الحزب أحد من الطوائف الاسلامية الا حقي بك العظم ومختار بك الجزائري. وتلاه الحزب الحر المعتدل الذي يتفق مع الحزبين السابقين في طلب وحدة سورية وحدودها ويخالفهما في طلب جعل حكومة الولايات المتحدة وصية على سورية ومساعدة لها على الاستعداد للاستقلال التام المطلوب . وليس في مؤسسي هذا الحزب أحد من الطوائف الاسلامية التي تبلغ أربعة أخماس أهل سورية

وكان في مصر قبل هذه الاحزاب بل قبل الحرب أيضا جمعية تعرف بجمعية الاتحاد اللبناني تطالب الدولة العثمانية بحقوق لبنان المعروف او الصغير فتحولت بعد الحرب الى مطالبة الحلفاء باستقلال الجبل وتوسيع حدوده وجعله تحت حماية جميع الدول

الكبرى . وكان لمهاجري لبنان في البلاد الامريكية جمعية أخرى تعرف بجمعية النهضة اللبنانية تطالب بتوسيع حدود لبنان وتقوية استقلاله وجعله امارة ذات علم خاص وجعل أميره أوروبيا يطلب اختياره من الدول الست الضامنة لاستقلال الجبل وطم مطالب أخرى متعارضة نشرناها في المجلد السابع عشر ثم كانت هذه الجمعية من طلاب الحماية الفرنسية وبعد انكشاف الحقائق تغير رأي مؤسسيها في ذلك وأشيع ان رئيسها المندوب عنها في باريس طلب الاستقلال التام وانضم الى جماعة الامير فيصل . ولجمعية الاتحاد اللبناني فروع في البلاد الامريكية وفي لبنان نفسه . وكان أكثر طائفتي الموارنة والروم الكاثوليك من غير أعضاء هذه الجمعية يودون أن يكون لبنان وكذا سائر سورية تحت حماية فرنسة كجمعية النهضة اللبنانية ولما انتهت الحرب بظفر الحلفاء وأعلنوا ان الولايات العربية لن تعود الى الحكومة التركية وتألفت الاحزاب السورية للمطالبة باستقلال سورية على ماتقدم بيانه انضم الى كل من حزبي الاتحاد السوري والحر المعتدل كثير من أعضاء الجمعيتين ودخل أناس منهم في أحزاب أخرى استقلالية واحتلالية من طلاب وصاية الولايات المتحدة أو وصاية دولة غير معينة وبقي بعضهم ثابتاً على المطالبة بفصل لبنان من جسم سورية

الذي نعلمه أن حزب الاتحاد السوري فاق غيره في بث دعوته في سورية والمهاجر السورية لانه على تبرع جميع أعضائه بالعمل وظف له عمال للادارة والترجمة والنسخ واستعان على عمله بسخاء رئيسه ميشيل بك لطف الله وشقيقه جورج بك الذي تبرع له في أول تأسيسه بألفي جنيه مصري حتى كان ينفق في بعض الايام بضع مئين من الجنيهات أجور برقيات الى أوربة وأمريكة حيث أجاب دعوته خلق كثير وبث دعوته في جميع البلاد السورية ولم يستطع ذلك غيره . وأما الحزب الحر المعتدل أو الامريكاني رجع اليه كثير من الاحتلاليين الذين كانوا راضين بوصاية فرنسة من مهاجري السوريين في مصر وأمريكة وقليل من الاستقلاليين فظلوا هم السواد الاعظم ولاسيما في البلاد نفسها ولم يكن له فروع ولا دعاة فيها، على أن الدعوة الى طلب مساعدة الولايات المتحدة قد ظهرت قبل تأسيس هذا الحزب في كل مكان، ونسبتها الجرائد الانكليزية الى الامير فيصل منذ كان في أوربة ثم اشتهر انه بث هذه الفكرة في سورية بعد

عودته السائم فكرة الدعوة الى مساعدة انكلترة اذا لم تقبل حكومة الولايات المتحدة ، وهذا هو الذي وقع كما سنبينه بعد . ومن البديهي أن السوريين الذين في الولايات المتحدة وفي غيرها من الدنيا الجديدة كان كثير منهم قبل ذلك يفضل مساعدة الولايات المتحدة على مساعدة كل دولة أوربية، بل قلما يفضل دولة أوربية على الولايات المتحدة في هذا الامر أو ما يشابهه من كل ما يطلب للخير والانسانية الا جاهل غبي، أو متعصب غوي ، أو مستأجر دني، وما كل من طلب مساعدة دولة اخرى ابتداء يفضلها على حكومة الولايات المتحدة في ذلك بل منهم من طلب غيرها لليأس منها، ومنهم من نفرمنها باقناعه بأنها ميالة إلى مساعدة اليهود على امتلاك الارض المقدسة وجعلها وطنا قوميا لهم . والاستقلاليون يفضلونها على غيرها أيضا ولكنهم لايرضون ان يكون لها أدنى سيادة أو سلطان في بلادهم بأي اسم من الاسماء

وجملة الاقوال في الجمعيات والاحزاب انها على كثرتها ترجع الى هذه الثلاثة الانواع وان تأليفها كان خسارا على نفوذ فرنسة فقد كان أكثر طوائف النصارى معها فصار أكثرهم عليها فما اقول في المسلمين وكلهم استقلاليون الا الشاذ النادر الذي لا حكم له ؟

لجنة الاستفتاء الدولية

كان مؤتمر الحلفاء عزم على ارسال لجنة دولية الى سورية وغيرها من بلاد الدولة العثمانية لتقف على رأي أهل البلاد في أمر مستقبلها وشكل حكومتها والدولة التي تفضل ان تندب لمساعدتها على الاستعداد للاستقلال المعترف لها به موقتا الى أن تصير قادرة على النهوض به وحدها، ثم اكتفى بجعل اللجنة من فضلاء الامريكيين فأحسن صنعا لان هؤلاء أبعد من الاوربيين عن الهوى في هذه المسألة

طافت هذه اللجنة أمهات البلاد في الولايات والمتصرفيات الممتازة والتابعة للولايات رقابات في كل منها رجال الاديان والاحزاب والجماعات المنتخبة وممثلي الاندية العلمية والادبية والجمعيات — فظهر لها أن السواد الاعظم من الاهالي يطلب الاستقلال التام الناجز ولا يرضى أن يكون لدولة أجنبية حماية على بلاده ولا وصاية ولا مساعدة تمس الاستقلال ، ويريد أهل سورية الجنوبية (فلسطين) التصريح

يتم مهاجرة اليهود الصهيونيين الى بلادهم ، وأهل سورية الشمالية يوافقونهم على ذلك كما صرح به الوفد السوري الآتي ذكره وغيره وأنه اذا أمر مؤتمر الصلح على ندب دولة من الدول العظمى لمساعدة الاهالي على النهوض بأمر الاستقلال فيشترطون أن تكون هذه الدولة هي الولايات المتحدة الامريكية لانها غير استعمارية ولاطامعة في البلاد وأن تكون مساعدتها موقتة لا تزيد على ١٥ سنة أو ٢٠ وأن تكون في الامور الفنية والاقتصادية التي لا تمس الاستقلال، وصرح بعضهم بعدم قبول المساعدة البتة وبعضهم بطلبها من الولايات المتحدة دون سواها وبعضهم من انكلترة وأكثر هذا الفريق من الدروز، وبعضهم من فرنسة وأكثر هؤلاء من موارنة لبنان وبيروت ، وما كل الموارنة يرضى بوصاية فرنسة ومساعدتها . وأما المسلمون فقد صرحوا في كل بلد بعدم قبول مساعدتها بحال من الاحوال وما شذ الا أفراد لا يعتد بهم . ولاجل الفرار من مساعدتها أو وصايتها قال بعض المرجحين لمساعدة الولايات المتحدة انها اذا لم تقبل فانهم يرجحون انكلترة على غيرها بالشروط التي رجحوا بها الاولى اذا كان لا بد من هذه المساعدة التي احتجوا عليها وعلى المادة الثانية والعشرين من عهد عصبية الامم المتضمنة لها

ذلك بأنه قد ألف في سورية مؤتمر بأمر الامير فيصل لاجل مقابلة لجنة الاستفتاء واطلاعها على رأي أهل البلاد ووضع (مشروع) قانون أساسي لها انتخب أعضاؤه في أكثر البلاد من قبل المنتخبين الثانويين الذين انتخبوا نواب البلاد في مجلس المبعوثين العثماني الاخير ومنهم أعضاء من طوائف لبنان كلها لا ندري كيف انتخبوا . ولم يمكن اقناع هؤلاء ولا غيرهم بالرضاء بمساعدة الولايات المتحدة ثم انكلترة بالشروط التي أشرنا اليها الا بعد ان بثت الدعوة فيهم بهذه الصفة : ان انتداب دولة من الدول الكبرى لمساعدة البلاد على السير في سبيل الاستقلال أمر مقرر في المؤتمر لا مرد له ، وان فرنسة تمت الى المؤتمر وجميع الدول بدعاوى كثيرة لينتدبها لذلك أهمها ان أهل البلاد يفضلونها ، وإن لها صنائع يصدقونها ويطلبون مساعدتها ، فاذا اقتصر الاكثرون على طلب الاستقلال بدون مساعدة ما يخشى ان ترجح فرنسة بحجة أن بعض الاهالي يطلبها ، والآخرون

لايفرقون بينها وبين غيرها. بناء على هذا وعلى العلم بأن رئيس الحكومة البريطانية صرح بأن دولته لا تقبل الانتداب لمساعدة سورية — لان ما بينها وبين فرنسة من عهد وميثاق يحول دون ذلك وما هو بالذي يجعل قصاصة ورق — وضع المؤتمر القرار الذي قدمه الى لجنة الاستفتاء وسنذكره بنصه في مكان آخر من المنار

اذا لم يكن جميع أعضاء المؤتمر الذي قرر هذا منتخبين من الامة لينوبوا عنها فيه فقد جعلهم في معنى المنتخبين موافقة أكثر من استفتتهم اللجنة لهم كما شرحته الجرائد السورية في بيانها لاعمال اللجنة في البلاد المختلفة. فجاء ماتقدم كله مصداقا لما كنا قلناه مرارا لبعض الباحثين معنا من الاجانب والوطنيين ، وهو ان السواد الاعظم في سورية يطلب الاستقلال التام المطلق — ولله الحمد من قبل ومن بعد

السيد الزهراوى

تتمة ترجمته بقلم صديقه الشيخ أحمد نبهان الحمصي

في أول سنة من مبعوثيته وقعت حادثة ٣١ مارث الشهيرة فحوصر المجلس من قبل العسكر بحجة الارتجاع عن الدستور وهددوا المبعوثين بالرصاص حتى انه قتل أحدهم محمد بك ارسلان مبعوث اللاذقية رميا بالرصاص في باب المجلس ومنهم من رمى نفسه من احدى النوافذ العالية حتى تحطم خوفا على نفسه من القتل وفر كثير من المبعوثين حفظا لحياتهم وبقي المترجم رحمه الله تعالى مع بضعة أشخاص ثابتي الجأش غير مبالين بتلك القوة الهائلة التي تهددهم وهم يخابرون المراكز بالتلفون ويذكرون الوقعة وما هم فيه حتى كادت تلك القوة ان تقضي على بقية المبعوثين ثم خرج المترجم يخترق صفوف العساكر بلا اكتراث حتى وصل الى منزله وانفض الجمع

هذا الثبات في مثل هذا الموقف الحرج مما يدل على شجاعته وقوة يقينه

على أثر هذه الحادثة التي شاع خبرها حتى بلغ الروملي مكبراً زحف محمود شوكت باشا بجيوشه ليضرب الآستانة لحماية الدستور وليكل بالارتجاعيين وينتقم ممن أثاروا هذه الفتنة فأرسلت الحكومة اذ ذاك هيئة مؤلفة من الاعيان والمبعوثين

لمقابلة الباشا وابلاغه حقيقة الحال فكان صاحب الترجمة من أعضاء تلك الهيئة الموقرة فاستقبلوه في (ياستفانوس) من ضواحي الآستانة وأوقفوه على جلية الخبر الشائع واطلعوه في سمه حتى سكت غضبه وسكن جأشه ودخل بغير ازعاج لاحد

وفي أثناء تلك المدة — أعني الدورة الاولى لمجلس المبعوثين — أصدر المترجم جريدة عربية في الآستانة سماها (الحضارة) بشركة شاكر بك الحنبلي ثم انسحب هذا الاخير منها إذ تعين متصرفا للواء عكا بعد انذار الحكومة له

وكان السبب في انشاء تلك الجريدة أنه لما بلغ الاتحاديون ما بلغوا من الاثرة والاستبداد وتسميم الافكار بالجرائد التي أنشأوها لبث أفكارهم السوءى وتصويرهم الحال بصورة الحقائق تأسس الحزب الحر المعتدل لمعارضتهم وكان معظم مؤسسيه من مبعوثي العرب وحزب الائتلاف وكان معظم مؤسسيه من الترك ثم امتزج الحزبان باسم حزب الحرية والائتلاف وكان المترجم من مؤسسي الحزبين المذكورين لمعارضة حزب الاتحاد والترقي فأصدر جريدته (الحضارة) باللغة العربية للمحافظة على مبدأه الثابت وهو الاعتدال المحض حتى كان رفاقه يلومونه لشدة هذا الاعتدال والتروي وحتى أن كبار الاتحاديين كانوا يعجبون من اعتداله مع معارضته لرأيهم وكان كثير منهم يقول ليت جميع المعارضين مثل هذا الحر المعتدل

« والفضل ما شهدت به الاعداء »

وفي أثناء تلك المدة أيضا وقع اضطراب واختلال في الروملي فعينت الحكومة يومئذ لجنة من الاعيان والمبعوثين للكشف عن أحوال تلك البلاد وكان المترجم رحمه الله تعالى من أعضاء تلك اللجنة

وفي أثناء مدته نشبت الحرب في طرابلس الغرب فصعد المترجم منبر الخطابة في المجلس وهيج الخواطر وحرك السواكن ثم أجهش في البكاء فقال له بعض الحاضرين من المبعوثين لا تبك فانا سنستردها فقال : انا لا أبكي على طرابلس الغرب ولكنني أبكي على الروملي وسورية والحجاز والعراق

من تأمل هذه الجملة الجوابية منه يعلم أنه قد لمح من وراء حجب الغيب ما سيكون في المستقبل استنباطا حدسيا من سوء تدبير من بيدهم الحل والعقد ، وقد

اتفق مثل هذا لغيره من أصحاب الروية والحدس ، فوقع ما توقعوه ولله الامر من قبل ومن بعد

في مدة اقامته في الآستانة سواء كان مبعوثا أو لم يكن كان بيته مجمع الفضلاء والادباء على اختلاف لغاتهم ، والكبراء مع تفاوت رتبهم ، يستمدون من آرائه السديدة ، عرف هذا من شاهده بالعيان حتى كانت جلساته على مراتب لكل فريق وقت يقضيه فيأتي فريق آخر حتى تنقضي الساعة السابعة بل الثامنة من الليل وكان مع كل هذا لا يأخذه ملل ولا ضجر ولا سآمة مما يدل على سعة صدره وحسن مجلسه

في أواخر هذه الدورة للمجلس حصلت مناقشة بشأن المادة ٣٥ من القانون الاساسي ووقع الخلاف الشديد حتى آل الامر الى فض المجلس وتجديد الانتخاب ثانية فعاد المترجم رحمه الله تعالى الى وطنه وزيارة أهله وذويه ، فأوحت الحكومة الاتحادية الى جميع المراكز وأوعزت للحكومات أن يكون انتخاب المبعوثين ممن لا يخالف رأيهم ، وكانت تواصل التلغرافات والمندوبين للمراكز بالوعد والوعيد ، والتخويف والتهديد ، لهذه الاحوال وشدة الضغط ما تمكن الاهالي من انتخاب المترجم لان حريتهم سلبت حتى امتنع كثير من التصويت

على أثر ذلك سافر الى الاستانة للقيام بأشغال الجريدة فانعقد المجلس من مبعوثين صار تعيينهم من قبل الاتحاديين في الباطن وان كان في الظاهر بالانتخاب ثم تغلب حزب الائتلاف على حزب الاتحاد وتشكلت الوزارة فنقضوا ذلك المجلس الجديد فعاد المترجم الى وطنه فوقعت حرب البلقان فصرف النظر عن الانتخاب الى أن تضع الحرب أوزارها

في ذلك الاوان سافر الى مصر فانتخب من حزب اللامركزية المؤلف هناك رئيسا للمؤتمر الذي انعقد في باريس لاجل مطالبة الحكومة التركية باصلاح بلاد العرب واعطاء هذه الامة المهضومة حقها القانوني المهضوم وقد طبعت مقررات المؤتمر والخطب التي ألقيت فيه فلا حاجة الى بيان ذلك

وفي اثناء اقامته في باريس كان محل اعجاب الجميع في اعتداله . اذا طالعت تلك المقررات المطبوعة وتلوت ما فاه به رحمه الله حكمت له بذلك الاعتدال وبأن ذلك الاعجاب به كان بحق. وحسبك شهادة لاحاب فان جريدتي الماتان والطان — وهما من أكبر الصحف الفرنسية وأشهرها — قالتا كما نقلته الجرائد المصرية والسورية في ذلك الحين « ان السيد عبد الحميد افندي الزهراوي كان للمؤتمر بمثابة الدماغ من الجسد » وذلك بمناسبة ترؤسه المؤتمر وحسن ادارته له

وكان مدة اقامته في باريس موضع التبجيل والاحترام، واجتمع بالموسيو بيشون ناظر خارجية فرنسة في مقر النظارة فأعجب به غاية الاعجاب وانزله منزلة الاكرام

بعد أتمام وظيفة المؤتمر انفض أعضاؤه وبقي المترجم رحمه الله تعالى هناك مع نفر من رفاقه مطالبين بالاصلاح العربي فاضطرت الحكومة الاتحادية للتحيل على على جلبهم فأرسلت من قبلها مدحت شكري الك الكاتب العمومي لمركز الاتحاديين والمرحوم عبد الكريم الخليل للسعي لارضائهم ورجائهم خدعة ومكرا منها فوافا بالخيبة وما نالا غاية ولا مقصدا ، فأعادوهما ثانية وأذنوا لهما بوعد جماعة المؤتمر باجابتهم الى مايلزم من الاصلاحات للبلاد العربية فوعدا وأقسما الايمان على ذلك فحضر عندها المترجم الى الاستانة اعتمادا على ايمانهم الكاذبة المبنية على الخدع والمكر وعين عضوا في مجلس الاعيان ليشرف على انجاز وعدهم ، فبقي ينتظر تلك المواعيد الفارغة (وناهيك بمهارة الاتراك بالمواعيد) الى ان نشبت الحرب العامة سوء تدبير الرؤساء الذين أهلكوا الحرث والنسل وضيعوا ذلك الملك العظيم من أيديهم وكان من لوازم ذلك اعلان الادارة العرفية في البلاد ، فجعل جمال باشا قائدا عاما في سورية بصلاحية واسعة لتنفيذ أوامر الجمعية الخادعة بالاصلاح الذي كانت تنويه وهو الانتقام من متنوري أبناء العرب ونابغيهم واتخذوا الحرب فرصة لتنفيذ ما تكنه صدورهم من الضغائن على هذا الجنس الشريف

طلب المترجم بدمشق الشام مع جملة من وجهاء البلاد السورية بلا محاكمة ولا سؤال منه عن شيء وذلك ليلة السبت ٤ رجب سنة ١٣٣٤ هجرية و٢٣ نيسان

سنه ٩١٦ ميلادية وكان لسان حاله يقول

يا جزع نح وابك واندب جثة خلقت — من يوم «قالوا بلى» للضنك والمحن
وحي أهلا وجيرانا وآونة — حيّ الرفاق وحيّ سائر الوطن
حيا بصالحهم أصبحت مدبتهم — ليقطفوا ثمرا من واحتي جني

﴿ صفاته رحمه الله ﴾

كان مستجمعا لصفات الكمال. وقورا ذا ذهن حاد وفكرة واسعة وذاكرة عجيبة يتوقد ذكاء وملامحه أكبر دليل على ذلك. واسع الصدر سليمه، لين الجانب، بطيء الغضب لا يقابل أحدا بمكروه، لا يمل من جليسه كيف ما كان ولا جليسه من محادثه يباشر كل انسان على قدر عقله، أكثر أحاديثه في مجالسه مما يعود بالفائدة لا يستغيب احدا ولا يحب أن يغتاب أحد بحضوره، قليل الكلام الفارغ، كثير التفكر، أبي النفس، شجاعا شديد الصبر على الشدائد. قوي اليقين بربه تعالى، كريم الخُلق، جميل الخَلق والهيئة، يحبه من يراه لاول وهلة، عفيف النفس، لا يبالي بزخارف الدنيا، بعيدا عن التكلف، شديد البحث والتدقيق في المسائل، يتتبع الادلة والمستندات وقافا عند الحق، يحب أن تكون الحجة مع غيره ما أمكن، معتدلاً في شؤونه كلها، متمسكا بعباداته محافظا عليها. عرف ذلك منه كل من عاشره حق المعاشرة

﴿ مكتوباته رحمه الله ﴾

كتب في مواضيع عديدة كلها فوائد — منها ما حوته جريدته الحضارة التي أصدرها في الآستانة ثلاث سنين، ومنها مقالات في التربية كان ينشرها في جريدة ثمرات الفنون البيروتية قبل اعلان الدستور، ومنها ما نشرته المؤيد والمعلومات الشرقية والجريدة والمنبر وغيرها من الجرائد المصرية والسورية. وكتب في مجلة المنار عدة مقالات. وله كتاب نظام الحب والبغض نشر منه في المنار عدة فصول، وما أكمله لموانع سياسية. ومنها رسالة في الفقه والتصوف وهي التي نوهنا بها قبلاً وأخرى في الامامة. ورسالة ترجمة السيدة خديجة سلك فيها مسلكا غريبا لطيفا أبدع فيه كل الابداع وأتى بكل ما يستطاع من طالعها حق المطالعة يقف على مقدرة

هذا المترجم والحلاعه وسلامة ذهنه وسلاسة قلمه ودقة فكره ونزاهة سرعه ولا سيما الابحاث الاخيرة منها، وقد طبعت بمطبعة المنار وكانت نيته أن يجعلها الحلقة الاولى لسلسلة تاريخية فحالت دون ذلك أشغال قامت مانعا عن اخراج هذا الفكر الى حيز الوجود ، ومنها رسالة في النحو وأخرى في المنطق وغيرها في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع وكتاب في الفقه بأسلوب قريب المأخذ سهل العبارة يدعم مسائله بالادلة الدامغة [1] وله محاضرات كان يلقيها في بيروت وحمص أيام ذهابه الى الآستانة وعودته منها

وله مكتوبات غير ما ذكر بقيت مسودة بخطه اغتالتها أيدي الاتراك عند ما أرسل من الاستانة الى (عاليه) مركز الديوان العرفي الذي أسسه جمال باشا المخذول

وله شعر لطيف في كل باب من أبواب الشعر ومقطعات ومساجلات مع بعض أصحابه ومراسلات كلها رقائق

من ألطف شعره القصيدة العصماء في موضوعها وحسن أسلوبها ودقة معناها وقد أثبتناها برمتها ليقف المطالع لها على رسوخ قدمه رحمه الله تعالى وبعد أفكاره وحسن يقينه واعتقاده وهي هذه

لا تكذبنّا يا بصر لا تخدعنا يا فكر
ان الحقائق تحت طي الـ ـشر فوق المستطر
لكن برؤ يتها دعاوي النـ ـاس تعيي من حصر
وسوى سراب لم يروا والآل كم غر النظر
أني التصور يا حجا فالسر في هذي الصور
الكون مبني على الـ ـحركات كل في قدر
مجموع ذر يقتضي كل لها ضم الاخر
والارض تجمعنا فنحـ ـسب أنها احدى الكبر

(١) المنار : كان سبب تأليف هذا الكتاب محاورة طويلة دارت بيننا وبين الفقيد من جهة واحمد فتحي باشا زغلول أيام كان وكيلا لوزارة الحقانية بمصر من جهة أخرى ولو تم على عهد الباشا لسعي الى طبعه على نفقة الحكومة لاجل المحاكم الشرعية

والشمس تعرضنا لنا   فنظنها المعنى الأغر
صور تغيَّرُ لا نعي   صفة لها غير الغير
ويجل مصدر أمرها   عن أن يحيط به الفكر
هو مصدر بوجوده   تقضي اشتقاقات الأثر
وتحيرت في ذاته   وصفاته فطن غرر
والخبرة المثلى التبا   عد عن دعاوٍ تختبر
كم مدعٍ لمعارف   علياء عرف بالنكر
ما أنت يا انسان هل   تدري دماغك لمْ شعر
أفأنت تدرك من جميـ   ـع الكون عنه قد ظهر
لِم ذي الدعاوي يافتى   أأحاط منك به البصر
أأحاط منك به الحجى   خبرًا كما هو فانسبر
أعرفت من قبل المؤ   ر كل تفصيل الأثر
أعرفت هذه الفضا   ء وما به من كل ذر
دع عنك دعوى واستمع   قولا مفيدا مختصر
الناس هذر في الغرو   ر ولاجئون الى الغرر
ويرى بنو الانسان أ   نهمو خلاصة ما فطر
دعوى بها يسلون ما   يلقون من تعب وضر
فهمو رهان الكدح ما   داموا وتلك هي السير
ذو الحال تأب من مضى   والعمر جملته خبر
صيان ذي الأنعام في   حاج الحياة وذا البشر
فسل قيما اسطعت ان   فكرت فيما قد حضر
واصبر على القياس من   ماض الى ما ينتظر
واعلم بأن المفلحيـ   ـن بذي الحياة أولوا الصبر
والكون ظرف جواهر   والسر فيه ما ظهر

الشيخ محمد كامل الرافعي

٢

ورث المترجم من والده رقة النفس، وحسن الهدي والسمت، والصفاء وحسن النية، وحب التصوف وإخلاص الصوفية — ولكنه لم يتسن له من السلوك ما تسنى له والاشتغال بآداب اللغة فكان منثوره كمنثوره وقلت عنايته بالمنظوم فلم يبلغ فيه شأو الوالد وإنما بلغها وفاقها أخوه عبد الحميد بك شاعر طرابلس المشهور وقد أشرت الى ذلك في رثاء الوالد :

وان غدا فيه كل الفضل مجتمعا ... فقد تفرق في أبنائه النبلا

فالعارف والارشاد كاملهم ... من حالف العلم فيه الهدى والعملا

وفي البلاغة كم عبد الحميد سما ... والتحدي بها آي البيان تلا

وكان أيضا يحذو حذو والده في التأنق في مطعمه وملبسه حتى انه كان يتولى شراء ذلك بنفسه وإذا لم يعجبه ما يريد من الخضر والفاكهة وغيرهما في السوق القريبة من داره يذهب بالخادم الى سوق أخرى، فكان من أهنإ الناس معيشة جامعا بين التنعم بالطيبات وتقوى الله تعالى والرضاء بما قسمه له . ولكنه ترك التأنق في اللبس في أواخر عمره .

وورث من استاذه الشيخ محمود نشابه حب الاستقصاء والتحقيق في العلم فكان بعد زمن الطلب والتلقي عن الشيوخ عاكفا على مطالعة أشهر الكتب وأعوصها إما وحده وإما بالمشاركة مع بعض أصدقائه من أهل العلم كالشيخ محمد الحسيني والشيخ محيي الدين الحفار والشيخ عبد اللطيف نشابه نجل الشيخ محمود نشابه . لما بدأت بطلب العلم ألفيته يطالع مع صديقه الشيخ محمد الحسيني الذي هو أشهر علماء طرابلس اليوم أشهر كتب المنطق والاصول والكلام كسلم العلوم ومسلم الثبوت والمواقف والمقاصد ولم أدرك زمن حضوره دروس الشيوخ الا درس (نيل الاوطار) على والده ولم يتمه . والفصل بينه وبين استاذه الشيخ محمود نشابه ان استاذه واستاذنا هذا وقف في العلوم عند غاية فهم أشهر الكتب التي تلقاها في الازهر والتي قرأها للطلبة ورضي لنفسه بما

صححه فقهاء القرون الوسطى ومتكلموها ومفسروها ومحدثوها وغيرهم من علماء اللغة والمعقول ، وكان يصرف سائر وقته في العبادة وأكثر عبادته تلاوة القرآن . وأما المترجم فقد طلب العلم من سن التمييز الى منتهى الاجل فلم تكن نفسه تقف في العلم عند غاية ، واذا لم تطمئن بما قاله أشهر المدققين وما صحح في أشهر الكتب المتداولة يظل يبحث وينقب الى ان يصل الى ما يرتاح له ويقتنع به . ولهذا كان يبحث ويسأل دائما عما يطبع في مصر والهند من الكتب الجديدة ويستحضر ما يعجبه ويرجو فائدته منها فهو أول من أطلعنا على مؤلفات السيد حسن صديق خان ملك بهو بال وعلى زاد المعاد في هدي خير العباد المطبوع في الهند وعلى سلم العلوم ومسلم الثبوت وروح المعاني وغيرها من مطبوعات الهند ومصر

وورث من استاذه الشيخ حسين الجسر الميل الى الوقوف على حالة العصر العلمية والاجتماعية والسياسية والعناية بمطالعة المجلات والجرائد والاقناع بشدة حاجة المسلمين الى مجاراة الامم الغربية في العلوم والفنون التي عليها مدار العمران والقوة في هذا العصر مع المحافظة على أصول ديننا وهديه وآدابه التي تفضل كل ما عليه تلك الامم وغيرها لم يخالفها، وكثير مما هي عليه موافق لها أو مقتبس منها. فكان المترجم بهذه المزايا محبوبا محترما عند العوام والخواص من المسلمين وغيرهم ولو انه وفق انزع قلادة التقليد من عنقه ووجه عنايته الى حل مشكلات المسائل بالاستقلال التام في الفهم بدلا من كثرة مراجعة الكتب لكان بما أوتي من الجد والاجتهاد والاخلاص والانصاف في البحث آية في التحقيق وحل المشاكل . على انه كان على مقربة من ذلك

ولولا أن شغل بعمل الحكومة عن التدريس والتصنيف لكان للامة من سعة اطلاعه ودقة نفسه وحسن بيانه عدد غير قليل من العلماء الذين يجمعون بالتخرج على يديه بين العلم والعمل للامة والملة، ومن المصنفات النافعة التي يخرج بها علمه وفهمه من حيز الاجمال الى حيز التفصيل ، ومن محجبات الصدور الى سافرات السطور ، فانه رحمه الله تعالى كان من الاعلين الذين طلبوا العلم لله لا للمال ولا للجاه ، وقد تصدى طلابهم للتدريس والتصنيف إلا بينهما . وباعث الرغبة فيهما ، وآية ذلك أن ترى أكثر تلاميذهم يبيعون العلم في سبيلهما ، وأكثر تصانيفهم خالية من كل

ما تصلح به الانفس وتهذب به الاخلاق ، وفاقد الشيء لا يعطيه

أخلاقه وآدابه

وأما أخلاق الرجل وآدابه فقد كانت المثل الذي يضرب الاسوة ، والامام الذي ينصب القدوة : عفة وصيانة ، صدق وأمانة ، جود وسخاء ، عزة وإباء ، نجدة ومروءة ، شجاعة ونخوة ، رأفة ورحمة ، وفاء وعلو همة ، وناهيك بصبره وثباته ، وحبه الخالص وإخلاصه الذي رحمه واخوانه ، فقد كان الاسرة الرافعية الكثيرة العدد في القطرين الشامي والمصري كالوالد العطوف ، والام الرؤم ، يقوم لكل منهم بما تقتضيه حاله من غنى وفقر ، وصحة ومرض ، كان من زار طرابلس من المقيمين في القطر المصري منهم يرى من حفاوته به وإقامة المآدب النفيسة له والعناية بخدمته والقيام بشؤونه مالا ينتظر مثله من والد حفي ، ولا ولد بارّ تقي ، ولا صديق فني وفي ، ولا أمير سخي أبي

توفي أخوه أحمد أفندي في اليمن وكان حاكما اداريا في بعض بلادها العثمانية وترك غلاما وجارية صغيرين حضنتهما أمهما ثم بلغه أنها تزوجت فخاف ان يكون ذلك مضيعة لها فأخذ اجازة من الحكومة وسافر الى اليمن لاجل احضارهما وتولي تربيتهما ، وبعد البحث عنهما في اليمن علم أن زوج أمهما رحل بهما وبها الى العراق عاملا للحكومة فسافر الى العراق في المحيط الهندي في فصل الصيف اذ يشتد اضطرابه واصطخابه حتى ان أمواجه لتحرف الناس عن ظهور البواخر أحيانا فيضطر البحارة العاملون على الظهر الى ربط أنفسهم بالحبال ، وفي مثل ذلك البحر في ذلك الزمن يظهر للمسافر انه لا مبالغة في تشبيه التنزيل للموج بالجبال ، فما حدث به المترجم وغيره ان السفينة عند ما تقع بين موجتين ترى كأنها في واد عميق من أودية الجبال ، وقد عجب كل من لقيه في سفره هذا من أهل اليمن والعراق كأهل وطنه السوري من شدة غيرته وعلو همته وتفانيه في سعيه لكفالة هذين الولدين وما كان من غبطته وسروره بالظفر بهما بعد ما كابده في سبيلهما من المشاق والاهوال ، وبذل مايفوق طاقته من المال ،

وقد قال فيه أخوه الصغير (وهو لاب) : والله لم يمض فقد أبي كفقدي أخي ،

فقد كفلني شخص اليتم بعطفه وبره وإحسانه ، ثم أدبني فأحسن تأديبي بقوة روحه وسعة فضله وبيانه » اهـ

أقول: كذلك كان عطفه ووفاؤه لاصدقائه وإخوانه، يكاد يضاهي بره وإحسانه بذي قرباه ورحمه، فكانت داره مثابة لهم في كل وقت من ليل أو نهار، ولكن عنايته بهم كانت أشد، وزيارته لهم أكثر، وقد أجمع على حبه والاعتراف بفضله والثقة بإخلاصه النصارى كالمسلمين ، ولم نر دارا من دور علماء الدين في طرابلس كداره يتردد عليها أهل الوجاهة والادب من جميع الطوائف . ولا يظن القارئ أن سائر علماء طرابلس جفاة أو متكبرون ، أو ضرب على أبواب دورهم حجاب من التعصب الديني فلا يزورون ولا يزارون ، كلا انهم بالرقة واللطف مشهورون ، ولكن الفقيد كان ممتازاً فيهم وفي سائر الناس، بما ذكرنا من الشمائل والصفات ، كما انه كان ممتازا بين رجال الدين بالعناية بشؤون السياسة والعمران ، لان نفسه كانت تعشق جميع المعارف والحقائق وتطلب فيها الكمال

كتب الي أخوه عمر أفندي صاحب المبارة التي ذكرناها آنفا، وهو أصغر اخوته، وأشدهم عشقاً لمذهبه واستمذابا لمشربه ، جملة بمعنى ما تقدم في وصفه ، قال :

« كان رحمه الله على حصة موفورة من العلم والفضل ومكارم الاخلاق عزوفا عن عن اللغو واللهو، ولوعا في البحث والدرس، كثير التنقيب عن نفائس الكتب واقتنائها ، والوقوف على نوادر مسائلها، فكانت داره لذلك ناديا لاهل العلم يتنابونه من كل جانب للمذاكرة والمحاورة والافادة والاستفادة . وقد كان رحمه الله شديد الاهتمام بالعالم الاسلامي والامم الاسلامية لحد لا يوصف، فتراه دائما مستطلعا طلع أخبارهم متسائلا عن أحوالهم وأطوارهم، فكان اذا سمع خبرا استبشر وتهلل ، وان سمع شرا بات بليلة الملسوع يتأسف ويحوقل ، وكان شديد العناية والعطف على أهله وقرابته كثير الوفاء لاصدقائه وذوي مودته ، وناهيكم بما نكب به في سبيل تمسكه بمودة الصديق الوحيد، والاستاذ الكامل الرشيد، وذلك في أواخر أيام السلطان عبد الحميد، وأما ابره ذوي القربى واليتامى من أهله فحدث عنه ولا حرج ، فقد كان يلقب نفسه

بأبي العشيرة والقبيلة (رحمه الله) نظراً لكثرة ما كان يهتم للقريب والبعيد عنه من أهله المنتشرة في سورية ومصر ر بلاد الله أجمع.

«ولولا تعهده اياي مدة اليتم في الصبا وأيام تخبي السياسية في دور الشباب الحالك وأيم الله، ولولا غرسه في نفسي حب الفضيلة والالتحاق بأهلها لما كنت لمثلكم عاشقا وبكم طروبا

«كان رحمه الله صبورا على اللأواء والضراء وقد خسرت طرابلس بوفاته عالما كريما، وبارا رحيما، بكاه المسلم وغير المسلم لصلابته في دينه وعلمه وفضله، وثباته العجيب في مبدئه الحق وهو حب الحق ونصرته بكل وسيلة وذريعة، ولكثير من المسيحيين البلاد عندنا حب له بوجه خاص نظرا لما عرفوا من حريته وشجاعته وصدق وطنيته، ولولا مخافة التطويل لاقمت لكم على ذلك الف دليل وحسبي مع ذلك أن أقول : ان مجاهرة المرحوم بكل ما كان يعتقد من حق صريح - ووقوفه في وجوه الظلمة الطغاة من كبار رجال الحكومة البائدة في عهد عبد الحميد ومن بعده - بل واحسانه الى مواطنيه المسيحيين على اختلاف طبقاتهم بالتأمين والتطمين لهم أيام الحرب العامة كلما هم بهم شيطان من شياطين الحكومة أو طرأ عليهم حادث من حدثان يطرأ على الامة — قد عرفهم بكثير من مزايا الاسلام وفضل علمائه العاملين .... »

(ويلي هذا كلام قطعه المراقب من الكتاب)

مودة المترجم وولايته لصاحب المنار

كان بين آل بيتنا وبين الرافعية في طرابلس مودة ورثها الاب عن الجد ، ولكنها مع بعض الافراد أقوى من بعض ، فكان الشيخ عبد الغني أحب شيوخهم الى والدي ونجله المترجم أحب شبانهم اليه ، لذلك كنت منذ الشروع في طلب العلم أتردد عليه وأحب مذاكرته ، على شدة اعراضي عن معاشرة الناس ، محافظة على سلامة الفطرة والاخلاق ، وقد وجدته أقرب المشتغلين بالعلم الى ذوقي لحبه التصوف وعنايته بكتبه ، وكنت لا أعرف من كتب الصوفية إلا إحياء العلوم للغزالي رحمه الله تعالى فشوقني الى كتب الشعراني وكان مغرما بها وأعارني المنن والعهود الكبرى والطبقات فألفيتها دون الاحياء فكنت أعرف منها وأنكر ، وكنت أحضر

في بعض الاوقات دروس مطالعته الخاصة التي بيناها من قبل وألقي السمع الى بعض المسائل في الكلام والاصول فاذا فهمتها ذكرت له ولرفيقه رأيي في الخلاف فيها، فاذا تبين له بعد البحث ومقابلة الدلائل ان ماقلته هو الراجح قال لي من أين جئت بهذا الرأي ؟ - وأنت لم تحضر درسا واحدا في هذا الفن ولا سمعت هذه المسألة وأمثالها من قبل - فكنت أقول له انني رجعت الى نفسي فوجدتها لاتعقل الحق الا فيما قلته، أو ماهذا معناه، ولما تكرر ذلك صار يبدأني أحيانا بالسؤال فيذكر مسألة مشكلة ويقول بعد بيان الخلاف فيها: ارجع الى نفسك واذكر لي حكمها فيها

كان هذا مبدأ حسن ظن المترجم بأخيه في الله، ثم نمى الاعتقاد، كما ينمي في اليد الخضاب، حتى انتهى فيه أخيرا الى رأي العالم الناسك الشهير الشيخ عبد الباقي الافغاني، اذ كان يقول ان علم فلان لدني، فان مثل هذا لا يأتي بالتحصيل الكسبي، فكان المترجم أجزل الله ثوابه وليا ونصيرا لي منذ أقدمت على الدعوة الى الاصلاح الديني والمدني في عهد طلب العلم الى ان توفاه الله تعالى اليه كما أشار الى ذلك أخوه فيما رويناه عنه آنفا

ولا مندوحة لي عن ذكر بعض الامثلة والشواهد على ذلك لانها من أهم مايكتب في ترجمة الرجل من حيث هو ركن من أركان النهضة الاسلامية الحديثة في طرابلس:

دعاني بعض اخواننا مرة الى حضور حفلة الذكر السنوية الاولى للمولوية في طرابلس ويسمونها المقابلة ولم أكن رأيتها قبل ذلك ولا رأيتها بعده، فذهبنا بعد صلاة الجمعة الى تكيتهم في وادي نهر أبي علي جنوبي القلمة، وانه لواد وسيم، صح فيه الماء واعتل النسيم، وانها فيه لدار من أجمل الديار، في جنات تجري من تحتها الانهار، وقد أمها في ذلك اليوم خلق كثير من العلماء والوجهاء وسائر الطبقات فجلسنا مع أمثل النظارة المتفرجين في منظرة (كشك) تجاه مكان المقابلة فرأينا شيخ المولوية جالسا على جلد من جلود الضأن أو المعز، ورأينا جماعة الذاكرين بل الراقصين منهم وقوفا لابسين جلابيب وقمصهم المعروفة عند أكثر الناس في كل بلد يوجدون فيه، ورأيناهم يقبلون على شيخهم الجالس فيحيونه بالركوع وتنكيس الرؤس، وسمعنا العازفين بالناي يعزفون لهم في موضع معين من تلك المنظرة، ويخيل الي الآن انه كان هناك معازف

أخرى – فلما رأيت ما رأيت وسمعت ما سمعت أخذتني سورة الغضب لله، ورأيت – والقوم كلهم سكوت مقرّون لذلك – أنه تعين عليّ القيام بفريضة الامر بالمعروف والنهي المنكر، فوقفت في وسط النظارة وبينت لهم ان هذه بدع ومنكرات شر ما فيها انها جعلت من الدين والدين بريء منها الخ وأمرت الناس بالخروج لان إقرار المنكر كفعله وخرجت، ولم ينبس أحد من الناس بكلمة استحسان ولا استهجان، ولما بعدت عن المكان قليلا نظرت ورائي فوجدت اناسا يتبعونني ولكنهم قليل بالنسبة الى من بقي

كان هذا الانكار مثارا للعجب في طرابلس الشام وصار حديث الناس في أنديتهم وسمارهم وملاهيهم، وهم بين مستحسن ومستهجن ومعترض ومجيب، وكنت أرى ان أقوى المؤيدين لي والمدافعين عني صاحب الترجمة على شدة أدبه مع جميع المنتسبين الى طرق التصوف وتأثره ببعض خرافات كتب الشعراني. ومن العجائب ان استاذي الشيخ حسينا الجسر وصديقه وصديق والدي الشيخ عبدالله البركة من العلماء كانا من المنكرين علي الناصحين لي بالسكوت عن مثل هذه الامور، فقد دعاني معهم في تلك الايام ابراهيم افندي السبع الى طعام أعده لنا في بستان، وهو ما يسميه أهل طرابلس بالسيران، وهناك سألني الشيخان عن حقيقة ما يتحدث به الناس في تلك الحادثة، فقصصت القول على غره، فصار شيخنا يدافع عن المولوية، بمثل ما يؤثر في الكتب من الدفاع عن الصوفية، وأنا أحتج بالسنة ونصوص الشرع، حتى قال متبرما: ان مذهبنا (يعني الحنفي) أشد من مذهبكم (يعني الشافعي) في تحريم السماع والمعازف ولكن الصوفية لهم حالة أخرى مع الله واني أخاف عليك من عاقبة الخوض فيهم والطعن عليهم. قلت له ان هؤلاء القوم ليسوا من الصوفية في شيء حتى يسلم لهم بأن لهم اجتهادا وأحوالا تعرض لهم في بعض الاوقات يعذرون فيها بما لا يعذر به غيرهم. قال فما بالك تخص هؤلاء بالانكار وتسكت عن مرتكبي المعاصي الصريحة التي لا تأويل لها فان من الناس من يشرب الخمر ومن يلعب بالقمار؟ قلت اني لم أر من هؤلاء أحدا، على أن حالهم أهون من حال من يجعل البدع والمنكرات دينا. قال لك الحق من الجهة الشرعية وقد بينت لك رأيي وبذلت نصحي، فاختر لنفسك ما يحلو، أو ما هذا معناه

(الترجمة بقية)

قرار المؤتمر السوري العام

وعدنا في مقال (المسألة السورية والاحزاب) بان ننشر نص قرار المؤتمر السوري الذي قدمه للجنة الاستفتاء الدولية وهذا هو النص العربي الاصلي الذي قدمت ترجمته بالانكليزية:

« انا نحن الموقعين أدناه بامضاءاتنا وأسمائنا أعضاء المؤتمر السوري العام المنعقد في دمشق الشام والمؤلف من مندوبي جميع المناطق الثلاث الجنوبية والشرقية والغربية الحائزين على اعتمادات سكان مقاطعاتنا وتفويضاتهم من مسلمين ومسيحيين وموسويين. وقد قررنا في جلستنا المنعقدة في نهار الاربعاء المصادف لتاريخ ٢ تموز (يوليو) سنة ١٩١٩ وضع هذه اللائحة المبينة لرغبات سكان البلاد الذين انتدبونا ورفعها الى الوفد الاميركي المحترم من اللجنة الدولية

(أولا) اننا نطلب الاستقلال التام الناجز للبلاد السورية التي يحدها شمالاً جبال طوروس وجنوباً رفح فالخط المار من جنوب الجوف الى جنوب العقبة الشامية والعقبة الحجازية وشرقا نهر الفرات فالخابور والخط الممتد شرقي أبي كمال الى شرقي الجوف وغربا البحر المتوسط بدون حماية ولا وصاية

ثانيا — اننا نطلب أن تكون حكومة هذه البلاد السورية ملكية مدنية نيابية تدار مقاطعاتها على طريقة اللامركزية الواسعة وتحفظ فيها حقوق الاقليات على أن يكون ملك هذه البلاد الامير فيصل الذي جاهد في سبيل تحرير هذه الامة جهادا استحق به أن نضع تمام الثقة بشخصه وأن نجاهر بالاعتماد التام على سموه

ثالثا — حيث إن الشعب العربي الساكن في البلاد السورية هو شعب لا يقل رقيا من حيث الفطرة عن سائر الشعوب الراقية وليس هو في حالة أحط من حالات شعوب البلغار والصرب واليونان ورومانيا في مبدأ استقلالها فاذا نحتج على المادة الثانية والعشرين الواردة في عهد جمعية الامم القاضية بادخال بلادنا في عداد الامم المتوسطة التي تحتاج الى دولة منتدبة

رابعا — اذا لم يقبل مؤتمر الصلح هذا الاحتجاج العادل لاعتبارات لا نعلم كنهها فاننا بعد ما أعلن رئيس ولسن ان القصد من دخوله في الحرب هو القضاء

على فكرة الفتح والاستعمار نعتبر مسئلة الانتداب الواردة في عهد جمعية الامم عبارة عن مساعدة فنية واقتصادية لاتمس باستقلالنا السياسي التام . وحيث اننا لا نريد أن تقع بلادنا في أخطار الاستعمار وحيث أننا نعتقد أن الشعب الاميركي هو أبعد الشعوب عن فكرة الاستعمار وانه ليس له مطامع سياسية في بلادنا فاننا نطلب هذه المساعدة الفنية والاقتصادية من الولايات المتحدة الاميركية على أن لا تمس هذه المساعدة باستقلال البلاد السياسي التام ووحدتها وعلى أن لايزيد أمد هذه المساعدة عن عشرين عاما

خامسا — اذا لم تتمكن الولايات المتحدة من قبول طلبنا هذه المساعدة منها فاننا نطلب أن تكون هذه المساعدة من دولة بريطانيا العظمى على أن لا تمس باستقلال بلادنا السياسي التام ووحدتها وعلى أن لايزيد أمدها عن المدة المذكورة في المادة الرابعة

سادسا — اننا لانعترف بأي حق تدعيه الدولة الافرنسية في أي بقعة كانت من بلادنا السورية ونرفض أن يكون لها مساعدة أو يد في بلادنا بأي حال من الاحوال

سابعا — اننا نرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبي من البلاد السورية أي فلسطين وطنا قوميا للاسرائيليين ونرفض هجرتهم الى أي قسم من بلادنا لانه ليس لهم فيها أدنى حق ولانهم خطر شديد جداً على شعبنا من حيث الاقتصاديات والقومية والكيان السياسي . أما سكان البلاد الاصليون من اخواننا الموسويين فلهم مالنا وعليهم ما علينا

ثامنا — اننا نطلب عدم فصل القسم الجنوبي من سورية المعروف بفلسطين والمنطقة الغربية الساحلية التي من جملتها لبنان عن القطر السوري ونطلب أن تكون وحدة البلاد مصونة لا تقبل التجزئة بأي حال كان

تاسعا — اننا نطلب الاستقلال التام للقطر العراقي المحرر ونطلب عدم ايجاد حواجز اقتصادية بين القطرين

عاشرا — ان القاعدة الاساسية من قواعد الرئيس ولسن التي تقضي بلغو المعاهدات السرية تجعلنا نحتج أشد الاحتجاج على كل معاهدة تقضي بتجزئة

[illegible] الى غاية العمر [illegible] الجنوبي
[illegible]

هذا وان المبادئ الشريفة التي صرح بها الرئيس ويلسون لتجعلنا واثقين كل الثقة في أن مبادئه هذه الصادرة من أعماق القلوب ستكون هي الحاكم الاعلى في امر مصيرنا وان الرئيس ويلسون والشعب الاميركي الحر سيكونان عونا على تحقيقها ويثبتون للملا مصداق مبادئهم السامية وغاياتهم الشريفة نحو البشرية بنوع عام وشعبنا العربي بنوع خاص وان لنا الثقة الكبرى في أن مؤتمر السلم يلاحظ أننا لم نتنازل للدولة التركية التي كنا وإياها شركاء في جميع الحقوق التمثيلية والمدنية والسياسية الا لانها تعاهدت على حقوقنا القومية فيحقق لنا رغائبنا تماما فلا تكون حقوقنا قبل الحرب أقل منها بعد الحرب بعد أن أريقت من الدماء ما أريقت في سبيل الحرية والاستقلال، ونطلب السماح لنا بارسال وفد عنا في مؤتمر السلام للدفاع عن حقوقنا الثابتة تحقيقا لرغائبنا والسلام اهـ

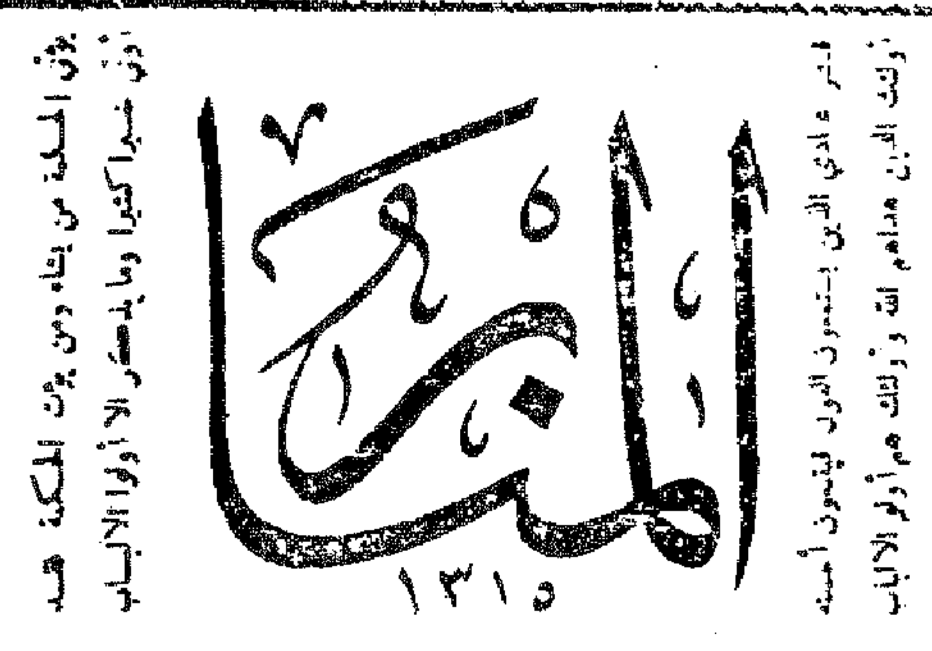
الدولة العثمانية بعد الهدنة

اشترط دول الحلفاء في مهادنة الدولة العثمانية أن يكون لهم الحق في احتلال جيوشهم البلاد والمواقع العسكرية التي يرونها لتنفيذ شروط الهدنة على احتلالها كتأمين تسريح الجيش واعادة الاسرى، وجعلوا هذا الشرط وسيلة لاحتلال كاد يكون عاما شاملا لجميع الولايات التركية بعد احتلوا جميع الولايات العربية في سورية والعراق. ومن البديهي ان هذا الاحتلال يمكنهم من تسريح جميع الجنود العثمانية الا مايراه الحلفاء نافعا لهم في حفظ الامن تحت ادارتهم كالشرطة وأعوانها ومن جمع السلاح بحيث يكون تقسيم البلاد بينهم سهلا سائغا لا مشقة فيه ولا خسارة، ولم يكتفوا بجعل هذا الاحتلال لجيوش الدول الكبرى الظافرة بل انتهوا في اذلال الدولة والشعب التركي الى الاذن لجيش من اليونان ان يحتل ولاية أزمير أهم الولايات التركية بعد ولاية الآستانة فصار هؤلاء يستذلون أهلها فكانت هذه النكاية حافزة للترك الى الخروج مما خضعوا له أولا من احتلال الآستانة وغيرها فهاجت الآستانة وماجت واجتمع

مئات الالوف في الميدان الفسيح بين مسجد أياصوفيا ومسجد السلطان أحمد واحتجوا أشد الاحتجاج على عمل الدول، واحتج السلطان محمد وحيد الدين نفسه عليه بأن أعلن الاستقالة من الخلافة والسلطنة، وأبى ولي عهده ان يقبل المبايعة لنفسه فاضطر السلطان الى البقاء في دسته، وتألفت العصابات المسلحة في ولاية أزمير وغيرها من الاناضول لقتال اليونان فحاربتهم حرباً عظيمة ، ثم عزم الترك في الاناضول على مقاتلة كل جيش يحتل بلادهم أو بعضها تحت حماية أجنبية وهو المتبادر من عمل أوربة ، وفر أنور باشا وغيره من الضباط الى القوقاز فتولوا تأليف العصابات لقتال الانكليز الذين احتلوا بعض تلك البلاد، والمساعدة على نشر البلشفية في أمم الشرق الاسلامية

بهذه العصابات التي ينتمي أكثر قوادها الى جمعية الاتحاد والترقي التي لم تدع في الجيش أحداً من غير رجالها، قامت الجمعية تبني لها مجداً جديداً في البلاد بعد ان ظن أكثر الناس انه قضي عليها بسوء عاقبة الحرب التي أهلكت بها الدولة والامة، وبما تلا الهدنة من فرار أكبر زعمائها واعتقال الباقين، وبما للسلطان محمد وحيد الدين الذي كان يمقتها أشد المقت من النفوذ الخاص الذي يعرفه له أهل المكانة من الترك وغيرهم حتى وصفه عربي وجيه كان مقيما في الآستانة وعرفه حق المعرفة بقوله : انه جمع بين دهاء أبيه عبد المجيد وشجاعة عمه عبد العزيز ودهاء أخيه عبد الحميد وقال عربي آخر خبير انه مشعر به تجديد حياة الدولة بالمحافظة على مكانتها الاسلامية والعناية بالترقي المدني وابطال التقاليد الضارة . ويرى العارفون بشؤون الدولة الآن انه راض في الباطن من مؤسسي العصابات كمصطفى كمال باشا وغيره وان كانوا غير خاضعين لحكومة الآستانة الخاضعة لاحتلال الحلفاء .

فالحرب الآن في الاناضول مستحرة روسية ، ونيران الفتن في البلقان مستورة برماد دقيق تنكشف من تحته تارة بعد أخرى ، وجميع أمم الارض مضطربة حائمة ، وسبب ذلك كله، وثمر الصلح الاعرج الاعشى الذي اكتفى بعقد الصلح مع ألمانيا لتقييدها بقيود تمكنه من التصرف في سائر الامم بهواه ، وهو معاهدة الصلح التي لم يظهر رضاه عنها أحد الا الحكومة الانكليزية الواضعة لها ، ولا [illegible] ذلك أحد الا الله تعالى ، فنسأله سبحانه اللطف [illegible] وهو [illegible] المفرق [illegible] ظالمهم الطامعين آمين



قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

٢٩ ذي القعدة ١٣٣٧ — ٢ السنبلة (ص٣) ١٢٩٧ هـ ش ٢٦ أغسطس ١٩١٩

ذات بين الحجاز ونجد او الخرمة

والوهابية والمدينة

في هذا الصيف كثر خوض الجرائد الاوربية والعربية المصرية والسورية في المسألة العربية وذكرت أنه وقع بين الوهابيين التابعين لابن سعود أمير نجد والحجازيين حرب سببها الخلاف في المذهب انتصر فيها الاولون انتصارا فاصلا في (تربة) فنكلوا بجيش الامير عبد الله نجل ملك الحجاز وأخذوا جميع ما كان معه من المدافع والسلاح والذخائر ثم أذيع انهم احتلوا مكة المكرمة وان ملكها لما شعر بقرب وصولهم اليها أخلاها لهم وسافر الى جدة فأقام فيها واستجار بحليفته بريطانية العظمى . وكثر حديث الناس في هذا المعنى وكان مما ذكرته هذه الجرائد أن الوهابية مصلحون في الاسلام .

وتربة هذه (بضم ففتح قرية في الشرق الجنوبي من مكة والطائف وفي الغرب من وادي تربة الشهير الذي قال فيه صاحب معجم البلدان انه واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها .

أما أخذ النجديين مكة المكرمة فهو كذب صرح بتكذيبه كل من الوكالة العربية الهاشمية بمصر ودار الحماية الانكليزية ، وأما وقوع القتال وانكسار جيش الامير عبد الله في (تربة) وأخذ جميع أسلحته فقد ثبت رسميا كما فصل في برقية وردت من عدن

وأما ما علمناه في المسألة من ثقات الضباط الذين كانوا في الحجاز وغيرهم فهو ان النزاع والقتال كان بين حكومة مكة وبين الشريف خالد صاحب (الخرمة) وهي قرية في الشرق الشمالي من مكة قريبة من وادي تربة والشريف خالد هذا من شرفاء مكة وعشيرة الامارة فيها وكان قد استنجد لمساعدة الشريف علي على فتح المدينة المنورة فلبي وهو الذي أمر أشرف بك أشقى الفدائيين الاتحاديين اذ كان رسولا بمبلغ كبير من الجنيهات الجيدية الى الامير ابن الرشيد ثم وقع الخلاف النفور بين الشريف علي قائد الجيش العربي المحاصر للمدينة المنورة وبين

الشريف خالد فعاد الثاني الى الخرمة وصار ملك الحجاز يرسل الحملة بعد الحملة لقتاله فيظفر بها وينضم اليه الكثير من بدوها ويدخلون في جماعة الاخوان المتدينة الذين نذكر خبرهم قريبا ، ولما سلم الترك المدينة المنورة الى جيش الامير علي بعد عقد الهدنة بين الدولة العثمانية والحلفاء الف الشريف عبد الله حملة من الجيش النظامي الذي كان محاصرا لها فيها عشرات من الضباط زيدت مرتباتهم وجهزت بأنواع الاسلحة الجديدة من المدافع الجبلية والرشاشة وغيرها وبالديناميت . قال بعض الضباط الذين كانوا في الحجاز ان هذه أعظم حملة يمكن لحكومة الحجاز أن تكافح بها الشريف خالدا فاذا كسرها تيسر له الاستيلاء على مكة المكرمة اذا شاء ، ثم بلغنا ما تقدم من أن جيش ابن سعود هو الذي كسر الحملة ، ثم نقل الينا أن الحملة المظفرة استظهرت على الشريف خالد فأمرها ملك الحجاز بالزحف على نجد فعند ذلك أرسل الامير ابن سعود بجيوشه لقتالها فظفرت بها ، ثم زحفت تقصد مكة حتى قيل انها وصلت الى وادي الليمون وان ملك الحجاز استنجد بالحكومة الانكليزية على ابن سعود ، فسألت الامير ابن سعود عما يريده من الحجاز فأجاب بأنه هو أحق بحكم الحجاز من شرفاء مكة وأن أكثر أهله يفضلونه عليهم لعلمهم بعدله وشكواهم من ظلم جميع الشرفاء واستبدادهم مع ما كان من سيطرة الترك عليهم ، وانه مع هذا لا يبغي الاستيلاء عليه وانما يطلب أن يكون (وادي تربة) هو الحد الفاصل بينه وبين نجد وأن تعترف به الحكومتان حتى لا تعتدي واحدة منهما على ما وراءه وأن يكون لحكومة نجد معتمد في مكة المكرمة ينظر في مصالح رعاياها ويراجع حكومتها في شأنهم فان شريف مكة كثيرا ما يظلمهم وفي بعض السنين يصدهم عن اداء فريضة الحج فلا يسمح لهم بها . فرأى الانكليز أن هذين المطلبين حق فوعدوا ابن سعود بأن يتوسطوا بينه وبين ملك الحجاز فيهما بشرط أن يمتنع هو وجميع أتباعه من المتدينة من التعدي على الحجاز . وبلغنا أيضا انهم خاطبوا ملك الحجاز في ذلك فأبى أن يعترف لنجد لها بحدود أو يقبل منها معتمدا ، والظاهر أن الانكليز يظاهرونه لاسباب ... سياستهم في بلاد العرب

المدنية والوهابية

يعلم الملايين من البشر بعضهم بالمشاهدة والاختبار وبعضهم بالروايات الثابتة بالتواتر أن الاعراب (البدو) في الحجاز وغير الحجاز قد عادوا الى شر مما كانوا عليه في الجاهلية من الغزو والسلب والنهب والقتل حتى للحجاج المحرمين في أرض الحرم والاشهر الحرم وانهم يستحلون ذلك ويسمونه كسبا ، وأن لهم شرائع وأحكاما عرفية مخالفة الشرع لايرضون الحكم بدونها . وان أكثرهم لا يصلون ولا يصومون ومن يحج منهم لا يلتزم أحكام الشرع في الحج ولا يعرفها ولا يمنعه الاحرام بالحج عن القتل والسلب والنهب ان قدر عليه . ولا شك في أن من كان كذلك فهو ليس بمسلم ولا ذي دين. هذا ما هو مشهور عنهم، ويظن كثير من الناس انهم كلهم على ذلك وهذا خطأ عظيم فانه يصدق عليهم في هذا العصر ما بينه الله عز وجل من حال أسلافهم في عصر التنزيل وهو ان منهم الكافر والمنافق والمؤمن الصادق، ولكن كفر الكافرين منهم كله أو جله عن جهل بضروريات الدين التي لا يعذر أحد بجهلها ، ولعله لا يوجد فيهم شيء من كفر العناد والجحود

وأما الذين عادوا الى الدين من أعراب الحجاز وما حوله فالفضل في هدايتهم لشيوخ السنوسية ودعاة علماء نجد . أما السنوسيون فقد كان لهم في نشر طريقتهم شِرّة (أي نشاط وقوة) تلتها فترة . وأما النجديون فقد بلغنا أن شرتهم ونشاطهم بلغا أشدهما في هذه السنين الاخيرة ، ويسمون من يستجيب لهم المتدينة ، ويقابلهم من لا دين لهم يتدينون به وهم الذين لا يعرفون عقيدة الاسلام ولا شرائعه ويستبيحون الغزو والسلب والنهب لمجرد الكسب ، وبلغنا أن الدعاة يبينون في دعوتهم هذه الحقيقة لكشف غرور من يظن من أولئك الاعراب ان تسمية أنفسهم مسلمين يغني عنهم شيئا فيذكرون لهم أن الاسلام علم وعمل فمن لا علم له بحقيقة عقيدته — وأساسها التوحيد الخالص وتنزيه لله تعالى ووصفه بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم — ولا بأحكام أركانه وشرائعه وأن من لا يذعن لاحكامه بعد العلم بها فليس منه في شيء. وان من مات من آبائهم وأجدادهم غير عالم بذلك ولا مذعن له بالعمل من مستبيحي القتل والسلب فقد مات كافرا

حال المتدينة الدينية واشتراكيتهم الاختيارية

وبلغنا أن من استجاب دعوة هؤلاء الدعاة من الأعراب يتوب عن الكسب بالغزو والنهب ويتحولون عن البداوة فيبنون البيوت ويغرسون الشجر ويزرعون ويأخذون بتعلم القراءة والكتابة حتى قبل التحضر فتراهم يحملون ألواح الكتابة على ظهور الابل يتعلمون بها، ولا يبعد أن نجد فيهم من يقول كما قال أحد أعراب شنقيط:

قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة بها نبين دين الله تبيانا

— وان التعاطف والتعاون بينهم يشبه ما كان في صدر الاسلام بين المهاجرين والانصار رضي الله تعالى عنهم فقد روينا عن أحد المختبرين من أهل مكة المكرمة ان الرجل منهم اذا كان عنده ألف شاة وكان يكفيه لنفسه وعياله نصفها أو ربعها مثلا فانه يبذل الباقي كله لمصلحة الاخوان

ولا يمكن حملهم على قتل أحد الا بحجة دينية فاذا قنعوا بأن القتال واجب شرعا وشرعوا فيه فانهم يندفعون بشجاعة واستبسال ، وينفق كل في سبيله كل ما تصل اليه يده من المال، على حين نرى غيرهم لا يقاتل الا مأجورا ، فاذا وجد من يزيد في أجره على من يقاتل معه ليقاتله فعل .

وبلغنا أن دعوتهم تغلغلت في جميع قبائل نجد والحجاز وعسير وأطراف هذه البلاد وما جاورها حتى ان قبيلتي غامد وزهران الحضر يتبين طلبتا مرشدين من علمائهم

ما ينتقد على المتدينة

هذا مجمل ما بلغنا من خبرهم من المختبرين المعجبين بنهضتهم الذين يرجون تجديد الاسلام في الجزيرة بهذه الحركة ، ولا نجد بدا من ذكر انتقاد بعض رواة خبرهم غلوهم في كثير المسائل وتشديدهم فيها الى انهم يحرمون بعض المباحات ، ويجزون على بعض الذنوب بأشد العقوبات ، وآفة ذلك جهل بعض الدعاة بالاحكام الشرعية تفصيلا، وهو جهل لا يرجى تلافيه الا بالتوسع في العلم الشرعي ، فان الذي يأخذ الدين بقوة يرجع الى ما يعلم من أحكامه وهدايته .

وخصوم هؤلاء المتدينة ينبزونهم بلقب الوهابية الذي وضعته السياسة لاهل نجد وسمته مذهبا ، وقد حدثني الثقة عن عالم من أهل الحديث رآه في مكة وكان في نجد

أن علماء نجد ينتقدون على المدينة غلوّهم في الدين والجهل بكثير من أحكامه التي لا غنى لمسلم يقيم دينه عنها . وسبب ذلك أنه لا يوجد في نجد من الدعاة والمعلمين الراسخين في علم السنة ومذهب الامام أحمد من يكفي لتعليم هذه القبائل الكثيرة التي تركت تقاليد الجاهلية وانقضت في سلك المدينة. وانا رأينا أكثر الذين يصفون الوهابية في الامصار الاسلامية يقولون لا شك في انهم مجددون للاسلام في بلاد العرب ولكنهم غلاة متشددون ولشدة تمسكهم بظواهر النصوص وأخذها بقوة بدوية لا يشعرون بأنهم غلاة متشددون

حقيقة الوهابية ومذهبهم

ترى في كتب التاريخ الحديث ان لفظ الوهابية يطلق على أتباع الشيخ محمد عبد الوهاب العالم السني الشهير الآتي ذكره المجدد للنهضة الدينية في نجد. وقد اتخذ أمير نجد تلك النهضة في إبان ظهورها وانتشارها وسيلة للاستيلاء على بلاد الحجاز التي طال عليها عهد الظلم والجهل ولم يظهر فيها مصلح علمي ولا إداري ، فانبرت حكومة الآستانة لمناهضته واخراجه من الحجاز الذي هو مناط عظمتها وسلطتها الاسلامية، واستعانت على ذلك بحكومة محمد علي باشا القاة اذ كانت عاجزة عن تولي ذلك بنفسها ، وأرادت ان تشوه تلك الحركة الاصلاحية فاذاعت أنها عبارة عن احداث مذهب جديد مبتدع في الاسلام مخالف لمذاهب أهل السنة، وأغرت أنصارها من العلماء الرسميين والمتين بالرد على هذا المذهب وتضليل أهله أو تكفيرهم وهم ينكرون كل مذهب في الاصول غير مذهب السلف الصالح ويتبعون في الفروع مذهب الامام أحمد ابن حنبل وأصحابه ولكن الدولة العثمانية والحكومة المصرية كانتا أقدر منهم على اقناع أكثر أهل بلادهما بأنهم يتبعون مذهبا جديدا وان محمد علي باشا كان مجاهدا ناصرا للاسلام بقتالهم وان كان أصدق مؤرخي عصره وهو الشيخ عبد الرحمن الجبرتي يثبت ضد ذلك في سيرته وفي وصف جيشه وجيشهم، فأما كلامه في سيرته فكثير ، وأما ما رواه عن المقارنة والمقاتلة بين الجيشين فحسبك منه ماذكره في أول حوادث سنة ١٢٢٧ عند ذكر الذين انهزموا من عسكر محمد علي ورجعوا الى مصر وهو

رواية الجبرتي في الوهابية وعسكر محمد علي

« ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع أين لنا بالنصر وأكثر عساكرنا على غير الملة وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهبا وصحبتنا صناديق المسكرات ولا يسمع في عرضينا أذان ولا تقام به فريضة ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين. والقوم (يعني الوهابية) اذا دخل الوقت أذن المؤذنون و ينتظمون صفوفاً خلف امام واحد بخشوع وخضوع واذا حان وقت الصلاة والحرب قائم أذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة للحرب وتتاخر الاخرى للصلاه وعسكرنا يتعجبون من ذلك لانهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته وينادون في معسكرهم هلموا الى حرب المشركين المحلقين الذقون المستبيحين الزنا واللواط الشاربين الخمور التاركين للصلاة الآكلين الربا القاتلين الأنفس المستحلين المحرمات وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر فوجدوهم غير مختونين » اه

نظرة في أقوال الناس في الوهابية

لايزال كثير من مسلمي الحجاز ومصر وسورية والآستانة والاناضول والرملي يظنون ان لاهل نجد مذهبا مخالفا لمذاهب أهل السنة لان بعض الذين كتبوا عنهم قالوا انهم يكفرون غيرهم من المسلمين ويقولون في النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ما يعد إهانة وانهم عند الاستيلاء على المدينة المنورة أخذوا الكوكب الدري من الحجرة النبوية مع غيره من الجواهر والذخائر وانهم ربطوا الخيل في المسجد الشريف وهم لايحققون هذه التهم ولا ما يصح ان يعد منها كفرا وما لا يعد وهي تهم خصوم سياسيين والسياسة تستحل الكذب والبهتان والتحريف وكل منكر يوصلها الى غايتها. ثم انهم يغفلون عما في قوانين حكوماتهم من المخالفة لاصول الدين وفروعه القطعية المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة التي يكفر جاحدها باتفاق مذاهبهم كاباحة الزنا والربا والقتل لاسباب عسكرية وسياسية مخالفة للشرع ، وعن قول علمائهم ان الرضا بالكفر كفر، وعما يسمعون من الاقوال ويرون من الافعال التي يعد فقهاؤهم كفرا أو فسقا يكفر مستحله . ولا يقولون لعل مايقال عن أهل نجد ان صح يكون من جهل بعض أفرادهم لامن مذهبهم كما أن ما في بلادنا من أحكام القوانين وأعمال الكثير من الفساق والمرتدين هو من جهل بعض الناس بالدين أو ترك الاهتداء وليس عملا بمذهب أبي حنيفة الذي هو مذهب الحكومة وأكثر الولايات التركية ولا

بمذهبي مالك والشافعي اللذين ينتمي اليهما أكثر أهل هذه الولايات العربية

أهل نجد الذين يسمون وهابية كلهم حنابلة ينقلون من كتب السنة المشهورة وكتب مذهب الامام أحمد بن حنبل رابع الائمة الاربعة المشهورين وأوسعهم علما بالسنة كما يعلم ذلك أهل الحديث في كل بلاد الاسلام وهو استاذ أشهر مدوني كتب السنة كالبخاري ومسلم صاحبي الصحيحين اللذين هما أصح كتب الاسلام بعد كتاب الله تعالى . وحكومة نجد لا تحكم الا بفقه الامام أحمد فلا يوجد فيها قوانين غيره ولا أحد هنالك يعمل أو يحكم بقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب قاله باجتهاده ولا يوجد أحد في تلك البلاد يجاهر بمعصية من المعاصي الكبائر ،

فهم باستمساكهم بمذهب الامام أحمد يشبهون أهل أفغانستان في شدة استمساكهم بمذهب الحنفية والتعصب له وشدة الانكار على مخالفه، ولكنهم يفضلونهم ويفضلون سائر المنتمين الى المذاهب الاخرى بتقديم نصوص الكتاب والسنة على أقوال علماء مذهبهم عملا بقوله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ويعذرون من يأخذون بأقوال أي امام من المجتهدين ولكنهم ينكرون على من يأخذ بقول أي مؤلف منسوب الى مذهبه فيما يخالف فيه السنة الصحيحة الصريحة وذلك كثير. وأما الافغانيون فيعاقبون من يخالف مذهبهم ولو الى قول مجتهد آخر أو عملا بحديث صحيح . فمن المنقول عنهم أنهم يعاقبون من يقول « آمين » بعد الفاتحة حتى أن بعضهم سمع رجلا يصلي بجانبه في الصف قال آمين مع تأمين الامام فضربه بمجموع يده على صدره ضربة وقع بها على قفاه، وينقل عنهم انهم اذا رأوا مصليا رفع سبابته عند التشهد فانهم يعاقبونه بقطعها، وقد سألت عن هذا بعض طلبة العلم منهم في مسجد لاهور الاثري الكبير بالهند فقالوا انه صحيح وأرادوا أن يحتجوا عليه فقصرت الكلام معهم متلطفا في الانكار عليهم

وأخبار تعصب أهل المذاهب بعضهم على بعض مشهورة مسطورة في كتب التاريخ وكل ما كان ينكره الحنابلة أهل الكلام في العقائد وأهل الرأي في الفقه هو الاعتصام بظواهر نصوص الكتاب والسنة وترجيح ما كان عليه السلف الصالح على ما جاء به أذكياء أهل النظر من بعدهم لذلك كانوا هم أحق بلقب أهل السنة

من الذين ينتحلونه لانفسهم دونهم

وأميرهم لهذا العهد من العقلاء المتدلين، لا من الغلاة المشددين، فقد بلغنا أن الانكليز اجتهدوا في أول العهد بالحرب الاخيرة في استمالته لقتال الترك فاعتذر عن ذلك بانهم مسلمون، وان ما كان حرب أهل بلاده لهم من قبل فانما هو دفاع لاعتداء، وكبار علمائهم أولى بالاعتدال وانصاف المخالف، فلم يبق الا أن خصومهم يجعلون شذوذ بعض الغلاة منهم قاعدة متبعة ومذهبا لهم كافة

واني أذكر لهم شاهدا على مبالغتهم في سوء الظن بدين أهل البلاد التي فشت فيها الاقوال الشركية كدعاء غير الله تعالى ولا سيما في وقت الشدة — وعلى كونهم مع هذا يتبعون الدليل اذا ظهر لهم ويقنعون به

زارني في مكة المكرمة شاب نجدي يظهر انه من طلاب العلم فقال اني أريد أن أسألك عن شيء أشكل علي من عملك وانما أسألك عنه لانك من علماء الحديث وأنصار السنة ومقاومي البدع . قلت سل . قال : اني رأيتك تصلي مقتديا بأئمة الحرم وقد فشا فيهم دعاء غير الله تعالى فيما لا يطلب من غيره والاستعانة بسواه فيما هو خارج عن الاسباب التي يتعاون الناس فيها وغير ذلك من الشرك الجلي . . . قلت اني لم أصل مقتديا بأحد سمعت منه مثل ذلك أو علمته عنه ، وانه لا يوجد عمل أدل على اسلام المرء وايمانه من الصلاة فانا أصلي مع كل من رأيته يصلي اذا لم يكن عندي علم بأنه على عقيدة باطلة ، واذا كان الله تعالى يقول (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا) والسلام أضعف الامارات على الايمان فهل يصح أن أقول بكفر المصلي والصلاة أقوى أمارات الايمان؟ فرأيته فهم هذا الدليل ورضي به ، ولكني رأيت من المتعذر اقناع أولئك الطلاب الافغانيين في لاهور بخطأ قومهم فيما ذكرت آنفا . ومثلهم من يقلد شيوخ السوء المفرقين في تكفير من يسمونهم الوهابية

لا يوجد عالم سني ولا شيعي ولا خارجي يدعي العصمة لاهل مذهبه فكل فرد من أفراد كل فرقة عرضة للخطإ وان بلغ من سعة العلم ما بلغ وكان الامام مالك يقول : كل أحد يؤخذ من قوله يرد عليه الا صاحب هذا القبر — ويشير الى قبر

المصطفى صلى الله عليه وسلم . وخير المخطئين من يكون خطأه عن اجتهاد وحسن نية سواء كان في تنقيح المناط أو في تحقيقه وآيته انه اذا ظهر له الدليل على خطأه رجع عنه الى الصواب ، وشر المخطئين من يتبع في خطأه من ليس معصوما ويصر عليه وان ظهر له الدليل من الكتاب والسنة على خلافه . فما أضاع الدين وروج بضاعة الجاهلين والدجالين الا هذا التقليد الاعمى من الشيع والفرق لكل من ينسب الى مذهب من يسمونه امامهم من غير علم ولا بصيرة حتى انهم يقلدونهم فيما يخالف نصوص الائمة الذين يدعون اتباع مذاهبهم، والشواهد على ذلك كثيرة في المنتسبين الى كل مذهب من المذاهب، ولكنهم يتخذون أسماء الائمة دروعا ودرقا يدفعون بها حجج كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم المتبعة اعراضهم عنهما واتباعهم سنن من قبلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع مصدقا للحديث المشهور ، وانما أرادوا أن يسلبوا أهل نجد مثل هذا الدفاع عن أنفسهم فسلبوهم اسم الحنابلة وسموهم الوهابية ، فلا فليأتوا بمسألة واحدة مما عليه جمهور أهل نجد لا أصل لها في الكتاب والسنة ولا في كتب مذهب الامام أحمد بن حنبل كما يأتيهم هؤلاء بكثير من المسائل المخلة بعقيدة الاسلام وبأحكامه التعبدية والتصانيف الفاشية في بلادهم مما ليس له أصل في الكتاب والسنة ولا كلام الائمة

تلك حقيقة من يسمون الوهابية والنجدية ونسبتهم الى غيرهم من المنتمين الى المذاهب المشهورة لخصناها مما قرأناه في كتبهم ومما وقفنا عليه بالرؤية والاختبار ومن كتب التاريخ التي خلطت الحق بالباطل وجمعت بين ما كتبه المؤرخون والافرنج على اختلاف الروايات والاهواء، كدأب الناس في كل ماتدخلت فيه السياسة وتنازع فيه الاحزاب والشيع ، وانما ننقل ما كتبه مؤرخ من أهل العلم الذين صدقوا كما كنا نصدق ما أذاعته السياسة من تأسيس الشيخ محمد عبد الوهاب لمذهب جديد وما ذلك الا رجوعه الى مذهب السلف الذي رجع اليه أكثر حذاق النظار من أهل الكلام في أواخر أعمارهم كالاشعري والغزالي والرازي وضرابهم على تفاوت بينهم في معرفة السنة وآثار السلف والتدرج في الرجوع ، وهو :

﴿ مذهب الوهابية وعقائدهم ﴾

كتب المرحوم الشيخ عبد الباسط الفاخوري الذي كان مفتي بيروت في عهد السلطان عبد الحميد في ترجمة السلطان محمود الثاني العثماني من كتابه (تحفة الانام مختصر تاريخ الاسلام) الذي ألف وطبع في بيروت سنة ١٣٢٠ مانصه :

« ثم في غضون ذلك ظهرت الطائفة الوهابية في بلاد نجد واستولوا على مكة المكرمة والمدينة المنورة وباقي بلاد الحجاز حتى قاربوا بلاد الشام من جهة دمشق

«وهم قوم كثيرون من عرب نجد اتبعوا طريقة الشيخ عبد الوهاب وهو رجل ولد في « الدرعية » بأرض العرب من بلاد الحجاز طلب أولا العلم على مذهب أبي حنيفة في بلاده ثم سافر الى اصفهان ، أخذ عن علمائها حتى اتسعت معلوماته في فروع الشريعة وتفسير القرآن الكريم ثم عاد الى بلاده سنة (١١٧٠) ثم أدته ألمعيته الى الاجتهاد[1] فأنشأ مذهباً مستقلا وقرره لتلامذته وشاع أمره في «نجد» و«الاحساء» و«القطيف» و«عمان» و« بني منبه » من أرض «اليمن» ولم يزل أمرهم شائعاً ومذهبهم متزايدا وجماعتهم تكثر الى أن صدرت الارادة السنية الى محمد علي باشا عزيز مصر بقتال وردع هذه الطائفة خوفاً من انتشار شرهم في البلاد الاسلامية فاطفأ شرارهم[1] وبدد شملهم وأخفى ذكرهم ، وقد توفي زعيمهم سعود سنة (١٢٢٩) فساد الامن في طريق الحج وأتى الناس أفواجاً لتأدية فريضة الحج وبهذه السنة حج محمد علي باشا بعد ان لم يكن أحد يتمكن من اداء هذه الفريضة

(١) لايخفى ما في هاتين الجملتين من الاشارة الى الاستحسان ولو صرح لعاقبته السياسة وصادرت الكتاب

وهاك رسالة من كلامهم تدل على مذهبهم ومعتقداتهم :

واعلموا رحمكم الله ان الحنيفية ملة ابراهيم أن نعبد الله مخلصاً له الدين وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم له كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فاذا عرفت أن الله تعالى خلق العباد للعبادة فاعلم ان العبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد كما ان الصلاة لا تسمى صلاة الا مع الطهارة فاذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث اذا دخل في الطهارة كما قال تعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون) فمن دعا غير الله طالباً منه ما لا يقدر عليه الا الله من جلب خير أو دفع ضر فقد أشرك في العبادة كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ＊ واذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ＊ ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) فأخبر تبارك وتعالى ان دعاء غير الله شرك ، فمن قال يا رسول الله أو يا ابن عباس أو يا عبد القادر زاعماً انه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه[1] فهو المشرك الذي يهدر دمه وماله الا أن يتوب من ذلك ، وكذلك الذين يحلفون بغير الله أو الذي يتوكل على غير الله أو يرجو غير الله أو يخاف وقوع الشر من غير الله أو يلتجي الى غير الله أو يستعين بغير

(١) هذا الاجمال يفسر ما بعده والقوم لا ينكرون الشفاعة بل يأخذون فيها بنص القرآن كما صرح به ابن عبد الوهاب في رسائله

الله فيما لا يقدر عليه الا الله فهو أيضاً مشرك . وما ذكرنا من أنواع الشرك هو الذي قاتل رسول الله المشركين عليه وأمرهم باخلاص العبادة كلها لله تعالى، يصح ذلك أي التشنيع عليهم بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله في كتابه

أولها : أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله يقرون أن الله هو الخالق الرزاق المحيي المميت المدبر لجميع الامور والدليل على ذلك قوله تعالى : « قل من يرزقكم من السماء والارض أمّن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله قل أفلا تتقون » وقوله تعالى : « قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله فقل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟ سيقولون الله قل فلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله قل فأنى تسحرون » . اذا عرفت هذه القاعدة وأشكل عليك الامر فاعلم انهم بهذا أقروا ثم توجهوا الى غير الله يدعونه من دون الله فأشركوا

﴿ القاعدة الثانية ﴾

انهم يقولون ما نرجوهم الا لطلب الشفاعة عند الله نريد من الله لا منهم ولكن بشفاعتهم، وهو شرك . والدليل على ذلك قول الله تعالى: (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال الله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار) . اذا عرفت هذه القاعدة فاعرف :

القاعدة الثالثة — «وهي أن منهم من طلب الشفاعة من الاصنام ومنهم من تبرأ من الاصنام وتعلق بالصالحين مثل عيسى وأمه والملائكة والدليل على ذلك قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) ورسول الله لم يفرق بين من عبد الاصنام ومن عبد الصالحين في كفر الكل وقاتلهم حتى يكون الدين كله لله . واذا عرفت هذه القاعدة فاعرف:

القاعدة الرابعة — «وهي انهم يخلصون لله في الشدائد وينسون مايشركون، والدليل عليه قوله تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذاهم يشركون) وأهل زماننا يخلصون الدعاء في الشدائد لغير الله . فاذا عرفت هذا فاعرف : ان المشركين في زمان النبي أخف شركا من عقلاء مشركي زماننا لان أولئك يخلصون لله في الشدائد وهؤلاء يدعون مشايخهم في الشدائد والرخاء والله أعلم بالصواب اه

«وهذه الرسالة والقواعد التي أسسها ذلك الشيخ لاشبهة فيها لان هذا هو الدين الذي جاء به النبي والانبياء من قبله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . لكن هذا الشيخ لم يتحقق ولم يحقق هذه المسألة واتبعه قومه من بعده فافرطوا وفرطوا وقصروا حتى تولد منهم بسبب هذه القواعد تنقيص وتحقير ما عظمه الله وأمرنا بتعظيمه ومحبته وتوقيره وقاسوا المسلمين المخلصين في التوحيد بالمشركين، حتى قاتلوا المسلمين في أفضل البقاع واستحلوا دماءهم وأموالهم، كما وان أكثر العوام من جهلة الاسلام قد تغالوا وأفرطوا وابتدعوا بدعا تخالف المشروع من الدين القويم فصاروا يعتمدون على الاولياء الاحياء منهم والاموات معتقدين

أن لهم التصرف وبأيديهم النفع والضر ويخاطبونهم بخطاب الربوبية وهذا غلو في الدين القويم، وخروج عن الصراط المستقيم، وقد ورد في الحديث المرفوع « دين الله تعالى بين الغالي والمقصر » اهـ

[المنار] هذا ماكتبه مفتي بيروت رحمه الله ولا يخلو كلامه الأخير من تعارض لعل سببه محاولة الجمع بين اعترافه بصحة عقيدتهم التي رواها مجملة وبين ما نقله عنهم خصومهم . على انه كان مضطرا فيما كتبه الى اتقاء وشاية المفسدين والسعاية به الى السلطان عبد الحميد الذي كانوا يخوفونه من استعداد الوهابية للخروج عليه وهؤلاء يقولون في ذلك : اذا كان المؤلف قد اعترف بأن هذه القواعد هي دين الله الذي أرسل بها رسله كلهم فكيف يكون مؤسسها واضعا لمذهب جديد وهل الجديد الا مخالفتها ؟ واذا كان قد اعترف أن أكثر العوام من جهلة الاسلام خالفوا الدين القويم بالاعتماد على الاولياء والاحياء والاموات الخ ومن المعلوم ان غير الاكثر الجاهلين أقروهم على ذلك فكيف يكون من بين لهم الحق الذي ضلوا عنه وقاتلهم عليه مخطئا ؟ وأين قياس الموحدين المخلصين بالمشركين ؟ واذا صح قوله ان هذه القواعد قد تولد منها تنقيص ما عظمه الله وهي حق باعترافه أفلا يكون ذلك من قبيل قوله تعالى في كتابه (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) وما المراد بذلك التنقيص ان المؤمن بالله وبكتابه الغالي في أتباعه لا يصدر منه تنقيص لما أمر بتعظيمه ولكن خصومنا يطلقون ذلك على إنكارنا غلوهم في تعظيم الصالحين بوصفهم بما لا يوصف به الا الله خالقهم ودعائهم واستغاثتهم به فيما لا يطلب الا منه تعالى الشرع دون عرف كما هو مقرر في القواعد . فان تجاوز بعضنا هذا الحد الى ما يعد تنقيصا في عرف أهل البدع أو الشرك فاننا ننكر عليه كما ننكر على كل مخالف ، ولا نبرئ كل من انتمى الينا من الخطأ في فهم قواعدنا أو مخالفتها ونسبتها الى ما ادعونا وقاتلنا في سبيله من جردوا علينا الحملات العسكرية لاجل الملك هو دين الله على لسان خاتم رسله ودين سائر أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم كما اعترف بذلك المفتي رحمه الله

هذا مايقولونه وللشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى رسائل في رد شبهات المخالفين ربما ننشر بعضها في المنار ليطلع عليها من لا يعرف عنه شيئا الا من كلام المتعصبين

﴿ الوحدة العربية . ودعوة ملك الحجاز الى قتال الوهابية ﴾

قويت في هذا القرن فكرة وحدة الاجناس ولا سيما الذين يجمعهم وطن واحد ويتعارفون بلغة جامعة وتوجهت همم المشتغلين بالسياسة والشؤون العامة الى ترقية أقوامهم وجمع كلمتهم ووحدة حكومتهم ، وكان من أمر العرب التابعين للدولة العثمانية في ذلك ما فصلنا القول فيه من قبل

ونقول الآن ان ثورة مكة المكرمة واعلان أميرها الحسين بن علي الخروج على متغلبة الاتحاديين الطورانيين ثم على دولة الترك بجملتها في عهد الحرب الاوربية بل البشرية الكبرى قد أطمع بعض أهل الغيرة والاخلاص من العرب باتخاذ ذلك وسيلة الى جمع كلمة عرب الجزيرة والاستعانة بوحدتهم واتفاقهم على إنقاذ عرب سورية والعراق من ظلم الاتحاديين واضطهادهم اياهم في زمن الحرب والتعاضد معهم بعدها على ما يرتقي به الجميع سواء انتصر أحلاف الدولة العثمانية وظلوا مرتبطين بها أو انكسرت بانكسارهم وفصل بينهم وبينها . وزاد في طمعهم هذا اعلان الزعيم العربي الثائر أن ثورته عربية جنسية لا تفرق بين المسلمين وغيرهم من العرب . ومما نقل عنه وعن أنجاله قواد جيوشه وانتشر في جميع الاقطار التي يقطن فيها الناطقون بالضاد قوله : اننا كنا عربا قبل موسى وعيسى ومحمد . أي فيجب ان نقيم وحدتنا العربية التي كانت قبلهم صلوات الله وسلامه عليهم فلا يكون دينهم حائلا دون ذلك

لهذا سعى اليه بعض هؤلاء الطامعين في جمع الكلمة بأن يعقد اتفاق بين شريف مكة والامير ابن سعود صاحب نجد والامام يحيى صاحب اليمن والسيد الادريسي صاحب عسير على قاعدة الاعتراف لكل منهم باستقلاله في بلاده والتعاون بينهم

[illegible]

الحرب ووصل خبره الى الشريف بعد ابطاله اليوم واستحسانهم له والعلم برغبتهم في الوقوف على تفصيله والبحث في طريقة تنفيذه دون بيان رأيه فيه قبل الهدنة ولما عرض عليه بعدها وقد ظهرت شدة الحاجة اليه رفض أن يشرع في تنفيذه قبل أن يسميه انه يحمل عندهم على خوفه من الترك وتجدد الاستعانة عليهم لا على الاخلاص وانه يرى

تأخيره الى أن يفتح المدينة المنورة ولا يبقى للترك شيء في الحجاز . ولكن روى عنه بعض عماله [illegible] كلام [illegible] الرسمي في المسألة فقال كلاما معناه احتقار أولئك الأمراء [illegible] وكان [illegible] سنورد [illegible] هو

ثم صرنا نرى في أعداد تلقى الينا من جريدة القبلة (بعد قطعها المبادلة مع المنار الى [illegible] الحكومة الهاشمية دخوله في الحجاز) مقالات ومنشورات في الطعن في أهل نجد والدعوة الدينية الى قتالهم . ثم بلغنا خبر ارسال حكومة مكة الهاشمية الحملة بعد الحملة لقتال شريف خالد في الخرمة . ثم بلغنا بعد تسليم المدينة المنورة بأشهر خبر القتال بين الجيش الذي كان محاصرا لها وبين النجديين أنفسهم . فكان ذلك مثار حزن شديد في قلبنا وقلب كل عربي يحب وحدة قومه واتفاقهم وكل مسلم يكره التعادي والتقاتل بين أبناء دينه . بل ذلك مما يحزن كل شرقي يكره ان يستبد الغرب بدون الشعوب الشرقية وأن تكون هذه الشعوب هي التي تمهد لهم السبيل الى ذلك بتعاديها وتقاتلها والى الله المشتكى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

واننا نثبت في هذه الفصول التاريخية المحزنة بعض ما نشر في جريدة القبلة من ذلك . فمنها المنشور الرسمي الذي صدر به عدد القبلة الذي صدر في غرة ربيع الاول من هذه السنة ننقله عن الجرائد وهو

﴿ منشور ملك الحجاز ﴾

أعلنا في منشورنا الصادر يوم الاربعاء ٩ شوال سنة ١٣٣٦ الذي نشرته « القبلة » في عددها ٢٠٢ الصادر يوم الخميس ٢٤ شوال سنة ١٣٣٦ عن البدع والزيغ الديني الذي تلقنه أهل الخرمة — القرية المعروفة الكائنة في شرق مكة المكرمة وفي الشرق الشمالي من الطائف وتبعد عنه نحو الثلاثمائة فرسخ — من بقايا منتحلي العقيدة الوهابية من ساكني بعض قرايا نجد المكفرين لكل العالم الاسلامي بالاحتمالات المعلومة الساقطة عقلا ونقلا التي من جملتها زيارة روضته صلوات الله عليه وسلامه

كما يشهد بذلك عليهم اجتناب كل فرد ينسب الى اعتقاد تلك الاضاليل لزيارته صلوات الله عليه وسلامه وكشارب التنباك وحامل السبحة ونحو ذلك . وأن لابد للرجل أن يعترف بأن أباه وجد جده ماتوا على غير الاسلامية . وما ان مجتهديهم قد أتونا في هذه المرة أيضاً بتكفير من يضحك أو يروي الشعر أو من يحدو ، الى غير ذلك من الاباطيل التي تبين ماهية علمهم. وكوقوعهم في يرمون به أهل السنة والجماعة باعترافهم على أنفسهم بالنفع والضر بالعصا بقولهم انها تنفع وتضر ومحمد زاده الله شرفاً وتعظيما . . . الخ . وجهلهم ان معاشر أهل السنة بصرف النظر عن انهم لا يقولون بذلك والعياذ بالله فانهم يعتقدون ماهو أعم وأبلغ مما تزعمه المبتدعة المذكورة كاعتقادنا بأن الماء لا يروي والطعام لا يشبع والنار لا تحرق ولا تقطع السكين الا بقدرته وارادته جل شأنه وعلا . واننا لا نريد الا فيما أراده الصديق الاكبر والفاروق الاعظم رضوان الله عليهما من الالحاح في دفنهما عند ما أدرك كلامنهما الاجل عند قدميه الشريفتين صلوات الله عليه وسلامه . وهذا على سبيل الاختصار فليتأمل

وعليه وعلى ما أشرنا اليه في منشورنا البادئ الذكر أعلاه من عزمنا على الرفق في مماملاتهم والتباعد عن كل مايؤدي الى سفك الدماء وصيانتها ولكن أبت تلك الضلالة وذلك الزيغ عن منتحليهما الا الاصرار على المقاومة كما يعلم من الوقائع التي نشرتها جريدة «القبلة» من قبيل الحوادث وتجاوز جرأتهم بواقعة يوم السبت الماضي الموافق ٢٠ صفر سنة ١٣٣٧ على مركز المؤن الكائنة في (عشيرة) وتشجيعهم بالمدد الوارد اليهم من اخوان بدعتهم برفق سلطان بن بجاد المعروف لديهم بسلطان الدين وغيره من عرفائه

« رأت الحكومة — وهي لا تشك بأنها في ضمن قوله صلوات الله عليه وسلم: يؤجر المرء رغم أنفه[1] — أن تقوم بمقابلة أولئك المبتدعة بالمثل مباشرة ، بالاصالة عن نفسها وبالنيابة عن كافة المسلمين مع مراعاة الرفق أيضا لمحو هذه البدعة خدمة للدين وتنزيها له مما في هذا الزيغ والضلال وسلامة البلاد من سيئاته . والله ولي التوفيق » اهـ

في هذا المنشور تصريح بان التخاصم كان أولا بين أهل الحرمة وحكومة الحجاز كما تقدم في أول هذه الفصول ، وان أهل الحرمة ساعدهم غيرهم بعد ذلك . وما ذكر في المنشور من بدع الوهابية نسب الى بقايا منهم في بعض قرى نجد ، وهذا لا يبيح اطلاق القول في تكفير أهل نجد كلهم ولا جملتهم ولا يبيح قتالهم وانما على حكومتهم أن تنظر في أمر من ضل منهم ان صحت الرواية على ظاهرها . وقد اطلعنا على منشور صدر بعد هذا في العدد الذي صدر من جريدة القبلة في ٨ جمادى الاولى ووقع اعلاه (باسم الحسين بن علي) وهذا نصه :

منشور كريم

بسم الله الرحمن الرحيم

وما يبدئ الباطل وما يعيد

الحمد لله رب العزة من استهدى به هداه ، ومن توكل عليه كفاه ، والصلاة والسلام على خيرته ومجتباه ، وآله الطهر ، وأصحابه الميامين الغر ، ما كمد حسود وجحود

أما بعد فقد ضاق ذرع حسادنا ونضبت جعبة تلفيقات مخترعات إفكهم فأصبحوا لا يجدون ما يقولون ، ولا يفقهون عما علينا به يفترون ،

[1] المنار: لم يرو أحد من حفاظ السنة عن النبي (ص) أنه قال هذه الجملة ولكنها مما يدور على الالسنة وسبب تسمية الكثير من أمثال هذه الجملة حديثاً شبهها بالاحاديث في اختصارها وافادتها حكمة أو حكماً

الا اشاعتهم في هذه الخطة بأن العرب مختلفوا الرأي متفرقوا الكلمة أدى بهم اختلافهم الى القتال شبوب نار حربه بينهم لاثبات عدم كفاءتنا معاشر العرب امام العالم الذي أعان والثناء لله ثقته بنا وحسن ظنه فينا الى الدرجة التي لا نرى من حاجة للبحث عنها، كما انا لا نرى أيضاً البحث عن تلك المختلقات الساقطة بطبعها بالوفود الذي لا يخلو شهر من قدومهم علينا من أقاصي البلاد على مرأى ومشهد العامة الا ان أرادوا تجدد دعوى مبتدعة الوهابية المذكورة الذين نشر أمرهم غير مرة على صحائف (القبلة) فنحن نحرر منشورنا هذا علاوة على ما سبق ليعلم القاصي والداني بانه متى تحقق لدينا عدم نجاح خطة الدفاع أمام مبادئتهم فلا بد للسلطان من قتالهم بكل موجوديته ويعتبره من أشرف الوظائف وأهمها مصلحةً لا لإرادة ملك أو حرصاً على رياسة كما بيناه في الحفلة العمومية الاخيرة وصرحنا لمن حضرها بانكم ان رأيتم من هو أرشد وأصلح مني للامر فهذه يدي ممدودة لعهده وأيدنا قولنا هذا بالحجج المعلومة لدى حضارها ولكن يقاتلهم للقصد والغاية التي زحفت من أجلها على مركزهم جيوش مولانا محمد علي باشا الا كبر طاب ثراه ولسلامة وصيانة البلاد من كفر وفسوق وعدوان أمثال هذه الخارجة وشوائب خروجهم عن الاسلامية فانه بصرف النظر عن تكفيرهم لمن سواهم من العالم الاسلامي ونيلهم من سيد الاولين والآخرين مَن وصفه جلت قدرته بأنه عزيز عليه[1] وانه رحمة

(١) المنار: يشير بهذا الى قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) وظاهر عبارة المنشور ان قوله تعالى «عزيز عليه» وصف للرسول مستقل معناه انه مكرم عنده تعالى كما يقول الناس اليوم: فلان عزيز علينا أو عندنا. والصواب أن قوله «ما عنتم» معمول له وما مصدرية: أي عزيز عليه عنتكم أي شديد شاق عليه أن تقعوا في شدة أو مكروه

للعالمين فتبجحهم بقولهم ان العالم سيبعث شاء المولى أو لم يشأ والعياذ بالله وهو عز من قائل يقول (قتل الانسان ما أكفره) نعم — قتل الانسان ما أكفره — الى قوله عظمت قدرته (ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره) الآية كفاية للمتبصر ، ولا يبقى بعد هذه المجاهرة بهذه الشناعة متأمل فليعتبر وليتهم بعد ان اعتقدوها وأمثالها اكتنه صدورهم لينظر اليهم كسائر المتحلين والمتقدين من المسلمين وسواهم (كذا) ولكنهم تظاهروا بها وأباحوا دماء من لم يجب دعاتهم على اعتقادها وأمثالها وبدؤهم بالقتال واستحلوا أموالهم وانفسهم فكيف لا يقال والحالة هذه بقتالهم ام كيف نتحاشى عن اعلانه بمنشورنا هذا على صحيفة القبلة اولا ثم اردافه بأنا على ما قلناه وصرحنا به المرة بعد الاخرى بأن مبايعينا بالذات او بالواسطة اذا رأوا المصلحة في سوانا فهذه ايدينا واولادي لعهد من يريدونه مبسوطة وإن لم نكن كذلك فبرأ من الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونكن من الذين عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وهذا منا كما يعلم الله سبحانه وتعالى حرصا على رابطة جامعة اقوامنا ان يفتنهم الاجراء ومبغضو تجدد مجد وسودد عليا الاسلاف باتهامنا ونسبتنا بحب الرياسة والحرص على الجاه وهو العليم الخبير فلا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون » اه

في ٥ جمادى الاولى سنة ١٣٣٧

[المنار] : هذان المنشوران الرسميان قليل من كثير ما نشرته جريدة القبلة التي هي لسان ملك الحجاز باسمه واسميا في تكفير الوهابية أو النجديين والدعوة الى قتالهم باسم الدين تارة واقتداء بمحمد علي باشا تارة أخرى . ومن العجيب أن يسمي ملك الحجاز محمد علي مولاه ويجعله قدوة له في قتال أهل نجد بناء على

انه قتال لا يطلب به ملك ولا جاه كأن محمد علي من الخلفاء الراشدين المهديين الذين خلفوا الرسول صلى الله عليه وسلم في اقامة الدين ، فعسى أن يراجع تاريخ الجبرتي المعاصر له الذي كان يدون اخباره عند حدوثها يوما بعد يوم ليعلم مبلغ علمه بالدين وعمله به، وأن يقرأ قانونه (قانون الكرباج) الذي طبع في المطبعة الاميرية منذ أول العهد بتأسيسها. وهو مع هذا يتكلم في تكفير القوم بلسان العالم المستدل ومحمد علي كان أميا لا عاميا فقط، ويتكلم في وجوب ذلك عليه باسم من ولي امامة المسلمين وخلافة نبيهم (ص) ليقيم دينهم وينفذ أحكامه وحدوده في المرتدين والبغاة، ومحمد علي كان واليا لمصر من قبل السلطان العثماني وبأمره حارب الوهابية، وملك الحجاز اليوم كان أميرا من قبل السلطان العثماني على الحجاز بسلطة محدودة فخرج عليه موالاة لدول الحلفاء وسمي ملكا للحجاز باعترافهم له ، ولا يزال الحجاز بحسب القانون الدولي من بلاد الدولة العثمانية ولن يزال كذلك حتى يعقد الصلح بين الحلفاء وبين الدولة العثمانية ويفصل فيه بأمر الحجاز

وأما أهل نجد فهم مستقلون منذ قرون كثيرة وحاكمهم يسمونه اماما وما نظن أنهم يبايعونه بالامامة (أي الخلافة) كما يبايع أهل اليمن أئمتهم، وحكومتا اليمن ونجد شرعيتان والحكومة العثمانية قد اعترفت باستقلال اماميهما وليس فيهما قوانين وضعية ولا معاهدات تقيدها بقيود غير شرعية ، فان خرجت احداهما عن الشرع أو ارتد أهلها كلهم أو جلهم عن الدين (فرضا) فأجدر بالاخرى أن تكون هي تقيم حكم الله فيها

وأما تصدي ملك الحجاز الذي يناصفه حكومته لمثل ذلك بمساعدة حلفائه وأوليائه فلا يخفى حكمه ، وهو يستلزم أن يقاتل أهل الشام اذا تم لهم ما يطلبونه من الاستقلال دونه وانشاء حكومة مدنية اذا خالفت حكومتهم الشرع في بعض أصوله وكذا بعض فروعه المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة، وهو لا يستطيع ذلك مهما تكن الحالة التي يقر أمر حكومته عليها مؤتمر الصلح . بل ليس للمسلمين امام في هذا العصر يستطيع أن يقوم بالامر الذي تدعو اليه هذه المنشورات الحجازية، فلم يبق الا أن المسألة يراها جمهور المسلمين مسألة تنازع وتقاتل بين طائفتين متجاورتين من المسلمين تكفر كل منهما الاخرى، والواجب اذاً على أصحاب الاستطاعة منهم أن يحكموا

فيهما قوله تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله . فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين . انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)

والمسلمون المستقلون القادرون على هذا هم جيران الحجاز ونجد من أهل اليمن وعسير . فالمطالب بذلك شرعاً إمام اليمن والسيد الادريسي صاحب عسير . وأما مسلمو سورية والعراق فهم خاضعون الآن لاحكام دول الحلفاء العسكرية فليس لهم حرية ولا قوة على عمل شيء باسم الاسلام ولا باسم الوحدة العربية وهمهم في هذه الايام محصور في درء خطر الاستعمار الاوربي عنهم ويتمنون لو يتفق على الوحدة الوطنية مؤمنهم الصادق، وملحدهم المجاهر والمنافق، واليهودي والنصراني، والدرزي والنصيري والاسماعيلي ، وانه ليوجد في مسلمي العرب ملاحدة كملاحدة الترك من الاتحاديين وغيرهم ، ومنهم من يصرحون في خطب يلقونها ومقالات ينشرونها على الجماهير بوجوب جعل الدين الاسلامي محصورا في المساجد لا يتجاوزها الى دواوين الحكومة أو المحاكم ، فما يفعل بهؤلاء من يقاتل الوهابية اقامة لاحكام الدين ؟

وقد نقل الينا عن هؤلاء الوهابية وعن بعض الحجازيين والترك وغيرهم ان أمراء مكة من الشرفاء لهم قانون سري وضعه لهم جدهم أبو نمي قد شرع للشرفاء فيه أحكاما خاصة بهم تصادم الكتاب والسنة وما أجمع عليه جميع المسلمين ككون الشريف منهم اذا قتل يقتل به أربعة من قبيلة القاتل وغير ذلك من الاحكام التي تبيح لهم من أموال الناس ودمائهم ما حرمه الله تعالى. ويدعي هؤلاء الوهابية أن ملك الحجاز الذي قام بقتالهم يدين بهذا القانون وينفذ أحكامه ، وان هذا كفر باجماع المذاهب الاسلامية كلها وانه هو يعاقب بالقتل والصلب والقطع ومصادرة الاموال من غير محاكمة ولا حكم شرعي ولا غيره وان استباحة ذلك كفر صريح بالاجماع

فالذي ينبغي لمن يتصدى لاصلاح ذات البين أن لا يقبل كلام أحد الفريقين في الآخر [illegible] أن يحكم في هذه [illegible] قوة في توحيد البلاد ويجعل الفصل [illegible] والبرهان ، لا السيف والسنان

وأما ابن سعود [illegible] شيء في [illegible] صاحب الحجاز إلا ملخص المنشور الذي أرسله الى بلاد الشام بعد اعلان حكومة دمشق طلب التطوع لانشاء جيش الحجاز وهذا نصه :

﴿ خطاب ابن سعود لاهل الشام ﴾

« خطاب الى حضرات كبار ورؤساء (روحيين ومدنيين) أهالي بلاد الشام مسلمين وسواهم ممن تلزمه الحاجة ويتناوله التكليف . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد بلغنا عنكم مالا يوافق مصالحنا ومصالحكم ولا ينطبق على الحق والعدل ولذلك فرضنا الى أحد مريدينا أن يلقي اليكم برسالتنا هذه وهي في مقام شكوى وتذكير فنقول :

« انكم تعلمون انا منذ مئات من السنين قابضون على زمام حكومة نجد « وتوابعها » أبا عن جد مستقلين لاينازعنا فيها منازع . وليس لدولة ما أدنى علاقة بديارنا سوى العلاقة الودية التي نتجت عن تحسس ديني لخليفة المسلمين بالاستانة والتي أوجبها ورعنا وورع آبائنا العظام على حين أن بلاد الحجاز كبلاد الشام كانت في ملكية الدولة العثمانية ، حتى جاءت الحرب العامة وانتهت بما ترونه من تشتت شمل الامة ، وتمزق وحدة الملة ، وكان ماكان في ذلك الاثناء من أمير مكة المكرمة مما لا شأن لنا به لو أنه قصر عمله ونفعه على الحجاز ولكنه جازاه الله بعمله عقد عقودا وأبرم مواثيق رمى بها سائر الاقطار العربية الى مهاوي الهلاك وهي كما تدعون منبع الاسلام فطوح بها الى حضيض الذل والهوان بعد ان عزت آلافا من الدهور

الى أن قال — « ذلك تجاوز منه وجرأة على الله والامة وأنى له هذا الحق والبلاد العربية فيها ممالك مستقلة ذات خيرات وميرات وملوك وسلاطين منحدرين من أصلاب طيبة وأرحام طاهرة هم سادات وأشراف أثبت منه نسبا وأكرم حسبا

« هذا وقد آلينا على أنفسنا نحن الموحدون بالله والى الله أن لا نرجع حتى يرجع الحق الى نصابه . ويشهد الله أن ذلك ليس منا انتصارا لدولة ولا طمعا في توسيع ملك

« نحن نعلم ان ذلك الامير يلفق علينا مقولات ويرمينا بالمروق من الدين ويدعونا وهابية ليستفز ثائرة المسلمين علينا ويجمع الجند منهم ويقاتلنا بهم فيريد بذلك نشر الفتنة وتعظيم الخلاف

« فيا أبناء الشام ، وأهل باب كعبة رب الانام ، نحن مثلكم مسلمون مؤمنون موحدون ندين بدين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (صلى الله عليه وسلم) ونقر بترتيب الاصحاب كما جاءوا في الحكم والاستخلاف ونقلد في عباداتنا الامام الاعظم أحمد بن حنبل ونعترف ان اخوته الائمة الباقين هم مثله في العظمة والصدق والصحة فحذار ثم حذار أن يغركم ويفسدكم ويفتنكم فتعطوه جندا ومالا فما امامكم الا اخوتكم في الله يجاهدون في الله ، ولم يسبق بيننا وبينكم عداوة ولا نحن طامعون في بلادكم ، فبلادكم تعلمون مصيرها ، فخلوا بيننا وبينه ليزول الاعجل ويقضي الله أمرا كان مفعولا . أما ان كانت لكم كلمة نافذة فاصرفوها في سبيل احقاق الحق وبعد فان من يتجند الى قتالنا فحسبنا الله عليه والسلام على من سمع فوعى

« عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود »

﴿ تذكير المنار للفريقين ﴾

أيها العرب الكرام ليس هذا الوقت وقت التفرق والانقسام ، والتقاتل بدعوى تأييد الايمان وإقامة الاسلام بل هذا وقت يتفق فيه الاقوياء من دول أوربة على تقسيم بلاد العرب كلها ووضعها تحت سيطرتهم حتى ان حياتها ومعيشتها تكون رهن أيديهم

تذكروا ان جميع الممالك العربية التي زالت وزالت دولتها مازالت الا بتخاذل امرائها وزعمائها . كذلك كان زوال ملك العرب بالاندلس والجزائر ومراكش وتونس ، وكذلك زالت أكثر ممالك الشرق في الهند وغيرها ، خربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي أعدائهم فاعتبروا يا أولي الابصار .

احتجاج السوريين

صورة التلغراف
الذي أرسلته الجمعيات السورية

الى سمو الامير فيصل . الى الرئيس ولسون . الى المستر لويد جورج . الى رئيس مؤتمر السلم . الى السنيور أورلاندو . الى ممثلي الحلفاء في العاصمة . الى الحاكم العسكري العام . الى اللجنة الاميركية . الى محمد رستم بك حيدر نائب سمو الامير فيصل في مؤتمر السلام . الى حبيب بك لطف الله مندوب الاتحاد السوري في باريس

نحن الموقعين أدناه نحتج على ماصرحت به اللجنة الاميركية في جنوبي سورية باسم مؤتمر السلام من لزوم تسمية دولة تنتدب للوصاية على بلادنا وانا نرفع احتجاجنا هذا الى دول الحلفاء الذين مازالوا يصرحون انهم ماحاربوا الا لتحرير الشعوب ونصرة المظلوم ونطلب منهم أن يبروا بوعودهم من ترك تعيين مصير بلادنا لنا ونصرح للملأ أجمع اننا لانطلب سوى الاستقلال التام بلا حماية ولا وصاية ولا اشراف ولا أقل شيء يمس باستقلالنا الخارجي والداخلي وبالختام نؤمل اننا لواثقون بعدالة دول الحلفاء الكرام التي اعترفت بالاستقلال التام لكثير من الشعوب اليوم وأبدت مبدأ القومية والمساواة بكل قواها بأن تنصف شعبا حارب مع الحلفاء جنبا لجنب من أجل الاستقلال التام

عن الاتحاد السوري — واثق المؤيد . عبد الرحمن شهبندر . محمد الدين المؤيد . نصوح المؤيد . هشام المؤيد

عن الاستقلال العربي — عبد القادر العظم . جميل مردم . أحمد قدري . يوسف سليمان مخيمر . أحمد مريود . رضا مردم

عن جمعية النهضة الادبية — سامي البكري عبد الرحمن السفرجلاني . نديم الصواف . يحيى الشماع

عن النادي السوري — عبد القادر كيوان . أبو النصر اليافي . أسعد المالكي . حسني البرازي

عن المعهد العراقي — جميل لطفي المحمد العراقي . اسماعيل نامق . رشيد الخوجه
عن المؤتمر السوري — منيح هارون (اللاذقية) عادل العائم (اللاذقية)
مظهر رسلان (حمص) سعيد حيدر (بعلبك) معين الماضي (فلسطين) فائز الشهابي
(حاصبيا) عبد القادر الخطيب (دمشق) محمد المدرس (حلب)
عن جمعية النهضة الفلسطينية — سليم عبد الرحمن الحاج ابراهيم . محمد صالح الحمادي
عن الجمعية البقاعية — عجاج الحيدالي . عوض البقاعي
عن الشبيبة البيروتية — محمد الصائم . أحمد مختار الفاخوري
عن التعاون الخيري — محمد الياسين . عارف الدوجي
عن الاسعاف الخيري — عبد الرحمن الدواليبي . أحمد صبري
عن جمعية الاطباء — حسام الدين أبو السعود . مرشد خاطر
عن جمعية الصيادلة — منير الحايري . حسني الميل
عن جمعية المحامين — نجيب الحكيم . سعيد حيدر
عن النداء الخيري — شكيب كحالة . صالح الجيلاني
عن جمعية المعلمين — محمد أبو الخير القوطلي . عجاج البقاعي
عن جمعية طلاب المدارس — عبد القادر سري . مصطفى الرفاعي
عن جمعية الاخاء العلوية — أديب التقي البغدادي . محمد مرتضى
عن خريجي المدارس العالية — المهندس درويش أبو العافية . الزراعي عمر شاكر
عن جمعية فتيان الجزيرة — عثمان قاسم (صاحب الاستقلال العربي) أحمد فؤاد الحاضري .
سعيد الحافظ . رشدي الصالح ملحس « مدير جريدة الاستقلال العربي » أديب الصفدي
عن النادي التجاري — لطفي الحفار . سعيد عبيد . ياسين دياب
عن الجمعية الزراعية السورية — هاشم المري . صبحي الحسيني
عن النقابة الصحافية — خير الدين زركلي « صاحب المفيد » أسعد داغر « صاحب
العقاب » عجاج البقاعي « صاحب الانقلاب » أبو الهدى اليافي « صاحب الكنانة »
عن الحرف والنقابات — محمد كوكش . محمد البرم
عن جمعية نهضة الطباعة العربية — صدقي المصري . محمود الجيلاني

﴿ صورة البيان الذي قدمته عائلات الشهداء للجنة الاميركية في دمشق ﴾

وقابلت هذه اللجنة يوم تقديمه

اننا بالنظر لاتصالنا العائلي بشهداء سورية نستطيع ان نبين امام حضراتكم رغائبهم المقدسة التي هي ركن النهضة العربية السورية والاساس الذي بنيت عليه ثورتنا . والاجتماعات التي كانوا يعقدونها في بيوتنا مع أصحابهم والاحاديث التي كانت تدور في خلواتهم كانت ترمي دائما الى رفع الامة السورية والحصول على استقلالها التام . لهذه الغاية كانوا يعملون ولتحقيقها فادوا بأنفسهم وعلى دمائهم أرادوا ان يبنى أساسها . ان هذه الروح الشريفة هي المخيمة على الشعب السوري اليوم وهي التي تدير زعماء سورية وترشدهم في أعمالهم . وها نحن أولاد عائلات أولئك الشهداء نطلب من ممثلي الشعب الاميركي الكريم الذي يعرف معنى الشهادة في سبيل الوطن ان يحققوا الآمال التي عقدناها عليهم ويبلغوا الدكتور ولسن حامل لواء الحرية اننا لانريد الا الاستقلال التام . وكتاب الايضاحات السياسية الذي وضعه أحمد جمال باشا ليبرر فيه جناياته التي اقترفها في سورية هو شاهد عدل على الغاية السامية التي كانوا يجدون للحصول عليها .

الاشتراكية والبلشفية والدين

كثر ذم البرقيات والصحف الاوربية في البلشفية التي فشت في روسية وما جاورها من أوربة وآسية فوصفت بأنها عبارة عن فوضى وهرج يسفك دماء وانتهاك أعراض وسلب أموال بغير قانون ولا نظام ، ونرى جميع الدول الراقية خائفة من سريانها الى بلادها ، وغلبتها على أنظمتها وقوانينها ودينها وآدابها ، فكان هذا الخوف والحذر مما أوجب الريب في صدق ذلك الذم والقدح فيها ، لان تلك الفظائع المخالفة لكل دين المستقبحة في كل عقل ، المباينة لكل أدب وعلم لا يخشى أن تهدم كل دين وأدب ونظام ، وسنة الله في بقاء الامثل والاصلح التي

هي أساس سنن الاجتماع ، وقد عهد الناس من لسان السياسة ذم الحسن ومدح القبيح وغير ذلك من قلب الحقائق — لهذا نرى الناس يرجون من البلشفية خيرا وان لم يعرفوا حقيقتها ويودون لو يعرفون معناها ويقفون على أنظمتها

تحارب انكلترة وأحلافها البلشفية بالقول والفعل والمال والدين ، وقد كلفت الشيخ محمد بخيت مفتي مصر فأفتى في جواب سؤال بأن البلشفية محرمة في الاسلام وفي كل دين لانها عبارة عن الاباحة المطلقة للدماء والاموال والاعراض وجعلها عين المزدكية والزردشتية التي ظهرت في أمة الفرس ، فرد عليه كثير من الكتاب الازهريين وغير الازهريين من الجهة التاريخية والدينية وغير الدينية وكثر خوض الجرائد المصرية في ذلك . ولكن الحكومة المصرية أخذت صورة فتواه الخطية بآلة التصوير الشمسي ونقشتها في لوح معدني وطبعت عنها نسخا كثيرة لم يوزع شيء منها في مصر فالظاهر انها توزع في بعض البلاد الاسلامية الاسيوية التي سرت اليها البلشفية

وقد كثر سؤال الناس ايانا عن رأينا في البلشفية ما حقيقتها وهل هي ضرر وشر محض كما تقول السياسة والفتوى أم هل هي خير عام أو خير خاص بقوم وشر على آخرين فنقول :

ان الذي فهمناه من مجموع ما اطلعنا عليه في البلشفية أنها هي عين الاشتراكية المقصود منها ازالة سلطان أرباب الاموال الطامعين وأعوانهم من الحكام الناصرين لهم الذين وضعوا قوانينهم المادية على قواعد هضم حقوق العمال في بلادهم واستعمار بلاد المستضعفين من غيرهم ، وان معناها الحرفي «الاكثرية» فالمراد منها أن يكون الحكم الحقيقي في كل شعب للاكثرية من أهله وهم العمال في الصناعة والزراعة وغيرهما ، وذلك بعد اسقاط سلطة أرباب الثراء والكبراء المشايعين لهم . وقد فعلوا ذلك في روسية بعد اسقاط دولة القياصرة الطاغية الظالمة التي لم يمنع مدعي الحكومات الديمقراطية من الفرنسيس والانكليز ظلمها وطغيانها من محالفتها والاتفاق معها على اقتسام بلاد العثمانيين والفرس . وقد قام في البلاد من بقايا أولئك القيصريين من يناوئهم ويقاتلهم على السلطة . ومن شأن أهل السلطة في كل بلاد أن يقاوموا الخارجين

عليهم فيها بما يمكنهم من الشدة والبأس ، سواء كان ذلك الخروج بحق أو بغير حق ، فاذا كان المطاعن الشديدة في قسوة البلشفيين هنالك أصل كما هو الظاهر فهذا أحد سببين له وهو سبب لا تستطيع حكومة أن تبرأ نفسها من مثله . والسبب الثاني هو انهم لم يكونوا متمرنين على الاحكام وكان الزمن زمن فوضى وفتن وفقر عجزوا عن جعل قوتهم وشدتهم بنظام يمكن لاهله أن يسموها به بضد اسمه

ونحن نجزم بأن أعمالهم وأنظمتهم لايعقل أن تكون موافقة لاحكام الاسلام ولا المسلمين المذعنين لدينهم أن يتبعوهم فيها ، ولكن ليس خاصا بهم بل جميع القوانين الوضعية المتبعة في أوربة وكذا في الشرق كمصر والدولة العثمانية فيها ما يخالف الشرع الاسلامي ، والمسلمون يتمنون نجاح الاشتراكيين نجاحا يزول به استعباد الشعوب — وكلهم المال — وان كانوا ينكرون عليهم كما ينكرون على غيرهم كل ما يخالف الشرع ، على انهم غير مطالبين عندنا بفروع الشريعة ما داموا غير مسلمين

وانما ننشر هنا مقالة توضح ما أشرنا اليه من مقاصد القوم رأيناها في جريدة (سورية المتحدة) التي تصدر في المكسيك وهذا نصها :

« اقرأ أيها التاجر الكبير ما أكتبه اليوم بامعان وحكمة فان خطر الاشتراكية يحدق بكل هذه الكرة الارضية !

تقول الامثال اللاتينية (ان صوت الشعب هو صوت الله) أعني ان الاكثرية متى أرادت الحصول على حاجة ضرورية لها أخذتها عنوة واقتداراً لان الاكثرية هي الحقيقة والحقيقة هي القوة التي لاتقاوم

تمر الدقائق والساعات والايام وفي كل يوم تمثل أمامنا روايات عديدة تفهمنا أن الحق للقوة وهذه القوة هي الاكثرية كما رأينا فى الحرب التي أقامتها ألمانية ، إن شعوب الارض حسبت أن ألمانية تظلم الشعوب والانسانية بالحرب التي شهرتها على فرنسة وبلجيوم وصربية فانقلبت الاكثرية عليها ولم تخش قوتها العسكرية ولا استعداداتها الحربية من غواصات شيطانية وطيارات جهنمية ومدافع ضخمة و بعيدة المرمى بل حملت عليها من كل حدب وصوب حتى أصبحت الاكثرية ضد ألمانية وهذه الاكثرية هي الحقيقة كما أشرنا في بدء كلامنا

والرأي العام اليوم أو الاكثرية هو الاشتراكية - والاكثرية هي ترجمة كلمة (بولشفيكي) الروسية - وهذه تطلب بناء أركان ضخمة ودعائم ثابتة عادلة للسلام العالمي وشروط حسنة للعمال في كل أقطاب الارض

قلنا ان معنى كلمة (بولشفيكي) هي الاكثرية وهذه هي الاشتراكية التي نحسبها من الاخطار المقبلة

لا يعجب القارئ اذا قلنا له ان ٩٩ في المئة من سكان الكرة الارضية هم من الاشتراكين أو البلشفيكين وهؤلاء هم الشعب الذي تقول الامثال ان صوته هو صوت الله، وهذا الشعب هو الذي يقلب الحكام ويثل العروش ويسقط الملوك وهو الذي يحمي أموال الغني ونسائه وبناته وأملاكه ومواشيه ومعامله يبنادق أفراده ويضحي حياته في سبيل اكثار أموال الاغنياء وزيادة أرباحهم

العمل ، الشغل ، هو نصيحة الآباء لابنائهم وفي المدارس يسمع التلامذة من معلميهم صدى هذه الكلمة مرات عديدة في كل يوم من أيام حداثتهم ، وكذلك الحكام يحثون الشعب على العمل لان به سعادة البلاد وبعكسه خرابها

قلنا ان الشعب العامل هو ٩٩ في المئة من كل سكان الارض ، وقلنا ان عليه تتوقف سعادة البلاد وخرابها وان هو الذي يرسل في الحروب لاقرار الامن ولاغاثة المظلوم ومحاكمة الظالم . أفلا يجب على الاقل أن تقدس حقوقه وتحترم ويحصل على حاجياته الضرورية ؟ ؟

تقطع العلائق الودية بين دولة وأخرى ويكون سبب ذلك طمع الواحدة بقعة أرض غنية بالمعادن أو خصبة للاخرى وتكون هذه البقعة لاحد الاغنياء ، فتسوق الاولى شعبها برمته لساحة الحتف والفناء دفاعاً عن تلك البقعة لتحفظها للغني .

وتسوق الثانية كل شعبها لساحة الموت والدمار لتنتزع تلك البقعة وتبيعها من متمول آخر في بلادها

يترك العامل فأسه أو محراثه أو منشاره أو مطرقته ويترك زوجته وأولاده وعائلته وبيته عرضة للجوع والعري والاهانة ويحمل البندقية لملاقات الموت الزؤام بين لعلعة المدافع وصفير البنادق ودوي انفجار الالغام وصليل السيوف وانفجار ينابيع الدماء الدفاع

عن أموال الغني وأرضه ومناجمه ومعامله والغني يخطر مشمخرا بين النمارق الوثيرة يعاقر كؤوس الخمور . ويتربع فوق الطنافس الناعمة لمداعبة ناحلات الخصور !!

يفعل الشعب كل هذا باسم الوطن وهو لا يملك من هذا الوطن شروى نقير فيعود من الجزرة البشرية مقشعر الشعور شائب(؟) الرأس ناحل الجسم عليلا فيجد أولاده وزوجته فريسة الجوع والبرد والاهانة فتقول له الحكومة اذهب واشتغل وهكذا يقضي العامل الفقير أيام حياته بين الفأس والمحراث لا يكسب من وراء عمله أجورا عادلة ولا يحصل الا على اليسير من رديء الغذاء وفضلات الكساء

مضت العصور والاجيال والشعب يتحمل كل هذا الشقاء والعناء و يحاول كسر نير الاغنياء الفولاذي فتضرب به الحكومات وهن شريكات الاغنياء بجرائمهم ومعاصيهم فترضى بجورهم عن خوف ورهبة لا عن عدل ورحمة

أما الآن فالشعب هو غير ما كان عليه بالامس فهو الذي يقبض على القوة المسلحة ويدير حركتها ويقبض على السلاح والذخائر والخطوط الحديدية والمواصلات ومئة مليون روسي في أخصب بقاع الارض وأغناها بالمعادن وزيت البترول والفحم الحجري تؤيد مطالب العامل وتؤلف أول حكومة شعبية في الارض دعت الشعوب أواسط أوربة أعلنوا انضمامهم للحكومات الشعبية وكذلك نرى العمال في فرنسة وايطالية وسويسرة وفي كل أوربة وأميركة وآسية يطالبون باسقاط حكوماتهم وانشاء حكومات شعبية (بولشفيكية) وهم لا يخشون حكوماتهم لان منهم الجندي والبندقية بيده ومنهم البحار والسفينة وكل ما فيها يتقيد بأمره ومنهم سائق القطارات وصانع المدافع والقذائف بل ان كل شيء بيده وعليه يتوقف انقلاب الحركة الارضية والثورة العامة لايجاد العدالة واقرار السلام

ولا بد من هذا لانشاء الحكومات الشعبية التي تشعر بحاجات الشعب وتعترف بلوازمه

نعم انه لا يستطاع انشاء حكومات شعبية الا بعد أن تدمر ثروة الاغنياء وذلك [illegible] ومقاومتهم لمطالب الشعب العادلة فيضطر هذا لاخذها بالقوة والارغام [illegible] الاغنياء في كل أقطار المعمورة ولكن الشعب لا يظلمهم بذلك بل ان ظلمهم [illegible] سيطرتهم المطلقة ينتج لهم هذه النتيجة

خلاصة معاهدة الصلح[1]

٣

الفصل السادس

في أسرى الحرب

أسرى الحرب — تتولى لجنة تؤلف من مندوبي الحلفاء ومندوبي الحكومة الالمانية مع لجان فرعية محلية اعادة أسرى الحرب الالمان والملكيين المعتقلين الى أوطانهم . ويرد الاسرى الملكيون المعتقلون من الالمان الى أوطانهم بلا تأخير بواسطة الحكومة الالمانية وعلى حسابها . والذين حكم عليهم لذنوب ارتكبوها ضد النظام العسكري . قبل ١ مايو سنة ١٩١٩ يردون الى أوطانهم ولو لم يكملوا المدة المحكوم بها عليهم ولكن هذا لا يسري على الجرائم المخالفة للنظام العسكري ويحق للحلفاء ان يبقوا عندهم ضباطا مختارين من الالمان الى ان تسلم الحكومة الالمانية الاسرى الذين ارتكبوا جرائم ضد قوانين الحرب وعرفها، ويحق للحلفاء ان يتصرفوا بما يستصوبون مع الرعايا الالمان الذين لا يرغبون في العودة الى أوطانهم، ويشترط في كل مسألة اعادة الالمان الى أوطانهم الافراج المعجل عن رعايا الحلفاء الذين لا يزالون في ألمانية وعلى الحكومة الالمانية ان تسهل على لجان التحقيق جمع المعلومات عن أسرى الحرب المفقودين ومعاقبة الموظفين الالمان الذين أخفوا رعايا الحلفاء . وعلى الحكومة الالمانية ان ترد الى الاسرى من الحلفاء جميع أموالهم ويتبادل الفريقان المتعاقدان المعلومات عن الاسرى الذين ماتوا وقبورهم

القبور — يحترم الحلفاء وحكومات ألمانية قبور جميع الجنود والبحارة المدفونين

(١) تابع لما نشر في الجزء الرابع

في أملاكهم ويمونون بالمعدات المعينة الخاصة بها ويساعدونها في مهمتها ويسهلون التسهيل المستطاع في نقل الرفات والدفن

الفصل السابع

في تبعة جنايات الحرب

يتهم الحلفاء علانية الامبراطور السابق ولهلم الثاني « بارتكابه الجريمة العظمى ضد الآداب الدولية وحرمة المعاهدات » وسيطلب من الحكومة الهولندية تسليم الامبراطور السابق وتؤلف محكمة خاصة من قاض واحد لكل دولة من الدول الخمس العظمى وتهتدي هذه المحكمة بأسمى المبادئ في السياسة الدولية ويناط بها مهمة تعيين العقاب الذي ترى وجوب انزاله . ويؤلف الحلفاء محاكم عسكرية لمحاكمة المتهمين بارتكاب فعال خرقوا بها قوانين الحرب وعرفها، وعلى الحكومة الالمانية أن تسلم جميع الاشخاص المتهمين بهذه التهم، وتعين كل دولة من دول الحلفاء محاكم كهذه لمحاكمة الذين ارتكبوا أمورا جنائية ضد رعاياها ويحق للمتهمين أن يعينوا المحامين عنهم وتتعهد الحكومة الالمانية أن تقدم جميع الاوراق والمعلومات التي يقتضي ابرازها

الفصل الثامن

في التعويض والرد

ان الحكومات المشتركة تلقي على ألمانية وحلفائها تبعة كل خسارة وعطل أصابا الحلفاء والدول المشتركة معهم ورعاياهم من جراء الحرب التي سيقوا اليها باعتداء ألمانية وحلفائها وان المانية تسلم بتبعتها وتبعة حلفائها . ومع أن الحلفاء والحكومات المشتركة معهم يعترفون بأن موارد المانية لاتفي بتعويض هذه الخسارة وذلك الضرر لنقص مواردها الناتج عن المطالب الاخرى المنصوص عليها في المعاهدة فانهم

يجة ضمن منها التعويض من كل عطل أصاب الاهالي في الفئات السبع الكبرى التالية وهي :

(أ) العطل الحادث من الاذى البدني للاهالي بسبب الاعمال الحربية المباشرة وغير المباشرة وفي جملتها القاء القنابل من الجو

(ب) العطل الذي أصاب الاهالي وفي جملته التعرض للبرد والجوع في البحر من جراء اعمال القوة التي أمر العدو بها والعطل الذي أصاب الاهالي في الولايات المحتلة

(ج) الضرر الحادث من اساءة معاملة الاسرى

(د) الخسارة التي نزلت بشعوب الحلفاء وهي ممثلة بالمعاشات والاعانات الممنوحة لعائلات الجنود اذا حولت الى رأس مال عند امضاء هذه المعاهدة

(ه) العطل الذي أصاب الاملاك والاموال غير المهمات العسكرية البحرية والبرية

(و) الضرر الذي أصاب الاهالي بالسخرة

(ز) الخسارة الحادثة من الباس والغرامات التي فرضها العدو

وعلاوة على ذلك تتعهد ألمانية بأن ترد جميع المبالغ التي اقترضتها البجيك من الحلفاء بسبب خرق ألمانية لمعاهدة ١٨٣٩ وذلك لغاية ١١ نوفمبر ١٩١٨ ولهذا الغرض تسلم ألمانية في الحال الى لجنة التعويض ٥ في المئة ذهبا وسندات تستحق في سنة ١٩٢٦ (المقطم - يظهر انه سقطت عبارة هنا والمرجح انه جاء فيه ذكر الف مليون جنيه سندات) . أما جملة المطلوب دفعه من ألمانية كما هو مبين في كشف العطل والضرر فيعين ويبلغ اليها بعد ان تسمع أقوالها بالانصاف ويكون تسليمه اليها من لجنة التعويض التي للحلفاء قبل ١ مايو ١٩٢١ . وفي الوقت عينه يقدم كشف الدفعات التي يتعين على ألمانية دفعها في خلال ثلاثين سنة لتوفية ماعليها وهذه الدفعات عرضة للتأجيل اذا طرئ بعض الطوارئ . وتعترف ألمانية اعترافا قاطعا لا رجوع فيه بما لهذه اللجنة من السلطة التامة وتقبل ان تمدها بجميع المعلومات

اللازمة وتسن القوانين لتنفيذ قراراتها وتقبل ان ترد الى الحلفاء النقود و بعض الاشياء التي تمكن معرفتها، ومن الامور المعجلة التي يطلب من ألمانية عملها في سبيل رد الشيء بما تدفع في خلال سنتين الف مليون جنيه اما ذهباً أو بضائع أو بواخر أو غير ذلك من أشكال الدفع المعينة وهذا المبلغ يدخل في سند الالف مليون جنيه المشار اليه في ما تقدم ولا يكون علاوة عليه مع العلم بأن بعض المصروفات كمصروفات جيوش لاحتلال وثمن الطعام والمواد الخام قد تحسم اتباعا لما يستصوب الحلفاء .

ولجنة التعويض في تقدير مقدرة ألمانية على الدفع في الآجال المعينة تفحص نظام الضرائب في ألمانية أولا والغرض من ذلك ان تجعل المبالغ التي يطلب من ألمانية دفعها التعويض هيناً على جميع ايراداتها قبل ان يصرف من هذه الايرادات شيء في تسديد فائدة ديونها الداخلية أو استهلاك شيء منها . وثانياً لتتأكد اللجنة ان اللجنة الالمانية هي بالاجمال بالغة من الكبر النسبي مبلغها في بلاد أية دولة من الدول التي لها مندوبون في اللجنة . هذا والتدابير التي يحق للحلفاء والدول المشتركة معهم اتخاذها اذا تقاعدت ألمانية باختيارها عن دفع الاقساط المطلوبة والتي تعترف ألمانية بأنها لا تعد أعمال حرب تشمل القيود الاقتصادية والمالية ومقابلة الشيء بمثله، وبالاجمال جميع التدابير التي تعدها الحكومات المذكورة لازمة في تلك الاحوال .

وتتألف هذه اللجنة من مندوب عن كل من الولايات المتحدة و بريطانية العظمى وفرنسة وايطالية والبلجيك ومندوب عن سربيا واليابان يحل محل مندوب البلجيك حينما يقع ما يمس مصالح احدى هاتين الدولتين . ثم ان سائر دول الحلفاء يحق ان يكون لها مندوبون في اللجنة متى نظر في مطالبها ودعاويها من غير ان يكون لها حق الاقتراع وتجيز اللجنة لالمانية ان تقيم البينة على مقدرتها على الدفع وتوسع لها المجال لابداء حججها ويكون مركز هذه اللجنة في باريس وهي تضع نظام اجراءاتها وتعين موظفيها ومستخدميها وتكون لها الرقابة العامة على مسألة التعويض كلها وتصير الوكيل الوحيد للحلفاء لاستلام التعويض والدفع وحيازته و بيعه وتوزيعه

وتكون قرارات اللجنة بالاكثرية وانما بشرط الاجماع في المسائل التي تمس سيادة حليف من الحلفاء واعفاء ألمانية من جميع عهودها أو من بعضها وتعيين مواعيد بيع السندات الصادرة من ألمانية وكيفية بيعها وتوزيعها وصرفها وتأجيل الدفعات السنوية بين سنة ١٩٢١ وسنة ١٩٢٦ الى ماوراء ١٩٣٠ وتأجيل الدفعات بعد سنة ١٩٢٦ لمدة ثلاث سنوات وتغيير أسلوب تقدير العطل والخسارة وتفسير الشروط .
ويجوز للدول سحب مندوبيها من هذه اللجنة اذا أعلنت عزمها على ذلك قبل وقوعه باثني عشر شهرا . ويجوز للجنة ان تطلب من ألمانية ان تعطيها من وقت الى وقت على سبيل الضمان والتأمين سندات لتسديد المطلوبات التي لم تسددها . ولهذا الغرض ولاجل بيان مجموع المطلوب من المانية تطالب الآن بأن تقدم سندات تعترف فيها بالمبالغ المطلوبة منها وهي ألف مليون جنيه انكليزي تدفع قبل انقضاء أول مايو ١٩٢١ بلا فائدة والفا مليون جنيه انكليزي بفائدة ٢ $\frac{1}{2}$ في المئة بين ١٩٢١ و ١٩٢٦ ثم تصير الفائدة ٥ في المئة ومال الاستهلاك ١ في المئة ويبدأ الدفع سنة ١٩٢٦ . وتتعهد المانية بأن تعطي سندات بألفي مليون جنيه انكليزي آخر بفائدة ٥ في المئة وبشروط تعينها اللجنة فيما بعد

وتكون الفائدة على هذه الديون التي على ألمانية ٥ في المئة لا اذا عينت اللجنة فائدة أخرى في المستقبل والدفعات التي لاتدفع ذهبا يمكن للجنة ان تقبل فيها بدلا من الذهب أملاكا وبضائع وحقوق انجار وامتيازات الخ ويجوز للجنة ان تصدر للدولة صاحبة الشأن شهادات تمثل السندات أو البضائع التي أخذتها من المانية ومتى انتقلت السندات من حيازة اللجنة ووزعت على الدول يعتبر ان ما يساوي قيمتها من دين المانية أوفى

البواخر — تعترف الحكومة الالمانية بأنه يحق للحلفاء ان يطالبوها بتعويضهم من جميع البواخر التجارية وسفن الصيد التي فقدت أو عطلت بسبب الحرب وان يطلبوا منها ان تبدلها بما يساويها طنا بطن وطرازاً بمثله وتقبل ان تسلم الى الحلفاء جميع

البواخر الالمانية التي حمولتها من ١٦٠٠ طن فصاعداً ونصف بواخرها التي حمولتها بين ١٠٠٠ و ١٦٠٠ طن وربع بواخر الصيد سفن الصيد وتسلم هذه البواخر كلها بعد شهرين قيمة التعويض مع عقود التنازل الدالة على نقل ملكية البواخر خالية من كل سبب

وعلاوة على ذلك من قبيل التعويض تقبل ألمانية أن تبني بواخر لحساب الحلفاء الى قدر لا يتجاوز ٢٠٠ الف طن في السنة في السنوات الخمس التالية وترد جميع البواخر النهرية التي أخذتها من الحلفاء ويكون ردها في خلال شهرين . وكل خسارة تكون قد أصابت هذه البواخر تعوضها ألمانية باعطاء جانب من بواخرها النهرية لا يتجاوز عشرين في المئة منها

الولايات الحربة — تتعهد ألمانية بأن تقف مواردها الاقتصادية على تعمير الولايات التي غزتها وتكون للجنة التعويض السلطة بمطالبة ألمانية بتعويض مادمر بتسليم الحيوانات والآلات الخ الموجودة في ألمانية وصنع المهمات المطلوبة للتعمير مع مراعاة حاجات ألمانية الداخلية الضرورية

الفحم الخ — على ألمانية أن تسلم الى فرنسة مدة عشر سنوات من الفحم ما يساوي الفرق بين ما كان يستخرج سنويا من الفحم من مناجم النور و باد كاله وما يستخرج منها سنويا لمدة نحو عشر سنوات . ثم ان ألمانية تعطي لفرنسة الخيار لمدة عشر سنوات بأن تسلم سبعة ملايين طن من الفحم سنويا لفرنسة علاوة على ما تقدم وتسلم ثمانية ملايين طن للبلجيك وتسلم ايطالية لها يختلف مقداره من ٤ ½ مليون طن في سنة ١٩١٩ و ١٩٢٠ الى ٨ ½ مليون طن في سنتي ١٩٢٣ و ١٩٢٤ بأثمان تعين حسب ما هو وارد في المعاهدة . ويجوز أخذ فحم الكوك بدلا من الفحم على نسبة ٣ أطنان منه لاربعة أطنان من الفحم . ونص أيضا على تسليم البترول وقطران الفحم وسلفات الامونيا الى فرنسة لمدة ثلاث سنوات . وللجنة السلطة بأن تؤجل تسليم هذه المقادير أو تلغيه اذا كان تسليمها يعرقل مطلوبات الصناعة في ألمانية

الاصباغ والعقاقير — تعطي ألمانية اللجنة حقا بأن تأخذ من الاصباغ والعقاقير

وفي جملتها الكينا نصف الموجود منها في ألمانية في وقت الشروع في تنفيذ المعاهدة وتعطيها حقا كهذا كل ستة أشهر من السنة الى سنة ١٩٢٤ بحيث لايتجاوز ٢٥ في المئة مما يكون قد صنع في الاشهر الستة السابقة

الاسلاك التلغرافية البحرية — تتنازل ألمانية عن كل حق لها في أسلاك معينة وتقيد قيمة الاسلاك التي لها أصحاب من الافراد أو الشركات لحساب ألمانية وتطرح من التعويض المطلوب منها

نصوص خصوصية — تعويضا من تدمير مكتبة لوفان تقدم ألمانية من الكتب الخطية والكتب المطبوعة القديمة والصور الخ مايساوي ماأتلف في المكتبة المذكورة وزد على ذلك ان ألمانية تسلم الى البلجيك الجناحين الخاصين بمذبح سجود الحمل الذي صنعه هوبرت وجان فان ايك وهما موجودان في برلين الآن ووسط هذا المذبح موجود الآن في كنيسة القديس بافو في غنت وكذلك الجناحين الموجودين الآن في برلين ومونخ وهما من مذبح يمثل العشاء الاخير صنعه درك بوتس والقسم الاوسط من هذا المذبح موجود في كنيسة القديس بطرس في لوفان

وعلى ألمانية أن ترد الى ملك الحجاز في خلال ستة أشهر مصحف الخليفة عثمان الذي كان قبلا في المدينة وترد الى الحكومة البريطانية جمجمة السلطان مكوى التي كانت قبلا في شرق افريقية الالماني وترد الى الحكومة الفرنسوية الاوراق التي أخذها ولاة الامور الالمان سنة ١٨٧٠ وهي لمسيو روهر وترد الرايات الفرنسية التي أخذتها في حرب ١٨٧٠ — ١٨٧١

الفصل التاسع

في المالية

ان الدول التي ستأخذ أملاك ألمانية تتحمل جانبا من الدين الذي كان على ألمانية قبل الحرب وهذا المبلغ تعينه لجنة التعويض على قاعدة النسبة بين ايرادات الاملاك المقتطعة ومجموع ايرادات ألمانية في السنوات الثلاث السابقة للحرب ولكن

نظرا للاحوال الخصوصية التي سلخت فيها الالزاس واللورين عن فرنسة سنة ١٨٧١ لما أبت ألمانية أن تحمل شيئا من دين فرنسة العمومي فرنسة لاتحمل شيئا من الدين الذي كان على ألمانية قبل الحرب ولا تحمل بولندة شطرا ما من الديون التي استدانتها ألمانية للاستبداد ببولندة . أما قيمة أملاك الحكومة الألمانية في البلاد التي تنازلت عنها فهذه بالاجمال تحسب لألمانية في حساب التعويض الا في الالزاس واللورين حيث لايقيد شيء كهذا لحساب الحكومة الالمانيـة . أما الدول الموكلة فلا تحمل شيئا من ديون ألمانية ولا تقيد شيئا لحسابها مقابل أملاك الحكومة الالمانية وتتنازل ألمانية عن كل حق في تعيين مندوبين لها أو السيطرة على بنوك الحكومة أو اللجان أو غير ذلك من المعاهد والجمعيات المالية والاقتصادية

وعلى ألمانية أن تدفع جميع مصروفات جيوش الاحتلال من تاريخ الهدنة مادامت هذه الجيوش مرابطة في بلاد ألمانية ويكون المبلغ اللازم لتسديد هذه المصروفات أول ما يؤخذ من ايراداتها وتتلوه مبالغ التعويض بعد دفع أثمان الواردات التي يعدها الحلفاء لازمة لألمانية . ويجب على ألمانية أن تسلم الى دول الحلفاء جميع المبالغ التي أودعتها تركيا والنمسا والمجر في ألمانية لاجل المساعدة المالية التي ساعدتها ألمانية بها في أثناء الحرب وأن تنقل الى الحلفاء جميع المطلوبات التي لها قبل النمسا والمجر وبلغاريا وتركيا ومن جراء الاتفاقات المبرمة بينها في أثناء الحرب

وتؤيد ألمانية تخليها عن معاهدتي بخارست وبرست لتوفسك وبناء على طلب لجنة التعويض تنزع ألمانية ما لرعاياها من حقوق الملكية أو المصلحة في المنافع العمومية في البلاد التي تنازلت عنها وفي البلاد التي ستديرها دول الحلفاء بالوكالة وفي تركية والصين وروسية والنمسة والمجر وبلغارية وتنقل هذه الحقوق والمصالح الى حيازة لجنة التعويض وهذه اللجنة تقيد لها قيمة ذلك بالحساب وتتعهد ألمانية أن تسدد الى البرازيل التي تجمدت من بيع بن سان باولو وكانت قد أبت على البرازيل أن تسحبه من ألمانية

(لها بقية)

لاقوة الا بالاتحاد [1]

كونوا جميعا يابنيّ اذا اعترى	خطب ولا تتفرقوا آحادا
تأبى القداح اذا اجتمعن تكسراً	واذا افترقنَ تكسرت أفرادا

(أكثم بن صيفي)

أنشد الحكيم العربي هذين البيتين عندما شعر بدنو الاجل ، فلخوفه على أولاده من التفرق دعاهم لسماع وصيته الاخيرة. وكان قد استحضر اضمامة من السهام فطلب اليهم ان يكسروها فلم يقدر واحد منهم على كسرها. ثم بددها فاستسهلوا كسرها فقال لهم: كونوا مجتمعين ليعجز من ناوأكم عن كسركم كما عجزتم عن كسرها. فاذا تفرقتم تسهل كسركم وضاع قدركم وهان أمركم. فياحبذا لو ائتم العرب بشعر حكيمهم وانتصحوا بأنفع النصائح. اذاً لما فقدوا الملك والخلافة. واشتغلوا عن الحوادث والحدثان بأحاديث خرافة. فبين التنازع والتقاطع خربوا مملكتهم بأيديهم وقد كانت أعظم مملكة طلعت عليها الشمس، وبينما كانوا أسياد الشعوب اذا هم عبيد الترك والروم . لكنهم صبروا على الاعادي وصبروا غور العوادي. فوقاهم تعلقهم بأهداب عروبتهم وتمسكهم بأستار كعبتهم . فحفظوا بكتبهم وأقلامهم ما كان دونه تكسير سيوفهم،وتنكيس أعلامهم . فالحمد لله على بقاء القوة كامنة في صدورهم ليبنوا قصورهم على قبورهم . وان في حفاظهم على العصبية أساس الوحدة العربية

لا قوة بلا اتحاد ولا اتحاد بلا اتفاق وانما الاتفاق بحسن التفاهم وصدق التساهل وذلك ميسور للذين رجحت أحلامهم وكرمت اخلاقهم . فعلى العرب ان يتفقوا ويتحدوا بالتي هي أحسن انلافي التي هي أقبح . والا اعتلت عربيتهم وانحلت عصبيتهم،فاصبحوا لا يعرفون أوطانا ولا يرفعون أعلاما. السيل الاوربي يكاد يطغى عليهم ويفرقهم كما تفرقت أيدي سبا . وانه لأكثر خطرا وأشد هولا من سيل العرم الذي

(١) للكاتب الفاضل «الوليد بن طعمة» صاحب الروح العربية العالية عن العدد ١٤ من «سورية الجديدة» الصادر في البرازيل في أول ايار (مايو) سنة ١٩١٩

أجحف التبابعة ومزق ملكهم فليبنوا له من اسمائهم وقرآنهم سداً امتن من سد مأرب. وما استناموا الى الاوربيين رأوا منهم أصلالا وثعابين . وكفى بنكبة اخوانهم عرب الغرب عبرة وانذاراً . ومن فظائع الصليبيين في الماضي يعرفون مقدار فجائعهم في الآتي، فما أقرب الغد من الامس والخطار أدنى من قاب قوسين . الفرنج يضربون أخماسا لاسداس ويستضعفون العرب لتخاذلهم . فلا قوة لهم الا باتحادهم وتوحيد حكامهم و بلادهم

قيل ان زرقاء اليمامة كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام . فجهز حسان ابن تبع جيشاً وسار الى غزو قومها جديس . فصعدت ونظرت الى الجيش فرأت كل رجل قد حمل شجرة ليلبسوا عليها فقالت أتتكم ياقوم الاشجار أو أتتكم حمير فلم يصدقوها ولم يستعدوا حتى صبحهم حسان فاجتاحهم . واني لقومي نذير لئلا يحل بهم ماحل بقوم الزرقاء . لقد علموا أن بين زرق العيون وسودها عداوة جرائيمها في العروق فكيف يركن العربي الى الفرنجي وهو العدو الازرق و بينهما من المباينة مالا يزول بالملاينة . فليحذر العرب خشونة القلانس بعد ليونة الملامس، ان الفرنج يمانعونهم لينالوا منهم أربا ثم يقولون لا نعرف عربا . المثل يقول : من جرب مجربا كان عقله مخربا . فأي شعب لم يجربهم و يتأكد أن أعمالهم تخالف أقوالهم فاذا دخلوا أرضاً مزقوها واذا حكموا أمة مزقوها . وبعد ما تركز أعلامهم وتفرز أقدامهم يستبدلون العنف من الرفق والقوة من الخدعة . فويل للعرب من الفرنسيس والانكليز اذا لم يوحدوا كلمتهم توحيدهم لله

لو حفظ العرب عصبيتهم في الاسلام كما حفظوها في الجاهلية لظلوا حتى اليوم أهل السيادة والقيادة . لكنهم أضاعوا الدولة والخلافة بتحكيم الغرباء وتسليم الامور الى الدخلاء، فأصبحوا محرومين من ملك بني على أجسادهم وأكبادهم ، وصار الى الفرس والترك ولا كرادما فتحته سيوف أجدادهم. والبلية من سياسة الخلفاء الخرقاء بتقديم العجم على العرب واعتمادهم على المماليك في السياسة والحرب ، فلو جعلوا الاحكام للعرب دون غيرهم لصانوا شرفهم وشرف العروبة والخلافة . وقد ظنوا دولتهم اسلامية تقوم بالمسلمين من جميع الشعوب . فما كان الاسلام شافعاً لهم عند نزرة

الشعوبية ونعرة العصبية . وهكذا أسقطوا العرب وأبعدوهم فسقطوا اذ لا حماة للدولة الا الذين بنوها . والدولة التي يتربع في دستها الاجانب صائرة الى اضمحلالها واضمحلالها . لما قتل باغر التركي المتوكل على الله رثاه المهلبي بقصيدة قال في آخرها يخاطب بني العباس

فلو جعلتم على الاحرار نعمتكم   حمتكم السادة المركوزة الحشد
قوم هم الجذم والانساب تجمعكم   والمجد والدين والارحام والبلد

لقد صدق المهلبي فليس للمرء الا أهله وقومه في الشدة . ان معن بن زائدة الشيباني قاتل المنصور مع ابن هبيرة نصرة لبني أمية . فاشتد طلب المنصور له وهدر دمه فاختفى زمناً طويلا وبعد ماقتل المنصور أبا مسلم ثار عليه الراوندية وقصدوا قصره ليقتلوه ، فبرز البطل العربي معن بن زائدة متلثما وقاتل العصابة الفارسية وحده حتى ظفر بها ومزق شملها، فتمرد الفرس على الخليفة العربي أنساه العداوة، فصان وقار الخليفة والعرب، وبما عنده من النخوة العربية والغيرة العصبية ركب مركبا خشنًا وأبلى بلاء حسنا ، فلو كان حول الخلفاء حاشية وجند من أحرار العرب لما تطاولت اليهم أيدي الغلمان والمماليك.وقد كان سقوط الدولة العربية لبعد العرب عنها وتفرقهم وانقسامهم ، فالدولة لاتقوم الا باتحاد الاصلاء وابعاد الدخلاء

عسى أن يكون للعرب عبرة من الماضي فيجددوا ويؤسسوا دولة عربية خالصة نقية تخلو من الشوائب تجلو كل النوائب : ويصير العربي سيداً واليه العقد والحل والنهي والامر تصدر الاحكام وتصدر الحكام من العرب للعرب في كل أرض شرفت بالعروبة وتشرفت بالاستعراب، وبحكم الشرع يكون فيها عربيا كل مولود ومكتوب ومصكوك . وتظللها الراية التي طلعت من بطحاء مكة سوداء خضراء بيضاء، لقد كان سوادها وقاراً واخضرارها رجاء وبياضها هدى وسلاما . فتحتها يجب ان يتم اتحاد العرب في الشرق والغرب وهي المشرع واليها المهرع . ولا عزة للمسلمين من غير العرب الا بها لانها راية الخلافة العظمى ، فما أحراهم بأن يتراجعوا اليها ويقسموا اليها اليمين طلبا مستعربين لغة كما استعربوا دينا ، ان باندماجهم في أمة الرسول شرفا لهم فوق شرف ، هكذا تنبسط الدولة العربية الكبرى ولها جناح في

المشرق وجناح في المغرب ، فيرسوا أصلها وتمتد فروعها بجيش مرصوص وأسطول مرصوف ، فتظل عربية عرباء لا دخلاء فيها ولا غرباء

على العرب ان يحققوا هذه الاماني ولو كانت دونها المنايا ؛ تاريخهم مكتوب بدم أجدادهم فليكتبوا بدمهم وصية لاولادهم ، فاذا عجزوا عن اتمام خطتهم أتمها الآتون بعدهم فللشعوب آجال تقصر عندها أجيال ، وما كان العرب ليخشوا محذورا اذا طلبوا محظورا ، انهم جبارون أصحاب بأس و بطش ونجدة وشدة فلو كانوا متحدين متعاونين لسدوا كل ثغرة وصدوا عدواً له شرفمرة . فطالما حاربت قبائلهم دولا ذوات جحافل وأساطيل ، وأطلقوا الاعنة وشرعوا الاسنة تجاه قذائف النار ، فكانت سواعدهم أشد من فوهات المدافع وأفتك ، فشهدلهم أعداؤهم بالبسالة والنصر ، والفضل ما شهدت به الاعداء ، أجل ان الاعاجم يرهبونهم على افتقارهم وتفرقهم فكيف اذا وحدوا أوطانا واتحدوا أعوانا ، حينئذ تكون لهم أيام كأيام حليمة وذي قار واليرموك والقادسية وشريش وعروبة ، فما أكبر ذلهم في خضوعهم للترك والروم بعد شرف راسخ ومجد باذخ ، وقد كانوا في جاهليتهم أسيادا وابطالا فلم يجسر الغزاة على وطء أرضهم وهي كعرينة الاسود ، فوقف غزاة الفرس واليونان والروم متأهبين متهيبين على حدود البادية الرهيبة ، وظلت الامة العربية بكرا حرة في رمالها وجبالها

كانت قوة العرب بشدة اتحادهم وصحة اعتقادهم لا بكثرة العدة والعدد ، فقد كسرت شراذمهم جيوشا جرارة وفتحوا في ثمانين سنة مالم يفتحه الرومان في ثمان مئة وكانوا يتغلبون بصبرهم واقدامهم واتحادهم على القواد المجربين والاجناد المدربين . فحكموا مئة مليون من البشر وعددهم لا يربي على مئة ألف ، وكانت أوامر الخلفاء تصدر في دمشق وبغداد وتنفذ في الهند والصين والاندلس ، وقد حدد أبو تمام دولة الخلافة في أيام المعتصم ببيت من قصيدة مدحه بها قال

وعقد لهارون الخلافة انه سكن لوحشتها ودار قرار

والصين منظوم باندلس الى حيطان رومية فملك ذمار

هذه حدود الدولة العربية التي شيدها جبابرة العرب فهدمها صعاليكهم وما رمها صعاليكهم . وقد كان أوائلهم متنسكين فأصبح أواخرهم باللذات متمسكين . ولما

صاروا أحزابا غدت مملكتهم أقساماً ، فطمع بها الطامعون وليس للفتنة قامعون ، وكانوا متحاسدين في الرئاسة ، متخالفين في السياسة ، فضعفوا بتقاتلهم وتخاذلهم وغازوا أعداءهم على نفوسهم ، وما فقدوا ملكهم الا لانهم أرادوا أن يكونوا جميعهم ملوكا وأمراء ، وتلك عزة عربية لا تزال حتى اليوم حائلة دون اتفاق أمرائهم

لا تقوم للعرب قائمة حتى يوم الدين اذا لم يتعصبوا على الاجانب ، وربما ذهبت لغتهم وأخلاقهم وأوطانهم بعد ذهاب دولهم ، فالروم كرة بعد كرة في حرب صار فيها العربي حربيا ، ان في قصيف المدافع مواعظ لهم فليتهم يتعظون ، وان يكونوا ضعفاء في الحكم لتكن لهم قوة من بغض أعدائهم وحب بعضهم لبعض ، ان من البغض لقوة أكبر من قوة الحب عند اصطدام المنازع ، فاياكم والاغترار بمواعيد الاوربيين فالافاعي مالسة جلودها حادة نيوبها ، انهم يظهرون لينا حتى اذا فازوا وحازوا قبضوا بايد من حديد فلا تنعتق الامة الضعيفة من الرق ولا تنطلق من الاسر وقد حجروا عليها وحجزوا سلاحها ، يصنعون السلاح وكالسلم يبيعونه أحقر الجمهوريات الاميركية وأصغر الممالك الاوربية، فبيعه حلال عندهم لاهل الجبل الاسود في أوربة وأهل البرغواي في أميركة ، ولكنه محرم على الشعوب الافريقية والاسيوية التي ملكوا نواصيها ، وبعد شلهم سلاحهم ينزعون ما عندها من السلاح ويمنعونها من أن تصنع أو تشترى ، فتصبح عزلاء تحت رحمتهم وقد أحاطت بها القلاع والمدافع فويل للعرب اذا علق العرق الفرنجي بارضهم فامتد واشتد

لقد ناموا مستسلمين الى الاقدار والاوربيون ينصبون أشراكا ويطرحون شباكا ، ولما استيقظوا أبصروا الاساطيل تدمر ثغورهم والمدافع تحصد صفوفهم ، فايقنوا أن لاطاقة لهم عليها بسيوف رقيقة ورماح دقيقة ، وقد جنى الاتراك على نفوسهم وعلى العرب لانهم ضعفوا وأضعفوهم معا ، فوثب الفرنسيس والانكليز عليها وعاثوا في بلادهم وعبثوا بحرمتهم فهلا علم العرب أن لا حق الا القوة وبالقوة وأن لاقوة بلا اتحاد ؟ لاريب بأنهم ضعفاء اليوم ولكن لهم قوة باتحادهم فوق قوة السلاح فليجمعوا آمالهم وعواطفهم كما جمع الاوربيون قواصف تنثر قذائف ، فبعد الحفيظة والحفائظ يرون فجر الحرية منبلجا وجيش العبودية منفلجا، واذا توسلوا بالقوة

الادبية توصلوا الى القوة المادية ، فعلى هذا المنهج سار الذين كانوا من المغضوب عليهم والضالين ، فلتتوقل المروءة نفوسهم كلما توغل الفرنج بلادهم ، فإما ان يعيشوا عربا واما ان يموتوا عربا

أليس من الغبن والحيف ان تلمّ أحدث الامم شعثها ، ولا ترى أقدمها وأشرفها بعد الموت بعثها ، أما كفى الامة العربية شقاؤها بحكم الترك حتى تصير أشقى بحكم الروم ، الله أكبر على الذين يمزقون بلادها ويفرقون أولادها ، فلا سبيل الى العزاء والصبر لا يفرج الهم والخطب قد ادلهم ، وانى ذلك والعرب البيض الوجوه الشم الانوف عبيد وقد صار الزنج في أميركة أحرارا ، الا تكون لاعظم السلالات دولة حرة جامعة ولاحقرها دول شتى في القارتين الاوربية والاميركية ، ألا يشفع للعرب فضلهم على الافرنج بما أخذوه من مدنيتهم وعلومهم وآدابهم ، ألا يعرفون لهم جميلا بدماء أهرقوها وأكباد أحرقوها في الذود عن حياضهم؟ لا ورب الكعبة فالحق يعرفه المرء ضعيفا وينكره قويا ، فيا العرب اتحدوا لتصيروا أقوياء وانتصفوا من أهل القوة بالقوة ، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) لا خلافة لكم في هذا الخلاف ولا دولة والخصام بينكم والاعاجم خصومكم فشيدوا دولة ذات عز وسلطان ولا ترضوا بالسلطة الا من السماء ، بئست الحكومة اذا كان الاجنبي فيها حكما وبئس الخليفة اذا كان صنما ، لا جلال ولا مهابة للخلافة الا بأمثال عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان وهارون الرشيد وعبد الرحمن الناصر ، ولا منعة للدولة الا بأسطول يحمي الثغور ويخوض البحور ، وأميره مثل حميد بن معيوب الذي عقد الرشيد له اللواء ، ولا سطوة للملك الا بخميس يقوده أمثال خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وأسد بن عبد الله ومحمد القسري وموسى بن نصير والحجاج بن يوسف وقتيبة بن مسلم ويزيد بن مزيد وأبي سعيد محمد بن يوسف

باتحاد العرب واتفاقهم تتألف الدولة العربية الكبرى ، فتضم الحجاز واليمن ونجداً والشام والعراق والموصل وديار بكر ، وتنضم اليها كل أرض تغلبت فيها العروبة وكل أرض أراد أهلها ان يستعربوا ، هذه خريطة الدولة العربية في آسية حتى توضع لها

خريطة في افريقية فتسيطر في الشرق والغرب ، وتنتظم البلاد العربية انتظام البلاد الالمانية بدهاء بسمرك والايطالية بسياسة كافور ، وليس الامر بعسير على سلالة كبيرة قديرة كالسلالة العربية فقد كاد يتم على يد عبد القادر ومحمد علي لولا مماكسة الفرنسيس والانكليز وأهل أوربة أجمعين ، فقد كانوا ولا يزالون ساعين الى احباط مساعي العرب خشية من سطوتهم وبطشهم ، ولولا مساعدة الاوربيين ماظل الاتراك متحكمين بهم وبسائر الشعوب ، لقد كانوا جميعهم على الاتراك في أوربة ومعهم في آسية ، وطالما ادعوا حماية النصارى في الشرق ولم يكترثوا لمذابح الارمن وما لبوا لهم دعاء لكنهم لاهواء فاسدة انجدوا أهل اليونان والبلقان وعاونوهم على نيل استقلالهم ، وما كان أولئك أقوى من العرب والارمن وأصلح للحكم ولا هم أهل مدنية وثروة وسلطان ، انما المطامع والمآرب جعلتهم يدوسون حقوق الشرقيين ويدسون لهم ، وهذا يوسف كرم البطل اللبناني قد خانته فرنسة ذات الوجهين واللسانين ، فهي التي عاكسته وشاكسته وقضت عليه بذل الامر ووحشة المنفى ، فقد لاينته وخادعته حتى استسلم ثم أعرضت عنه إعراضا ، واذ كانت طامعة بامتلاك لبنان خافت ان يفضي الامر اليه ، وأغرت به طائفته وبطريركها فكانوا شر أعدائه وما عرفوا لهقدراء هذه حقيقة ساطعة وحجة قاطعة فلا اعتراض ولا افتراض

هكذا الفرنسيس والانكليز يفرقون الشرقيين شذر مذر فقل للعرب الحذر الحذر . فاتحدوا اتحادا متينا لتسلم أوطانكم وأعراضكم ، وقاوموا بولرجهم ومدافعهم ومناطيدهم بتاريخكم ولغتكم ودينكم وأخلاقكم ، فاذا حفظتموها حفظتكم وهي عليكم محافظة مادمتم عليها محافظين ، قال بسمرك غلبنا الفرنسيس بالمدارس: والمثل العربي يقول الدارس غلب الفارس ، فادرسوا وأثبتوا ولكم حق ويقين حتى يكون يوما فتح من الله ونصر مبين ، حينئذ يجتمع أمراؤكم ويجمعون أوطانا ويبايعون سلطانا ، فتبقى لكل أمير امارته وتعطى كل ولاية حقها ، فتستقل بادارتها الداخلية وتبعث نوابها وأعيانها الى مجلس الشورى ودار الندوة ، ويكون مرجع الولايات كلها الى حكومة مختلطة عاصمتها احدى المدن العربية الكبرى . وينظم جيش بري وجيش بحري من جميع طوائف العرب ، والمناصب للذين هم أهل لها دون تمييز

في الدين والبقعة فلا فضل لعربي على آخر الا بما أوتيه من المواهب وبما يأتيه من الاعمال ، هذه خطة أرسمها رسما ويعدها البعض هوسا ووهما ولكنها ستصير حقيقة فالليالي حبالى يلدن كل عجيبة ، ولا بد من ان ينهض العرب كاليابان فما السلالة الصفراء بأفضل من السمراء

هذا اتحاد مقدس يريده كل العرب ولكن الفرنسيس والانكليز لا يريدونه فكأن العباد عبيدهم والبلاد تليدهم ، فيحلوا ويحرموا ما يشاؤن ومن يشاؤن ، أبدا ينبشون للشعوب قبورا ويقولون نمدن همجا وننصر بوراً فتراهم يتصببون ويتصببون متغزلين بالحرية والمدنية فمن يستريح الناس من هذه الاغنية التي غلب الفرنجي بها الشيطان ، كنا ظنناهم قد تابوا الى الله والمظلومين بعد مالطتهم ألمانية وحطمتهم فاذا هم طامعون بالذراع بعد الكراع وقد أفلتوا من البرثن واللهوات ، بالامس كانوا يشكون ظلمها معولين على الامبركان معولين واليوم يظلمونها بأشد من ظلمها وينقضون عهد نصرائهم اذ تحفزوا لملك رقابهم وحكم بلادهم ، وهكذا يجزون الاحسان بالاساءة ويقابلون الشر بشر أعظم ، لقد نهبوا ألمانية وسلبوها ولو استطاعوا لسحقوها وخنقوها ، فأي فضل لهم اذا لم يعفوا عن مقدرة والعفو من شيم الكرام

أما العرب فكانوا أسوأ الناس حظاً وما كان الرومي مع العربي الا فظا ، لقد حالفوهم فكانت كل المحالفة من تلك المحالفة ، فبعد ما نصروهم قاموا ينحتون في اثلتهم ويقسمون بلادهم إربا إربا ، فيقول الانكليز ليس للعرب الا الحجاز فلنا العراق وفلسطين ويقول الفرنسيس لم تكن سورية يوما عربية فهي لنا منذ الازل والى الابد ، وبعض الخونة ما لؤهم على الاحرار الذين يناوئونهم ، فياخيبة المسعى والامل ، وهذه قصة الذئب والحمل ، الوفاء قد غاض والحق التوى ، فهل يرحمنا الذي على العرش استوى . ولم يكتفوا بأن يحالوا من فقرنا بل يريدون ان ينزلوا اليهود في عقر دارنا فيجعلون مقاومة اليهود شغلا شاغلا لنا لننصرف عنهم ويتيسر لهم اضعافنا واذلالنا ، فلا ريب في تعمدهم تفريق العرب لئلا تكون دولة عربية ، نعم انهم لا يريدون ان تكون لهذه الامة دولة تجمعها وراية ترفعها ، فلا تبقى لشبهم لاني بقعة عربية يلجأ اليها من جورهم ومكرهم . فيرى الموت تحت أية راية في الغربة أفضل من

العيش في وطنه تحت راياتهم ، ان له صبراً جميلا في البلاد الاجنبية ، ولكن لاصبر له وهو غريب في الديار العربية ، فيلعنهم ثلاثا وربما لعن في يأسه أرضا لم تكن يوما لابنائها واذ ينظر الى نزاع أمته وانقراضها يود أن تستقل أو تموت تحت انقاضها

أبداً يمكرون بنا متظاهرين بالعطف علينا وحجتهم في استعبادنا اننا قاصرون ضعفاء نبغي لنا وصاية وحماية . الارض ارث لنا من آبائنا وأجدادنا ، ويريدون ان ينتزعوها منا ومن أولادنا ، واذا سألناهم : لماذا ؟ أجابونا : نود تمدينكم وتأهيلكم للاستقلال ، فلو كان صدقا ما يقولون لجاءونا بالكتب والاقلام لا بالكتائب والاعلام ، الساعي الى الصلاح لا يحتاج الى السلاح ، فما هذه الحامية والنار الحامية ، وما بالهم يعدوننا أصدقاءهم ويدخلون علينا مسلحين ؟ ألا يجوز أن يكون التمدين سلميا فيرشدوننا لأجر أو بأجرة ويتركون لنا السيادة والحكم والحرية في أرضنا ويشاركوننا بتعميرها واستثمارها . لكنهم يريدون ان يملكوا الارض ويقرضوا النسل ليصير العالم فرنسويا وانكليزيا . فاذا قلنا لهم : نريد ان نجتمع ونتحد لنؤلف أمة ، يقولون لنا : لستم صالحين لذلك وأنتم جماعات متفرقة لا زعماء لها يقودونها ولا حكماء يرشدونها . والله يشهد ان تفرقنا وانقسامنا بفعلهم وبهواهم ، فلو تركونا وشأننا لاصلحنا ذات البين أو تناضلنا حتى يفوز خيارنا ويقر قرارنا . الامم جميعها أخذت نظامها من الفوضى وطالما نبتت من الثورة . وما كانت بالامس أفضل منا اليوم ولكنها تطورت وترقت تدريجا . أما الرجال فالحوادث تظهرهم و الامور مرهونة لاوقاتها . ويقولون زورا وبهتانا : لستم أهلا لان تستقلوا وتتمدنوا فنقول لهم : ليس الاستقلال من الفلسفة والمنطق لنأخذه عنكم ، فالانسان مستقل ما لم يستعبد ، والعصفور مستقل ما لم يقفص . لكل حريته في المعيشة ناعمة كانت أو خشنة ، ولكل المخلوقات حكمة في تدبير شؤونها وتحسين أحوالها . فما البشر في أرضهم دون النمل في قريتها ، والنحل في خليتها ، ولنا مدنية قديمة بها اهتديتم فنحن في غنى عن مدنيتكم . سنجدد معالمها ونرمم مآثرها ونضيف اليها حسنات المدنية الحديثة ، ان ما تكرهوننا عليه من مدنيتكم يفسد أخلاقنا ويثقل أعناقنا

هذا شرح القصة فلا عتب العرب على أعدائهم وحساده ، وما كانت بلايا الامس الا من تقاطعهم وتنازعهم . فلن يكون لهم مقام بين الشعوب ماداموا متنافرين متباعدين . فهل قلتم في بدء عهدهم كان لهم قوة بأعدادهم واليوم على كثرتهم لا تخشى لهم صولة ولا

تبق دولة . ولعزتهم وإبائهم لا يخضع أمير منهم لأمير والعرب جميعهم أمراء وهذا سبب التخاذل والتقاتل بينهم وتقوية للأجانب عليهم . فلو فطنوا لتعاهدوا وتعاونوا وكانت لهم قدرة بمبايعة عمر لأبي بكر ، ولا كان للروم بعد الترك شرخلف لشر سلف ، لقي أبو جعفر المنصور اعرابياً فقال له : يا اعرابي ! احمد لله الذي رفع الطاعون عنكم بولايتنا ، فقال له الاعرابي : ان الله أعدل من ان يجمع علينا حشفاً وسوء كيلة ، فلا يجمع بين ولايتكم والطاعون ، هذا ما يقوله كل عربي للفرنسيس والانكليز بعد رحيل النكبة وحلولهم . فليعلم العرب ان حياة الامة بقوتها الادبية وان لا قوة إلا بالاتحاد الوليد بن عبد الله بن طعمة

التطور السياسي والديني والاجتماعي بمصر

لا ينتقل شعب من طور الى طور أعلى منه أو أدنى الا بسير اليه مقدر في الواقع ونفس الامر تقديراً تكون فيه المسببات بقدر الاسباب ، وسواء كان ذلك السير بتأثير حوادث الزمان وتقلب شؤون الاجتماع التي لا يشعر جمهور الشعب بها ولا يفطن لما يترتب عليها من العواقب النافعة أو الضارة ، وانما يشعر أفراد منه ببعض احداث التغير في الاعمال والعادات فيحمدها اناس ويذمها آخرون ، ولا يصل نظر الحامد ولا الذام الى ما سيكون من مستقرها في مستقبل الايام — أو كان السير بنظام موضوع لغرض مقصود وقواد من الزعماء ألفوا الجمعيات وحزبوا الاحزاب ، ونقحوا أنظمة التربية وبرامج التعليم — أو كان مذبذباً بين هذا وذاك

أما الحال الاولى فهي حال تطور الشعوب الجاهلة التي ليس فيها زعماء حكماء يقودونها في سيرها على علم بسنن الكون وشؤون الاجتماع ، بل ينتقل اليها تغير الآراء وتجدد الافكار والانظار من شعوب أخرى على سبيل الاتفاق أو على سبيل القصد من تلك الشعوب ، كما هو شأن الشعوب القوية المستعمرة مع الشعوب الضعيفة التي تطمع هي في بلادها فانها تتعمد احداث التغير في عقائدها وآرائها وعاداتها بالقدر الذي تحل به روابطها الاجتماعية وتفسد عليها مقوماتها ومشخصاتها القومية ، فتصبح مقسمة على نفسها ، ويجد الطامع فيها ما يطلب من الاعوان له عليها آناً بعد آن .

قال اللورد سالسبوري ان مدارس المبشرين أول خطوة من خطوات الاستعمار فهي تحدث في البلاد التي تنشأ فيها انقساماً وتفريقاً بين أهلها يفقدون به وحدتهم

فيكونون عونا للمستعمر على أنفسهم — أو ما هذا مؤداه — وجاء في الجزء الكبير الذي خصصته مجلة [العالم الاسلامي] الفرنسية في مبحث «فتح العالم الاسلامي» (١) ان المدارس التي أنشأها المبشرون في الآستانة وغيرها من البلاد العثمانية قد كان تأثيرها في حل المسألة الشرقية أعظم من عمل جميع سفراء الدول ومعتمديهم السياسيين (١)

وأما الحال الثانية فهي حال الشعوب العلمية الراقية ذات الزعماء الحكماء الذين يعرفون أمراض الاجتماع وعلله، فيداوون أمراضه ويصلحون خلله، ويكون قصدهم باهتديهم اليه العلم بسنن الله في خلقه، فيزداد كمالا أو يعجزون عن ذلك فيعود الى الضعف والفساد

وأما الحال الثالثة فهي حال الشعوب المخضرمة بشابهتها للجاهلة الساذجة من وجه وللعلمية من وجه آخر، وهي الشعوب الضعيفة ذات العلم التقليدي الناقص كأهل البلاد التي بثت فيها تعاليمهم وآراؤهم فتبعتها تقاليدهم وعاداتهم فتفرق أهلها شيعا وأحزابا مختلفة متدابرة يعد كل منها الآخر ضارا للبلاد ومفسدا لاهلها، وتكون فيها زعماء بالتكلف والتحزب يعملون للكسب والشهرة لا للمصلحة العامة بل يجاهدون من هم أولى بالزعامة وأقدر على النهوض بالامر منهم الى ان يغلب فريق منهم الآخر باستمالة الرأي العام اليه.

ليس المقام مقام بيان شؤون كل شعب من هذه الشعوب على التفصيل وانما المراد من هذه المقدمة تذكير القارئ بأن ما نعنيه بالتطور وهو انتقال الامة من طور الى طور انما يكون بسير اجتماعي منه ما هو صناعي كالذي يكون بسعي زعماء الامم الراقية، ومنه ما هو طبيعي ظاهر لبعض أهل البصيرة والعلم، أو خفي لا يعلم به الا بعد ظهور أثره كتفجر الينابيع بعد تجمع الماء بالسريان في باطن الارض، أو بين الجلي والخفي كسير الظل

ثم ان سير السنن الاجتماعية الذي يكون به التطور قد يكون بطيئا لا ينتهي الى غايته الا في عدة أجيال، وقد يكون سريعا بما يحدث في العالم من كبر احداث الاجتماع، كظهور الاسلام في العرب الاميين، الذي أحدث أكبر انقلاب اجتماعي في جميع العالم القديم فكان له ذلك الاثر العظيم في آسية وأفريقية وأوربة باحياء موات العلم ودارس الحضارة، وكالثورة الفرنسية التي زلزلت ما كانت عليه دول أوربة من الاستبداد والاستعباد، وكالحرب المدنية العامة الاخيرة التي زلزلت جميع الامم والشعوب أشد زلزالها ومخضت

(١) هو جزء نوفمبر سنة ١٩١١م ونشرت ترجمة المقالة في المنار بعنوان «الغارة على العالم الاسلامي» فليراجع المجلد ١٥ سنة ١٣٣٠ه من المنار

العالم البشري مخضا لم يتم تكوين زبده الى الآن وجميع الامم والشعوب شاخصة الابصار متلعة الاعناق مصيخة الاسماع ترتقب النتيجة التي يجتهد أولوا الاطماع المتداعون على افتراس الشعوب الضعيفة كتداعي الجياع الى القصاع في جعلها شر بلاء أصيب به البشر ، بعد أن ملأوا الارض صياحا بأنهم ما حاربوا الا لتحرير البشر

كانت مصر مستقلة استقلالا داخليا تاما تحت سيادة الدولة العثمانية — التي لم يكن لها أدنى تدخل في ادارة مصر الداخلية — وكانت أوربة كلها مصدقة على هذا الاستقلال ولها في البلاد معتمدون سياسيون ، وكان الاحتلال الانكليزي الذي وقع بطلب أمير البلاد ورضاء الدولة صاحبة السيادة موقتا لم ينازع في استقلال البلاد ولا في سيادة الدولة عليها ووعدت الدولة وعودا رسمية كثيرة بأنه لابد من الجلاء عنها وتركها لاهلها ، ولكنها في أثناء الحرب أعلنت الحماية عليها ، وجعلتها ميدانا حربيا وأباحت لسلطتها العسكرية أن تتصرف فيها تصرف المالك ، فلما عقدت الهدنة هب المصريون للمطالبة باعتراف انكلترة وسائر الدول — التي تعقد الصلح بين الامم — لها بالاستقلال التام وتألف وفد منها للسعي الى ذلك اختار سعد باشا زغلول الشهير بصدق الوطنية والشجاعة الادبية وقوة المعارضة وسعة المعارف في القوانين رئيسا له وأخذ الوفد وثائق كثيرة من الالوف من المصريين الذين يمثلون الرأي العام المصري بانتدابه عنهم كأعضاء الجمعية التشريعية ومجالس المديريات والبلديات وسائر طبقات الاهالي ، وطفق يخاطب بذلك الحكومة البريطانية والرئيس ولسون وسائر الدول بواسطة وكلائها السياسيين ، ثم عقد الوفد اجتماعا عاما في دار وكيله حمد باشا الباسل خطب فيه الرئيس والوكيل وغيرهم في بيان حقيقة المسألة المصرية وما تطلبه البلاد من الاعتراف لها بالاستقلال ، وأراد الرئيس عقد اجتماع آخر في داره فمنعته السلطة العسكرية البريطانية من ذلك ثم اعتقلته مع الوكيل المذكور وعضوين آخرين من أعضاء الوفد هما محمد باشا محمود واسماعيل صدقي باشا وأرسلتهم الى مالطة فهاجت الامة المصرية لذلك هياجا وقامت بمظاهرات عظيمة في القاهرة والاسكندرية وغيرهما من المدائن ، وهاج الفلاحون وقبائل العربان وقطعوا أسلاك البرق وقلعوا خطوط حديد السكك ودمروا بعض محطاتها حتى صار الهياج ثورة عامة ، واستقالت وزارة حسين رشدي باشا احتجاجا على مصادرة

الحرية الشخصية بنفي من ذكر من أعضاء الوفد وتعذر على السلطة تأليف وزارة جديدة.

وكان حسين رشدي قد طلب قبل ذلك كله من الحكومة الانكليزية الاذن له ولعدلي باشا وزير المعارف بالسفر الى انكلترة لمفاوضة أولي الامر فيها فيما سيكون عليه شكل الحكومة المصرية بعد الحرب التي عاونت البلاد المصرية وحكومتها فيها السلطة البريطانية أعظم معاونة شملت زهاء مليون شاب مصري ساعدت السلطة الانكليزية العسكرية بعمل الاعمال الحربية في فلسطين حتى انها كانت تسمي الحملة التي فتحت القدس الشريف « الحملة المصرية » وهذا الفتح هو الذي قال فيه المستر لويد جورج رئيس الوزارة الانكليزية انه آخر حرب صليبية . وساعدتها كذلك في العراق وفي مواضع أخرى وناهيك بالمنافع المالية بانواعها . ولكن الحكومة الانكليزية أرجأت طلب الوزيرين أولا ثم أرادت أن يسافرا فأبيا الا أن تأذن للوفد المصري بالسفر أيضا فصدر الامر من لندن بالاذن لهما ولمن شاء من المصريين ومنهم الاربعة المعتقلون في مالطة

فلما ظفر المصريون بالاذن لوفدهم بالسفر نظموا مظاهرات أخرى اشترك فيها جميع طبقات الاهالي حتى النساء المخدرات فكن يطفن بسياراتهن وركباتهن المزينات بالاعلام والرياحين ويهتفن مع الهاتفين : لتحيى مصر ، ليحيى الاستقلال التام ، ليحيى سعد باشا زغلول ، ليحيى أعضاء الوفد المصري الخ

وقد حاولت السلطة العسكرية البريطانية منع المظاهرات الاولى والآخرة فلم تفلح حتى انها أطلقت رصاص البنادق والمدافع الرشاشة مرارا كثيرة على المتظاهرين فلم يثنهم ذلك عن تكرار المظاهرات بل منهم من قاوموا الجنود وقتلوا منهم كثيرين، ولكن من قتلهم الجنود أكثر بالطبع وقد قدرت السلطة من قتل في الشوارع بزهاء الف نسمة منهم الكبير والصغير. وليس غرضنا من هذه الخلاصة تحرير تاريخ هذه الحوادث ولا وصفها وصفا شعريا لاجل التأثير وانما غرضنا ان نجعلها مقدمة لما هو مقصدنا بالقصد الاول المترتب عليها من التطور الديني باتفاق المسلمين والقبط وجعل الجامع الازهر معهد السياسة الاكبر في مصر والتطور الاجتماعي بدخول النساء في المظاهرات السياسية والقائهن الخطب في الشوارع والاسواق فهذا أهم ما يعني به المنار

دولة الكلام المبطلة الظالمة

ان المعقول المتبادر من حكمة الله في نعمة النطق ومزية الكلام التي ميز بها الانسان وفصله من سائر أنواع جنسه الحيواني هو انها التعبير عما في النفس من العلم ليتعاون الناس بإفضاء كل بما في نفسه الى غيره على تكميل علومهم وتحسين أعمالهم . ولكن الاشرار منهم كفروا هذه النعمة بما أساؤا من استعمالها في الكذب والافك والخلابة حتى قال بعض الاذكياء ان حكمة الكلام وفائدته إخفاء ما في النفس وصرف الاذهان عن الحقائق .

وقد أجمع الناس على ما هدت اليه الاديان وقرره الحكماء من مدح الصدق والصادقين ، وذم الكذب والكاذبين ، الا ما قيل في حال التعارض بين مفسدة الكذب في مسألة معينة ومفسدة أخرى أكبر منها كالكذب على صائل ظالم يريد قتل بريء محترم الدم بما يصرفه عن قتله بانكار المكان الذي يوجد فيه أو غير ذلك ، والاسلام يهدي في مثل هذه الحال الى التفصي من الكذب بالتعريض « ففي حديث عمران بن حصين في البخاري « ان في المعاريض مندوحة عن الكذب » ولكن كثيرا من الناس ينظمون في سلك هذا الاستثناء ما ليس منه كالتعارض بين الصدق وما يخشونه من فوت بعض شهواتهم ومطامعهم غير المشروعة به فيستبيحون الكذب للتوسل به الى تلك الشهوات والمطامع الشخصية أو القومية

اللصوص وقطاع الطرق والشطار المحتالون وشهداء الزور وأصحاب الدعاوي الباطلة ووكلاؤهم كل أولئك وأمثالهم يكذبون لاجل مطامعهم الشخصية . ورجال السياسة من الامراء والوزراء والسفراء ومن دونهم من الوكلاء السياسيين وكتابهم وجواسيسهم — كل أولئك يكذبون لاجل مطامع دولهم ومنافع أممهم ، والفريقان يذمان الكذب مع الذامين ، ويمدحان الصدق مع المادحين ، ولا يعترف أحد منهم بأنه يكذب لدفع الضرر عن نفسه أو قومه أو لجلب النفع لهم كما يعترف من كذب تصريحا أو تعريضا لدفع الصائل الظالم عن البريء الا ان يكون الاعتراف من بعض المشتركين في هذا الاثم لبعض أو لمن يعلم حالهم ممن له صلة بهم

من عجيب أمر الانسان ان الكذب والافك وقول الزور وطمس معالم الحق وتشييد صروح الباطل لم يكن مقصورا على المتكالبين على الشهوات الدنيوية ، والمطامع المالية

والسياسية ، بل تجاوزهم الى رجال الاديان ورجال المذاهب من أهل الدين الواحد، وهم أجدر بالصدق والتزام الحق، ولكنهم جعلوا الدين الذي موضوعه الهدى وتزكية النفس بالاعتقاد الصحيح والفضائل وسيلة للمال والجاه، فصاروا كطلاب المنافع الشخصية بالسرقة والغصب ونحوهما، وطلاب المنافع السياسية بالبغي والعدوان على الامم والشعوب

وأعجب أمر هؤلاء وأغربه أن فيهم أناسا يتعمدون الكذب على خصومهم، وأستباحة أفحش ما حرمه دينهم في سبيل عداوتهم ، لا يبتغون بذلك مالا ولا جاها بل يقصدون التقرب به الى إلههم ، معتقدين انه يرضيه كل ما فيه إيذاء أعدائه، وان كان من الباطل والشر الذي حرمه على أبنائه وأحبائه في معاملة بعضهم لبعض. ومن كان يظن في ربه وإلهه حب الباطل والشر والرضاء بهما فكيف يطمع منه عدوه بالتزام حق أوعمل خير، أولئك الذين يقولون أن المقاصد والغايات الحسنة تبيح الوسائل المحرمة والمبادي السيئة . وان الباطل قد يوصل الى الحق ، والشر قد يؤدي الى الخير، أي انهم مختارون ان يكونوا مبطلين أشرارا مجرمين في الحال ليصيروا أخيارا في المآل

اذا كان علماء الاديان وأولياؤها ، وشيع المذاهب وأنصارها ، يؤلفون الكتب ويدونون الاسفار، في تضليل المجادلات والمشاغبات، ليؤيد كل فريق منهم ما يوصف به وينتمي اليه منها، فهل يكثر على عبيد المال، وعشاق العظمة والجاه، ومهومي اللذات والشهوات، ومفتوني السلطة والسيادة، ان يقلبوا جميع الحقائق، ويستحلوا جميع المحارم، في سبيل التمتع بتلك اللذات، والعلو في تلك الدرجات، والاشراف على الامم والشعوب بالامر والنهي ، وغير ذلك من التصرف والتشريع الذي هو شأن الرب عز وجل؟

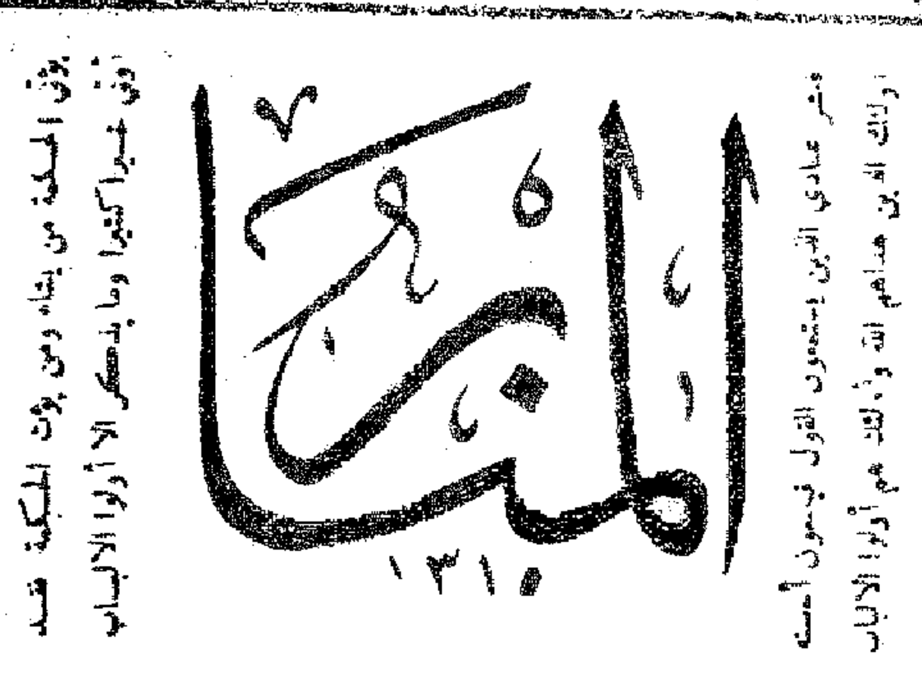
ان دولة الكلام المؤيدة بجحافل الكذب والزور والبهتان، والافك والافتراء، والاختلاق والاختراق، والخلابة والتمويه، والتلبيس والتدليس، تعرق بعرق الحضارة وتدل بتدليها وتتسع باتساع دائرة العلوم والمعارف وتضيق بضيقها، فهي مساوقة لدولة الاحكام مؤيدة لها

الكذب شر الرذائل على الاطلاق، فهو مفسد الاديان والتواريخ، ومزيل الثقة بين الافراد والجماعات، ومولد الفتن والحروب بين الامم، وقلما تستغني رذيلة من الرذائل أو فتنة من الفتن عن شد أزرها بالكذب أو أحد جنوده، وحملة بنوده، وما ألجأ الناس الى الكذب على شدة قبحه وفحش ضرره والاجماع على ذمه الا عدم التناصف بينهم وترك تحكيم العدل

فيما تعارض فيه منافعهم، وتتنازع منازعهم، والاصل في ذلك ان الضعيف هو الذي يكذب على القوي الذي لا ينصفه أولا يواتيه، والقوة والضعف أنواع شتى، فكم من قوي في شيء ضعيف في غيره، فاذا رأيت السيد يكذب على عبده، والمخدوم على خادمه والامير على السوقة، فلاتظن ان هذا جاء على خلاف الاصل، فان في هؤلاء السادة المخدومين، والافراد الحاكمين، ضعفاء في الاخلاق وقبائح الاعمال، فيتحرون كتمانها عن خدمهم واتباعهم فلا يجدون وسيلة لذلك الا الكذب أو التلبيس والتمويه فيلجؤن اليه مضطرين

الحكومة المستبدة تعلم الشعب الضعيف الخاضع الكذب والرياء حتى يصير ملكة له يفسد عليه أمور دينه ودنياه ، وقلما يحتاج رجال هذه الحكومة الى الكذب على شعبهم المستذل لانه خاضع لكل ظلم قابل لكل ضيم ، وانما يكذب الضعيف على القوي الجائر الذي لا يرضى بالحق ، ورب قوي في شيء ضعيف في غيره فيكذب فيما هو ضعيف فيه . ومن هذا النوع حكومات الامم القوية بالعلم والنظام والاحزاب السياسية، فكل حكومة من هذه الحكومات تكذب على نواب أمتها ورؤساء أحزابها في كل ما تعلم أنه لا يرضيهم من أعمالها الاستعمارية وسياستها الخارجية وغير ذلك . ويستلزم ذلك الكذب على أهل المستعمرات وإلباس كثير من الاعمال ثوب زوره والكذب على أهل العلم والرأي لا يرجى ان يروج الا بلبس الحق الذي يخشى مغبة ظهوره ، وكذلك تكذب الحكومات القوية بالعلم والاستعداد الحربي بعضهم على بعض — فلذلك صار الكذب فنا من أدق الفنون وركنا من أركان السياسة

وليعتبر القارئ في ذلك بما نشرناه من قبل من أقوال أقطاب ساسة الحلفاء وكبار وزرائهم في الاسباب الحاملة لدولهم على الحرب وأساسها حرية الشعوب واستقلالها ومن خطب الرئيس ولسن في ذلك ووجوب تعميمه في جميع الامم والشعوب في الشرق كالغرب ومن قواعده الاربع عشرة التي وضعها لبناء صرح الصلح العادل عليها فقبلها المتحاربون. ثم (ليعتبر) بمعاهدة الصلح الكبرى التي ننشر خلاصتها في المنار وبما نقلته البرقيات والجرائد الاوربية من التنازع والمساومة بين الحلفاء على اقتسام البلاد التي نص في معاهدة الصلح على الاعتراف لها بالاستقلال المطلق مع اشتراط قبول المساعدة التي ترضاها بنفسها من الدولة التي تختارها لمساعدتها وما ذكر لفظ المساعدة الا جعله مثلا لامتلاك البلاد واستعباد أهلها باسم جديد يزعمون ان معناه لا ينافي الاستقلال المقرر والقواعد التي بني عليها، واذا شئت تفصيل هذا الاجمال فانظر ذلك المقال الذي كتبناه منذ بضعة أشهر في (الاستقلال) وتعذر نشره وقتئذ في كل من مصر والشام .



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

غاية المحرم ١٣٣٨ — أول (العقرب) (خ ٢) ١٢٩٨ هـ ش ٢٤ أكتوبر ١٩١٩

ذات بين الحجاز ونجد

عود على بدء

٢

كتبنا ما رآه القراء من الفصول تحت هذا العنوان ونحن في أشد الحزن والامتعاض مما كان قد بلغنا من أنباء هذه الفتنة وهو أن الحرب ستستأنف بين الحجازيين والنجديين باسم الدين وان الجنود الهندية الانكليزية ستمد الاولين فقد ذهب فريق منها لاداء فريضة الحج وروي انها ستذهب بعد الحج الى الطائف بحجة زيارة عبد الله ابن عباس (رضي الله عنهما) فخشينا أن يكون المراد من الطائف ما وراءه وهو نجد، ونحن من أدرى العرب والمسلمين بسوء عاقبة مثل هذا القتال في هذه الايام فكان قصدنا مما كتبناه أن ندرأ هذه الفتنة من أقرب الطرق وأرجاها وهو الاقناع العلمي أو القوة العملية

أما الاقناع فمن ثلاثة أوجه (أحدها) ما بيناه من ان ما جعل سببا للقتال لا يصح وذلك ان ما يتهم به كل فرق من مخالفة بعض أصول الدين من العقائد والاعمال التي يعدها كفرا اذا صح بعضه أو كله فانما يكون من بعض الافراد لا من الجميع وهو في نظر المنطقي والاصولي مشترك الالزام ، فالحكم المنصف يقول لكل واحد من الخصمين انك تتهم خصمك بمثل ما يتهمك به فانت تجزم بكفر الكثيرين في بلاده بأدلة تقيمها من الشريعة على ان كذا وكذا من الاقوال والافعال كفر ، وهو يجزم بكفر الكثيرين في بلادك بأقوال وأفعال أخرى يقيم الادلة الشرعية على كونها كفرا ، وكل منكما من أهل القبلة الذين يؤمنون بأن جميع ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم من أمر الدين حق ، إلا انكم اختلفتم في الفهم ، فتكفير كل منكما للآخر متأول فيه لا طاعن في الاسلام نفسه . ولا سبيل الى ظهور حجة أحد منكما على الآخر الا بالعلم وحرية البيان والنشر مع الادب في القول اهتداء بقوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) الآية . وأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية فقد تساهل ذلك التساهل مع المشركين لاجل حرية الدعوة ، وليس لاحد ان يدعي ان من كفر بسوء فهم وقلة علم وفساد تأويل وهو يؤمن اجمالا بأن جميع ماجاء به الرسول حق أسوأ حالا وأجدر بسوء المعاملة من المشرك الجاهر الذي كذب الرسول وقاتله ، فليؤمن كل منكما الآخر في بلاده ، وليجتهد ما استطاع في تعليمه واقناعه ، والحق يعلو ولا يعلى

(الوجه الثاني) ان المجادلة بالتي هي أسوأ وهي الوقيعة والتقريع . والسب والتكفير ، لا تأتي الا بالنتيجة التي هي أسوأ وهي العداوة والبغضاء التي يخفى معها الحق ان فرضنا أنها — أي المجادلة — اشتملت عليه ، ذلك بأن المخاطب بها يشغله التألم بتحقيره عن التأمل في غيره من معاني الكلام الذي يعتقد أنه صادر عن سوء نية فلا يقصد به اظهار حقيقة . وما تعصب أكثر الناس لآرائهم الشخصية أو المذهبية الا بسبب المراء وسوء أسلوب الجدال من المخالفين لهم ، بل الامر أعظم من ذلك : نبغ في علماء المسلمين امام مجتهد واسع العلم قوي الحجة شديد المعارضة الا انه كان حديد المزاج وقد ألف كتابا في الفقه قرن فيه كل مسألة بالحجة عليها ، والرد على

المخالف فيها ، بعبارة فصيحة وأسلوب جلي كان مظهراً لما وصفناه به آنفاً من الصفات التي منها حدة المزاج ، فكان في عبارته من الحز في الحز ، والقدح في الصدع ، ما كان سببا لاعراض جماهير الامة عن الاستفادة منه والاخذ عنه ، ولولا ذلك لكان أتباعه أكثر من أتباع غيره من أئمة الفقه المشهورين أو مساوين لاكثرهم تابعا . ذلك الامام أبو محمد ابن حزم صاحب كتاب (المحلى) الذي شهد سلطان العلماء العز بن عبد السلام الشافعي الاصل الذي شهد له العلماء بالاجتهاد المطلق بأنه أحسن ما كتب المسلمون في الفقه ولم يقرن به الا كتاب (المغني) للشيخ الموفق الحنبلي

(الوجه الثالث) اذا كان المراء والمجادلة بالتي هي أسوأ تثمر العداوة والبغضاء وشدة استمرار الخلاف فكيف تكون ثمرة القتال بين فريقين يقتتلان بسبب الاختلاف في فهم الدين ، وهل كان قتال محمد علي باشا للوهابية الذي يريد التأسي به ملك الحجاز سببا لرجوعهم عما كانوا عليه في ذلك الوقت وعادوا اليه الآن حتى نعود الى قتالهم ؟ كلا !

وأما ما أشار اليه الملك في بعض منشوراته من وجوب ذلك على السلطان فهو لا يظهر في الواقعة الحاضرة لا من حيث موضوع التهمة التي تقدم القول فيها ولا من حيث السلطان الذي يجب عليه ذلك وهو الامام الحق المجتهد في أصول الدين وفروعه القيم لاحكامه وحدوده بسلطته التي يخضع لها سواد المسلمين مع الاعتصام باستشارة أهل الحل والعقد وملك الحجاز سدده الله ووفقه لم يدع هذا المقام لنفسه بل ترك أمر الخلافة الى الرأي الاسلامي العام فأنصف بذلك انصافا حمده الخاص والعام ، في جميع أقطار الاسلام ، وهو يعلم أيضا أن مملكته الحجازية لا تصلح الآن لاقامة خلافة فيها لا خلافة حقيقية مستوفاة الشروط ولا خلافة تغلب . أما الاول فظاهر من جميع وجوهه ، وأما الثاني فلانها أضعف من جميع البلاد المستقلة التي حولها ، فهي لا تقدر أن تحفظ نفسها بنفسها ، وليست مقرا لجماعة أهل الحل والعقد من علماء المسلمين وزعمائهم وقوادهم الذين تثق الامة بهم اذا بايعوا حاكما باختيارهم . .

ولا حاجة الى بسط هذه المسألة في هذه العجالة التي نقصد بها درء الفتنة ، فاذا اقتضت الحال بسطها بسطناها في مقال طويل لا يدع مجالا لشبهة مشتبه ، وما قيل في

المجاز يقال في نجد على ما لا يجهل التفاوت بينهما

وإذا كان الأمر كما ذكرنا فالمرجو من ملكي البلادين أن يتفقا على اقفال باب الفتنة الذي فتحه الشيطان بينهما، ولا يدعا للاجنبي وسيلة لتقوية نفوذه في البلاد المقدسة وحرمها، فإن شجر بينهما خلاف فليحكما فيه من يرضيانه من أهلها وجيرانهما

وأما القوة الفعلية التي رأيناها أهلا لاصلاح ذات بينهما، اذا هما لم ينصفا من أنفسهما، فهي قوة جيرانهما أهل اليمن وعسير، فالواجب عليهما ان يتصديا لهذا الامر وان لم يطلب الفريقان حكمهما فيه، عملا بآيتي سورة الحجرات اللتين ذكرناهما بهما في الفصول السابقة (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) الخ بل يجب على أئمة هذه الجزيرة الاسلامية الشريفة وأمرائها ان يعقدوا بينهم المحالفة التي اقترحها عليهم بعض أهل البصيرة من المسلمين على قاعدة اعتراف كل منهم للآخر باستقلاله في بلاده وعدم اعتداء أحد منهم على حدود الآخر واتفاق الجميع على كبح جماح المعتدي وعقابه وتعاونهم بالاولى على مقاومة كل أجنبي يعتدي على أي بلد من بلادهم، الا وليتذكروا ما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته ويتداركوا ما قصر فيه من قبلهم، والا فقد قرب عهد زوال سلطتهم، وتغلغل النفوذ الاجنبي في جزيرتهم، ولا يكونوا كحكومة مراكش الجاهلة الغبية التي أنذرناها في السنة الاولى للمنار مثل ما نذرهم اليوم فمارت بالنذر حتى ضاع استقلالها. ألا وليعلموا أن جزيرتهم هذه معقل الاسلام ومأرزه فاذا مكنوا الاجنبي منها تمخاذلهم كانوا لعنة على لسان كل مسلم في مشارق الارض ومغاربها الى يوم القيامة

كتاب كشف الشبهات (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

اعلم رحمك الله أن التوحيد هو افراد الله بالعبادة، وهو دين الرسل الذي

(*) هذا الكتاب تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو احدى الرسائل التي وعدنا بنشر بعضها (راجع الجزء الخامس ص ٢٢٩)

خلاصة معاهدة الصلح [1]

٤

الفصل العاشر

في المواد الاقتصادية

المادة [illegible] تتضمن المعاهدة مواد تفصيلية لمنع ألمانية من التمييز مباشرة أو غير مباشرة بين متاجر الحلفاء والبلدان المشتركة معهم . وتظل هذه النصوص نافذة المفعول خمس سنوات إلا إذا مدها مجلس جمعية الأمم وهنالك نص وقتي يقضي بأن تدخل ألمانية بلا رسوم مادة يومية من محاصيل ومصنوعات الالزاس واللورين ولكسمبرج والأملاك التي تنازلت ألمانية عنها لبولندا . أما الرسوم الجمركية التي تفرضها

---

(١) تابع لما نشر في الجزء الخامس

ألمانية على الواردات من بلاد الحلفاء في الحال فلا يجوز ان تتجاوز أدنى الرسوم التي كانت مفروضة سنة ١٩١٤ . وبعد ستة أشهر يجوز لألمانية أن ترفع رسومها الجركية بشرط ان تتقاضاها على السواء على واردات الحلفاء الا في مايختص بأشياء قليلة معينة معظمها حاصلات زراعية فهذه تظل القيود الموضوعة لها نافذة لمدة ٢ ١/٢ سنة أخرى . ويحق للحلفاء ان ينفذوا نظاما جركيا خاصا في الولايات التي يحتلونها

البواخر — تتمع بواخر الحلفاء بما تتمع به بواخر ألمانية و بواخر أولى الدول بالمراعاة في ألمانية لمدة لاتقل عن خمس سنوات ويستمر هذا النص نافذا بعد ذلك بشرط ان يعامل الحلفاء ألمانية به الا اذا عدله مجلس جمعية الامم اما في مايختص بصيد السمك والاتجار ببواخر السواحل وقطر السفن فألمانية تعامل الحلفاء معاملة أولى الدول بالمراعاة للمدة المنصوص عليها في ما يختص بالرسوم الجركية ، وهناك نص يقضي على ألمانية بالاعتراف بشهادات البواخر والمواضع التي تستعمل فيها بواخر الدول التي ليس لها سواحل بحرية

المناظرة المجحفة — تتعهد ألمانية بأن تحمي متاجر الحلفاء من المناظرة المجحفة وان تلغي خصوصا استعمال الماركات المقلدة والاشارات الدالة على أصل المصنوع (كذا) وتحترم على شرط التبادل في المعاملة القوانين والقرارات القضائية الصادرة من بلاد الحلفاء والحكومات المشتركة معهم في ما يختص بأسماء الخمور والمشروبات الروحية وهي الاسماء المستعملة حيث تعصر هذه الخمور وتستقطر هذه المشروبات

معاملة الرعايا — لا يجوز لألمانية أن تقيد رعايا الحلفاء وأملاكهم وأموالهم (في بلادها) بقيود لم تكن موجودة عندها قبل الحرب ولا ضرائب كذلك الا اذا فرضت مثل هذه القيود والضرائب على رعاياها ويحظر عليها أيضا ان تضع قيوداً تقيد بها الاعمال اذا لم تكن هذه القيود عامة لجميع الاجانب في بلادها . ويعمل بهذه النصوص خمس سنوات وتتجدد لمدة لاتتجاوز خمس سنوات أخرى اذا قررت ذلك أكثرية مجلس جمعية الامم وتزول الرعوية الالمانية عن كل شخص صار من رعايا احدى دول الحلفاء أو احدى دول الحكومات المشتركة معهم

الاتفاقات بين ألمانية ودول الحلفاء — جدد نحو أربعين اتفاقا كانت مبرمة من

قبل بين ألمانية وبعض دول الحلفاء ولكن اشترطت شروط خصوصية على اعادة قبول ألمانية في بعضها ومن ذلك الاتفاقات الخاصة بالبريد والتلغراف ولا يجوز لالمانية ان تمسك عن الموافقة على الاتفاقات الخصوصية التي تبرمها الدول الجديدة وعليها أيضا في مسألة اتفاق التلغراف اللاسلكي ان تقبل القيام بالقوانين الوقتية التي ستبلغ لها والموافقة على الاتفاق الجديد متى صيغت مواده . وفي الاتفاقات الخاصة بمصايد السمك في البحر الشمالي وبيع المسكرات فيه تكون المراقبة على سفن الصيد التي لشعوب الحلفاء واقامة النظام بينها من حقوق سفن دول الحلفاء دون سواها لمدة لاتقل عن خمس سنوات وتفقد ألمانية الحق الخاص الذي منحته بالمادة الثالثة من معاهدة ساموا المبرمة سنة ١٨٩٩ وغيرها من المعاهدات وتتنازل خصوصا عن حقها في تعويضات البوكسر بعد تاريخ دخول الصين في الحرب

المعاهدات بين ألمانية ودولة من دول الحلفاء — يجوز لكل دولة من دول الحلفاء اذا شاءت أن تجدد احدى معاهداتها مع ألمانية اذا كان تجديدها لايناقض معاهدة الصلح وذلك بأن تعلن عن عزمها على ذلك قبل وقوعه بستة أشهر، وتنقض المعاهدات التي أبرمتها ألمانية منذ أول أغسطس ١٩١٤ مع سائر دول الاعداء أو قبل ذلك أو بعده مع رومانية وروسية أو الحكومات الواقعة في بلاد روسية كما كانت وتلغى الامتيازات التي منحت لرعايا الالمان بالضغط والتشديد . ويتمتع الحلفاء بالامتيازات الممنوحة بالمعاهدات التي أبرمتها ألمانية مع دول الاعداء الاخرى قبل ١ أغسطس ١٩١٤ وبالمعاهدات التي أبرمتها ألمانية مع دول المحايدين في أثناء الحرب

الديون السابقة للحرب — تنشأ مكاتب تصفية في خلال ثلاثة أشهر في ألمانية وفي بلاد كل دولة من دول الحلفاء والحكومات المشتركة معها تتولى وضع الخطط لتسوية الديون السابقة للحرب [المنار : سقط في الاصل هنا عبارة أو بعض كلمات] وكل تسوية من هذا القبيل تتم بواسطة هذه المكاتب وتحظر تسوية هذه الديون مباشرة ثم ان توزع الاموال الناتجة من بيع أموال العدو وأملاكه يتم بواسطة هذه المكاتب وعلى كل دولة أن تحمل تبعة العهود المالية التي على رعاياها نحو رعايا دول الخصم

الا اذا كان المدين في حكم المفلس عند وقوع الحرب

ويدور البحث في المطلوبات بين مكتبي التصفية التابعين للبلدين صاحبي الحق فاذا لم يتم الاتفاق [illegible] احالة القضية الى التحكيم أو الى محكمة التحكيم المختلطة التي [illegible] ... المطلوبة لرعايا كل بلاد تدفع من مكتب التصفية في البلاد المذكورة وهو يتقاضى البلاد نفسها الديون المطلوبة من رعاياها . وتدفع الديون بنقود البلاد [illegible] صاحبة الشأن وأما سعر الكمبيو الذي يجري عليه فالمستمر الذي كان دارجا في البلاد [illegible] قبل وقوع الحرب بين تلك البلاد وألمانية بشهر ، هذا اذا لم يكن في العقد التجاري بين المتعاملين نص خاص على كيفية الدفع . ولكل دولة من دول الحلفاء الخيار في الاشتراك في هذا النظام

أملاك الاعداء وأموالهم — كل [illegible] من التصفية والمراقبة ونحوها في المدن الحلفاء وألمانية بشأن أملاك الاعداء وأموالهم ومتاجرهم بحكم تدابير الحرب الاستثنائية يثبت في هذه المعاهدة بشرط تعويض ما فقد من أملاك وأموال رعايا الحلفاء التعويض الذي تقرره محكمة التحكيم المختلطة والذي يؤخذ من أموال الرعايا الالمان التي تكون في حيازة حكومة الطالب . أما التعويضات المطلوبة لرعايا الالمان فهذه تدفعها ألمانية

كل قضية [illegible] تصفية والمراقبة ونحوها في ألمانية توقف واذا كانت أملاك وأموال رعايا الحلفاء لم تصف تماما فانها ترد الى رعايا البلدان التي لم تصف الاموال الالمانية فيها والتي يمكن أن تطلب رد أموالها وأملاكها بواسطة الحكومة الالمانية من الاشخاص الذين صارت تلك الاموال والاملاك في حوزتهم . وهنالك نصوص على حماية ما [illegible] من الاملاك والاموال والمتاجر في ألمانية ووقايته في المستقبل ويحفظ الحلفاء لانفسهم حق الاحتفاظ بجميع الاملاك والاموال الالمانية في بلدانهم وتصفيتها والصافي من بيعها في أثناء الحرب وبعدها يعتبر حساب ألمانية وتسدد به كل دولة مطلوب رعاياها من أموال وأملاك لهم في ألمانية أو ديون لهم قبل الالمان

العقود — ان العقود (الكونتراتات) المبرمة بين رعايا الحلفاء والرعايا الالمان قبل الحرب تعد بالاجمال ملغاة من تاريخ وقوع الحرب بين الفريقين ويستثنى من

هذا الحكم العقود الخاصة بعقل أموال منقولة أو غير منقولة اذا كانت هذه الاموال سلمت فعلا وإيجارات الاراضي والبيوت بعقود الرهن والكفالة وامتيازات المناجم والعقود المبرمة مع الحكومات والمجالس البلدية وعقود التأمين . وقد نص على عقود التأمين نصا مفصلا فيما يلي

ويحفظ الحق في تنفيذ العقود التي ترى الدولة المحالفة أن تنفيذها في المصلحة العامة بشرط دفع تعويض عادل اذا اقتضت الحال تعينه محكمة التحكيم المختلطة .

ونظراً الى الصعوبات الدستورية فيما يتعلق بالولايات المتحدة والبرازيل واليابان تستثنى هذه البلاد الثلاث من النصوص الخاصة بالعقود المبرمة قبل الحرب ولا تعد عقود التأمين من الحريق منحلة بوقوع الحرب ولو لم تكن رسوم التأمين قد دفعت ولكنها تعتبر منقوضة في ميعاد دفع القسط السنوي الاول الذي يستحق بعد ابرام الصلح بثلاثة أشهر . أما عقود التأمين على الحياة فلا تنحل بسبب وقوع الحرب فقط لكن في الاحوال التي انقطع فيها دفع الرسوم بسبب تنفيذ القوانين الحربية يحق المؤمن أن يطالب القيمة البوليصة التي تستحقها عند تاريخ الكف عن الدفع ويجوز اعادة التأمين واستئنافه اذا دفعت الرسوم المتأخرة مع فوائدها . أما عقود التأمين البحري فتعد محلولة بوقوع الحرب الا اذا كان الضرر قد سبق وقوعه فاذا كان هذا الضرر مغطى بتأمين آخر القد بعد ابتداء الحرب تعد البوليصة الجديدة كأنها حلت محل البوليصة القديمة فاذا لم يكن قد وقع ضرر قبل الحرب فالرسوم التي دفعت تسترد . والغي اتفاقات التأمين الا اذا كان الغزو قد حال دون وجود المؤمن لمن يؤمنه على ما يريد . ويجوز لكل دولة من دول الحلفاء والدول المشتركة معها أن تلغي جميع عقود التأمين المبرمة بين رعاياها وشركة تأمين المانية ويجب على الشركة أن تسلم من أموالها وموجوداتها جانباً يكون على نسبة بوالص التأمين هذه

..

ثانياً محكمة تحكيم مختلطة بين كل دولة من دول الحلفاء والمانية تتألف من عضو تعينه كل من الحكومتين ورئيس يختاره مجلس جمعية الامم اذا لم تتفق الدولتان على تعيينه . أو يعينه قبل تأليف جمعية الامم رئيس الاتحاد السويسري الحالي وتفصل

... المحكمة في جميع المنازعات المتعلقة بالعقود المبرمة قبل تاريخ معاهدة الصلح بين رعايا الحلفاء والرعايا الالمانيين في كل ما لا يدخل في اختصاص محاكم الحلفاء والدول المشتركة معهم أو المحاكم ...

الملكية الصناعية — أعيدت الحقوق الخاصة بالملكية الصناعية والادبية وما يتعلق بها بالفنون الجميلة . أما الحقوق التي للالمان فرهنة بنتيجة التدابير الحربية الخاصة التي اتخذها الحلفاء . وقد حفظ حق فرض شروط وقيود على حقوق الطبع وامتيازات المصنوعات الالمانية للمصلحة العامة وكذلك حق السعي في حمل ألمانية على انجاز عهودها . ويمكن تمديد الوقت لانجاز الاجراءات الرسمية في مسألة امتيازات المصنوعات والحصول على الحقوق بموجب المعاهدات الدولية وجميع الرخص التي كانت قبل الحرب تلغى الا ما كان منها بين أميركا وألمانية ولكن يبقى لصاحب الرخصة حق المطالبة برخصة جديدة بشروط توضع خصيصاً ولا تجوز المطالبة بتعويض من ضرر حدث في أثناء الحرب الا بين الدولتين المذكورتين

الافيون — تتعهد الدول الموقعة على هذا والتي لم تمض معاهدة الافيون المعقودة سنة ١٩١٢ ولا وافقت عليها بأن تنفذها الآن

الفصل الحادي عشر

في النقل الجوي

الطيران — يكون لطيارات الحلفاء والدول المشتركة معهم حق الطيران في جو ألمانية أو النزول في أرضها وحق استعمال ميادين الطيران الالمانية أسوة بالطيارات الالمانية . وتعامل من حيث وسائل النقل الداخلية في ألمانية معاملة أكثر الامم مراعاة وتوافق ألمانية على قبول الشهادات التي يصدرها الحلفاء بشأن جنسية الطيارات وكفاءة الطيران وعلى تطبيق الاتفاق الخاص بالطيران والمعقود بين الحلفاء والدول المشتركة معهم على طياراتها هي في جوها . وهذه القواعد تبقى نافذة المفعول حتى سنة ١٩٢٣ الا اذا دخلت ألمانية في خلال هذه المدة جمعية الامم أو قبلت الاتفاق المذكور آنفا

لها بقية

الاستقلال – ماهو؟ (*)

الاستقلال، ما الاستقلال، وما أدراك ما الاستقلال؟ الاستقلال كلمة تدور في هذه الأيام على ألسنة الشعوب والأقوام، ويظن أنها مما يشترك في فهم كنهه الخواص والعوام، وما هذا الظن إلا من بعض الآثام

الاستقلال كلمة من كلم السياسة وهي من الأسماء الأجناس المنقسمة إلى أنواع منها الاستقلال السياسي والاستقلال الإداري والاستقلال الاقتصادي، وكان يظن أن إطلاق لفظ الاستقلال أو وصفه بالتام يشمل جميع أنواعه المذكورة بحيث يكون الشعب الذي يطلبه لنفسه وتعترف به الدول حرًّا في جميع أنواع التصرف في حكومته لا فرق بينه وبين الدول الكبرى كإنكلترة وفرنسة أو الصغرى كسويسرة والبرتغال. وقد كانت الدولة العثمانية من الدول الكبرى المعترف لها بالاستقلال التام المطلق، ولكنا رأيناها عاجزة عن زيادة ضريبة المكس (الجمرك) على ما يرد من صادرات الممالك الأجنبية وعاجزة عن تنفيذ قانون وضعته للمواد الكحولية، أقره مجلس الأمة وصدرت به الإرادة السنية، ذلك بأن الدول الكبرى عارضت في هذا وذاك، وما فتح للدول باب الافتيات عليها إلا تلك الامتيازات التي كان أصلها منحة من القوي للضعيف وعطفًا عليه وتساهلاً في معاملته عملاً بهداية الشرع

(*) هذا هو المقال الموعود به في الجزء الخامس ص ٢٨٠

الاسلامي . ورأينا في أثناء هذه الحرب تصرفا أغرب من هذا . ذلك التصرف الذي قام به دول الاحلاف في بلاد اليونان المستقلة تم الاستقلال باعترافهم حتى أفضى الى خلع ملكهم واخراجه من بلاده وحجتهم في ذلك انه خالف دستور البلاد وهم ضامنون له

ما كل من يلوك كلمة الاستقلال بفمه أو يرسمها بقلمه بين كلمه . فهو مدرك لمعناها عند أهلها . وما كل من يدعي في أنه طالب الاستقلال لقوم فهو مخلص لهم ساع لخيرهم، بل رب ساع لاستقلال القوم في الظاهر وهو انما سعى لاستعبادهم، سواء كان منهم أو أجنبيا عنهم، ومن كان في شك من ذلك فليعتبر بما نقلته الينا البرقيات والصحف عن ساسة أوربة في أثناء هذه الحرب من وضع هذه الكلمة في موضعها أو تحريفها عنه

قال رئيس الوزارة الايطالية في خطاب ألقاه في مجلس الشيوخ عند البحث في مسألة احتلال الجرمان للبلاد الروسية والبحث معهم في الصلح على قاعدة «استقلال الشعوب كلها وعدم الضم والغرم» ونشرته جريدة المصرية في ثامن يناير (ك٢) ١٩١٨ مترجمة بالعربية .

«ان دولتي اوسطة أعلنتا انهما لا تنويان ازالة الاستقلال السياسي من البلاد التي احتلتاها . فكلمة "الاستقلال السياسي" لا تنفي الاعتداء على الاستقلال الآخر كالاستقلال الاقتصادي مثلا ولا تضمن أيضا عودة الممالك المحتلة الى جميع أراضيها كاملة . أضف الى ما تقدم أن كلمة "استقلال الشعوب" كلمة مبهمة لا تزيلها الشكوك وسائر ما ردده أولو السلطة من الالمان فانهما تقولان انهما لا تريدان ضما بالقوة . ومفهوم ذلك انهما تريدان ضما بغير القوة . فمن يمكن اذاً وصف الضم بالقوة . الجواب عن ذلك أن الامر

معلق على وجود القوة وعلى شكل الحياة الذي يعرض على الشعوب الموجودة تحت نير الفاتحين» اهـ المراد منه. ونزيد عليه أن الوزير صرح بأن الشعب الذي يراد استفتاؤه في أمره وحكم نفسه لا يعتمد على رأيه الا بعد سحب القوة الاجنبية المحتلة لبلاده.

وكما يتلاعب السياسيون بلفظ الاستقلال تفسيراً وتأويلاً واستنباطاً من العوامل والثمرات والقيود التي يجرونها عليه يتلاعبون أيضاً بما يقابله من ألفاظ الضم والفتح والحماية والرعاية والاحتلال الموقت وغير الموقت والمساعدة . ولما اقترح أحرار الروس وجوب بناء عقد الصلح على قاعدة استقلال جميع الشعوب الكبيرة والصغيرة وعدم الضم والغرامة أي عدم ضم أي دولة بنفسها شعبا من بلاد غيرها . ودول التحالف الجرماني يومئذ في أوج مجدها — استحسنت حكومة الولايات المتحدة وكذا دول الحلفاء هذه القاعدة وطفقوا يتباحثون فيها . الا أن مستر سكويث رئيس الوزارة البريطانية قال لمستر لويد جورج بين أن ضم البلاد في معجم (قاموس) السياسة أربعة معاني :

(١) ضم بعض البلدان لتحرير الشعوب الراسفة في قيود الظلم واغلال الاستبداد وهو أمر مشروع — وعده من أغراض القتال لهم

(٢) ضم البلاد التي تحتوي على أجناس — فصلت عن أصولها بارجاع الفرع الى أصله

(٣) الضم لاجل الاحتفاظ بمواقع حربية تكون ضرورية للدفاع لا للهجوم

(٤) ضم بمعنى فتح البلاد للتوسع والتبسط لسؤدد السياسي

والربح الاقتصادي وقال : ان هذا الاخير وحده لايبقي شيئا من السيادة في بريطانيا ولا بين حلفائها .

ونقول ان هذا أمر لا يعرف الا بالنية اذ لا يدعيه أحد في هذا العصر ، بل كل من حاول أخذ شيء من أرض غيره يدعي حسن النية فيه ويحاول تطبيقه على أحد الثلاثة الاول من معانيه وهو ما ذكره رئيس الوزارة الايطالية على ألمانية ولنمسة فيما أشرنا اليه من خطبته آنفا . ومتى كانت السياسة من الامور التعبدية ومقامات الصوفية حتى يحكم فيها أو عليها بحسن النية ؟ كلا ! انها تأويلات السياسة التي تجعل الحرام حلالا والحلال حراما يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، فمن تدبر كلام الوزيرين الايطالي والبريطاني يظهر له انه لا ينبغي للعاقل البصير ان يغتر بظواهر كلام السياسيين اذا أطلقوا كلمة „الاستقلال“ أو الحرية و „تحرير الشعوب والامم“ فيظن انها تنافي مايقابلها أو يضادها من الاستعباد أو الاستعمار أو الضم باسم الحماية أو الرعاية أو المساعدة الموقتة أو المطلقة ، فان الكلام يستعمل عندهم استعمالات مجازية ، ويختلف معناه حتى بما لا يمكن اطلاع أحد عليه وهو النية . فان قيل لهم ان الاصل في الالفاظ المطلقة ان تحمل على معانيها الحقيقية تفصوا من ذلك بصرف اللفظ عن حقيقته بالقرائن اللفظية أو المعنوية

فاذا طلب شعب من الشعوب من مؤتمر الصلح الاعتراف باستقلاله مع مساعدة بعض الدول له على النهوض بشؤون استقلاله كان ذلك عندهم دليلا على انه يطلب استقلالا مجازيا أي تصرفا ناقصا مقرونا بمساعدة أجنبية من شأنه أن يؤول الى الاستقلال التام الحقيقي الذي هو عبارة

عن نهوضه بأمر حكومته وحده (على حده اني رأي اعصر خمرا اي عنبا يؤول أمره الى ان يكون خمرا اذا هو لم يفسد فيستحيل خلا) .

فاذا يجب أن يقيد الطلب الذي يراد به الحقيقة بوصف الاستقلال بالتام المطلق الناجز . وبعدم شيء ينافيه وبعد قرينة على مجازيته، وان يصرح الشعب الطالب بأن لا يقبل أن يكون لدولة من الدول سنة رسمية لا قولية ولا فعلية ولا امتياز في بلاده، وأن يكون أمر امته بيدها وحكمها نيابيا لا يستبد فيه الا بما يقرره مجلس نوابه فيها

بهذا البيان يظهر لغير المتمرس بالسياسة ما يراه من التناقض أو التعارض في الاتفاق الفرنسي البريطاني على بلاد الشعوب العثمانية غير التركية كبلادنا العربية المعبر عنه باتفاق سنة ١٩١٦ الذي اعلنه باريس السر مارك سايكس باسم الحكومة الانكليزية والمسيو غو باسم الحكومة الفرنسية في اواخر دسمبر (ك ١) من السنة ثم اعلنته الحكومتان رسميا في ٨ نوفمبر (ت ٢) من السنة الماضية . فقد صرح ممثل انكلترة بباريس بانه لا يعقل ان يستقل الحجاز وتبقى سورية غير مستقلة وصرح عقيبه ممثل فرنسة في خطبته بأن الدولتين متفقتان على تحرير الشعوب غير التركية من النير التركي في آسية الصغرى مهما كانت اديان هذه الشعوب واجناسها وتهيئتها لمستقبل احسن من ماضيها وللسير بها في طريق الاستقلال بالحكم وفي سبيل الحضارة مع احترام العقائد الدينية وحقوق الوطنيات . وستعمل كل من الدولتين في منطقة نفوذها وسيكون الدور الذي تمثله فرنسة وانكلترة دور دليل لتحسين حالة المستقبل ودور حكم بين الجماعات

الدينية والجنسية والاول مستعدة بهذا الدور في الشمال و شيئا في الجنوب » اه

فعلم من هذا التصريح ان التحرير الذي يقولونه هو تحرير مقيد بكونه خاصا بازالة سلطة الترك لا مطلق . وان الاستقلال الذي وعدوا به عبارة عن قيادة البلاد في طرق الاستقلال لا الاستقلال الحقيقي الناجز وتستغني بهذا عن شرح البلاغ الذي نشر في ٨ نوفمبر والجمع بين ما فيه من تعارض بين اعطاء أهل بلاد السورية والعراقية حق الاختيار لشكل حكومتهم وبين ضمان الدولتين للجميع قضاء عادلا واحدا ومساعدة الحكومات والمصالح الاهلية على الامور العلمية والاقتصادية وازالة الخلاف والتفرق من بينهم ، فان هذا لا يكون الا بتوليهما ادارة البلاد

هذا وانما ذكر لفظ الاختيار في البلاغ تطبيقه على قواعد الدكتور ولسن رئيس جمهورية الولايات المتحدة التي وضعها لصلح الامم فانه صرح بأنه يجب استفتاء كل شعب في أمره ، وأن لا تحكم بلاد الا بما يختاره لها وانه ليس لدولة من الدول حق تمتاز به في بلاد غيرها بدعوى المصالح السياسية والادبية أو الاقتصادية ولا بأية دعوة أخرى ؛ وبأنه يجب تأسيس عصبة من الامم تضمن تنفيذ شروط الصلح ودوام السلم وحقوق الامم المستضعفة وتقوم بما يلزم لها من المساعدة

وقد قرأنا أخيرا في البرقيات والجرائد الباريسية تصريحا لرئيس الوزارة الفرنسية بأن مسألة الولايات العثمانية العربية وغيرها ستعرض على مؤتمر الصلح فيكون حكمه فيها هو الفصل ، وأن وفاق سنة ١٩١٦ كان وفاقا موقتا والحالة الحاضرة في مرقتة أيضا . وقد كتب هذا الرئيس

[٤] بهذا المعنى نشر في العدد ١٢٠ من جريدة المستقبل التي تصدر في باريس لخدمة الحكومة الفرنسية

بعد هذا كله نعجب لبقاء بعض السوريين مختلفين في أمر مستقبل بلادهم وزعم بعضهم ان وفاق سنة ١٩١٦ كالقضاء الالهي المنزل، لايتحول ولا يتزلزل، فيجب اظهار الرضا به . والسبق الى نيل الزلفى عند الحكومتين التي فوض اليها أمرهم بزعمهم، ومن مقاومة آخرين لهؤلاء بطلب تفويض أمر تنظيم البلاد الى دولة أخرى غير الدولة التي يزعم أولئك انها صارت أو ستصير مالكة أمرهم، وقصارى ذلك التنازع والتفاضل بين دولتين، بحجة ارتكاب أخف الضررين، وما أغنانا عن كل منهما، فكيف نتخير فيهما .

وأعجب من هذا ان كل فريق يزعم انه يطلب الاستقلال والخير لوطنه في الحال والاستقبال ولا شك في ان فيهم المخلصين وغير المخلصين

ويسرنا ان السواد الاعظم من أهل البلاد لا يرضى لنفسه الا الاستقلال التام الناجز والحرية الكاملة الناجزة لا مجرد الاطلاق من قيد سلطة ضعيفة عاجزة لتحل محلها دولة قادرة وانما كان بعضهم يخشى أو يغلط فيقيد رغبته بقيود يحسبها نافعة غير ضارة، ولكن الامر قد انكشف وظهر فلا يخفى الا على أكمه لا يبصر القمر وشرط صحة اقرار العلم والاختيار فالواجب الآن أن يكسر المقيد قيده الذي تقيد به قبل العلم بأن أمره بيده وحرية القول والكتابة، في الاقرار والتوكيل والانابة

ذلك بأن يستأنف زعماء البلاد بطريقة منظمة التوقيع على طلب الاستقلال التام المطلق الناجز وجعل حكومة البلاد نيابية (ديمقراطية)

تبني أحكامها على أساس العدل والمساواة وحفظ حقوق الفئات القليلة العدد من أهل البلاد، وان تضمن ذلك جمعية الامم لا دولة من الدول وان يرفع ذلك بالبرق والبريد الى مؤتمر الصلح والى الرئيس ولسن، وان ينيب هؤلاء الزعماء الذين يسعون لذلك واحدا من كل ولاية يمثلون الطوائف من الملل المختلفة وارسالهم الى مؤتمر الصلح بطلب هذا الاستقلال

يا أبناء وطني الاعزاء: قد أجمعت الدول الكبرى على جعل استقلال الشعوب من قواعد صلح الامم وعلى تفويض أمر الولايات اليها فلا تستطيع دولة منها أخذ شيء من بلادنا الا بقرار منه [illegible] اللازم لامة تبخع نفسها وتنحر مختارة بيدها مخدوعة بأن تنال ذلك مساعدة محيا بها. وأعيذكم بالله من سوء العاقبة. وأسأله لكم حسن الخاتمة.

تصحيح أغلاط الجزء الخامس من المجلد ٢١

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٢٦	٢٢	رسلا	مرسلا	٢٣٢	٢	جالبة يتقون من	حالة تتقون الاحكام من
٢٢٦	٢٣	القور	والقرد	٢٣٧	١٠	سيقولون الله	سيقولون لله
٢٢٧	٥	فيها	فيه	٢٣٧	١٨	أتنبؤن	قل أتنبئون
»	١١	فأرسل	أرسل	٢٣٩	١٦	أتباعه	أشياعه
»	٢١	لها		٢٤٠	١٧	اليه	
٢٢٨	٢٤	يبقى	لايبقى	»	»	اتفاقا	اتفق
				٢٤٦	١٧	هي	هي التي
				٢٤٩	١١	فنعطوه	فتعطوه

مدرسة
دار الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٩

المعالجة – إذا حقن (*) المصاب بالسلفرسان (Salvarsan) [وهو المسمى ٦٠٦ والجديد منه يسمى ٩١٤] بمقدار ٢٠ر٠ جم إلى ٣٠ر٠ جم انخفضت الحرارة وذهبت الحلزونيات من الدم في ظرف ٧ ساعات أو ١٤ أو ٢٠ ساعة على الاكثر. زد على ذلك أن هذه الحقنة قد منعت حصول النكس في المصابين بنسبة ٩٢ في المئة

وإذا لم يعمل الحقن عولجت هذه الحمى بمثل معالجة الحميات الاخرى ، فيلزم المريض الفراش في غرفة متجددة الهواء نقيته ، وتعطى له الاغذية السائلة ، واذا اشتدت الحرارة عولجت بالماء البارد كما سبق في الحميات الاخرى ، ومما يخفف الصداع وضع الكمادات الباردة على الرأس ، وإذا كان المريض متألماً من الكبد أو الطحال وضعت الكمادات الساخنة عليهما . واذا عرق المريض عرقاً شديداً وجب تنشيف جسمه في الحال . ويقاوم الهبوط الذي قد يحصل عند البحران بالتدفئة والمنبهات المنشطات . وفي أواخر الفترات بين نوب الحمى يحسن تغذية المريض بجميع الاطعمة الجيدة وتعطى له المقويات ليتحمل نكس المرض اذا حصل

الوقاية – تكون بالنظافة التامة واتقاء القمل وغيره من الحشرات كالقردان وابادتها بكافة الوسائل الفعالة كالغلي ونحوه

الافرنجي Syphilis

تكلمنا في الجزء الاول من هذا الكتاب (ص ١٢٨ — ١٣٠) على هذا

(*) ويكون الحقن اما داخل العضلات أو في الأوردة ، وهو الأفضل

المرض بشيء من الايجاز ونرى الآن أن نفصل القول في ميكروبه وطرق تشخيصه العملية وكذلك في معالجته الحديثة

أما ميكروبه فيسمى بالافرنجية [Spirochaeta Pallida] والكلمة الاولى يونانية بمعنى (الملزولي) والثانية لاتينية بمعنى الاكمد (الباهت) تعسر رؤيته بالمجهر فانه من أدق الميكروبات الملزونية، وقد اكتشف هذا الميكروب سنة ١٩٠٥ ميلادية وهو طويل دقيق سريع الحركة ملتوعلى نفسه نحوا من ٦ — ١٤ طية وينتهي بطرفين وهدبين دقيقين جدا ، يبلغ طوله نحوا من ٤ الى ٢٠ ملك [1] وعرضة ٢٥ ر . من الميكرون ، وهو من نوع الحيوينات الاولى [Protozoa]

يوجد هذا الميكروب في جميع القروح الافرنجية الاولى والثانية وفي أنواع الطفح الثانوي المختلفة وفي غير ذلك فتراه مثلا في العقد اللمفاوية القريبة من القروح أو من الطفح وقد نجده أحيانا في الدم وفي الطحال

أما في الطور الثالث من الافرنجي وهو الذي كانوا يعتبرونه غير معد فوجوده ليس بالسهولة التي في الطورين الاولين ، ومع ذلك تمكن مشاهدته في محيط الاورام الصمغية لا في وسطها غالبا وكذلك يشاهد في غير ذلك من الاصابات الافرنجية الثلاثية مثل التهاب الابهر (الاورطي) وفي قشرة المخ في مرض الشلل العام للمجانين، ويستمر وجوده بعد الطور الاول في الجسم الى سنين عديدة . ويوجد في الافرنجي الوراثي كثيرا بالدم والاحشاء كالكبد والطحال والرئتين

واعلم ان هذا الميكروب اذا تلقح به الجسم أخذ عدة ساعات حتى ينتشر فيه ولذلك وجد بعض الباحثين [متشنيكوف Metchnikoff] أنه اذا لقح بعض أنواع القردة بالميكروب ثم دهن موضع التلقيح (بمرهم الزئبق الحلو) أمكن منع العدوى حتى بعد مضي ١٨ ساعة من التلقيح

والمطهرات تقتل هذا الميكروب وكذلك الحرارة التي درجتها من ٥٢° سنتيجراد فصاعدا ، والمعالجة بالزئبق وبـ ٦٠٦ أو ٩١٤ تذهب الميكروب من الجسم أو تقلله

---

(١) ومتوسط الطول نحو من ٨ — ٩ ملك

أما تشخيصه — فمن أسهل طرقه أن يؤخذ جزء من إفراز القروح ويوضع على لوح من ألواح المجهر الزجاجية ويلون بالحبر الهندي المعتاد ويبسط على اللوح حتى يكون طبقة دقيقة ، فاذا جفت ونظر اليها بالمجهر رأيت الحلزونيات فيها بسهولة . هذا والداء في أطواره الثلاثة الاولى المعتادة قل أن يتعسر على الطبيب معرفته ، ولكن الصعوبة في معرفته حينما ينشأ عنه في آخر أطواره فساد بعض الاعصاب أو الشرايين بسمه الذي يحدث فيها تلفا أو التهابا مزمنا فيتسبب من ذلك أنواع من الشلل وتصلب في الشرايين وغير ذلك من الامراض العضالة التي يتعذر علاجها في أكثر الاحوال . وأحسن الطرق لمعرفة الداء حينئذ أن يبحث مصل دم المصاب أو جزء من السائل المخي النخاعي بطريقة [وزرمان Wassermann] الالماني وهي مبنية على بعض حقائق بكتيريولوجية يجب أن نبينها قبل وصف هذه الطريقة فنقول : —

انك اذا حقنت حيوانا بسم ميكروب أو بالميكروب نفسه أو بخلايا دم أو بغيره أو بأي مادة أخرى زلالية تولدت في البنية [مادة مضادة Anti_body] للمادة المحقونة وتلك تسمى للمادة المحقونة [مولدة الضد Anti_gen] فمثلا اذا حقنت حيوانا بمقدار غير مميت من سم ميكروب الدفتيريا تولد في دمه شيء مضاد لسم الدفتيريا وحماه من أذاه — كما سبق بيان ذلك — واذا حقنت الميكروب تولد في الدم مايذيبه ويبيده ، واذا حقنت كريات حمراء تولد فيه مايذيبها أيضا ، وكذلك اذا حقنت خلايا أو غيرها تولد فيه ما يحللها ويذيبها [1] وهلم جرا . واعلم ان المادة المتولدة لاتكون مضادة الا لما ولدها لا لغيره ، فاذا كانت المادة المحقونة دم الارنب مثلا كانت المادة المتولدة مضادة له لا لدم الضأن مثلا ولا لميكروب ولا لغيره . و [المادة المضادة Anti_body] التي تولدت لا تذيب المادة المحقونة مولدة الضد [Anti_gen] إلا بمساعدة مادة أخرى تكون عادة في دم الحيوان المحقون ، وتسمى المادة [المساعدة أو المكملة Complement] ووجودها في الدم طبيعي لاحادث ، فاذا سخن الدم أو مصله حتى صارت درجة حرارته ٥٥° — ٦٠° سنتجراد فسدت المادة المساعدة وبطل عملها ، وأصبحت المادة المضادة وحدها

---

(١) يراجع أيضا الجزء الاول ص ٤٩

لا تذيب المادة المولدة الضد ، وتفقد المادة ! عدة أيضاً بفعل التسخين كما سيأتي بيانه

اذا علمت ذلك فاعلم أن المصاب بالافرنجي توجد في دمه مادة مضادة من وهي التي تولدت في البنية بسبب تلقحه بهذا الداء ، ونحصل على هذه المادة بأخذ جزء من مصل دم المصاب أو جزء من سائل النخاع الشوكي له ، فاذا مزج هذا المصل أو هذا السائل بمادة [مولدة الضد] للافرنجي ، و عبارة أخرى المادة التي اذا حقنت في شخص ولدت ما يضاد الافرنجي أو بعبارة أصرح مادة مشتملة على ميكروب الافرنجي ككبد جنين امرأة مصابة بالافرنجي مثلاً — فاذا مزج هذا المصل أو السائل المشتمل على مضاد الافرنجي [Anti_body] بجزء من هذا الكبد المولد للضد [Anti_gen] كان لهذا المزيج خاصية إفساد المادة المساعدة [Complement] التي توجد في دم أي حيوان وإبطال عملها في الاذابة ، فاذا أضيف لدم هذا الحيوان الذي أفسدنا مادته المساعدة مادة مضادة مع مادة مولدة للضد لما أمكن لهذا الدم أن يقوم بعمله في الاذابة

ولبيان هذه الطريقة عملا ليتمكن القارئ من فهمها نقول : —

لنحص شخص يظن أنه مصاب بالافرنجي يؤخذ من أحد أوردة ٥ — ١٠ سنتي متراً مكعباً من الدم أو مقدار أكبر من ذلك بقليل من سائل النخاع الشوكي بالبزل القطني ويمزج مصل هذا الدم أو السائل النخاعي بكبد جنين مصاب بالافرنجي ويضاف عليهما جزء من مصل دم أحد خنازير الهند وهو مشتمل بطبيعته على تلك المادة التي سميناها [بالمادة المساعدة Complement] ويترك هذا المزيج مدة ساعة في حرارة درجتها ٣٧ سنتجراد

هذا ونكون قد استحضرنا من قبل أرنبا وحقناه عدة مرات بدم ثور حتى تتولد فيه مادة مضادة (مذيبة) لكريات دم الثور ، وهي كما قلنا لا تذيبه الا بوجود المادة المساعدة التي تكون معها في الحالة الطبيعية ونأخذ دم هذا الارنب ونزيل منه بالتسخين المادة المساعدة كما سبق بيانه — ليبقى عندنا دم فيه المادة المضادة فقط لدم الثور، ونضيف على دم هذا الارنب بعدئذ ذلك المزيج المذكور سابقا (وهو مصل

الانسان المشتبه في اصابته بالافرنجي مع كبد الجنين مع مصل خنزير الهند المشتمل على المادة المساعدة بدل التي أضعفها بالتسخين من دم الارنب) ونضيف اليه أيضا جزءاً من دم الثور ، ثم نسخن جميع هذا الخليط حتى تصير درجة حرارته ٣٧° بالسنتجراد ونبقيه في هذه الحرارة ساعتين . فاذا وجد مصل الانسان المشتبه في اصابته توجد فيه حقيقة المادة المضادة للافرنجي لاتحدت هي ومادة كبد الجنين المادة المساعدة على الاذابة التي بدم خنزير الهند وحينئذ لاتذوب كريات دم الثور بدم الارنب ، ويستنتج من ذلك أن الشخص الذي نفحصه مصاب بالافرنجي ، أما اذا ذابت كريات دم الثور علمنا أن هذا الانسان ليس مصابا بالافرنجي ولذلك لم يفسد مصله المادة المساعدة على الاذابة التي بدم خنزير الهند

هذه هي طريقة وزرمان علما وعملا ، وهي أهم الطرق الآن لتشخيص الافرنجي ويجب معرفتها على كل طبيب ولذلك توسعنا في ذكرها هنا

وهي تنجح اذا عملت في أثناء الطور الاول من الافرنجي بعد ٥ — ٨ أسابيع من حصول العدوى ، وتنجح أيضا في الطور الثاني في ٩٥ في المئة ، وفي الثالث في ٧٥ في المئة ، وفي الافرنجي الكامن (الذي لم تظهر أعراضه) في ٥٠ في المئة ، وكذلك تنجح في الامهات اللاتي يلدن أطفالا مصابين بالافرنجي الوراثي وهن في الظاهر سالمات منه ، وذلك بنسبة ٧٠ أو أكثر في المئة منهن .

وفي الاطوار الاخيرة الافرنجية التي ينشأ منها الشلل العام للمجانين وداء اختلال الحركة المسمى أيضا [بسل النخاع [1] Tabes Dorsalis] تنجح هذه الطريقة في كافة الاحوال تقريبا (أي نحو ١٠٠ في ١٠٠) سواء عملت بمصل دم المصاب أو بسائل النخاع الشوكي ، أما في الحالات التي يصاب فيها المخ أو النخاع بالاورام الصمغية الافرنجية فنجاحها قليل

هذا واذا علمنا أن مصل الانسان يشتمل بطبيعته على مادة تذيب كريات دم الغنم وكذلك يشتمل على المادة المساعدة على الاذابة — اذا علمنا ذلك أمكننا اختصار تلك الطريقة السابقة باستعمال دم الغنم بدون الاحتياج لدم خنزير

(١) سمي بذلك لما ينشأ عنه من الضمور في الاحبال العصبية الخلفية للنخاع

المتمم ولا الدم لا رنب والثور بل تضيف فقط أصل الانسان كبد جنين مصاب بالافرنجي ودم المريض ، على أنه قد وجد أيضاً أن كبد الجنين غير ضروري فان مواد أخرى يمكن أن تعمل عمله كخلاصة أي كبد سليم أو قلب أو أحشاء أو أنسجة أخرى وغير ذلك كثير كالمواد كالكولسترين (Cholesterin) والليسثين (Lecithin) ومن ذلك يعلم أن المادة التي نبحث عنها في مصل الانسان ليست هي المادة المضادة للافرنجي بالمعنى الصحيح بل هي مادة أخرى مخصوصة توجد في الدم اذا أصيب الشخص بالافرنجي ، فوجودها يدل على الاصابة والعكس بالعكس

واذا عولج الشخص قد تصبح طريقة وزرمان غير ناجحة في الشخص ، ولكن من الغريب انه اذا حقن حينئذ بحقنة ٦٠٦ تعود فتصبح ناجحة ، وذلك يدل على أنه لم يشف تماما من الداء ، وعليه فلا يمكن الاعتراف بطهارة شخص من هذا الداء الا اذا عملت طريقة وزرمان بعد هذه الحقنة التي تسمى حينئذ (الحقنة المحرضة) على نجاح الطريقة (Provocative)

المعالجة — نظرا لتعسر تطهير البنية من هذا الداء يجب أن تكون مدة المعالجة طويلة جدا والا لما خلص الجسم من الميكروب وسمومه . وهناك ثلاثة أنواع من الادوية لها نفع عظيم جدا في هذا المرض (١) الزئبق ومركباته و (٢) يودور البوتاسيوم و (٣) بعض مركبات الزرنيخ وأشهرها حقنة ٦٠٦ و ٩١٤

أما المعالجة بالزئبق واليودور فهي قديمة ولذلك لا نريد أن نتكلم عليها هنا لانها معروفة مشهورة ، وانما نريد أن نتكلم على معالجته الحديثة بالمركبات الزرنيخية فنقول : —

قد وفق العلامة ارلخ (Ehrlich) هو ومساعده هاتا (Hata)[1] سنة ١٩٠٩ ميلادية الى تركيب كيماوي زرنيخي نافع في هذا المرض سماه ٦٠٦ لانهما وفقا اليه بعد عمل تجارب عديدة بلغت هذا العدد ولذلك سمي بهذا الاسم ، ويسمى أيضا [أرلخ هاتا Ehrlich - Hata] نسبة لهما ، ويعرف عند الافرنج أيضا باسم (السالفرسان Salvarsan) ولم أقف على أصل هذه الكلمة ، وانما أظن

(١) هو حكيم ياباني كان مساعدا لارلخ الألماني

أنها مركبة من كلمتين : (أولها) بالالمانية Salbe وبالانكليزية Salve ومعناها (مرهم) أو (أي دواء للقروح) (وثانيتهما) اسم الزرنيخ (Arsenic) في اللغات الافرنجية. فاذا صح هذا الظن كان معنى ذلك الاسم (الشفاء الزرنيخي) وتركيبه الكيماوي هو (Dioxydiamino - arseno - benzol Dihydrochlorid)
ومعنى (Di) في اليونانية (مثنى أو مزدوج) و Oxy من كلمة (oxygen) و (Amine) تركيب كيماوي يشبه النوشادر (Ammonia) في عناصره وخواصه وهو مشتق منه و (Arseno) الزرنيخ كما سبق و (Benzol) أو (Benzene) مركب كيماوي من الهيدروجين والكربون بنسبة ستة جواهر فردة (Atom) من الاول الى مثلها من الثاني في كل ذرة (Molecule) و (Hydro) من كلمة (Hydrogen) و (Chlor) من (Chlorine) ، وعليه فحقنة ٦٠٦ مركبة بنسب مخصوصة من (الاكسجين والنيتروجين والهيدروجين والزرنيخ والكربون والكلورين) ولونها أصفر لامع ، وهي مسحوق يباع في أنابيب صغيرة زجاجية لا يجوز فتحها الا وقت الاستعمال لانها تفسد وتتأكسد اذا ترك المسحوق معرضا للهواء ، ولذلك يملأ الفراغ الذي يبقى بالانبوبة بغاز غير الاكسجين ، وهذا المسحوق يذوب في الماء ببطء ويكون المحلول حمضيا مشتملا على ١٥ر٣٤ في المئة من الزرنيخ

ويحقن بمقدار ٣٠و٠ جراما الى ٦٠و٠ جراماً

وكل أنبوبة تشتمل عادة على هذا المقدار الاخير (٦٠و٠ جم) والافضل أن تحقن في الاوردة

طريقة الحقن — يذاب مقدار السلفرسان في ٣٠ أو ٤٠ سنتمتر مكعب من الماء الساخن المقطر حديثاً والمعقم ثم يضاف اليه جزء من محلول هيدرات الصوديوم (بنسبة ١٥ ٪ من الهيدرات الى الماء المذاب فيه) فيتكون راسب أولا وذلك يأخذ في الذوبان بالتدريج كلما زدت مقدار محلول الهيدرات ، فاذا ذاب الراسب أضف محلولا دافئا من ملح الطعام النقي (بنسبة ٥ في الالف) يصنع بماء مقطر حديثاً الى أن يصير مقدار السائل كله ٢٥٠ جرام وعندئذ يصير صالحاً للحقن في الاوردة بشرط أن تكون درجة حرارته عند دخوله الوريد نحو ٣٨° سنتجراد ،

ويجب أن يلازم المريض الفراش قبل الحقن مدة ٢٤ ساعة ويكون طعامه خفيفا في تلك المدة وتطلق أمعاؤه بمسهل . وكذلك يجب أن يبقى في الفراش بعد الحقن ٢٤ ساعة أخرى . ومن اللازم أن تلزم طرق التعقيم والتطهير التامة في كل هذه العملية من أولها الى آخرها

وكثيرا ما يحدث بعد الحقن ارتفاع خفيف في حرارة المصاب لبضع ساعات

واذا روعيت جميع الاحتياطات التي ذكرناها هنا بدقة نجا المريض من الاعراض الخطرة مثل الرعدة والحمى الشديدة والقيء والاسهال ، وخصوصا اذا روعي أن الماء يجب أن يكون معقما ومقطرا حديثا فاذا كان مقطرا قديما رسبت فيه بعض الميكروبات من الهواء حتى اذا غليته قبل الاستعمال فان هذه الميكروبات تموت ولكن تبقى أجسامها في الماء وهذه تسبب بعض الاعراض الشديدة التي تحصل كثيرا عقب هذه الحقنة

أما طريقة الحقن في العضلات فهي أن يذاب المقدار اللازم من السالفرسان في ١٠ سنتي متر مكعب من الماء المقطر المعقم الدافئ ثم يضاف عليه ٤ سنتي متر مكعب من محلول هيدرات الصوديوم بنسبة ١٥ في المائة ثم ٨ في المائة من حامض الخليك حتى يبدأ السائل في أن يكون تأثيره حمضيا ثم نقطة من محلول هيدرات الصوديوم بحيث يصير قلويا ثم يحقن في عضلات الالية أو غيرها . وهذه الطريقة قد تحدث ورما مؤلما في مكان الحقن ولذلك يفضل عليها الحقن في الاوردة

ولا يجوز الحقن تحت الجلد ولا لمصاب بمرض في القلب أو الكلى أو الشرايين أو لمصاب بالسل ، وقد أعطاها بعضهم لمثل هؤلاء بمقادير طفيفة

والمعتاد أن يحقن المريض مرتين أو ثلاثا بعد فترة أسبوع أو أسبوعين لان الدواء لا يخرج من البنية الا بعد نحو أسبوع

وفائدة هذه الحقنة أنها تشفي قروح الافرنجية بأنواعها والاورام الصمغية بسرعة عجيبة حتى ان القروح المزمنة تشفى بعد الحقن ببضعة أيام . وفائدتها ليست قاصرة على الافرنجي المكتسب بل هي نافعة أيضا في الافرنجي الوراثي على حد سواء . أما في أطوار الافرنجي الاخيرة (Pa rasyphilitic) فلم يثبت الى الآن

غير أنه في نهاية الامر أنها قد توقف المرض وتخفف من أعراضه المؤلمة

وهذه الحقنة تذهب بميكروب الافرنجي من الدم وتصير طريقة [وزرمان] سلبية ، بمعنى أنها تطهر الدم حتى ان المصاب يكون كأنه لم يصب بشيء

ومن المستحسن جدا أن يعالج المصاب بعد هذه الحقنة بالزئبق مدة سنتين أو ثلاثاً حتى يشفى تماما من الافرنجي

وهذه الحقنة لا تخلو من الخطر فقد مات بها كثيرون أصابهم بعدها تشنج وغيبوبة ذهبت بحياتهم ، ولا يمكن نسبة ذلك لاي سبب سوى أن بنيتهم لا تتحمل العلاج بها لاستعداد خاص فتأثر بها لا نعرف سببه

أما السلفرسان الجديد [Neo-Salvarsan] ويسمى أيضا ٩١٤ لمثل السبب المذكور آنفا ، فهو يختلف قليلا من الوجهة الكيماوية عن السلفرسان القديم ويزيد عليه بعض المركبات التي فيه (الكبريت والصوديوم) وهو مسحوق أصفر سهل الذوبان في الماء ويكون معه محلولا متعادلا (لا قلويا ولا حمضيا)

ومقدار ما يحقن منه في الاوردة جرام واحد يذاب في ٢٠٠ سنتي متر مكعب من الماء المقطر وكثيرا ما يحقن في العضلات أيضا

ويعتقد العلماء أن تأثيره في الافرنجي كتأثير النوع القديم على السواء ولكنه أقل خطرا منه ، ويجوز تكرار الحقن به بعد شهر

هذا ولما كانت الحرب الحالية قد منعت التجارة الالمانية في كثير من بلدان العالم فكر بعض علماء الفرنسويين [الدكتور مونيرات Mouneyrat] في ايجاد مركب آخر يغنيهم عن مركبات الالمان المذكورة سابقا وسماه [الجاليل Galyl] أو ١١١٦ وهو مركب من الكربون والهيدروجين والاكسجين والنيتروجين والفصفور والزرنيخ بالنسب الآتية : — [٢٤ كربون — ٢٢ هيدروجين — ٨ أكسجين — ٤ نيتروجين — ٢ فسفور — ٤ زرنيخ] ويسمى بلغة الكيماويين : —

(Tetraoxydiphospho tetra aminodiarse obenzene)

وقد سبق أننا فسرنا جميع مقاطع (أجزاء) هذه الكلمة ماعدا كلمة (Tetra) وهي يونانية معناها أربعة، وهذا الدواء نافع — كالمركبات الالمانية — في الامراض

الاخرى الناشئة عن الميكروبات الحيوانية كالحمى الراجعة ومرض النوم

وهذا الدواء مسحوق أصفر يباع في أنابيب ... ولا يتغير بمضي الزمن وهو سهل الذوبان في الماء ويقول مخترعه انه لا يضر عصب البصر ولا عصب السمع كما يحدث أحيانا من المركبات الالمانية . ومقدار ما يحقن منه ٣٠ رجم الى ٣٥ رجم كل ثمانية أيام والعادة أن تزول الاعراض بعد ثلاث أو أربع حقن ولكن الافضل أن يعمل ست حقن وينبغي تكرار الحقن كل سنة لمدة أربع سنوات لزوال الداء من البنية . ويكون الحقن في الاوردة ، ويجوز أن يعمل أيضا داخل العضلات . وهناك دواء آخر انجليزي يسمى خارسفان Kharsivan] وهو مثل السلفرسان سواء بسواء

مرض النوم Sleeping Sickness

ينشأ هذا المرض من ميكروب حيواني يشبه الحلزونيات المذكورة آنفا يسمى بالافرنجية [Trypanosome] يعيش في دم الحيوانات الفقرية وينتقل من بعضها الى البعض الآخر بواسطة الحشرات (اللافقرية) أي الذباب . ومن الحيوانات الفقرية التي يعيش في دمها هذا الميكروب ما لا يتأثر به ولا يشعر بوجوده ويكون بالنسبة للميكروب كمستودع طبيعي (خزان) له ، ومنه ينتقل الى الانواع الاخرى بالذباب ليحدث له المرض

يشبه هذا الميكروب الدودة فله جسم طويل متحرك ولكنه ليس مفتولا بل مسطحا وله طرفان ، في الامامي منهما هدب واحد كالشارب له . وفي أحد جانبيه غشاء دقيق كثير التماوج ، وله نواتان احداهما كبيرة والاخرى صغيرة ، والكبيرة في وسطه والصغيرة بقرب الطرف الذي لا هدب له ومنها يبتدئ خيط دقيق يمر بحافة الغشاء المتماوج وينتهي هذا الخيط بالشارب

وهذا الميكروب هو خلية واحدة طولها من ١٨ - ٢٥ ميكرونا وعرضها من ٢ الى ٢,٨ مك فطوله نحو ثلاثة أمثال قطر كرية الدم الحمراء

وهو يتوالد بالانقسام الطولي (وقد يحدث الانقسام نادرا بالعرض) ويشاهد هذا الميكروب في دم المصاب والغدد اللمفاوية وسائل النخاع الشوكي ولا يدخل

هذا الميكروب في كريات الدم الحمراء أما البيضاء فتأكله وتبيده

الاسباب — عرف حدوث هذا المرض منذ زمن بعيد في شاطئ أفريقية الغربي بين نهري (سنغال Senegal) و (لواندا Loanda) وعلى بعد بضعة آلاف ميل من البحر وقد عرف أيضا حديثا في بلاد (أوغندا Uganda). وفي جهات أخرى من العالم ولكن المصابين فيها كانوا ممن ذهبوا الى أفريقية . ويندر حدوث هذا المرض لغير السود ، ويصيب الاشخاص في جميع الاعمار والذكور والاناث على حد سواء ، وقد يستثنى من ذلك الاطفال الرضع والشيوخ الفانين

وينقل الميكروب من مصاب لآخر نوع من الذباب المسمى (Tsetse) وهو أكبر بقليل من الذباب المعتاد ويشبهه شبها عظيما ولكنه لا يوجد الا حيث يوجد هذا المرض . ومما يمتاز به أن أنثاه لا تلد بيضا بل تلد جنينا تام التكوين

الاعراض — لاشك أن ميكروب المرض قد يوجد في دم بعض الناس مدة طويلة بدون أن تظهر عليهم أعراض المرض، وقد ينتهي الامر بموت الميكروب . وأول أعراض الداء حمى تمكث بضع ساعات أو بضعة أيام ثم تعود بعد بضعة أسابيع ولا تمتاز أعراض هذه الحمى كثيرا عن غيرها من الحميات الاخرى

واذا وصل الميكروب الى تجويف العنكبوتية للمخ والنخاع ظهرت حينئذ الاعراض المميزة لهذا الداء فيؤخذ المصاب بسنة (نعاس) تزداد تدريجيا حتى تصير سباتا فغيبوبة تامة . وفي أول درجة النعاس قد يحاول المريض العمل ولكنه يكون في غاية الخمول بالكسل والضعف، فاذا بلغ درجة النوم لم يتقلب في فراشه الا اذا قلبناه ولا يأكل الا اذا أطعمناه ومع ذلك لا يتم على الاكل بل يترك الطعام في فمه ويستمر في نومه . ومدة المرض من خمسة أشهر الى خمسة عشر شهرا . ولم يعرف ان أحدا أصيب به ونجا منه وميكروب هذا المرض يحدث التهابا مزمنا في المخ والنخاع وأغشيتهما (السحايا)

المعالجة — قل أن تنجح وتنحصر في العناية الشديدة بالمريض وبنظافته وتغذيته وتقليبه في فراشه وحقنه ببعض مركبات الزرنيخ كالدواء المسمى (أتوكسل Atoxyl) إما وحده أو مع بعض مركبات الزئبق أو غيره

الحمى السوداء أو الكلا آزار

(Black Fever or Kala-Azar)

مرض كثير الانتشار في بلاد الهند والصين وغيرهما من بلاد آسية ويوجد أيضا في مصر وتونس والجزائر. وسببه ميكروب حيواني أول من وصفه كل من السير (ليشمان Sir Leishman) والدكتور (دونوفن Dr. Donovan) ولذلك سمي هذا الميكروب باسمهما (Leishman-Donovan) ويوجد في المصاب في طحاله وكبده وفي غدده اللمفاوية وفي رئتيه وفي جدر أمعائه وغير ذلك، ويمكن الحصول عليه أثناء الحياة ببزل الطحال أو الكبد، وأخذ جزء من دمها . وينتقل من شخص لآخر بواسطة بق الاسرة وغيره

الاعراض — حمى مستطيلة والصفار (الانيميا) والضعف والنحافة وضخامة الكبد والطحال والرعاف أحيانا أو النزف من اللثة أو تحت الجلد وآلام في العظام وتورم بالوجه والساقين بل واستسقاء بالبطن اذا عظم حجم الكبد ويصاب المريض بالاسهال أو الدوسنطاريا وبالالتهاب الرئوي . وهذه المضاعفات كثيرا ماتكون سببا في الموت. ويمكث المرض عدة أشهر، والموت فيه يكون بنسبة تسعين في المئة من المصابين

العلاج — يكون بمركبات الكينين أو الزرنيخ

داء التوت الشوكي — أو — العليق الافرنجي

Framboesia

سمي بذلك لان أورامه التي تظهر بالجسم تشبه هذا النوع من التوت في شكله وحجمه . وهو مرض معد كثير الانتشار في البلاد الحارة كافريقية والهند وغيرها . يصيب الذكور والاناث على حد سواء والشبان أكثر من غيرهم والسود أكثر من البيض. وهو يشبه الافرنجي (Syphilis) شبها عظيما في ميكروبه وأعراضه وعلاجه حتى ظن بعض الباحثين أنه نوع منه ولكن الحقيقة غير ذلك فانه يمكن أن يصاب الشخص بالمرضين معا

تحصل العدوى بتلقيح الجلد بالميكروب في أي سحج أو جرح أو نحو ذلك

ويندر حصول التلقيح في أعضاء التناسل . ومدة التفرخ من أسبوعين الى أربعة، يظهر بعدها في مكان التلقيح دمل يتقرح أو يستحيل الى مادة كالازرار اللحمية تبرز من الجلد ، وتضخم العقد اللمفاوية التي حولها وقل أن تتقيح

هذا هو الطور الاول . أما الثاني فيظهر بعد شهر أو ثلاثة من مبدأ ظهور الطور الاول، ويسبقه توعك وحمى ثم تظهر دمامل صغيرة جدا في أول الامر ثم تكبر حتى تصير نحو بوصتين أو أقل وهي تشبه التوت الشوكي ، وهذه أيضا تتقرح . وهي تصيب كل أجزاء سطح الجسم . والطور الثالث طور الاورام الصمغية الافرنجية

وميكروب هذا المرض من نوع الحلزونيات ويوجد في الدمامل والقروح وفي الطحال والعقد اللمفاوية وغيرها ، ويمكث المرض سنة أو عدة سنين، وقل أن يميت

المعالجة — تكون بحقنة السلفرسان ، وكان يعالج قديما كالافرنجي بمركبات الزئبق واليود والزرنيخ، وتعالج القروح بالمطهرات كالمعتاد

الى هنا انتهى الجزء الثاني وسيليه ان شاء الله الجزء الثالث ويبدأ بالامراض التي لم تعرف ميكروباتها الى الآن

ترجمة الشيخ عبد الرزاق البيطار

بقلم حفيده الشيخ محمد بهجة البيطار

[عبد الرزاق بن حسن بن ابراهيم بن حسن بن محمد بن حسن البيطار الدمشقي]

في عاشر ربيع الاول من سنة ١٣٣٥ فجعت دمشق الشام، بوفاة أكبر وأشهر علمائها الاعلام ، علامة الاقطار ، الاستاذ الجد سيدي الشيخ عبد الرزاق البيطار رحمه الله ورضي عنه ولقد كانت وفاته خسارة عظمى على المسلمين والاسلام ، واليك نبذة يسيرة من ترجمة حياته

مولده وتحصيله

ولد المرحوم بمحلة الميدان من دمشق الشام سنة ألف ومائتين وثلاث وخمسين سنة ١٢٥٣ وغب التمييز تعلم القراءة والكتابة ثم حفظ القرآن الكريم وجوّده على

الشيخ الفاضل أحمد الحلواني شيخ قراء الشام ثم حفظ المتون في مبادي العلوم على والده العلامة الجليل المتفنن الشيخ حسن البيطار وكان يحضر دروسه الخاصة والعامة ، ثم في أول رمضان سنة ١١٧٢ توفي والده رحمه الله فقرأ على شقيقه الاكبر الشيخ محمد فقه أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه وأخوه هذا كان أمين فتوى دمشق يوم كان مفتيها العلامة الشهير محمود أفندي حمزة ، وأخذ عن شقيقه الثاني العلامة الشيخ عبد الغني علم القراءات ثم لازم دروس العلامة المحقق الشيخ محمد الطنطاوي فأكمل عليه العلوم العربية والشرعية ، وتوسع في المعقول والمنقول وأخذ عنه علم الميقات والفلك والحساب ثم صحب العارف بالله تعالى الامير عبد القادر الجزائري فقرأ عليه جملة من كتب الحقائق وأعظمها الفتوحات المكية

صحبته للامير عبد القادر

لازم فقيدنا المرحوم الامير الملازمة التامة ، وأخذ عنه الفصل بالعدل في القضايا العامة ، ولقد كان يرد على الامير قدس سره كثير من الخصومات بين الخلق اذ كان هو المرجع للناس في دمشق ، فكان يحولها اليه ، ويحيل أصحابها عليه ، فيكون قوله الفصل ، بإجراء الحكم على سنة العدل ، ولقد استفاد المرحوم من أخلاق السيد وآدابه ، حتى عد ثاني الامير في حياته وعهد اليه تربية أولاده وتعليمهم ، وكنت أسمع من أصدق أصدقاء المرحوم علامة الشام الثاني فقيد الاسلام شيخنا الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله أن أدب الاستاذ أدب الملوك فقلت صدق رحمه الله ويعرف ذلك كل من جلس اليه وسمع حسن عبارته ورأى لطف اشارته

صدعه بالحق وتأثير أفكاره

كان عصر المرحوم الذي تلقى فيه دروسه الشرعية عصر جمود على القديم ، وتلقي الاقوال بالتسليم من دون تمحيص الصحيح من السقيم ، فاستمر فقيدنا على طريقة معاصريه متأثراً بها الى ما بعد الخمسين . ولقد سمعته في منزله يقول لعلامة العراق السيد محمود شكري الآلوسي لما كان نزيل دمشق سنة ١٣٣٣ وقد جاء ذكر أحد أئمة الاسلام العظام — كنا أيام التحصيل عند شيوخنا اذا ذكر مثل هذا الامام نعتقده رجلا خارجا عن دائرة الاسلام ثم ألهمه الله تعالى الاخذ من الكتاب والسنة

وعدم قبول رأي أحد من دون حجة كما كان على ذلك سلف الامة ، وكما أوصى جميع الائمة رضي الله تعالى عنهم بعدم الاخذ بقولهم الا بعد معرفة دليلهم فصار يأخذ الاحكام بالدلائل ، ويقبل قول الحق من أي قائل ، ويصدع به ولا يخاف في الله لومة لائم ، فكان العلم الصحيح أخذ المسائل بأدلتها — كما يقولون — فهو في بلاد الشام من أول العلماء بلا شبهة ولا مراء ؛ لانه أول من أخذ بالدليل ، وجاهد في هذه السبيل ، ورفع فوق رؤوس أهل الحق راية السنة والتنزيل .

وكان رحمه الله تعالى فصيح اللهجة ، قوي الحجة ، غزير المادة ، وكان لدى مناظريه البطل المغوار والبحر الزخار ، لا يشق له غبار، وما ناظره أحد الا واعترف له بالسبق في هذا المضمار ، وكان له مع صديقه المرحوم القاسمي مساجلات علمية ومحاورات أدبية ، تشف عن سعة علم وأدب جم

وكان له في المسائل الفرعية ، أساليب في الاقناع عجيبة ، فمنها ان بعضهم زعم مرة انه يجب القيام ، عند ذكر ولادة الرسول عليه الصلاة والسلام ، — وجوبا بدعيا — تعظيما له صلى الله عليه وسلم وألف في ذلك رسالة ، وحملها الفقيد ليكتب له عليها تقريظا ، فاعتذر اليه ، فألح عليه ، وأخيراً قال له الاستاذ المرحوم : أنت مقصودك من هذه الرسالة أنه اذا قيل ولد الرسول عليه الصلاة والسلام يجب القيام؟ قال نعم ، قال والذي لا يقوم عند ذكر ولادته (ص) ؟ قال يكون آثما لانه ترك واجبا قال : أكلما قيل ولد الرسول (ص) يجب ذلك ؟ قال نعم . فعندئذ قال له الاستاذ : ها أنا ذا قد ذكرت لك ولادته (ص) ثلاث مرات فلم لم تقم ؟ فقال له لانه لا يوجد هنا الآن مولد ، فأجابه الاستاذ أنت اذاً تقوم تعظيما لما اشتمل عليه المولد لا لمن ولد ! فخجل ولم يجب ، ثم أرشده الاستاذ الى ان تعظيم النبي (ص) الحقيقي باتباعه في أقواله وأعماله ونشر هدايته التي جاء بها عن ربه مشتملة على سعادة خلقه .

خلقه وخلقه

كان المرحوم طويل القامة جميل العالمة والهيئة ، جليل الهيبة والوقار ، يكاد سنا برق جماله وجلاله يذهب بالابصار ، كلامه السحر الحلال ، وأدبه ألعب بالعقول من الغيث في الحقول ، أما رقة شمائله (رحمه الله تعالى) فلا أعلم له بها نظيرا في

العلماء الاعلام من بني الاسلام ، ولقد كان الاستاذ القاسمي رحمه الله مولعا بسمو أخلاقه ، ومعجبا بعظيم آدابه ، ومعترفا بذوق الجمال الذي كان معدنا للطف والظرف . وقال لي مرة بعض الافاضل : ليت الاستاذ يكتب لنا رسالة في الاخلاق يستمليها من صفاته وآدابه فتكون أنفع ما كتب في هذا الفن . ولقد قلت مرة لاستاذنا القاسمي رحمه الله تعالى : أني قد عرفت كثيرا من العلماء وخالطتهم فلم أجد أكرم منكما (أي هو والاستاذ الجد رحمهما الله تعالى) عشرة ، ولا أرق عاطفة ، ولا أنظف ورعا ، ولا ألطف حديثا ، مع ما رزقتما من سعة العلم والفضل ، فأنا لا أريد أن أفارق مجلسكما ولو الى النعيم ، ولا أمل حديثكما ولو استمر سنين . فقال لي : لهذا السر نحن لا نأنس بغيرنا كما نأنس ببعضنا ولا نسر اذا كنا منفردين . وقال لي مرة رب السيف والقلم الامير محي الدين باشا الجزائري نجل الامير عبد القادر (رحمهما الله تعالى) ما معناه : ان المرحوم أدبا ممتازا وكلاما جذابا أكسبه ثقة الامراء ، ومحبة العظماء ، ونزل من نفوسهم منزلة رفيعة لا يدانيه فيها أحد من العلماء

وكان (رحمه الله تعالى) يراعي في مجلسه الطبقات ، ويعطي كل انسان نصيبه من الالتفات ، ومن عجيب أمره قدس الله روحه أنه كان يجلس اليه العالم والكاتب والشاعر والزارع والصانع والتاجر في مجلس واحد فيتبادل الافكار والآراء مع كل واحد منهم بما يلائمه ، ويفيده به الفوائد الجمة ، حتى يخرج الكل من عنده فرحين مسرورين

وكان (رحمه الله تعالى) واسع الصدر جدا ، قلما غضب ، وإنما يغضب للحق ولا يغضب لنفسه أبدا ، وكان يتحمل من الناس فوق ما يتحمل ، ومن سعة صدره وشدة تحمله أنه مهما اشتد به الغضب لمسألة ما فلا يبدو شيء على أسارير وجهه

والحاصل انه ليس في وسعي أن أحيط بمكارم أخلاقه وحسبي أن أقول انه كان بها قدوة وكان مصداق قوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)

صحبة عالم الشام له ، وتفوقه في درسه عليه ، مما كتبه عنه في حاشية سنة ٢٤

كان أشد الناس صحبة للمرحوم وملازمة له صديقه الابر الشيخ جمال الدين القاسمي فهو صاحبه ومريده العظيم الذي كان له معه أدب الولد البار مع أبيه ، قرأ عليه رسالة في الفلك وكان يلخصها دروسا بخطه ، ويكتب على هامشها تقرير الاستاذ

بنعمه ، ولقد حضرت على المرحوم القاسمي مع تلاميذه دروسه في بيته وجامعه ومدرسته نحو ثلاث سنوات فندر جدا أن يمر يوم يذكر لنا فيه الاستاذ المرحوم الا ويقرر لنا فيه عظمته ، أو يطرفنا بنادرة مما اتفق له معه أو مع غيره ، واذا ذكره في الدرس فيذكره دائما بلفظ شيخنا ، وكان يعده عالم الشام ، وأذكر أنا كنا مرة نقرأ عليه في فن البيان (باب القصر) فقال في مثال قصر الصفة على الموصوف قصرا ادعائيا : لا عالم الا الشيخ عبد الرزاق البيطار : قال مع انه يوجد غيره ممن يسمون بالعلماء ولكن مع حشو وجود فلا يعتد بعلمهم

وأخبرني عم والدي الفضال شقيق المترجم سيدي الشيخ محمد سليم البيطار بأنهم لما كانوا في مصر سنة ٢١ كان مفتي الديار المصرية الاستاذ الامام رحمه الله تعالى يجل الاستاذ المرحوم كثيرا ، ولا يتقدمه أبدا ، حتى ظن بعض أفاضل العلماء في مصر بأن الاستاذ الامام قد تلقى العلم عن المرحوم أيام كان في بلاد الشام

واليك ما كتب عنه الاستاذ القاسمي بخطه في حادثة سنة ٢٤ التي جرت للمترجم مع بعض العلماء ، شأن قبور الانبياء والاولياء بتزوير بعض السفهاء قال : ان الشيخ عبد الرزاق البيطار ذلك العالم الجليل — ممن اشتهر بالانكار على أرباب الخرافات ، وممن يقاوم بلسانه وبراهينه تلك الخزعبلات ، فانه ممن لا تأخذه في ابانة الحق لومة لائم ، ولا يصده عتب عاتب ولا قومة قائم ، وله صدق بالحق عجيب ، وعدم محاباة ومداراة ، وكل ما يروى من حكايات المتصوفين فانه يزنه بميزان العقل فان أباه رده جهارا ، وقابل قائله بأشد انكارا ، وطالما صرح بالسخرية ممن ينادي من يعتقد فيه العامة من الاموات ، ويستشفع به في قضاء الحاجات ، ويعرفهم ماقاله السلف في هذا الباب من أنه أمر ما أذن الله به ، اذ أمر بدعائه وحده فدعاء غيره مما لا يرضاه كما صرح به في غير آية من كريم الكتاب ، وقصده ترقية العامة عن نداء أحد الا الله ، وتعليق القلب الا بالخالق تبارك وتعالى . انتهى

صبره واحتسابه

مر على فقيدنا المرحوم — كما مر على فطاحل الرجال وأساطين العلم والحكمة قديما وحديثا — كثير من المصائب والمحن ، فكان بها مثال للصبر والثبات ، وانما كانت

تدار تلك التدابير السيئة بيد بعض المدلسين والمفسدين، ومن لاخلاق لهم من الجامدين، واليك بعضها: اتهم تأسيس مذهب جديد وتسليم سورية لنجد ومصر للانكليز وذلك سنة ٢٤ وكان مما قاله لوالي سورية اذ ذاك [هو شكري باشا وكان رجلا عاقلا جدا]: هل سورية ومصر – بحضرة الوالي – تفاحتان في جيبي حتى أسلمهما؟ ثم ان كان في امكاني أن أتصرف بهما وأسلمهما لغيري فلم لا أبقيهما لنفسي؟ ووراء ذلك فان كان يتيسر لمثلي تسليمهما فرجل أقدر مني يسلم البلاد العثمانية كلها للاجانب وأين الحكومة وقوتها؟! فخجل الوالي وقال: أنا أعلم أن هذه وشايات وأراجيف لا أصل لها ولكني دعوتك عندي من أجل أن آنس بك وأفطر هذا المساء معك وكان ذلك في رمضان سنة ٢٤

وفتشت كتبه وداره مرات متوقعين أن يعثروا عنده على بعض أوراق سياسية أو مخابرات سرية فيسجنوه أو ينفوه، ولكن طاش سهمهم فان الاستاذ (رح) لم يشتغل بالامور السياسية، ولم تكن كتب العلم تنزل عن يده الا لحاجة ضرورية.

زهده في الوظائف، وبعده عنها، وخدمته للعلم

كان المرحوم بعيداً عن التربع في المناصب، والاغترار بالمظاهر الكاذبة، ولقد عرض عليه – اذ كان في الاستانة سنة ١٤ – من قبل المشيخة الاسلامية الافتاء أو القضاء في مدينة من أمهات المدن السورية، فرفض كل وظيفة غير خدمة العلم الصحيح ونشره في طبقات الامة بالتعليم والارشاد والتصنيف، ولكن تأثيره كما قال عالم الشام جمال الدين، أكبر من أثره كحكيم الاسلام جمال الدين

وكان رحمه الله تعالى يلقي دروسه العامة في جامع كريم الدين الشهير بالدقاق في محلة الميدان، ودروسه الخاصة في حجرته من ذلك الجامع وفي بيته أيضا، وقد انتفع به كثير من الطلاب، وحضرت عليه في دروسه العامة والخاصة طائفة من كتب التفسير والحديث والفقه، عدا دروسي الخاصة التي كنت أقرأها عليه على انفراد

وبعد أن وقع الانقلاب سنة ٢٦ وأصبحت الحكومة دستورية شوروية، ثم بويع السلطان محمد الخامس بعد خلع عبد الحميد – انتخبته دمشق مع بعض أفاضلها لمبايعة السلطان محمد ولتقديم واجبات التهاني والتبريك له فكتبت عنه في ذلك جرائد

العاصمة التركية ، ماوردت صداه الجرائد العربية السورية، ثم ملأت هذه أعمدتها من آيات الشرف ولا فخار ، برجوع شيخ الديار الشامية الى الديار

تآليفه

أما تآليفه فتبلغ بضعة عشر كتاباً بعضها ديني وأكثرها أدبي وأكبرها تاريخه في رجال القرن الثالث عشر ذكر فيه المشاهير وغيرهم، وكان أذن لي باختصاره ، ومن تآليفه الدينية منها : المنة ، في العمل بالكتاب والسنة . والمباحث الغرر ، في حكم الصور . والامعة في لاقتداء حال التشهد من صلاة الجمعة ، وشرح العقيدة الاسلامية للعلامة محمود افندي حمزة مفتي دمشق

أما رسائله وقصائده ومكاتيبه العلمية والادبية فتبلغ لو جمعت مئات الاوراق ونسأل المولى أن ييسر سبيل الجمع ، وتقديم الاهم منها للطبع ، بمنه وكرمه

نبذة من كلامه رحمه الله

نختم هذه الترجمة بإيراد نبذة يسيرة من كلامه ليقف منها القارئ على مشربه في الحديث ، وتمييزه الصحيح من الضعيف ، ونقده لكلام المؤلفين ، على عادة العلماء المحققين قال رضي الله عنه في رسالته المباحث الغرر ، في حكم الصور » التي حررها في جواب سؤال ورد من أحد علماء الهند — باختصار : ولا التفات لما نسب للفاضل أبي الوليد محمد بن عبد الكريم المعروف بالازرقي رحمه الله المتوفى — كما في كشف الظنون سنة ٢٢٧ من انه قال في تاريخه الموجود الآن في المكتبة العمومية في دمشق المحمية ، الذي ألفه في خصوص البيت الحرام فقال في مناسبة بناء قريش الكعبة ما نصه ـ مع بعض اختصار وتصرف :

وجعلوا في دعائمها صور الانبياء وصور الاشجار وصور الملائكة فكان منها صورة ابراهيم خليل الرحمن شيخا يستقسم بالازلام وصورة عيسى بن مريم وأمه ، فلما كان يوم الفتح دخل رسول الله (ص) البيت فأرسل الفضل بن العباس بن عبد المطلب فجاء بماء من زمزم ثم أمر بثوب فبل بالماء ، وأمر بطمس تلك صور فطمست ، قال ووضع كفيه على صورة عيسى بن مريم وأمه وقال امحوا جميع الصور الا ما تحت يدي ورفع يديه عن عيسى وأمه، ونظر الى صورة ابراهيم عليه السلام

فقال قاتلهم الله جعلوه يستقسم بالازلام ما لابراهيم وللازلام . انتهى

ثم ساق الازرقي هذه القصة بأسانيد عديدة مضطربة المتن ، ولذلك قال الاستاذ رحمه الله : أقول هذا الحديث الذي ذكره بصور متعددة والفاظ متقاربة من أمر النبي (ص) بمحو الصور الا ما كان من صورة عيسى ومريم لم يذكره أحد من المحدثين ولا من المفسرين ولا من أهل السير ولا ممن ألفوا المؤلفات في تاريخ بيت الله الحرام أو غيره لا ممن كان قبله ولا ممن عاصره ، ولا ممن كان بعده (الى أن قال) فان عامة أهل الشرع من الفقهاء والمحدثين على خلاف ذلك ، ولو كان ذلك له أصل لوجب عليهم استثناء صورة مريم وعيسى من عموم التحريم ، لان الاطلاق في مقام التقييد خطأ كالعكس (ثم قال) يلزم على تسليمه ان النبي (ص) قد تناقض كلامه ، واختلفت في هذه المسألة أحكامه ، فتارة يعمم الامر في محو الصور ، وتارة يستثني عيسى وأمه بمقتضى هذا الخبر ، وتارة يقتضي انه ما دخل حتى محيت الصور كلها ، وتارة أنه دخل قبل محو شيء منها ، مع أن هذا الامر بعيد جدا بل باطل ، لا يعول عليه الا قاصر او جاهل ، فلم يبق الا أن ذلك مدسوس عليه ، ومنسوب كذبا وزورا وبهتانا اليه ، وقد تجاسر كثير من الناس من قديم وحديث ، على ذكر جمل من الكلام وسموها بالحديث ، وأدخلوها في عبارة الكتب وظنوا انها فضيلة مع انها وان كانت في الترغيب والترهيب رذيلة وأي رذيلة . وكذلك دسوا بعض عبارات ، على كثير من الافاضل والسادات ، فحينئذ لا يلتفت الى هذه العبارة التي دسها في كلامه بعض أهل الغواية ، ممن له بها حاجة وغاية ، ولم يخش من الكذب على النبي المختار ، ولا أفزعه قوله (ص) « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وظن انه يروج المحال وانه ليس في السويداء رجال ، مع ان الشريعة محفوظة ، وبعين العناية ملحوظة ، فما أدخل قائل قولا باطلا الا ورد عليه ، ولا دس بها جاهل منكرا الا وسهام التكذيب قد توجهت اليه ، وكل ما أجاب به بعض الناس عنها مع تسليم نسبتها لهذا الامام ، فانه يريد النقض لا الابرام ، ومن كان عنده جواب لائق ، ولما ذكره أهل الشرع موافق ، فليتكرم بالحاقه في هذا المكان ، ومولاه يعامله بجزيل الفضل والاحسان اهـ ؟ (دمشق) [المفيد] محمد بهجة البيطار

الشيخ محمد كامل الرافعي

٣

حبه للمنار وإيذاؤه فيه

قلنا إن المودة بيننا وبين الفقيد كانت موروثة ثم قويت بما كان بيننا من المشاكلة في حب العلم والتصوف ثم ازدادت قوة بتصدينا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم بالدعوة إلى الإصلاح الديني والاجتماعي في طرابلس الشام ، حيث كان رحمه الله وأحسن مثوبته أقوى المدافعين والأنصار، فلما أنشأنا المنار وتصدت الحكومة الحميدية لمقاومته وإيذاء قرائه بدسائس بعض المقربين من السلطان كان هو أقوى الثابتين على الانتصار له والمجاهرين بولاء صاحبه

منعت الحكومة الحميدية إدخال المنار إلى ممالكها منذ سنته الأولى بإرادة سلطانية ، فكان يرسل في البرد الأجنبية ويقرأه الناس في زوايا بيوتهم سرا منفردين ثم يخفون نسخه في الخزائن ، وكان هو وحده يقرأه على من يسمر معه في حجرة الضيوف والسمار ويحمله في جيبه إلى دار الحكومة ويضعه في درج مكتبه لينظر فيه عند سنوح فرصة فترات العمل ، فلما اشتد الضغط والإيذاء لقرائه وفتشت بيوت المتهمين بقراءته كان نصيبه من الجزاء أن حبس في دار الحكومة مع بعض إخواننا فصبر على هذه المهانة صبر الكرام ولم يدهن الحكومة الظالمة بقول ولا فعل

وقد سئم قبل ذلك أن يرد على المنار أو ينكر على صاحبه مسلكه في شرح خرافات أهل الطرق ومفاسد الغلاة وتقصير العلماء فيما يجب عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأبى مصرحا بأن هذا الذي يقوله المنار هو الحق وإنه أدى به النصيحة التي هي روح الدين وقوامه ، وأوعز بمثل هذا الرد إلى كثيرين ممن يرون رأيه في المنار وصاحبه ومنهم من يدعي صحبته ومودته فسمعوا وأطاعوا وكانت جريدة طرابلس ميدانا واسعا لجولان أقلامهم ، وكل منهم يعتذر لمثل الفقيد من إخواننا الصادقين بأنه مكره لا تار ، يخشى إيذاء رئيس زبانية الجلاوزة وغضب المتصرف ، فإن أمن شرهما في نفسه وماله وشرفه المكانة له في ماده فلا يأمن شر المحرك لهما من

مضاف المغفور ، ومنهم من زعم أنما كتب عن لسانه في تلك الجريدة كذب وانه لايجرأ على التكذيب

وكان في جميع الاوقات والاحوال راضيا عن جميع مباحث المنار وارائه الدينية والادبية والاجتماعية والسياسية مؤيداً له فيها مناضلا كل مايسمعه من نقد أو اعتراض عليها ، وكان يرجح ما يحققه المنار من قواعد العقائد ومشكلات الفقه ومسائل التصوف على جميع ماخالفه من أقوال المتقدمين والمتأخرين وان عظمت شهرتهم وضخمت ألقابهم

ولما جئت طرابلس عقب اعلان الدستور العثماني بذل منتهى طاقته واجتهاده في الحفاوة بي ، وكانت مدة اقامتي في داره أضعاف مدة اقامتي في دار أمي وأبي ، وكان يتفنن لي كل يوم باختيار أطايب الطعام وأنواع الحلوى وأصناف الفاكهة ، لتجديد الرغبة فيها ، واثارة الشهوة لها ، وأمن الملال من المتكرر منها ، وكان فوق ذلك كله يغتنم فرص خلو المكان من الزائرين — وقلما كان يتفق ذلك لا عند المنام وبعد صلاة الفجر — فيطارح على مشكلات المسائل العلمية التي تعرض له في مطالعته لأشهر الكتب وغير ذلك مما يفكر فيه من الامور السياسية تارة والروحية أخرى

انني لم أعرف أحدا من الناس أشد من هذا الرجل حرصا على العلم وحبا للحق واخلاصا في القلب وصفاء في النفس وبعدا عن الهوى وبغض للدعوى وسلامة من الشكوى فهو على مخالته إياي ومكاشفته لي بكل مايجول في ذهنه ويعلق بقلبه لم أره في يوم من الايام شكا الي بغض أحد له أو بغضه لاحد الا ماكان يؤلمه من غفلة الناس واعراضهم عن الحق وعدم قبولهم دعوة الاصلاح حبا فيهم وحرصا على هدايتهم، فمن كان متحليا بهذه الصفات لايستغرب منه الرغبة الخاصة في الاستفادة من كل من يراه أهلا للافادة العامة أو الخاصة وان كان يفضله في كل ماعدا مايستفيده منه ، فكيف يكثر منه طلب الفائدة بمنتهى الصفاء والاخلاص ممن غرس في قلبه حسن الاعتقاد فيه من أول نشأته ولم يزل ذلك الغرس ينمي ويترعرع حتى صار شجرة عظيمة ثابتة الاصل سامية الفرع يانعة الثمر الذي هو أحب الثمار اليه وان كرهه من يخذله في ذرقه ولم يتح له مثل عقيدته ؟

كتبت هذا وأنا في خجل من كتابته حتى كاد يصدني عنه وما كان أشد تريثي في المضيّ فيه ولولا النية الصالحة في كتابته لما غلبت خجلي بقوة الارادة التي يغلب بها الرجل كل ما يتعارض فيه الشعور النفسي والمصلحة الراجحة ، وانني لأشد خجلا من تنفيذ شيء آخر يتعلق بترجمة هذا الرجل الكامل مما يقتضيه تاريخ الاصلاح ورجاله وهو نشر مثال من مكتوباته لي وسأراجع طائفة منها ثم أرى هل يمنعني الخجل مما فيها من الاطراء عن نشرها أم لا

وجملة القول في الفقيد انه لا يختلف أحد ممن يعرفه في أنه أفضل أسوة في الخير وأكمل مثال في هذا العصر للفضيلة ، فهو من شهداء الحق على الخلق ، وقد حدث بفقده فراغ لايملأه ألوف الرجال ، فنسأله تعالى أن يحشرنا وإياه مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقا

تقريظ المطبوعات الجديدة (*)

أصل العالم

مباحث فلسفية في الجغرافية الطبيعية صفحاته ٣٥ صفحة بالقطع المتوسط طبع في مطبعة الفنون الجميلة سنة ١٩١٦ على نفقة ادارة مجلة الرشاد على ورق كورق الصحف السيارة

اسم الكتاب يدل على موضوعه وعلو كعب مؤلفه الاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري في الابحاث الفلسفية ينوه بمكانه ، وسبب تأليفه أن الشيخ عبد العظيم فهمي الضرير الطالب بالجامع الاحمدي سأل المؤلف أسئلة كانت لديه مشكلة وذلك بعد أن قرأ شيئاً من مؤلفات الاستاذ الجوهري فأجابه بما أدى الى مباحث: (١) كروية الارض (٢) ما وراء الطبيعة (٣) تكوين العالم (٤) مخاطبة لطالب العلم وفيها حال الانسان الاولى (٥) الحالة الثانية (٦) الحالة الثالثة. وكلها في أصل الموجودات

(*) كتب تقاريظ هذا الجزء شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

الولاء ، في نقد ذكرى أبي العلاء

صفحاته ٧١ طبع بمطبعة الشامد بمصر سنة ١٣٣٥ هـ طبعاً متقناً على ورق جيد

وضعه الكاتب المحقق حسن افندي حسين انتقاداً على كتاب ذكرى أبي العلا للدكتور طه حسين . وذكر في المقدمة الاسباب التي احدث به الى وضع هذا الكتاب فقال: ان منها « ان الكتاب (ذكرى أبي العلاء) خاص في موضوعه وأن الدكتور هو الذي عني باخراجه ودعا الجمهور لمناقشته ، وأعلن انه على استعداد للذود عن أثره » الخ وقد قسم النقد الى قسمين : نقد من حيث الموضوع ، ونقد من حيث اللغة . ومع التزام النزاهة قال في الخاتمة : « قد استعرنا من تعبيرات الشيخ طه أكرمها فخاطبناه باللسان الذي كان يخاطب بها المنفلوطي وجعلنا هذه الجمل بين هاتين العلامتين (— . و — .) لنحفظ له حقه في ذلك وليعلم القارئ أنا آدب من أن نستعين بالسباب ولكن بضاعة الشيخ طه ردت اليه » والكتاب على غنى مباحثه على قصره جدير بمن اطلع على كتاب ذكرى أبي العلاء أن يطلع عليه بل ومن لم يطلع على ذلك الكتاب أن يقرأه . ويطلب من ناشره حسين افندي مصطفى بشارع شوار بي باشا رقم ٣ بالقاهرة ومن المكاتب الشهيرة بمصر

تاريخ الاتراك العثمانيين

الاول والثاني والثالث طبع بمطبعة الواعظ بمصر سنة ١٣٣٥ صفحات الاول ٧٠ والثاني ١٤٤ والثالث ٨٠

هذا الكتاب مجموعة محاضرات حسين أفندي لبيب استاذ التاريخ بمدرسة القضاء الشرعي بمصر نقله عن الانكليزية ونكتفي من تقريظه بايراد مقدمته وهي اختصار ما يوجد فهذه أبحاث مستفيضة في تاريخ الاتراك العثمانيين استخرجناها من أمهات تواريخ الاوربيين وعمدة مؤلفات المستشرقين مما لم يتيسر نشره قبل الآن بين جمهور المتعلمين وقد عجلنا بطبعها هذه الطبعة المؤقتة استنجازاً لفائدة الطلاب والمدرسين حتى اذا وضعت الحرب أوزارها أعدنا طبعها على أسلوب جميل وورق نبيل بحرف صقيل ثم زدناها بالتعليقات والشروح فائدة وأضفنا اليها ما يجوز قد توفر

لدينا من الفصول الشيقة والموضوعات الممتعة وحليناها بالصور وزيناها من الخرط
ويرى المطلع على هذه الفصول انا عنينا بنقل وصف حضارة العثمانيين ولم
نقصر البحث على تراجم السلاطين وذكرنا من أحوال حياتهم في السلم بقدر ماعنينا
بشرح أعمال حياتهم في السياسة والحرب بحيث يجمع هذا الكتاب بين دفتيه
صورة كاملة لنشأة الامة العثمانية ونموها وتدرجها في سبيل الارتقاء ثم سقوطها
وقد جعلنا عملنا هذا في ثلاثة أجزاء قصرنا الاول والثاني منهما على التاريخ
السياسي والاجتماعي الى القرن التاسع عشر الميلادي وجعلنا الجزء الثالث وقفا على
تاريخ اللغة التركية وآدابها وشعرائها ووصف الحكومة العثمانية في سائر أدوارها ومدينة
القسطنطينية والسراي السلطانية في عز بر هرها وسالف مجدها ثم أردفنا ذلك بوصف
ماطرأ على العثمانيين في الاعصار الحديثة من الانقلابات الدستورية والتطورات
الادبية والسياسية مما أدى بهم الى أليم حوادث الايام الحالية .
هذا واننا قصدنا أن لا نستقل برأي ولم نجنح الميل الى جانب بل كنا وسطاء
صدق وسفراء حق بين مؤلفي الكتب الاوربية وقراء اللغة الشريفة العربية »

الآباء والبنون — قصة تمثيلية ذات أربعة فصول صفحاتها ١١٥ بالقطع الكبير طبعتها شركة الفنون في نيويورك سنة ١٩١٧

هذه الرواية جديرة بالاحتفاء ان لم نقل بالاقتداء لانها مثلت حالة من حالاتنا
عادية راهنة فيارهي من وضع ميخائيل افندي نعيمه المؤلف البارع أوضح فيها كيف يتطرق
الى البيوت الفساد من حيث يراد الاصلاح وقد أودع في كثير من فصولها الكلم
والجمل العامية — لتكون تمثيلا حقيقيا وتصويرا شمسيا للاخلاق والعادات ، وانني
أحب أن أسر لى المؤلف بكلمة ، وهي ان تكرار نشر الروايات والقصص باللغة
الفصحى أو الفصيحة القريبة من لغة العامة — لان معظم كلم العامة فصيح خصوصا
في بلادنا السورية — بين العموم يقوم من لغة العامة ويقربها من الفصيح ويسهل
فهم مايلقى اليها من المواضيع المتنوعة . فانا كثيرا مانسمع الاطفال في مصر والشام
يتفوهون بما يسمعونه في المراسح فاهمين ما يقولون . ولان نرفع العامية الى مستوى

الفصحى خير من ان ننزل بالفصحى الى حضيض العامية ، وأرجو منه ان يعيد الكرة على ذنب الساق على الساق لنابغة أحمد فارس الشدياق

تاريخ الفلسفة — في المنطق وما بعد الطبيعة طبع الطبعة الاولى بالمطبعة المصرية سنة ١٩١٨ على ورق جيد صفحاته ٢٢٨ بقطع المنار ومرقم (بنط ٢٠)

وضعه بالانكليزية صديقنا محمد بك بدر العضو بالمجمع العلمي بادنبرج ومحرر دائرة المعارف الاسلامية بليدن ، الحائز شهادة الشرف من الدرجة الاولى في الفلسفة العامة والفلسفة الاسلامية وتاريخ المذاهب الفلسفية وتاريخ العرب في الاندلس والتاريخ السياسي للاسلام وتاريخ الآداب الاسلامية من جامعة بن بألمانية وكاتم أسرار لجنة الوفد المصري . ونقله الى العربية حسن افندي حسين وصدره بمقدمة له . ثمنه خمسون قرشا ويطلب من مكتبة المنار بمصر

ديوان عبد الله ابن الدمينة طبع في مطبعة المنار سنة ١٣٣٧ طبعا جيدا صفحاته ٥٩ بقطع المنار وحروفه مطرز الحواشي بشرح كثير من الكلم اللغوية مصححا على النسخة الشنقيطية

أبرز هذا الديوان من ثنايا الكتب المدفونة ، وأطلعه من أصداف الجواهر المكنونة كل من صديقنا السيد محمد الهاشمي البغدادي وولدنا محيي الدين رضا فخدما بذلك الادب والتاريخ ، لان من حاجة المتأدب أن يطلع على شعر عبد الله ابن الدمينة الذي نظمه في زهو لغة العربية وابان المدنية الاسلامية لا سيما وان شعره يكاد يكون في موضوع واحد هو الغزل أو النسيب ، ومن بغية ورثة تاريخ آداب اللغة العربية ان يقرأوا هذا الديوان ليتجلى لهم تطور اللغة وامروا حيث الوراقين وعبث القصاصين بفنات قرائح الادباء الاولين ؛ فان من يطلع على قصة [مجنون ليلى] وعلى هذا الديوان يرى ان كثيرا من غرر أبياته قد نسب الى ذلك المجنون فمن ذلك قوله في القصيدة الاولى [ابن الحب]

أحقا عباد الله ان لست صادرا ولا واردا الا علي رقيب

وقوله منها

وهل ريبة في ان تحن نجيبة الى إلفها أو ان يحن نجيب

وقوله منها

وإني لا أستحييك حتى كأنما علي بظهر الغيب منك رقيب

الى غير ذلك مما يطول ايراده . فهل تواردت هذه المعاني على خاطري ابن الدمينة . والمجنون العامري ؟ أم لا مجنون بخصوصه بل مجانين الحب كثير في كل عصر وقبيل . ومنهم ابن الدمينة ؟ ومما ينسب الى ليلى في قصة المجنون قول أمية في هذا الديوان أثناء عتاب وحوار قولها.

وأنت الذي أخلفتني ودتني وأشمت بي من كان فيك يلوم

وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضا أرمى وأنت سليم

فلو ان قولا يكلم الجسم قد بدا بجسمي من قول الوشاة كلوم

والديوان يطلب من مكتبة المنار وثمنه ٥ قروش والبريد قرش .

المواكب نظرات شاعر ومصور في الايام والليالي، طبع في مطبعة « مرآة الغرب » في نيويورك سنة ١٩١٩ طبعاً جيداً على ورق في غاية الجودة صفحاته ٤٨

الكتاب من مؤلفات جبران خليل جبران الشاعر الخيالي المطبوع والمصور البارع الشهير ، وهو قصيدة أبياتها ٨١ بيتاً من البسيط يقابل كل قطعة في الوضع ستة أبيات من قصيدة من مجزوء الرمل لكل أربعة أبيات منها قافية والبيتان اللذان يليان الاربعة قافية أخرى وفصل بينهما بصورة منقشة ترمز الى الموضوع في ثنتي عشرة من هذه المواكب التي هي سبعة عشرة محاورة ، فقد ختم القصيدة الثانية بعشرين بيتاً جعلها خاتمة لها لكل بيتان منها قافية

ثم ان القصيدة الاولى تنطق بلسان واعظ محنك قد خبر الايام وعجم عود الزمان وحلب الدهر أشطره وكافح بصرف الدهر فقام يعظ بما ينفثه من الحكم مبيناً أسرار الحياة . والقصيدة الثانية هي ردناي في ريعان الشباب ألف المعيشة الفطرية في غاب الحياة (الطبيعة) حيث السذاجة والهدو مصطحبا الناي داعيا الى هجر ضوضاء المجتمع والخلود الى عيشته الراضية الهادئة البعيدة عن مفاسد المدنية وأضاليل السياسة وخرافات المذاهب وبدعها . وهاك أنموذجاً منها قال الشيخ الفيلسوف — المحاورة أو القطعة الرابعة عشرة صفحة ٤٠ في الروح :

وغاية الروح طي الروح قد خفيت فلا المظاهر تبديها ولا الصور

فذا يقول هي الارواح ان بلغت حد الكمال تلاشت وانقضى الخبر

كأنما هي أثمار اذا نضجت ومرت الريح يوما عافها الشجر

وذا يقول هي الاجسام ان هجعت لم يبق في الروح تهويم ولا سمر

كأنما هي ظل في الغدير اذا تعكر الماء ولت وامحى الاثر

ضل الجميع فلا الذرات في جسد تثوى ولا هي في الارواح تختصر

فما طوت شمأل أذيال عاقلة الا ومر بها الشرقي فتنتشر

وقد وضع نسيب عريضة الكاتب المتفنن مقدمة لهذا الكتاب كانت كالمفتاح لمقاصد الشاعر جبران خليل جبران ، وما كل من قدم مقدمة كالنسيب وما كل كتاب كالمواكب . فاذا قلت ان جبران خليل جبران هو معري هذا الزمان فأرجو أن لا أكون مجازفا .

الساق على الساق في ما هو الفارياق

أو أيام وشهور وأعوام في عجم العرب والاعجام صفحاته ٤٢٣ بالقطع الوسط خلا الخاتمة وجدول بيان الغرائب المحال والادباء الكتاب واهداء ؟ طبع ثانية في مطبعة ... مصر على ورق أبيض جيد وورق ... سنة ١٩١٩

هذا الكتاب من أشهر مؤلفات النابغة العلامة الخوري أحمد فارس وقد صدره بهذين البيتين :

تأليف زيد وهند في زمانك ذا أشهى الى الناس من تأليف عمرو بن

ودرس شوزن قد شدا الى قرن أقصى وأنفع من تدريس حبرين

وكان قد طبع في باريس سنة ١٢٧٠ هـ وجعل الفهرس في أوله ثم صورة اهداء الكتاب ثم تنبيه من المؤلف قال فيه بعد الحمدلة « وبعد فان جميع ما أودعته في هذا الكتاب فانما هو مبني على أمرين أحدهما ايراد غرائب اللغة ونوادرها » الخ . « والامر الثاني ذكر محاسن النساء ومذامهن الخ » وفي هذا يقول في الفاتحة :

فخري من الوصاف في ذا صنفوا لكنهم لم يحسنوا التصنيفا

اذ كان ما قالوه مبتذلا ولم يتقصوا منهم واصفا موصوفا

لكن كتابي أو أنا بخلاف ذا   نكفي الجفي الحمد والتعريفا

لا عيب فينا غير انك ترى   صنوا لنا في فننا وحريفا

ثم مقدمة مفيدة لناشر الكتاب را فائيل كحلا (١) ثم فاتحة الكتاب فالكتاب الاول الى الرابع . ثم بيان ما في الكتاب من الالفاظ المترادفة والمتجانسة وهو جدول مفيد للكاتب والحاسب والطبيب والاجتماعي والمؤلف والمترجم أو هو زبدة ما يعني اللغوي والاديب من هذا الكتاب . ثم « ذنب الكتاب » ينتظم فيه أغلاط مدرسي اللغات العربية في باريس . وكنت أود أن أثبت هنا مقدمة ناشره الاول واعذاراً المؤلفه وناشره وطابعه وقارئه ولكن منع من ذلك ضيق المقام أو المكان

نفدت الطبعة الاولى ولكن بعد نيف وستين سنة من طبعه ، واشتد الطلب عليه ولكن عز المطلب فأقدم على طبعه يوسف أفندي توما البستاني وجعل أوله فاتحة المؤلف وحذف مقدمة ناشره وما عدا ذلك وضعه بعد « الذنب » واذا كانت الطبعة الاولى لم تخل من أغلاط مطبعية مع انها طبعت تحت اشراف المصنف وقد جعل لاكثرها جدول خطإ وصواب وبقي البعض منها مثل ما في الصفحة الثانية والسطر الثالث في الذنب من غلطة في آية كريمة وهي خطأ (قل يتسفها) وصوابها (فقل ينسفها) وتابعته الطبعة الثانية عليها وهي في الصفحة الاولى والسطر الـ ١٦ منها وكذلك كلمة « مبتهج » في ص ٥ س ٨ وصوابها « مبتهج »

وترى في الطبع الثانية شيئا من هذا مثل ما في ص ٥ س ٨ اجازك والصواب اجارك وص ٤ س ٦ « الوفا » وصوابها « الفوفا » وص ٢٩ س ٢٣ « اليا » وصوابها « الباء » وص ٢٦٢ س ١٦ « يمرون » وصوابها « يعمرن » مما لا يكاد يخلو منه كتاب

ويحق لقراء العربية شكر ناشر هذا الكتاب بعد طبعه فانه من أمتع الكتب العربية وأفيدها وأفكهها وأثبتها لكثير من عادات الشرقيين والاوربيين في مساكنهم ومجالسهم ومدارسهم ومعابدهم وصلواتهم وخلواتهم وجلواتهم وهواجسهم ومجالسهم وقد أحصى على الاكليروس باللائمة وخصوصا الماروني منه

(١) قد حذفت هذه المقدمة من الطبعة الثانية ليوسف توما البستاني وليته أثبتها لما فيها من الفائدة .

وسلقهم بلسان من حديد وانتقم لاخيه المعلم أسعد الشدياق ثم صار منتقدا مطلقا قصصيا ومؤرخا ولم يدع سيدات النساء من لذعات قلمه . والحاصل أن المؤلف لم يكن يجهل ان زمنه كان مما يصعب فيه نشر الكتاب ولذلك قال في مقدمته — :

وحياة رأسك ان رأسي عالم ... أني به لن أستفيد رغيفا

لكن بقرني حكة هاجت على ... أني أحاول مرة تأليفا

فمراته لكن على عقلي فما ... مقياس عقلك كان لي معروفا

ماراج من قولي فخذه وما تجد ... من زائف فاتركه لي ملفوفا

لا ترفسن ما مر منه لاجل ما ... قد ساء بل لا توله تأفيفا

حاشاك أن تقضي علي تهافتا ... من قبل ان تتحقق التوقيفا

فتقول قد كثر المصنف فاحشدوا ... ياقوم صاحبكم أتى تجديفا

فتهيج أرباب الكنائس هيجة ... شؤمى فيخترطوا عليه سيوفا

ولكن الزمن قد تحول وتغيرت الافكار وكثر من يرغب بهذا المؤلف النفيس حتى من أرباب الكنائس وقام من الطائفة المارونية من طبعه وعني بنشره . وثمن النسخة منه ٦٠ قرشا من الورق العادي و٨٠ قرشا من الورق الجيد وأجرة البريد خمسة قروش ويطلب من مكتبة العرب ومكتبة المنار بمصر

تقرير لجنة التعليم الاولى ومشروع القانون الخاص بتسهيل وسائل التعليم . طبع بالمطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ١٩١٩ صفحاته ١٢٩ بالقطع المتوسط فيه ١٣٠ فقرة ثم مواد القانون ثنتان وعشرون مادة مصدر بتقرير وزير المعارف بتشكيل اللجنة

وضعت هذا التقرير لجنة مؤلفة من أصحاب السعادة : اسماعيل حسنين باشا رئيس ، والاعضاء : علي جمال الدين باشا مدير الشرقية . ومحمد علام باشا مدير أسيوط . والمستر باترسن مدير عموم الحسابات المصرية بوزارة المالية . والدكتور بتس مدير قلم البلديات والمجالس المحلية بوزارة الداخلية . والمستر مكلين كبير مهندسي قسم البلديات والمجالس المحلية بوزارة الداخلية والمستر بروان مراقب القسم الاداري بوزارة المعارف ومحمد علي الغرابلي بك مراقب التعليم الاولي بوزارة المعارف ومحمد عاطف بركات بك ناظر مدرسة القضاء الشرعي والمستر ريب مساعد مراقب

التعليم الاولي بوزارة المعارف، وحسين كامل بك مدير قسم الادارة بوزارة الداخلية، والشيخ محمد شريف سليم ناظر مدرسة المعلمين الناصرية

أصدرت وزارة المعارف هذا التقرير وقد تناولته أقلام الكتاب وأوسعته انتقادا وأوسع ما كتب فيه أو عليه ما كتبه عبد الله أمين أفندي ناظر مدرسة المعلمين الاولية بمديرية الجيزة وتقرير لجنة مشيخة الازهر ونحن نثبت هذا الاخير في الاجزاء الآتية من المنار مشيرين الى بعض الفقرات أو المواد المنتقد بها فيه بالهامش

ديوان المصري : الجزء الثالث صفحة ١٠٤ طبع بمطبعة المعارف بمصر سنة ١٣٣٦ طبعا نظيفا على ورق جيد

هذا الديوان من نظم الشاعر الشهير المبرز صاحب البكرية وشاعر الاسرة السلطانية عبد الحليم المصري وقد جعل ديوانه هذا هدية الى سلطان مصر ووضع رسمه عليه . وكتب في صدره « من لم يقرأ الاول والثاني فليستغن بهذا عنهما ومن قرأهما فقد سار مع الشعر من مهده الى شبابه » وصدره بهذه المقدمة

« هذا ثالث أجزاء ديواني (وأول شعري) سيقرأه أحد رجلين رجل يقول : أحسن، فقل له ان عاش سيزيد ورجل يقول: أساء ، فقل له ان عاش سيحسن والسلام »

وثمن الديوان ٢٠ قرشا صحيحا ويطلب من مكتبة المنار بمصر

فتاة الشرق . صدر الجزء الاول من السنة الرابعة عشرة من هذه المجلة المعروفة بمواضيعها المفيدة فنحث على مطالعتها

من وراء خطوط النار : الى أبناء سوريا الاحرار

رسالة بقلم بعض متطوعي الجيش الفرنسي الشرقي يدعو فيها السوريين في المهجر وفي كل أرض الى المساعدة والتعاون على استقلال سورية . طبعت في مطبعة الاتحاد بمصر سنة ١٩١٨

فن التأليف الحديث : صفحاته ٧٩ بالقطع الصغير طبع بمطبعة المحيط بمصر سنة ١٩١٨ على ورق كورق المصحف السيارة

هذا الكتاب أشبه بفهرس أو مقدمة للفن منه بمؤلف حاكى فيه واضعه (ن فريد المصري) الاوربيين ولا يخلو من فوائد جمة لمطالعه خصوصا اذا كان من المبتدئين أو من مقلدة الجامدين على أساطير الاولين . وثمنه خمسة قروش

مجموعة أدب وطرب : قصيدة « يا ليل الصب » لابي الحسن الحصري ومعارضاتها صفحة ١٦ بالقطع الصغير وقد طبعت بمطبعة المنار سنة ١٣٣٨

عُني بجمع هذه القصائد ولدنا محيي الدين رضا وصدرها بمقدمة من قلم جبران افندي خليل جبران ولم يذكر في هذه المجموعة كل معارضات هذه القصيدة بل اختصر على ما وصل اليه من معارضات أدباء مصر وسورية وهم شوقي بك وصبري باشا وولي الدين بك يكن والامير شكيب أرسلان ومخائيل افندي الصلوى فحوت هذه المجموعة الصغيرة من أطيب الشعر وأرقه وأمتنه وزانتها البلاغة وحلتها الفصاحة لذلك صادفت اعجاب الجمهور ونالت استحسان الصحف والمجلات وكبار الادباء وهي تباع في مكتبة المنار وثمنها عشرة مليمات

تصحيح أغلاط أخرى في الجزء الخامس من المجلد ٢١

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٤٥	٢١	الحجا	الحجز	٢٥٤	٥	ولكن ليس	ولكن هذا ليس
٢٤٩	»	دولتها	دولها	»	١٠	وكاتمتهم	وظلم
٢٥٠	١٤	وأبدت	وأيدت	٢٥٥	٣	اقطاب	اقطار
٢٥٢	٩	أولاد	أولاء	»	٢٤	للاوقات	للاقاة
٢٥٣	٧	المردكية	المزدكية	٢٥٩	١٥	البجيك	البلجيك
»	٤	أم هل هي	أم هي	٢٦٨	١٣	تارخ	تؤرخ
٢٥٤	٥	هجزوا	فعجزوا	٢٧٥	٥	العلمية	العالمية
»	»	يسوها	يسوءها	»	٩	والعلمية	والعالمية
»	»	اسمه	اسمها	٢٧٦	٩	الدولة	الدولة العلية
»	٧	ولا المسلمين	ولا عجز المسلمين	٢٧٨	٢١	تمريفا	تعريفا



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٣٠ رجب ١٣٣٨ — ٢٩ (الحمل) (را) ١٢٩٨هـ ش ١٩٤ ابريل ١٩٢٠

عاقبة حرب المدنية

الاوربية

كتبنا في أثناء هذه الحرب مقالات بينا فيها أسبابها وعللها وحكمة الخالق فيها وفظائعها وشرورها والمقابلة بينها وبين الحروب الاسلامية التي امتازت بالرحمة وبجعل الحرب ضرورة تقدر بقدرها وبتحريم القسوة والفظائع فيها ، والمقابلة والمقارنة بين الدول المتحاربة في الاستعداد والمزايا ، وصرحنا فيها بان عاقبتها ستكون انفراد احدى الدولتين الرئيستين في الحلفين الكبيرين الجرماني والانكليزي — وهما المانية وانكلترة — بالسيادة والعظمة في العالم وفاقا لقول الفيلسوف هربرت سبنسر الشهير للاستاذ الامام : ان ضعف الفضيلة وتغلب الافكار المادية في أوربة سيدفعان دولها الى حرب عامة طامة ليعلم اليها الاقوى ليسود العالم

ومما بيناه في بعض تلك المقالات ان المانية أتقنت الاستعداد للحرب اتقانا يمكنها من محاربة أوربة كلها وانها فاقت جميع الدول في السلاح والنظام وان أعداءها يفوقونها بالكثرة التي تعد من أعظم أسباب الغلبة كما قال الشاعر العربي

ولست بالاكثر منهم حصاً وانما العزة للكاثر

وقد كان من أمرهذه المكاثرة ان انكلترة ألبت على المانية أكثر دول الارض في الشرق والغرب من العالمين القديم والجديد ، وانما كان ذلك بعلو كعبها على الالمان وغيرهم في الدهاء السياسي الذي هو أدق علوم البشر وأصعب أعمالهم مركبا وأوعرها مسلكا، وقد قلت مرة لصاحب لي من الالمان المستشرقين كان يحاورني وأحاوره في المقارنة بين قومه وبين الانكليز وما بينهما من المناظرات : انني مقتنع بانكم فقتم الانكليز في جميع العلوم والفنون والاعمال حتى التجارة الا ما هو أهم من ذلك كله وأعظم ـ وهو السياسة ـ فانني أرى ان الانكليز يفوقونكم فيها ـ فقال صدقت

وقد ذكرني هذه الكلمة التي قلتها منذ بضع سنين بكلمة في معناها قلتها منذ بضع عشرة سنة في مجلس بدار أحد أصدقائنا بمصر مات من حاضريه لطيف باشا سليم وحسن باشا عاصم وجرجي بك زيدان وبقي صاحب الدار وأحد الباشوات قال صاحب الدار في ذلك المجلس: انه بلغه أن ألمانية عقدت مع روسية محالفة سرية على انكلترة وسيترتب على هذه المحالفة اخراج الانكليز من مصر ومن الهند أيضا. فقلت له: لا تغتر بهذا الخبر فان انكلترة كانت ولا تزال تضرب بعض الامم ببعض وتكون هي الرابحة فهي كما قال مسلم بن الوليد «كالسيل لم تحذف جلمودا بجلموده»

اني لم أصدق هذا الخبر في ذلك الوقت ثم تبين في أثناء هذه الحرب مما اكتشف من أسرار القيصرية الروسية أن له أصلا وان مشروع المحالفة وضع ثم عرض ما حال دون اتمامها فان كان هذا وقع بعد ذلك الزمن الذي أخبرنا فيه ذلك المخبر به فمن الجائز أن تكون مقدماته ووسائله قد سبقته بسنين ، والذي نقصده من العبرة في هذه السياسة هو أن الانكليز غلبوا ألمانية على روسية فحالفوها على الترك والفرس ثم جعلوها باتفاقهم مع حليفتها فرنسة فدية لها في هذه الحرب ، فكانت مصب نقمة ألمانية الحربية وريعان قوتها ، وعنفوان أسطولها ، وكذلك تعبث الامم العليمة الحكيمة بالامم الجاهلة الخرقاء فتجعلها فدية لها كما فعل الخلفاء بأمم أخرى وكما فعل الالمان بالترك

وقد كان أعجب مظاهر قدرة انكلترة السياسية تسخير دولة الولايات المتحدة الامريكية لانقاذها وانقاذ حلفائها من جحيم الالمان العسكري بعد ان عجزت أوربة كلها ومن ظاهرها من أمم آسية وأفريقية وأمريكة الجنوبية عن فل حدهم ،

وإيقاف طغيان مدهم ، وهي الدولة التي جعلت من قواعد سياستها ترك مشاكل العالم القديم لاهله، وعدم مشاركتهم في شيء منه ، وفتها انكلترة رقيتين استخرجت بهما حيتها من جحرها ، وزحزحتها عن قاعدة سياستها، إحداهما دعوتها الى انقاذ حرية الامم والشعوب من السيطرة الألمانية التي تهدد العالم بالاستعباد، والثانية دهاء اليهود ونفوذهم المالي في تلك البلاد، وقد وعدتهم انكلترة بان يكون جزاؤهم إعادة ملك اسرائيل الى مملكة سليمان في الارض المقدسة بالرغم من أنوف العرب اصحاب البلاد . ومن الملتين الاسلامية والنصرانية وسكت لها على هذا الوعد أشد ذوي التحمس الديني من البروتستنت والكاثوليك حتى الجزويت منهم ، وأما المسلمون فلم يصدهم ذلك عن مساعدتها على فتح البلاد المقدسة بالجيوش التي جهزوها باسم شريف مكة سليل الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحب الحجاز بقيادة بعض ابنائه ، فهل كان باستطاعة أحد من دول الارض أن يفعل مثل هذا أو يفكر في امكانه ؟ لا ! ولكن الانكليز فعلوا مالم يكن يخطر في بال بشر فاستردوا هذه البلاد وما حولها من المسلمين الذين غلبوا قلب الاسد ملك الانكليز وسائر ملوك أوربة في الحرب الصليبية بمساعدة الجيوش الاسلامية

طوع المستر لويد جورج وزير انكلترة الاكبر هذه الدولة بالرقيتين اللتين ذكرنا فجعلت ثروتها الكبيرة ومواردها الغزيرة وجنودها الكثيرة وقفا على انقاذ الحلفاء من المانية بل هاجمت المانية بقوة أكبر واعظم من كل هذه القوى — قوة الدعوة الى الصلح المبني على اتفاق الامم والشعوب على العدل العام والحرية الشاملة لجميع الانام ، وابطال ماجرت عليه الدول القوية في العصور الخالية من المعاهدات السرية على هضم حقوق الامم المستضعفة وغير ذلك من أصول الحق والعدل التي مازال الاقوياء يهدمونها بمعاول القوة ، ومنها وجوب حرية البحار ، وجعل الانكليز وغيرهم فيها سواء، قام الدكتور ولسن رئيس جمهورية الولايات يحارب المانية بهذه القوة الادبية المعززة لتلك القوى الحربية والمالية ، ففاه بتلك الخطب الطنانة الرنانة ، ووضع للصلح تلك القواعد الجذابة الخلابة ، ففعلت في زمر الاشتراكيين والعمال الالمانيين فعل السحر، ولا سيما قاعدة حرية البحار في زمني الحرب والسلم ، فخرجوا على حكومتهم السياسية ، وثاروا في وجه قوتهم العسكرية

وهي في أوج انتصارها ، وذروة فخارها ، : أمرت أسطولها بأن يهاجم الاسطول البريطاني فاعتصب بحارته وأبو الامتثال ، وهدد زعماء الاشتراكيين قواد الحرب باعتصاب جميع العمال ، أو يطالبوا عقد الصلح على قواعد الرئيس « ولسن » الباولة إذ هي أفضل من نصر عسكري يورث الاحقاد ويورث السياسة الجائرة ، وانما أسست جمعياتهم وتحزبت احزابهم لمقاومتها ، وقد سنحت لهم الفرصة فقالوا لانضيعها ، ولم يقنعهم القول بأن هذا خداع ، لان الامريكيين غير متهمين بالكيد ولا بالاطماع ، فاستمهلتهم الحكومة ريثما تسحب جيوشها وكراعها وذخائرها من قلب فرنسة فامهلوها ، وكان ما كان من أمر طلب الهدنة واشتراط الحلفاء فيها اضعاف جميع قوى الالمان الحربية في البر والبحر والجو حتى لايستطيعوا العود . فمن المنتصر ؟ : أميركة في الظاهر وانكلترة في الباطن ، بل المنتصر انما هم رجال السياسة الانكليزية وحدهم ، فهم الذين اقنعوا الولايات المتحدة بوجوب مؤازرة القضية المشتركة فسقطت على يدها الثانية وساعدهم على ذلك صلف الالمان وغرورهم واحتقارهم الولايات المتحدة . وهم الذين والوا شريف مكة فكان عاملا قويا لسقوط الترك ، وهم المتصدرون لادارة دفة سياسة العالم بعد التمهيد لها واقتحام مايقوم امام هذه الادارة من العقبات . ومن ذلك اقناع الولايات المتحدة باسم خدمة الانسانية وتأييد المدنية بالاشراف على تركية ، والنهوض بالجمهورية الارمنية . ويتولون هم ادارة البلاد العربية من برقة الى العراق فعمان ماخلا سورية الشمالية فان ادارتها جعلت لفرنسة تنفيذاً لمعاهده سايكس ريكو من جهة وحتى لاتؤوب فرنسة بصفقة المغبون وترضى من الغنيمة بالاياب من جهة أخرى . . . — والبلاد الفارسية المتصلة ببلوجستان فالهند فالتبت

الانكليز يحتلون سورية الجنوبية (فلسطين) ويعملون فيها عمل الحاكم المطلق ويمهدون السبيل لمهاجرة الصهيونيين اليها ليكونوا حكاما فيها تحت حمايتهم ويحتلون العراق ويعملون فيه عمل المالك بلا معارض وتدأسوا السواحل العربية الحجازية واليمنية محافظة سموها [محافظة البحر الاحمر] وأرسلوا بعثة الى الامام يحيى — ولكنها أسرت قبل الوصول اليه — وأرسلوا بعثة أخرى الى السيد الادريسي

الاتفاق معه. وعقدوا اتفاقا مع حكومة ايران نشر في الجرائد فشكت منه الصحافيون ورجال السياسة واحتجوا بانه مخالف لعهد « عصبة الامم » اذا كانت المسألة السورية معلقة بانواط تلك الوسائل المشار اليها ، كما تحدث أولئك الرجال وتلك الجرائد بالمسألة المصرية وبما للمصريين من الحق في المطالبة باستقلالهم وحريتهم ولم تفتر تلك الشقشقة حتى تم الاتفاق على العود الى تنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦

وقد ظهر رجحان السياسة الانكليزية على السياسة الفرنسية في البلاد التي كانت تظن فرنسة أن سياستها فيها أرجح لما لها فيها من الصنائع والوسائل . فقد كان طلاب المساعدة الامريكية فالانجليزية من اهالي البلاد اضعاف طلاب المساعدة الفرنسية ، فلم يبق لفرنسة بد من الالتجاء الى ارضاء انكلترة والرضا منها بتنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦ بمقابلة تصرفها المطلق في مصر وسائر بلاد العرب والعجم

جرى كل ماذكر على طريقة السياسة الاوربية المعروفة المألوفة من تصرف الاقوياء في الضعفاء والعلماء في الجهلاء ، بعد ان ذهبت جعجعة خطب الرئيس « ولسون » في الهواء وهو ماكنا نتوقعه من وراء هذا النصر ، ونحدث به من كاشفناه في عواقب الحرب ، وخاصة اخواننا العرب المغرورين من السوريين والعراقيين ، ولا غرابة في غرور اطفال الاغرار في مهد السياسة والحركة العربية الحجازية في بدء ظهورها تكبرها في أعينهم بعض الجرائد.

فان قال قائل : أن كتاب الله قد أثبت أن العاقبة للمتقين ، وقد فسر علماؤنا التقوى بانها عبارة عن اداء المأمورات وترك المنهيات ، فهل كان الانكليز — بهذا المعنى — هم المتقون ، حتى كانت عاقبة هذه الحرب لهم بنفوذ الكلمة وعلو المنزلة والتصرف في أرض الله الواسعة ؟ نقول : ان قول الله تعالى لاريب فيه ، وان كلام العلماء في تفسير التقوى صحيح ولكنه مجمل فمن فهم منه ان المراد بفعل المأمورات الوضوء والصلاة والصيام ولو على غير الوجه الذي شرعه الله تعالى وان ترك المنهيات خاص بترك الخمر والزنا والسرقة وما أشبه ذلك — فهو قصير النظر ضعيف الفهم ، التقوى أعم من ذلك وهي تختلف باختلاف ماتطلب فيه كما بيناه في مواضع من تفسير المنار ونبهنا أهل العصر الى تقصير المفسرين وغيرهم من علمائنا في بيان ما في الكتاب والسنة من الاصول الاجتماعية ومسائل السياسة والعمران

فالتقوى المكررة في قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا) الآية غير التقوى في معاشرة النساء المكررة في سورة الطلاق ، وغير التقوى في قوله تعالى (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون) فلكل مقام خصوصية هي المقصود الاول من المعنى العام ، والتقوى في قوله تعالى (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) غير ماذكر كله ، فالاولى والثانية في أحكام الطعام والصيد وهما من الاحكام الشخصية الفردية ، والثالثة في أحكام الزوجية وهي منزلية (أو عائلية) والرابعة في شؤون الامم والعمران وهي مايعبر عنه في عرف هذا العصر بالاجتماعية وكلامنا فيها . والثابت عندنا ان الانكليز أشد الاقوام عناية باتقاء الخيبة والفشل في هذه الامور ، والالمان كذلك الا أن الالمان فاقوا الانكليز بالتقوى الحربية فلم يدعوا شيئا من أسباب اتقاء الانكسار فيها الا وأحكموه ، ولذلك كانت العاقبة لهم في المعارك الحربية ، ولكنهم لم يتقوا كالانكليز اتقاء التنازع الداخلي فوقعت الثورة الاشتراكية في أمتهم ، وصدق عليهم قوله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ولم يتقوا كالانكليز اتقاء سخط الامم والشعوب عليهم فأسخطوا الامة الامريكية على حين صارت أعظم الامم ثروة واشتدت حاجة جميع الامم اليها ، فكان ذلك عونا للانكليز على تسخيرها لهم ، ولم يتقوا خروج العرب على الترك باستمالة العرب وتوثيق الرابطة بينهم و بين الترك وتحذيرهم من خطر انتصار الانكليز عليهم بل سمحوا لاوليائهم سفهاء الاحلام من زعماء (جمعية الاحرين) — الدم والذهب — بارهاق العرب والتنكيل بهم تقتيلا وتصليبا وتذليلا وتغريبا ومصادرة وتعذيبا وهتكا للاعراض وافسادا للاخلاق ، على حين كان الانكليز يجدون في استمالة كل أمير وزعيم منهم بما يروج عنده من ضروب الاستمالة المال اليهم بعض دون بعض وكان فيمن مال وشايعهم مشايعة فعلية أو سلبية الامير عبد العزيز بن سعود صاحب نجد وبعض شيوخ عرب العراق، ووالاهم شريف مكة (الملك حسين) وساعدهم على محاربة الترك بجيش مؤلف من بدو الحجاز وحضر سورية والعراق بقيادة أبرع أنجاله في الغزو والقتال الامير فيصل (ملك سورية)

وقد اعترفوا له ببلائه وأخلاصه في اعانتهم على فتح القدس الشريف وعلى إيقاع الفشل والخذلان في جيش الترك المدافع عن سورية حتى انهزم وتركها غنيمة باردة لهم، وصرحت جريدة التيمس الشهيرة بأن الامير فيصلا سل حسامه في نصر الحلفاء من غير أن يحصل على أي وعد منهم بشيء ولكنه أعطي بعض الوعود بعد ما أخذ في النجاح، وقالت أن الامير فيصلا كان يرغب في الاستقلال التام للحجاز وحده وأما لسائر الشعوب العربية فانه يرغب لها في الاستقلال عن الترك فقط وأن تطلب كل البلاد العربية وصاية دولة واحدة عليها وتمني دولتها انكلترة (اه ملخصا من عددها الاسبوعي المؤرخ في ١٤ فبراير سنة ١٩١٩) بل كانت موالاة الشريف أكبر مما ذكر في فوائدها السلبية والمعنوية ولا محل لشرح ذلك هنا ، ولو كان للالمان مثل دهائهم لسبقوهم الى استمالة العرب وكانوا على ذلك أقدر ، وإذاً لاستطاعوا أن يجندوا منهم خمسمائة ألف أو ألف ألف جندي ولا أبالغ اذا زدت على ذلك ولا سيما اذا شملت هذه الاستمالة اليمن وعسير ، ووصلوا الى شواطئ البحر الاحمر وبحر العرب ولم يكن ذلك عليهم بعسير

فان قال ذلك القائل : فهمنا معنى التقوى في السياسة والحرب ومعنى كونها من سنن الله تعالى في النجاح ، ولكن خفي علينا ما بينت في تلك المقالات من أن هذه الحرب انتقام إلهي عدل من الدول والشعوب الظالمة لنفسها والظالمة لغيرها الباغيه على عباد الله التي لم تشكر نعمة تعالى باستعمالها فيما يرضيه من اقامه الحق والعدل ، وانا نرى ألوف الالوف من البشر تئن من سلطة تلك الدول وحكمها واذا كانت مصيبة صادقه في شكواها — لانها مهضومة الحقوق بضعفها — فلما ذا كانت عاقبة الحرب استمرار عقاب الله لها بالاستذلال والحرمان من الاستقلال ، ورفع العقاب عن اولئك الباغين ، وتحكيمهم في بلاد قوم آخرين ؟

إن قال ذلك القائل هذا القول وأورد علينا هذا الاشكال فانا نجيبه بأن مايراه هو مشكلا لا نراه نحن كذلك ، فانا نرى أن الامم المستضعفة الظالمة لنفسها المظلومة من قبل الاقوياء المسلطين عليها بما كان من تفريطها ، لم يمحصها ما حل بها و يرجعها الى رشدها ، وأن الدول الباغية الظالمة قد ذاقت من الشدائد

التي تعامل المستضعفين بها ، ولم تتب وترجع الى ربها ، وكذلك شأن الدول والامم التي غلبت بهذه الحرب على أمرها ، فالعقاب الالهي لكل أمة ودولة لم ينته بهذه الحرب ، ولا هي انتهت بما وضع من معاهدة الصلح مع بعض المتقاتلين دون بعض

وما ذكرنا من فوز بعضهم وعلو كلمته بما بيناه من سببه ، لا دليل على ثباته ودوامه ، واذا طال العهد عليه بحثنا عما اقتضى ذلك من أسبابه وسنن الاجتماع فيه ، وانا نرى هذا الفوز والفلاح يكاد يجر وراءه أسباب خسار وخذلان ، وأهمها خسران الانكليز ذلك الصيت الحسن ، الذي غرسوا فسيله ، وزرعوا بزوره ، وتعاهدوا زرعه بما ينميه عدة أجيال ، حتى كانت الشعوب المتململة من سلبهم استقلالها تفضلهم على غيرهم ، والشعوب المتألمة في غيرهم تتمنى لو تتفيأ ظل حكمهم ، ولكن لا يزال في الشعب الانكليزي ذي العرق الراسخ في مكارم الاخلاق ، وبعد الروية وطول الاناة ، وحب العدل والانصاف رجال يرجى أن يرجحوا القوة المعنوية ، على القوة المادية ، ويراعوا الانقلاب الاجتماعي الجديد الذي فجرت هذه الحرب قواه التي جمعت في عهد بعيد ، كانفجار البراكين من الارض بآخر دفعة أو دفعة من الغازات المولدة للضغط فاذا قدر هؤلاء الرجال على مقاومة الاطماع الاستعمارية . وضعوا لدولتهم سياسة جديدة تتفق مع مصالح مصر والهند والعرب والفرس وسائر الشعوب بيقائها على مراعاة ما أشرنا اليه من الانقلاب الاجتماعي الاكبر . اذا قدر هؤلاء الفضلاء العقلاء على ما ذكرنا ، وتركوا لهذه الشعوب استقلالها في ادارة بلادها وسياستها وحالفوها على ان يكونوا هم المقدمون على جميع أمم المدنية في مساعدتها العلمية والفنية التي تقرر استقلالها وتعمر بلادها ، ورضوا من المكافاة على ذلك بالمنافع الاقتصادية والأدبية ، التي تكون بالتراضي لا بالقوة الاحتلالية ، فانهم يؤسسون لشعبهم السكسوني المجيد ، مجدا طريفا الى مجده التليد ، بحيث يرجى ان يكون خالدا لا يبلى ولا يبيد ، ما لم يرجع عن هذه الطريقة أو يحيد ، وحينئذ تكون لهم العاقبة الثابتة ، ويسترجع أضعاف ما فقد من ثروته المالكة ، من غير نفقات كبيرة ، كالنفقات التي لا يزال يتكبدها باحتلال البلاد المغلوبة ، ويكون سببا لاصلاح الكون ، وعمران الارض ...

أكتب هذا بملاء العقيدة الثابتة ، المؤيدة بالدلائل الاجتماعية الناهضة ، لا بباعث الاغراض القومية ، أو قصد الايهامات السياسية ، تاركا تصديقه للزمان ، وتفسيره لحوادث الأيام ، وسنن الله في الأنام ، لا مبدل لسنته ولا معقب لحكمه ولا راد لمشيئته

نموذج

من كتاب الفلسفة السياسية

تأليف المؤرخ الفيلسوف غوستاف لوبون الفرنسي والترجمة لعبد الباسط افندي فتح الله البيروتي

عقد المؤلف الباب الاول من كتابه هذا لبيان أغلاط قومه في الفلسفة السياسية الاستعمارية . وجعل موضوع الفصل الاول منه بيان المبادئ والقواعد التي جروا عليها في الاستعمار فقال : —

مبادئنا الاستعمارية

لا ريب في أن المنازعات الاقتصادية بين الغرب والشرق ستكون من شواغل الفكر الجدية في القرن العشرين . وستستتبع من الخراب والدم المهراق أكثر مما استتبعته حروب الازمنة الخالية . وسيكون للمستعمرات في هذه الخصومات القائمة بين مدنية ومدنية الشأن الكبير . واذ لم يبق اليوم من يمتري فيما لنا من المصلحة في الاحتفاظ بمستعمراتنا فليس في وسعنا أن لا نبالي بما يتعلق بها من هذا القبيل

ان ادارة المستعمرات التي أنشأتها الامم الاوروبية تقوم على قواعد جدجلية . واذ كانت هذه القواعد من بنات التجربة كان ينبغي أن تكون هي هي لدى الجميع . بيد انها تختلف اختلاف الامة عن الاخرى .

قد يكون في هذا التعبير عن اختلافها شيء من المبالغة لان طرق الاستعمار التي تسلكها الدول الاوروبية يمكن ردها الى اثنتين تسلك الاولى منهما نحن الافرنسيين وحدنا ، والاخرى يسلكها ماعدانا من الامم . واذا تنشىء المستعمرة كل أمة لتستفيد منها وتبقى لها . أما نحن فاننا نترفع عن أمثال هذه الافكار السخيفة ؛ ولكن لا يبرح بالنا ان وظيفتنا هي اتحاف شعوب الارض بمنافع المدنية . لذلك نرى أن نحكم فيهم بأوضاعنا وأفكارنا ، تلك الاوضاع والافكار التي هم وياللاسف يجمعون على إبائها . واذ كنا موقنين بما لنا من الحق الصحيح فانا نصر على العمل بمذاهبنا . وسنظل

كذلك حتى يقوم لنا من الفشل المتواتر دليل قوي على ان مبادئنا الاستعمارية المثلى ان هي الا أغلاط محزنة في كلتي جهتيها النظرية والعملية على حد سواء .

عقدت في كتابي « مدنيات الهند » فصلا بينت فيه أصول الادارة التي تعمل بها انكلترة في فتح مستعمراتها وتدبير شؤونها خصوصا الهند . وكيف ان هذه المستعمرة قد أخضعت بأموالها ورجالها نفسها . وبأي حكمة هي مسوسة . وكيف يمكن ان تذهب هذه الامبراطورية العظيمة ذات يوم من أيدي المتغلبين عليها اذا هي حادت على مبدإ واحد من مبادئ الفلسفة السياسية الخاطئة . واذ كنت مضطراً الى الاختصار فسأقصر البحث في هذا الفصل على الآراء الرائجة في فرنسة لسياسة أدنى مستعمراتنا الينا وهي الجزائر وعلى النتائج التي يؤدي اليها العمل بتلك الآراء

ان الكتابات عن الجزائر لاتعد . غير ان كتابين منها كتبهما مؤلفان مضطلعان بالامر فضمناها الوسط من الآراء المقبولة . أحدهما الفه العلامة « لوروا بوليو » من أساتذة مدرسة فرنسة ، والآخر الفه موسيو « فينيون » من قدماء القناصل الافرنسيين

ليس من غرضي في هذا الفصل التحقيق بالتفصيل عن نتائج استعمارنا الجزائري ولكن أقصد الى بيان قيمة الفلسفة السياسية التي كان وسيكون عليها مدار العمل في ادارة البلاد زمنا طويلا فيما أرى . وسيكون انتقادي للمبادي فقط لا للرجال العاملين بها . لان الذي يتصرف برجال الدولة هي الضرورات السياسية لا النظريات العلمية . ولما كانت الضرورات عبارة عن بنات الآراء فالى الآراء ينبغي أن توجه المؤاخذة لا الى الاشخاص المكرهين على احتمالها ، اذ ليس في استطاعة الواحد منهم ان يتولى الحكم بدونها . وأما تغييرها ففي غاية من الصعوبة لان الشعب الافرنسي الذي هو بحسب الظاهر أدنى الى الانقلاب من كل شعب قد يكون في الحقيقة أكثر شعوب الكون تمسكا بالقديم .

ان الجزائر تساوي فرنسا في مساحتها . لكنها دونها في السكان . يقطنها ستة ملايين من المسلمين خاضعين لا وضاعنا على رواية التقارير الرسمية . ولكن الحق الواقع ان هذا الاخلاص محتاج في تمكنه الى جيش مؤلف من ٦٠٠٠٠ رجل ، أعني قدر الجيش الذي يستخدمه الانكليز لاستبقاء طاعة ٢٥٠ —

مليون هندي منهم — ٥٥ — مليون مسلم[1] هم أكثر مهابة وأصعب مراسا من أهل الجزائر اخوانهم في الدين .

ثم ان بين سكان الجزائر المسلمين ثمانمائة ألف من الاوروبين نصفهم فرنسيس فقط والنصف الآخر اسبان وطليان ومالطيون الخ. هذه العناصر الاوروبية على اختلاف أصولها لا تتزاوج مع المسلمين وانما تتزاوج فيما بينهما ولا تلبث ان يتكون منها شعب ذو أخلاق متميزة مصالحه ستكون بالطبع أدنى الى مصالح الجزائر منها الى مصالح أم الوطن[2] تلك التي هي بمثابة صيرفي — كما هو الظاهر حتى الآن — دأبه أن يمنح البلاد سككا حديدية ومؤسسات عمومية وعطايا مختلفة .

والمسلمون الذين هم القسم الاعظم من أهل الجزائر يحتوي سوادهم على سلالات من كل فاتح من فاتحي افريقية ، ويظهر ان جمهورهم ثلثاه من البربر والثلث الآخر من العرب . وبين الفريقين فوارق ولكنها ضئيلة أهمها مابه ينقسمون الى بدو وحضر . وسنرى فيما يأتي — خلافا للرأي الشائع — دليلا على ان كلاً من العرب والبربر منهم البدو ومنهم الحضر .

وأما كتاب (موسيولوز وابوليو) فيمكن تلخيصه بكلمة واحدة تعرب عن الفكرة السائدة في فرنسة بشأن الجزائر وهي : فرنسة المسلمين . أي إنحالهم عادات الفرنسيس وأخلاقهم . والطريقة السياسية التي سلكت حتى الآن لفرنسة هؤلاء المسلمين أو الاستيلاء عليهم بالفتح المنوي تشبه مناهج الأمريكان الاولى في معاملة أولئك الحمر الجلود اذ كانوا يغتصبون أرضهم التي فيها صيدهم ثم يتركونهم يموتون كما يشاؤن جوعا . هذه هي طريقتنا

(١) المنار : لعل المؤلف اعتمد في هذه الارقام على احصاء قديم أو أراد بهذا العدد أهل الولايات التي يتولى ادارتها ولاة من الانكليز دون البلاد المستقلة في ادارتها الداخلية ومجموع سكان جميع الهند تزيد على ٣٠٠ مليون والمسلمون منهم يبلغون زهاء ٩٠ مليون على ماسمعت من بعض أفاضلهم

(٢) أم الوطن الفرنسي باريس

الادارية في الاكتساح على وجه التقريب. ولقد أجاد في وصفها موسيو فيلون اذ قال:

« لما رأت الدولة أن الولاة يصادرون قسما من أرض القبائل عقب كل ثورة حسبت أن العدالة تمكنها من منح الحاكمين تلك الاراضي للمستعمرين بعد صد أربابها الوطنيين عنها .

« وكلما انتشر العنصر الاوربي كان الوطنيون يطردون عن تراث آبائهم بحيث أمسى الكثير من القبائل بعيدا عن الناحية التي كانت وطنا له

« وأما نتائج مثل هذه السياسة التي استمرت أكثر من ثلاثين سنة فلا يمكن ان تكون مبهمة : وهي ان العربي الذي رأى نفسه في رجوع مستمر لم يبق له شيء من الثقة بأن يجني ثمرة عمله ولم يعد يفكر في اتقان حرثه ولا تحسين أرضه . والذي حرم أرض قبيله المزدرعة ومنع حق الانتفاع بموارد الماء لم يعد يستطيع الصبر على المحل وقلة القوت وموتان الماشية وانقراضها . وكل هذه الآلام والمصائب ما كانت الا لتذكي الضغن في قلب الوطني على المستعمر وتزيد في انفراج مسافة الخلف بينهما .

« وأما قرار مجلس الشيوخ الذي صدر عام سنة ١٨٦٣ وأعلن حق تمليك الاراضي للقبائل التي كانت متصرفة فيها فلم تكن فيه نهاية لطريقة دفع القبائل وصدها عن أراضيها ولكنه غير اسمها وهيئتها اذ صارت تسمى اليوم باسم [الاستملاك لاجل المنافع العمومية(١)] وتمتاز هذه الطريقة بخاصتين : اعطاء الارض الى المستعمر بعد سلبها من الوطني وتكوين مناطق أوربية محضة يزاح عنها الوطني وان كان من المالكين ويقضى عليه بعد انتزاع ملكه بالفقر . نعم ان مالك الارض الاول يعوض عن أرضه ببدل نقدي تعينه المحاكم وهو يتراوح بين ٥٠ – ٦٠ فرنكا لكل هكتار أي انه يبدل بثلاثين أو أربعين هكتاراً من الارض التي كانت تؤتيه كل موارد العيش الرغد مدة حياته مقدارا من المال (١٥٠٠ — ٢٠٠٠) فرنك لا يكاد يقوم بأوده عاما واحدا أو عامين . »

وكان الاستعمار الرسمي أغرب أشكال التنفيذ لسلطة الحكومة القادرة على كل

(١) الاستملاك في اصطلاح القانون العثماني : انتزاع الملك من صاحبه بعد تقدير ثمنه بمعرفة لجنة مخصوصة ويسمى في مصر « نزع الملكية »

شيء في الجزائر . آه! لو تقرأ تاريخه في الكتاب الذي اقتبست منه الشاهد المتقدم أذن لرأيت نتائج اقطاع تلك الاراضي مجانا كل فئة من الساقطين الذين لاتوازي قابليتهم لحرث الارض الا كفاءتهم لتعلم اللسان السانسكريتي ، ولرأيت نتائج انشاء تلك الضياع الرسمية التي صارت اليوم قاعا صفصفا ...

هذه التجربة المؤلمة وما استلزمته من النفقات الباهظة لم تك كافية لهداية عمالنا لان أحدهم قد طالب منذ بضع سنين خمسين مليونا لينتزع بها من العرب أملاكا يشيء فيها ضياعا مكان الضياع التي أذلها وأشقاها الخراب ! ولكن دار الندوة ـ ولحسن الحظ ـ ردت اقتراحه هذا لانه ولاريب يدعو المسلمين الى الثورة ويحتفر هوة جديدة تتردى فيها ملايين أم الوطن (١)

ألاوان في عرض مثل هذا الاقتراح والبحث فيه ـ حتى أوشك أن يستجاب له ـ لدليل على أن رأي الاستعماري الافرنسي لايزال في الدرجة السفلى من التثقيف .

ولا عجب اذا كلفتنا الجزائر المبالغ الجسام بفضل أمثال هذه التجارب لان ماأنفقناه عليها يقدر بأربعة مليارات عدا جبايتها نفسها . فهل ترانا أمنا البلاد على الاقل بهذا المقدار من الاموال المبذولة ؟ اذ صدقنا بذلك فلاينبغي أن ننسى أن علينا أن نقوم بنفقة جيش عظيم لحفظ فيها السلام حفظا ما .

منذ فتح الجزائر تناوب سياستنا الاستعمارية مبدآن كان يرجح الواحد منهما على الآخر تبعاً لحركة الرأي العام أما إحداهما فهو انتزاع ملكية العرب ودفعهم الى الصحراء . وأما الآخر فجعلهم فرنسيسا بحملهم على أوضاعنا .

غير أن العرب لم يندفعوا بما أقاموا من الحجة البالغة وهي أن الصحراء لم يعد فيها معاش لاحد ، وقبل أن يرضوا بالموت جوعاً جعل الملايين منهم يمارضون بالمقاومة . فلا هم قبلوا التفرنج ولا هم رضوا بالاندفاع لانه لم يوجد حتى الآن شعب

(١) المنار : المراد ملايين دراهم (فرنكات) أبناء أم الوطن باريس

تمكن من تغيير وضعه المعنوي من أجل أن تحل له وضع أمة أخرى فكلتا الطريقتين عقوبتان والانتقال من إحداها الى الاخرى لا يرجى منه اصلاح لها . وبناء على هذا فستظل سلسلة هذه التجارب المدمرة تزداد حلقة بعد حلقة الى أن يأتي يوم يهتدي فيه حكامنا فيعرفون أن أبسط حل لهذه المشكلة وأقله مؤنة وأوفره حكمة . هو أن يحترموا البلاد المفتتحة أوضاعها وعاداتها وشكل حياتها وعقائدها كما تفعل الامم المستعمرة كلها خصوصاً الانكليز والفلمنك .

أما هذا الحل فقد يكون الآن ضرباً من المحال لان الرأى العام ضد له بدليل ماترى من سلوك أهل الحل والعقد فينا وما نجد من الافكار المنبثة في الجرائد والمؤلفات .

ولما كنا نحن أهل الغرب قد أطلقنا من قيود العقائد الدينية [1] فانا نظن الامر كذلك في أرجاء العالم كافة . وقليل من المؤلفين الاوربيين الذين أدركوا أن أمر الدين في الشرق فوق كل الامور ، فان الاوضاع المدنية والسياسية والحياة الاجتماعية والقروية هي عند أتباع محمد كما هي لدى أتباع صاوا وبوذه مرجعها الى الشريعة الدينية . والاكل والشرب والنوم والحرث كلها أعمال عبادة عند أهل الشرق .

ولقد أدرك الانكليز ذلك حتى أنهم رغم تصلبهم في مذهبهم البروتستانتي ايرممون في الهند معابد الوثنيين ويجرون على كهنتها الوظائف الواسعة على حين يضنون على رسل دينهم بأدنى المساعدة . وانك مهما تحريت لا تعثر برجل واحد تحت سماء انكلترة يؤيد القول بأن دمار مستعمرة أولى من تعطيل مبدإ .

ولقد كان ينبغي أن يكون أساس سياستنا حماية الدين الاسلامي والاستظهار

---

(١) المنار : المراد بقيود العقائد ما كانت الكنيسة تقيد به حرية العلم والارادة والعمل من قيود الحظر والتحريم التي تعوقها عن السير في سبيل الرقي وهذه القيود لا وجود لها في الاسلام ولكن الذين اتبعوا سنن من قبلهم من متفقهتنا اخترعوا له قيودا مثلها ونحن نعاني الصعاب في كسرها أولا لطلاق منها مع الحذر من الغلو الذي جنى على المتفرنجين بتركهم بعضهم للعقائد نفسها لا القيود التي أضيفت اليها فقط

بذوات النفوذ من جمعياته الدينية وتأييد سلطة الفقهاء عوضا عن مناجزتها واضعافها. ان أول « مقيم » افرنسي في تونس كان من نوادر الحكام المضطلعين بشؤون الشرق فقد دل على مبلغه من الحصافة في السياسة اذ طلب الى باي تونس اذ ذاك أن يصدر منشوراً دينيا يثبت للمؤمنين مشروعية الاحكام التي كان يريد وضعها لكن ما كان أسرع أولي الامر منا الى عزله.

احترام شعائر الدين عند العرب هو باحترام أوضاعهم لان الاوضاع انما هي متفرعة عن العقائد الدينية كما بينت آنفا — بيد ان « موسيولور وابوليو » يرد هذه السياسة وينعتها بسياسة « التعفف » ويقول « ان الاحترام التام لسنن ما يسمى بالقومية العربية وأخلاقها وعاداتها يقضي بترك جيشنا ومستعمرينا لارض أفريقية » لماذا يا ترى؟ قد ذهل المؤلف عن بيان السبب وانه ليعسر عليه — فيما أظن — ان يجد لرأيه ظلا من سبب معقول. ان السياسة التي أقرها هنا هي عين السياسة التي يجري عليها الانكليز مع المسلمين في الهند دون ان يكون لهم (أي الانكليز) أقل ميل الى ترك ملكهم ذاك العظيم

وأما الوسائل التي يشير بها « موسيولور وابوليو » فهي موافقة لآرائنا في المساواة العامة ومؤداها « مزج العنصر الوطني بالعنصر الاوربي » وتعريف هذا المزج حالة لجماعة تجرى فيها على شعبين مختلفين في الاصل أحكام اقتصادية واجتماعية واحدة وقوانين عامة واحدة مع خضوعهما من حيث الانتاج لمؤثر واحد.

هذه الصورة تبدو باهرة وهي مرسومة على الورق. وانها لأمنية المساواة التي يتمناها أهل النظر منا من أبناء سنة ٩٣ والوقت الحاضر. ولكن يسخر منها أدنى المستخدمين في حكومة الهند الملكية. ولا عجب فقد يمكن أن يكون الرجل عالما مشهورا ولا يكون له إلمام بالهاوية التي تفصل الشرقي عن الغربي في الافكار والوجدان.

على انا نجد المؤلف يتنبه لبعض العقبات في سياسته المزجية ولكنه يتسورها بسهولة ، فهو يوقن من غير دليل « ان البدو لايختلفون عن الاوربيين الا في أمر

واحد » الا وهو الدين انما أعظم هذا الخطأ ! وقد يكون الاقرب الى الحقيقة ان يقال ان بين فلاوي من عصر برينوس وبين بلربزي من أبناء اليوم من الفرق العظيم مثل ما بين أوروبي متمدن وبين بربري من أبناء الزمن الحاضر . ويزعم (موسيو لور وابوليو) انه لما كان البربر والاوروبيون من أصل واحد بقي العرب وحدهم موضوعا للفرنسة فهم الذين ينبغي أن يفرنسوا ويظهر له أن الامر سهل جدا « ينبغي - حسب ايضاحه - أن تغير مناهج القبيلة تغيرا تاما وكذلك طريقة الملك وتعدد الزوجات فاذا تم ذلك لم يبق الا تفاريع نظفر بها بمرور الزمن »

هذه التبديلات العظيمة التي قد تسر الخلص من الاستراكس يراها المؤلف من السهولة بحيث لم ير في بيان الوسائل اليها فائدة . غير أني أظهر أن كل من ألف النظر في طبيعة العرب المعنوية يجد أن ما في احداث هذه التغيرات من الصعوبة لا يقل عما يوجد منها في جعلك واحدا من أبناء أوستراليا أستاذا في كلية فرنسة . و(موسيو بوليو)ليس بذي شفقة على العرب الذين ينظر اليهم نظره الى فئة من الهمج ويحسب ان مجتمعهم يكون على الصورة القديمة لكل شعب بدوي فهو يظهر ان كل العرب من قبيل الرعاة وان البربر من أهل الحضر ومن يقرأ ما كتبه ابن خلدون في القرن الرابع عشر يعلم أن قسمة بربر الجزائر الى بدو وحضر ليست بنت الامس . وأما التمييز بين البربر والعرب الذي جنح له فريق من المؤلفين من حيث القابلية للتمدن فانه كان مبنيا على ملاحظات جد سطحية لا يستطاع اليوم تأييدها . ولما كان شكل الوجود متعلقا بالبيئة كانت الحياة الاجتماعية نوعيها بدوية وحضرية تابعة لطبيعة الارض لا لطبيعة السلالة . ففي السهول المرملة يكون كل من العرب والبربر من الرحل كما أن كلا منهم يكون مقيما في الجهات الخصبة وفي كل قطر يسكنه العرب كالجزائر ومصر وسورية والجزيرة تجد منهم البدوي والمتحضر ، غير انى لا يظهر لي أي من العرب المتحضرة والبربر المتحضرة يفوق الآخر من حيث الكمال الذاتي . واذا لم يكن بد من الميل الى إحدى الطائفتين فالاولى أن يكون الى العرب أصحاب تلك المدنية العديدة الباذخة . لان البربر ما كانت لهم الا مدنية ظفلة ناقصة

وأكثر ما يلح به (موسيو بوابو) من الاصلاح منع تعدد الزوجات ولكنه يذهل دائما عن أن يبين لنا الوسيلة العملية الى ذلك ، فهو يفيض في بيان فوائد وحدة الزوج و يظهر لمعاصريه ان البيت هو في الاصل ملك المرأة الفرد ويدونها تفقد العائلة روحها و يفقد البيت أداة سعادته،ويقول ان التعدد من أعظم الاسباب في ركود المجتمع العربي

بيد أني لا أريد ان أدخل جوف المسألة ولا أن أعترض بانه لما كان تعدد الزوجات مذهبا للشرقيين كافة كان لابد لهذه العادة من أسباب قوية . كما أني لا أتكلف توجيه النظر الى أن التعدد الشرعي عند المشارقة هو خير من التعدد النفاقي عند الاوربيين وما يتبعه من المواليد الحرام . فان في كتابي (تاريخ الحضارة العربية) شرحا كافيا لهذه المسائل وغيرها والناظر فيه يجد ان دور « الحريم » في عهد الدولة العربية أنتجن من (bas - bleus) والنساء العالمات قدر ما أنتجت مدارس إناثنا من ذلك. ولقد اتضح اليوم ان تعدد الزوجات ما كان قط سببا في ركود المسلمين،وهل من حاجة بعد الى التذكير بأن العرب وحدهم هم الذين أظهروا لنا العلم اليوناني — اللاتيني ، وان مدارس أوروبة الجامعة — ومنها جامعة باريس — عاشت ستمائة عام بفضل ما ترجم من كتبهم وبنهجها مناهجهم ؟

ثم ان المدنية العربيـة كانت من أبهر المدنيات التي عرفها التاريخ . ثم انها قضت كما قضى كثير غيرها ولكن من القناعة بالادلة السطحية أن نعزو الى تعدد الزوجات ما هو نتيجة لغيره من العلل المهمة

على أنه لم يتضح لنا السبب في كراهية الاستاذ الفاضل لتعدد الزوجات وهو ينبئنا ان التعدد محصور في البيوتات الموسرة وانه قد قل انتشاره . فاذا صار التعدد الى غاية من الندرة وقلة التأثير فما باله يبغي ابطاله ؟ وكيف يمكن اقامة الدليل على ان هذه العادة « من أعظم الاسباب في الركود الذي يتصف به المجتمع العربي[1] »

(١) المنار : ليتأمل هذا البحث الذين يقلدون منا أصحاب الاهواء السياسية فينا فهذا العالم الفيلسوف يقرر ما يعتقد عن بحث وعلم واولئك السياسيون يبثون فينا ما يحبون ان يحملونا عليه لأجلهم لا لأجلنا

تقرير لجنة مشيخة الازهر الشريف (*)

المؤلفة لفحص مشروع تعميم التعليم الاولى

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الاستاذ الاكبر

شيخ الجامع الازهر

ياصاحب الفضيلة بما لك من الحق الشرعي والرياسة الكبرى الدينية في الديار المصرية . أصدرت أمرك الينا بتعيين لجنة منا لفحص مشروع تعميم التعليم الاولى مع تقريره الذي أصدرته لجنة وزارة المعارف العمومية المؤلفة بالامر الوزاري في ٣٠ مايو سنة ١٩١٧ والذي فرغت من وضعه في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٨ طالبة ان ينفذ العمل به من أول ابريل سنة ١٩٢٠ ريثما تأخذ الحكومة العدة لتنفيذه

وها نحن أولاء نتشرف برفع تقريرنا هذا الى فضيلتكم شاملا لما عن لنا في الموضوع والله الهادى الى سواء السبيل .

(١) اللجنة ترحب بمشروع تعميم التعليم الاولي من حيث هو تعميم لتعليم طبقات الامة بأسرها وتعتبره بدء خير جديد للامة المصرية في سائر شؤونها ومصالحها الدينية والدنيوية قال الله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

(٢) خلاصة المشروع من الوجهة التي تهمنا هو ان يعمل كل مجلس مديرية في المديريات وكل سلطة معادلة له في المحافظات على ايجاد مدارس أولية في كل

(*) نشرنا هذا التقرير انجازا لما وعدنا به فى الجزء الماضى . وقد قال لنا احد أعضاء لجنة المشروع : تذكروا ان المشروع وضع في غير هذا الوقت وانا نسلم باكثر الانتقاد الذي ورد عليه الخ . صالح رضا

مدينة وقرية تضم كل سنة عددا من البنين والبنات الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة والحادية عشرة بنسبة واحد في المائتين من مجموع السكان وذلك بأن تأخذ ٤٪ من البنين و ٣ ½ ٪ من البنات حتى تكون نتيجة هذه المدارس بعد عشرين سنة تعليم ٨٠ ٪ من مجموع البنين و ٥٠ في المائة من مجموع البنات بالقطر المصري وذلك يعادل ١٠ في المائة من مجموع السكان يتلقون في تلك المدارس دراسة مناسبة وفق منهج خاص تضعه وزارة المعارف العمومية أو تقره يشمل على الاقل تعليم الديانة والقراءة والكتابة والحساب وغير ذلك من المواد التي يعينها وزير المعارف العمومية (فقره ٤٥ و ٤٧ ومادة ١ و ٢) [(١)]

---

(١) نص الفقرة ٤٥ [الفرض العاجل من القانون] يرمي مشروع القانون الذي وضعناه الى أن ينشأ في كل مدينة وقرية في مدة لا تتجاوز عشرين سنة مدارس أولية حسنة البناء جيدة المعلمين يبلغ مجموع تلاميذها ٨٠ في المائة من أبناء الامة ومجموع تلميذاتها ٥٠ في المائة من بناتها ممن تتراوح أعمارهم وأعمارهن بين السادسة والحادية عشرة . وانا نرى أن هاتين النسبتين هما الحد الحقيقي الذي يجب التمويل عليه في إعداد ما يلزم من الامكنة إذا راعينا أن عددا من الاطفال سينصرف عن التعليم وأن آخرين سيلتحقون بالمدارس الابتدائية وغيرها وراعينا العادة التي لا تزال مسيطرة على قسم كبير من الامة وهي قلة الرغبة في تعليم البنات وتحرير المرأة من قيود الجهل وأغلال الامية

والفقرة ٤٧ [نسبة تلاميذ المدارس الاولية بالبلاد الغربية] واذا قدرنا نسبة التلاميذ المصريين الذين يجب تعليمهم بالمدارس الاولية ممن تتراوح أعمارهم بين السادسة والحادية عشرة بثمانين في المائة من مجموعهم ونسبة التلميذات اللاتي من هذه الاعمار بخمسين في المائة من مجموعهن فان مجموع ذلك يعادل ١٠ في المائة من مجموع سكان القطر . أي أن بلوغ هذه الغاية يرفع درجة التعليم في مصر الى درجة ايطالية واسبانية وبلغارية وفنلندة وبلاد اليونان =

= ونص المادة الاولى [تعريفات] العبارات الآتية يقصد بها في هذا القانون ما يلي :

(ا) المدرسة الاولية معهد تلقى فيه دراسة مناسبة لابناء المصريين بين السادسة والحادية عشرة من عمرهم . ويكون التعليم فيها باللغة العربية فقط وفق منهج خاص تعينه وزارة المعارف العمومية أو تقره يشمل على الاقل تعليم الديانة والقراءة والكتابة والحساب وغير ذلك من المواد التي تعينها وزارة المعارف العمومية

(ب) « السلطات المعادلة لمجالس المديريات » هي السلطات التي يخولها هذا القانون أو أي قانون يليه أن تتولى في المحافظات ما تتولاه مجالس المديريات من شئون التعليم الاولي في المديريات

(ج) « المدارس الاولية الاهلية » هي المدارس الاولية التي لا تديرها مصالح الحكومة ولا مجالس المديريات أو السلطات المعادلة لها

(د) « المدارس الاولية الاهلية المعترف بها » هي المدارس الاولية الاهلية التي ترى وزارة المعارف العمومية أنها قد أدركت الغرض المقصود من هذا القانون من حيث أمكنتها ومعداتها والقائمون بالتعليم فيها وادارتها العمومية

(هـ) « السلطة البلدية » كل مجلس بلدي أو مختلط أو محلي أو قروي أو أي سلطة منتخبة من هذا القبيل تخول حق ادارة الشئون المحلية باحدى المدن أو القرى

(و) « السنة » هي السنة المالية المتفق عليها في الحكومة المصرية

ونص المادة الثانية [انشاء المدارس الاولية] يجب على كل مجلس مديرية (في المديريات) وكل سلطة أو سلطات تعادله (في المحافظات) أن يوجد كل سنة من المدارس الاولية المناسبة ما يكفي لنصف في المائة (أي لواحد في كل مائتين) على الاقل من مجموع السكان الذين في دائرته باعتبار كل مدينة أو قرية واحدة قائمة بذاتها » فما نصيبها من المدارس بنسبة عدد سكانها

ويأتي هذا الوجوب في بعض أي مدينة وقرية متى أصبح بها من المدارس الاولية المناسبة ما يكفي لعشرة في المائة من عدد سكانها . ومع ذلك يجوز لمجالس المديريات والسلطات المعادلة لها أن تستمر في ايجاد معاهد جديدة ..

تأثير المشروع من الوجهة الدينية

ان تعليم القرآن للاطفال والعمل على حفظهم له في هـذه السن (من سن ست سنوات الى احدى عشرة سـنة) أمر جرت عليه الشعوب الاسلامية منذ التاريخ الاسلامي لاسيما الشعوب العربية وخاصة منها القطر المصري حتى قال ابن خلدون في الفصل ٣٢ الذي كتبه في هذا الموضوع « اعلم ان تعليم الولدان للقرآن صار شعارا من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه الى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون

= التعليم بعد بلوغه هذا الحد في الجهات التي تتطلب أحوالها ذلك

وجميع المدارس الاولية التي تديرها مجالس المديريات أو السلطات المعادلة لها في وقت صدور هذا القانون وكذلك المدارس الاهلية التي يعترف بها فيما بعد يمكن اعتبارها وافية بما تتطلبه هذه المادة من انشاء المدارس وافتتاحها اذا أقرتها وزارة المعارف العمومية . ولكن لا يجوز اعتبارها كذلك الا عن السنين الاخيرة من السنين المقررة لانفاذ هذا القانون

وتقرر وزارة المعارف العمومية عدد ماتسعه كل مدرسة أولية من التلاميذ

ولا يتحتم على مجالس المديريات أو السلطات المعادلة لها أن تنشئ مدرسة في جهة ما أو توسع في بنائها الا اذا كان عدد التلاميذ الذين يراد ايجاد محال لهم على النسبة الموضحة في الفقرة الاولى من هذه المادة قد بلغ ١٥٠ تلميذا في المدن التي يزيد عدد سكانها على ٨٠٠٠ نفس أو ٧٥ تلميذا في البلدان التي يتراوح عدد سكانها بين ٤٠٠٠ و ٨٠٠٠ نفس . أو ٤٠ تلميذا في البلدان والقرى التي يقل عدد سكانها عن ٤٠٠٠ نفس

وكذلك لا يحتم على مجالس المديريات أو السلطات المعادلة لها أن تنشئ مدرسة أولية في جهة ما أو توسع في بنائها مادام بمدارسها الاولية الجامعة للشروط المطلوبة من المحال ما يزيد كثيراً على مبلغ اقبال الاهالي في تلك الجهة على التعليم ويكون البت في ذلك لوزارة المعارف العمومية

الحديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات »
ومعلوم ان الولدان هم أبناء هذه السن التي يقضي المشروع بالاستيلاء عليهم فيها
ويكون القضاء على حفظ القرآن فيها. ولا ندري كيف غرب ذلك عن لجنة الوزارة
وهي بنفسها تقول في تقريرها المرفق بالمشروع (فقرة ٥٩) عن المستر لكي
في كتابه الديمقراطية والحرية ج ٢ ص ٦٢ « والقاعدة الوحيدة التي يعول عليها ان
يجعل الشارعون نصب أعينهم رغبات الامة وميولها كيفما تنوعت أشكالها وأن
يسعوا الى تحقيقها ما استطاعوا الى ذلك سبيلا »[1]

بل رمى أحد الاعضاء بهذا العنوان كما جاء في التقرير [فقرة ٨٣][2] الى
أبعد من ذلك حيث لفت أنظار اللجنة قائلا: ان الاعفاء من الخدمة العسكرية لحفظ
القرآن القاضي به قانون القرعة الصادر في سنة ١٩٠٢ عقبة في سبيل التعليم الاولي . ونحن

---

(١) نص هذه الفقرة ٥٩ [الصعوبات الدينية] لا تكاد توجد مملكة من الممالك
الا كان نمو التعليم الاولي فيها مصحوبا بعقبات ناشئة من صعوبة التوفيق بين
الآراء المتضاربة فيها بشأن التعليم الديني. ولقد كانت هذه المسألة دائما منبع جدال
طويل وربما جاز القول بأنها لم توفق مملكة من الممالك الى حلها حلا مرضيا من جميع
الوجوه . ثم عبارة المستر «لكي» المذكور أعلاه

(٢) نص الفقرة ٨٣ [تأثير قانون القرعة] لفت أحد الاعضاء المسلمين نظر
اللجنة الى العراقيل التي يضعها قانون القرعة الصادر في سنة ١٩٠٢ في سبيل وضع
نظام واف للتعليم الاولي لان الفقرة السادسة والعشرين منه تعفي من الخدمة
العسكرية حفظة القرآن الكريم اذا لم تكن لهم مهنة أخرى . ولما كان المصريون
ينفرون أشد النفور من الخدمة العسكرية كان معظم الاهلين شديدي الرغبة في
العمل على اعفاء أبنائهم منها وكانت الوسيلة الوحيدة لذلك عند الفقراء منهم أن
يعدوا أبناءهم ليكونوا حفظة وأن يبعثوهم الى الكتاتيب الاهلية لقضاء جميع أوقاتهم
في حفظ القرآن بدلا من ارسالهم الى المكاتب المنتظمة حيث يتعلمون تعلما وافيا
مع تلقي المقدار الكافي من التعليم الديني . أما ما يشترطه هذا القانون من عدم =

مع دهشتنا من هذا الحكم لبعد المسافة ما بين سن القرعة وسن المشروع نعجب من موافقة اللجنة باجماع عليه حتى قالت بالفقرة ٨٧« ان نجاح هذا المشروع أو أي مشروع آخر يرمي الى ترقية التعليم الاولي يتوقف على ازالة هذا العائق الذي يصرف الناس من الاهتمام بالتعليم الاولي »[1]

(٤) من حيث ان المشروع يقضي باستيلاء وزارة المعارف تدريجيا مع الهيئات الادارية التي تشاركها على ٨٠ في المائة على الاقل من أبناء المسلمين من سن ست سنوات الى احدى عشرة سنة فهو يقضي على المعاهد الدينية من أساسها لان ينبوع المعاهد هو تلك المكاتب الاهلية التي تقوم بتعليم القرآن الكريم

= الاشتغال بمهنة أخرى فلا فائدة منه لان المقترعين لا يلتفت اليهم بعد اعفائهم ولا تعرف الحكومة شيئا مما يزاولونه من الاعمال . وقد قيل لنا ان الاحداث الذين يذهبون الى هذه المكاتب لا لشيء سوى حفظ القرآن وتضييع أوقاتهم بها الى السادسة عشرة أو السابعة عشرة يربو عددهم كثيرا على من ينتظر أن يشتغلوا بشيء من الاعمال الدينية أو يلحقوا بأحد معاهدها . على أن الازهر الشريف ومدرسة القضاء الشرعي لا يشترطان على راغبي الحاق بهما أن يحفظوا من القرآن أكثر من نصفه .وقد بلغنا أن حكومة تركية وهي حكومة اسلامية لا تعفى أحدا من الخدمة العسكرية لحفظ القرآن

(١) عنوان الفقرة ٨٧ [ازالة هذا العائق] وتتمتها « الوافي بالغرض . وذلك يتم بأحد أمرين . إما بالسير على النهج المرسوم في مشروع القانون الذي ارتضاه صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية في سنة ١٩٠٥ وإما باتباع طريقة أخرى تقرها هيئة رجال الدين الاسلامي . ونود لو وضعت الآن قاعدة عامة تقضي بعدم اعفاء أحد بعد مضي زمن طويل من الآن (أي بعد سنة ١٩٣٠مثلا) من الخدمة العسكرية لسبب من الاسباب (سواء أ كان دينيا أم صناعيا أم تعليميا أم غير ذلك) الا اذا كان طالب الاعفاء قد أتم المقرر الدراسي للمدارس الاولية أو الابتدائية فان ذلك يساعد نشر التعليم الاولي مساعدة عظيمة »

وحفظه ولا يمكن لقانون الازهر والمعاهد الدينية أن يتخلى عن شرط حفظ القرآن لانه شرط ضروري لمن ينتسب للمعاهد الدينية ويتلقى علوم الدين التي تستمد كلها من القرآن كما يقتضي ذلك المشروع أيضا على جميع الوظائف الشرعية التي يشترط في مبدئها حفظ القرآن الكريم وما جاء في [الفقرة ٩٠][1] من تقرير لجنة الوزارة من ان من يرغب من النشء في الانتظام في تلك المعاهد الدينية فلديهم متسع من الوقت بعد اتمام مقرر المدارس الاولية (أي بعد السنة الثانية عشرة ان فرض نجاحه فيها) للوصول الى غرضهم هذا بالتعلم في مدارس اعدادية يشرف عليها رجال الدين مغير كاف في الاجابة ولا مزال لتلك العقدة التي يضعها المشروع في سبيل المعاهد الدينية لوجوه

(ا) المدارس الاعدادية التي تحيل عليها لجنة الوزارة ليست بشيء لا في عالم الوجود ولا في عالم المشروعات فضلا عن كون تعميمها في جميع المدن والقرى حتى تقوم بحاجة البلاد من تخريج القدر الكافي لطلاب المعاهد الدينية ومن وجود الحفاظ بها أمر لا يكاد يكون ممكنا ولا يبلغ درجة انتشار المكاتب الاهلية الحالية التي تقوم بذلك لان

(ب) اذا فرض ان التلميذ الذي يريد الانتظام في تلك المعاهد الدينية لم يساعده الحظ ورسب في بعض امتحاناته السنوية بتلك المدارس الاولية ثم التحق بالمدارس الاعدادية المذكورة ليتمكن من الالتحاق بالمعاهد الدينية فكم يكون قد بلغ من السن عند الخروج منها؟ وهل يسمح له الحظ دائما من التمكن من تتميم الدراستين بالمدارس الاولية والمدارس الاعدادية قبل فوات السن المحدودة

---

(١) ونص الفقرة ٩٠ [المدارس الاعدادية] أما من يرغب من النشء في الانتظام في سلك المعاهد الدينية أو في أن يكونوا من حملة القرآن الكريم فلديهم متسع من الوقت بعد اتمام مقرر المدارس الاولية للوصول الى غرضهم هذا بالتعلم في مدارس اعدادية يشرف عليها رجال الدين ونرى أن تمنح الحكومة ما يكون جامعا لشروط الجدارة من هذه المدارس إعانة مالية

للدخول في المعاهد الدينية أو يحال بينه وبينها ؟ ثم اذا صح انه تمكن من الدخول في المعاهد في آخر سنة يسوغ القانون الدخول فيها للطالب والمعاهد الدينية أقل مدة التعليم فيها خمس عشرة سنة فلا ينتهي الطالب من دور التعليم الا وهو في طريق الكهولة وهذا مالا يرضاه رجال الاصلاح .

(ج) باعتبار ان آخر سنة للتلميذ في هذه المدارس الاولية هي السنة الحادية عشرة من عمره اذا فرض نجاحه فيها وانه يحتاج الى مدة أخرى يقضيها في حفظ القرآن ليتمكن من الانتظام في المعاهد الدينية يكون المشروع قد حاف حيفا ظاهرا على قانون المعاهد في تضييق دائرة من ينتسبون اليه بعد ان كانت من سن عشر سنوات الى سبع عشرة سنة [مادة ٦١] من قانون الازهر وحال بين الاباء وبين اعدادهم أبناءهم للتعلم في باكورة شبابهم بالمعاهد الدينية وقد دل البيان الرسمي بدفاتر الانتساب بالقسم الاولي من المعاهد الدينية على ان الذين ينتسبون بالسنة الاولى يوجد بينهم عدد كبير من أبناء الاحدى عشرة سنة والاثنى عشرة سنة

(د) ان وجود الحرية التامة التي يتمتع بها الآباء الآن في تعليم أبنائهم القرآن الكريم في هذه السن (من ستة الى احدى عشرة) هو الوسيلة الوحيدة في التمهيد للانتظام بالمعاهد الدينية وبعبارة أخرى لحياة المعاهد الدينية والوسيلة في صيانة حفظ القرآن بين الامة لان الحفظ بعد هذه السن يكاد يكون مستحيلا والمثل الشهير في ذلك عند الشعب (الحفظ فى الصغر كالنقش في الحجر)

(ه) ان وجود حملة القرآن الكريم مستظهرين له أمر ضروري اقتضته الشريعة الغراء على سبيل فرض الكفاية في كل أمة لاسيما في مصر (التي تعتبر مركزها الديني ووجود الازهر فيها كعبة لسائر الشعوب الاسلامية) ليقوموا بفريضة كيفية الاداء والتجويد للقرآن واتقان رواياته وأحكامه ومعرفة رسمه وليحفظوه على الامة وينقلوه بطريق التواتر من جيل الى جيل .

فضلا عن ان من خصائص أولئك الحفاظ أيضا ماجرت به العادة في منتديات المسلمين ومجتمعاتهم العامة والخاصة من تلاوة آيات الكتاب الحكيم عند اقتضاء الظروف والعادات القومية ليعظوا النفوس ويذكروا الامة بكتابها المقدس الكريم

وما فيه من هدى وارشاد وحث على مكارم الاخلاق ولا يتأتى للامة المصرية القيام بالفريضة المذكورة والمحافظة على تلك المادة القومية الاسلامية ما لم تبق الوسيلة التي تمكن الابناء من حفظ القرآن في أول تعليمهم وعهد مرونتهم

(٦) توجد بالقطر المصري أوقاف جمة مرصودة على تعليم القرآن الكريم للاطفال بطريق الحفظ له غيبا (وتفتيش الوادي مشهور) وتقضي أوامر الشريعة الغراء باحترام شروط الواقفين حتى قال العلماء « شرط الواقف كنص الشارع » فلابد من تنفيذ هذه الاوقاف على الوجه المنصوص بها ولا يجوز بحال أن يصرف ريع تلك الاوقاف في غير هذا النوع من التعليم والمشروع باستيلائه على ٨٠ في المائة من البنين يقضي بتعطيل تلك الاوقاف وصرفها في غير مارصدت له وبعبارة أخرى يقضي بتعطيل أوامر الشريعة الغراء في تنفيذ هذه الاوقاف في سبيلها ، بل يصرف الناس عن مثل هذا العمل البار (الوقف على التعليم) الذي قام بنهضة كبرى في سبيل التعليم الاولي بمصر وقد اعترفت لجنة الوزارة في [الفقرة ٢٥][1] أن أقوى

(١) عنوان الفقرة ٢٥ « الحكومة وتعلم الأطفال » ونصها — : من الأقوال المأثورة عن نابليون : « إن التعلم يجب أن يكون أول أغراض الحكومة » . ولقد أصبح معظم الحكومات المتمدينة في الوقت الحاضر يعتبر تعلم الأطفال من أعظم واجباته . وقد وصل تعلم طبقات الشعب في البلاد الأوربية إلى ماهو عليه الآن بفضل أربع حركات كبيرة وهي:

(أولا) غيرة الطوائف الدينية على نشر مذاهبها وتوطيد أركانها بتعليم الاحداث ،

(ثانيا) قيام مذهب الانسانيين (Humanitarianism) الذي يرمي إلى وقاية الأحداث من الجهال ،

(ثالثا) قيام الدمقراطية لأنها خولت جما غفيرا من الشعب حق الاشتراك في أعمال الحكومة فاستدعى ذلك تعليم الاطفال لأن منهم ينبغ كبار أعضاء مجالس النواب ،

(رابعا) الحركة الصناعية فانها أقنعت الامم بأن انتشار التعليم بين جميع الطبقات ولو اقتصر على ما يتناوله التعليم الاولي — يزيد في مقدرة العمال .

وقد كان أقوى البواعث على تعلم الشعب بمصر الى وقتنا هذا على النمط الحالي بواعث دينية ولكن تقدم البلاد من الوجهات الصناعية والسياسية والادبية والاجتماعية سيوجد بواعث قوية جديدة يزيد عظم شأنها على مر الأيام ولا يمكن غض الطرف عنها ولا التسويف فيما توحي به من الجد والعمل .

البواعث على تعليم الشعب المصري الى وقتنا هي البواعث الدينية واذا يحسن بالمشروع المذكور ان يكون أمامه الذي يتضد به هي تلك البواعث ليكون أنجح له في سبيله لا ان يقاومها و يقضي عليها وترى اللجنة ان ايجاب حفظ القرآن الكريم في تلك المدارس وجعله أساسا فيها (نظراً لشدة تعلق الشعب المصري بعاداته الدينية) هو أقرب وسيلة لترغيب الامة في تلك المدارس التي ستعاني الحكومة في الترغيب فيها الصعوبات الجمة (يتلى)

خلاصة معاهدة الصلح [1]

٥

الفصل الثاني عشر — في المواصلات

الموانئ وطرق الملاحة وسكك الحديد — يطلب من ألمانية أن تمنح حرية الانتقال والنقل للاشخاص والبضائع والسفن ومركبات سكك الحديد الخ التي تأتي من بلاد الحلفاء والدول المشتركة معهم أو تذهب اليها مارة بأرض ألمانية وان تعاملها كما لو كانت ألمانية صرفة والبضائع التي تمر بألمانيــة (ترنزيت) تعفى من الرسوم الجمركية . وتكون أجرة النقل معتدلة ولا تتوقف تسهيلات أو دفع رسوم ما على نوع الراية التي تخفق على السفن سواء كان ذلك مباشرة أو بواسطة . ووضعت تدابير تمنع التمييز بين دولة وأخرى بمراقبة البضائع المنقولة وكل تمييز ممنوع على الاطلاق

ويعجل في نقل البضائع الدولية وخصوصا ماكان منها قابل التلف ويحافظ على المناطق الحرة في الموانئ الالمانية وتقدم التسهيلات اللازمة لمطالب التجارة بلا تمييز في الجنسية . ولكن يسمح بفرض رسوم معينة قليلة في موانئ نهر الالب الحرة . وتحسب جميع الانهر من مقر نهر فلتافا وملتقى نهري مولدو وفلتافا تحت براغ ونهر لاودر من ملتقاه بنهر الاوبا ونهر النيمن تحت جرودنو والدانوب تحت الم — هذه كلها تحسب أنهراً دولية هي وروافدها الواقعة ضمن هذه المنطقة . وتعامل أملاك جميع الدول واعلامها مثل معاملة رعايا البلاد الواقعة على ضفاف تلك الانهر واملاكها

(١) تابع لما نشر في الجزء السادس

وسائر ما يخصها . وقد اتخذت تدابير مختلفة لتأمين التسهيلات ودفع أجور معتدلة والملاحة باشراف جمعية الامم والمجان الدولية . وهذه المجان تعقد في مستقبل قريب لوضع مشروعات تبيح المعاهدات الحاضرة التي يراد بقاؤها نافذة المفعول وقتيا . ويطالب من ألمانية ان تسلم جزأ من سفنها النهرية ورفاصاتها والمهمات الاخرى بعد ثلاثة أشهر من اعلانها بذلك

أما من جهة الدانوب فان اللجنة القديمة تعاد اليها السلطة التي كانت لها قبل الحرب ولكن لا تمثل فيها الا بريطانية العظمى وفرنسة وايطالية ورومانية . وأما المنطقة الخارجة عن اختصاص اللجنة فتعين لها لجنة دولية لادارة أمور الدانوب لاخلل كله الى ان يتوصل الى تسوية المسائل تسوية نهائية . ونص على حفر قنال بين الدانوب والرين اذا قر الرأي على حفرها في مدة ٢٥ سنة . ووضعت مواد خاصة بنهري الرين والموزل وتبقى معاهدة ١٨٦٨ نافذة المفعول اجمالا مع بعض تعديلات مهمة . ويكون مقر اللجنة المركزية ستراسبرج وتعين فرنسة رئيسها . ولما كانت هولاندة من جملة الدول الموقعة لهذه المعاهدة فان التعديلات المشار اليها تعرض عليها وتسلم ألمانية الى فرنسة بعد ثلاثة أشهر جزءا من رفاصات موانئ الرين وسفنها أو اسهما من أسهم شركات الملاحة فيه وكذلك جزءا من الابنية والرفاصات وما أشبه ذلك مما كان للالمان في ميناء روتردام في ١ أغسطس سنة ١٩١٤ أو أسهما من أسهم شركاتها فيه . ويكون لفرنسة الحق التام على حدود مائي استخدام ماء الرين للترع وما شاكل ذلك وعمل الاعمال اللازمة لاستخدام مائه في ادارة حركة الالات بشرط ان تدفع الامتياز وبشرط موافقة اللجنة

وتتكفل ألمانية بأن لا تحفر ترعا على ضفة النهر اليمنى المتاخمة للحدود الفرنسوية وبأن تمنح فرنسة بعض الامتيازات على ضفته اليمنى لبناء بعض المباني الهندسية مقابل دفع تعويض وتجيز لسويسرة مثل هذا في أعالي النهر . واذا استقر رأي البلجيك في خلال ٢٥ سنة على حفر ترعة بين الرين والموز وجب على الحكومة الالمانية ان تحفره وفقا في أرضها طبقا للتصميمات التي تضعها الحكومة البلجيكية وتوزع النفقة على الحكومات المختصة . ولا يجوز لألمانية ان تعارض اللجنة فيما اذا شاءت ان توسع دائرة اختصاصها بحيث تشمل نهر الموزل الاسفل بموافقة حكومة

الكوستج والرين الاعلى بموافقة حكومة سويسرة والترع الجانبية التي يراد حفرها لتحسين الملاحة . ويجب على الحكومة الالمانية ان تؤجر جمهورية التشك والسلوفاك مدة ٩٩ سنة اماكن في ميناءي همبرج وستتن تكون مناطق حرة

سكك الحديد — نصت المواد الخاصة بسكك الحديد على ان البضائع التي ترسل بين بلدان الحلفاء والمانية أو بطريق ألمانية لها الحق في أعظم المراعاة . وبحثت في بعض رسوم سكك الحديد فقالت انه اذا وضع اتفاق جديد لسكك الحديد بدلا من اتفاق برن المعقود سنة ١٨٩٠ وجب على المانية ان تعمل به وقبل وضعه تعمل باتفاق برن . وتشترك في تسيير قطرات الركاب والبضائع بين بلاد الحلفاء بطريقها وبشروط موافقة وتسير قطرات للمهاجرين أيضا . وتجهز مركبات سكك الحديد بآلات تمكنها من الاندماج في قطرات البضائع التي للحلفاء من غير تغيير نظام السيمافات ويفعل الحلفاء مثلها . ونصت أيضا على تسليم أنظمة الخطوط في الاراضي المنتقلة وتسليم مقدار معتدل من المركبات لاستعمالها فيها . ويعهد الى لجان خاصة في تشغيل الخطوط التي تصل ما بين قسمين من بلاد واحدة وتجتاز في طريقها بلادا أخرى أو الخطوط الفرعية التي تمر من بلاد الى أخرى واذا لم تكن هناك اتفاقات خاصة فعلى ألمانية أن تسمح بمد مثل هذه الخطوط أو اصلاحها حسب الاقتضاء لتكون هناك خطوط منتظمة بين بلد من بلاد الحلفاء وآخر ، هذا اذا طلب ذلك منها في خلال ٢٥ سنة بموافقة جمعية الامم . والدول المتحالفة تدفع النفقات

توافق ألمانية بطلب حكومة سويسرة والحكومة الايطالية على نقض معاهدة ١٩٠٩ الخاصة بطريق نفق سان غوتر . ويوضع بدلا منها اتفاق وقتي تنفذ ألمانية بوجبه تعليمات تصدر باسم الحلفاء من حيث نقل الجنود والمهمات والذخيرة وما أشبه ذلك ونقل المؤونة الى بعض الجهات واعادة وسائط النقل العادية وخطوط البوستة والتلغراف

توافق ألمانية على الانتظام في كل اتفاق عام يعقد على أمور النقل وطرق الملاحة والمواني وسكك الحديد الدولية بموافقة جمعية الامم في مدة خمس سنوات من عقده . ويعهد في تسوية كل خلاف الى جمعية الامم . أما بعض المواد الخاصة كالمواد التي تنص على المعاملة المتساوية في مسائل مرور البضائع ونقلها فهي عرضة

تنقيح جمعية الامم لها في خلال خمس سنوات . واذا لم تنقح فانها تنفذ على كل دولة من الدول المتحالفة التي تسمح بمعاملة متبادلة

قنال كيل — تكون قنال كيل حرة ومفتوحة امام البوارج والبواخر التي لجميع الامم اذا كانت في حالة سلم مع ألمانية وتعامل رعايا جميع البلدان وبضائعها وسفنها بالمساواة من حيث استخدام القنال ولا تؤخذ رسوم ما الا الرسوم اللازمة لحفظ القنال واصلاحها ويعهد في هذا الى ألمانية واذا نقضت هذه الشروط أو جرى خلاف عليها فللدول المختصة ان ترفع المسألة الى جمعية الامم وتطالب تعيين لجنة مختلطة

الفصل الثالث عشر — في العمل والعمال

الاتفاق الخاص بالعمل والعمال — ينص هذا الاتفاق (أولا) على عقد مؤتمر دولي كل سنة لعرض اصلاحات في أمر العمل والعمال توافق عليها الدول التي تتألف جمعية الامم منها و(ثانيا) على انشاء هيئة ادارة تنفيذية تعد مذكرات للمؤتمر وانشاء مكتب دولي للعمال لجمع المعلومات والتقارير وتوزيعها . ويكون رئيس هذا المكتب مسئولا امام الهيئة الادارية و(ثالثا) على ان يكون المؤتمر السنوي مؤلفا من أربعة مندوبين عن كل حكومة اثنين عن الحكومة نفسها وواحد من أرباب الاعمال وواحد عن العمال ولكل مندوب ان يعطي صوته مستقلا . وللمؤتمر ان يوافق بأكثرية ثلثي أعضائه على الاقتراحات أو صور الاتفاقات الخاصة بمسائل العمل والعمال . ومتى تمت الموافقة عليها تعرضها الحكومات صاحبة الشأن على الدوائر المختصة لسن قوانين بها أو ما أشبه ذلك . فاذا وافقت عليها هذه الدوائر المختصة وجب على الحكومات صاحبة الشأن ان توقعها وتنفذها فاذا أهملت حكومة من الحكومات هذه الواجبات فالهيئة الادارية المذكورة ان تعين لجنة تحقيق تحكم بما ترى ولجمعية الامم ان تتخذ تدابير اقتصادية ضد الدولة المخالفة . و(رابعا) على اتخاذ تدابير خاصة لمنع كل خلاف يقع مع دستور الولايات المتحدة أو غيرها من الدول التي في حكمها . و(خامسا) على البلاد التي عوارضها وأحوالها الصناعية المتأخرة وغير ذلك من أحوالها الخاصة تجعل أحوال العمل والعمال فيها مختلفة اختلافا جوهريا عن أحوال غيرها . وعلى المؤتمر في أحوال مثل هذه ان يراعي هذا الاختلاف عند وضع أي معاهدة وقد الحق بهذا

الاتفاق بروتوكول بأن يعقد الاجتماع الاول في وشنطن في السنة الجارية و بتعيين لجنة دولية لهذا الغرض . وفيه أيضا جدول للبحث في موضوعات الاجتماع الاول ومن جملتها مبدأ جعل ساعات العمل ثمانيا في اليوم ومسألة العمال العاطلين واستخدام النساء والاولاد في الصناعات الخطرة خصوصا

والحق بالجزء الخاص باتفاق العمال عهدا من الدول الموقعة على هذه المعاهدة بشأن تنظيم أحوال العمل ومبادئه التي يجب على جميع البلدان الصناعية ان تسعى في تطبيقها عليها بقدر ما تسمح به ظروفها الخاصة بها . و بين هذه : ان لا يحسب العمال مجرد سلعة . حق أصحاب الاعمال والعمال في الاتحاد على كل عمل مشروع . ان يدفع الى العمال أجور توافق أحوال المعيشة في زمانهم ومكانهم جعل ساعات العمل ثمانيا في اليوم أو ثمانيا وأربعين في الاسبوع حيث لم يعمل بذلك حتى الآن. جعل ساعات الراحة في الاسبوع أربعاً وعشرين على الاقل وفي جملتها الاحد حيث يمكن ذلك . الغاء تشغيل الاولاد وحصر تشغيل الاحداث بحيث يسمح لهم بالاستمرار على الدرس والرياضة اللازمة . جعل أجور الرجال والنساء متساوية حيث العمل متساو . ان يراعى في شروط العمل القانونية في كل بلاد معاملة جميع العمال الذين فيها معاملة اقتصادية عادلة . ان تضع كل بلاد نظاماً للتفتيش يقصد به حماية العمال وتشترك النساء فيه

الفصل الرابع عشر ـ الضمانات

غرب أوربة — ضمانا لتنفيذ المعاهدة تحتل جنود الحلفاء والدول المشاركة لهم البلاد الالمانية الواقعة غربي نهر الرين ورؤوس الكباري مدة خمس عشرة سنة . فاذا نفذت ألمانية شروط الصلح بصدق واخلاص انجلت جنود الحلفاء عن بعض البقاع وفي جملتها رأس الكبري الذي عند كولونيا بعد مضي خمس سنوات . تنجلي عن بقاع أخرى ومن ضمنها رأس الكبري في كبلنز بعد عشر سنوات وعن الباقي وفي جملته رأس الكبري عند مايئز بعد ١٥ سنة واذا رأت لجنة التعويض الدولية ان ألمانية قصرت في انجاز عهودها كلها أو بعضها مدة الاحتلال أو بعد مضي الخمس

عشر سنة عادت جنود الحلفاء فاحتلت حالا تلك البقاع كلها أو بعضها . واذا أنجزت ألمانية جميع عهودها الخاصة بالمعاهدة الحالية قبل مضي الخمس عشرة سنة فان الجنود المحتلة تجلو عن أرضها حالا

شرق أوربة — وكذلك تعود جميع الجنود الالمانية الموجودة الآن شرقي الحدود الجديدة حالما يرى الحلفاء ان الساعة ملائمة لذلك : ويجب عليها ان تمتنع عن كل مصادرة وما أشبهها وأن لا تتعرض لتدبير من التدابير الدفاعية التي تتخذها الحكومات الوقتية المختصة

احتلال الاراضي — كل مسألة خاصة باحتلال الاراضي لاتنص عليها هذه المعاهدة تسوى بموجب معاهدات تعقد فيما بعد ويكون لها مفعول هذه المعاهدة وتأثيرها

الفصل الخامس عشر – شتى

شتى — تعترف ألمانية بصحة معاهدة الصلح والاتفاقات الاضافية التي تعقدها دول الحلفاء والدول المشتركة معها مع الدول حليفات ألمانية وتوافق على القرارات الخاصة بأراضي النمسة والمجر وبلغارية وتركية وتعترف بالدول الجديدة ضمن الحدود التي تعينها الدول الموقعة على هذه المعاهدة

وتوافق الدول على ان رؤساء اللجان يكون صوتهم بعض الاحيان فاصلا في المسائل التي تتساوى الاصوات فيها . أما أعمال المرسلين الالمان في الاراضي التي ستنتقل الى أيدي الحلفاء فتستمر تحت اشراف امناء تعينهم الدول التي تنتقل تلك الاراضي اليها . وهناك مادة تتعهد ألمانية فيها بأن لا تطالب دولة من دول الحلفاء الموقعة لهذه المعاهدة بمال بناء على حوادث سبقت العمل بهذه المعاهدة وتقبل جميع الاحكام التي تصدرها محاكم الغنائم التي للحلفاء بشأن السفن أو البضائع الالمانية ويحتفظ الحلفاء لانفسهم حق النظر في الاحكام التي أصدرتها محاكم الغنائم الالمانية

وقد حررت هذه المعاهدة بالفرنسوية والانكليزية وسيصادق عليها وتودع في باريس بأسرع ما يمكن ؟ ويلي ذلك نصوص مختلفة بشأن المصادقة

يسري مفعول هذه المعاهدة على كل دولة من تاريخ مصادقتها عليها

انتهت معاهدة (فرسايل)

الرحلة السورية الثانية

تمهيد

هاجر صاحب هذه المجلة من الديار السورية الى الديار المصرية في شهر رجب سنة ١٣١٥ هـ عقب انتهائه من طلب العلم في طرابلس الشام وأخذه شهادة التدريس (العالمية) لاجل القيام بعمل اصلاحي للاسلام والشرق ، لا مجال له في بلد اسلامي غير مصر ، ولاستفادة ما يعينه عليه من صحبة الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) والاقتباس من علمه وحكمته ، والوقوف على نتائج اختباره وسياحته ، وعمله مع حكيم الشرق وموقظه من رقدته ، (السيد جمال الدين الافغاني) قدس الله أرواحهما ، وكنت قبل ذلك أمنّي نفسي بالالتحاق بالسيد الحكيم ولزامه ومرافقته في ترحاله ومقامه ، فلما توفاه الله تعالى اليه نفضت عني رداء التمني والتواني ، وقلت لئن فاتني لقاء المعلم الاول فلن يفوتني لقاء الثاني ، [1] وأنشأت (المنار) في أواخر تلك السنة ولم أكن أنوي أن أشتغل بالسياسة ولا بالاصلاح من طريقها بل بالاصلاح الفكري والديني والاجتماعي ، ولكن السياسة السوءى عدوة الاصلاح ترى بقاءها بفقده وحياتها بموته ، فهي لا تترك القائم به اذا هو تركها وقد كان دعاني عبد القادر أفندي القباني صاحب جريدة (ثمرات الفنون) — اذ كاشفته في بيروت بعزمي على السفر الى مصر وانشاء صحيفة اصلاحية فيها — الى رياسة التحرير لجريدته فقلت له ليس في البلاد حرية تمكنني من ذلك . قال اترك الطعن في السلطان واكتب في الاخلاق والآداب ما تشاء فلا تجد مانعا ولا معارضا ، قلت أرأيت اذا بحثت في الكذب الذي هو شر الشرور على الاطلاق وبينت ان أكبر أسباب نشوءه وانتشاره هو الاستبداد المانع من قول الصدق والمعاقب على التزام الحق أيمكنني أن أنشر هذا في الجريدة وأكون آمنا من عقاب الحكومة ؟ قال كلا أن أمثال هذه المباحث

(١) أطلق لقب المعلم الاول عند المشتغلين بالحكمة العربية اليونانية على الحكيم ارسطو والمعلم الثاني على الرئيس ابن سينا

لايمكن نشرها في غير مصر فعجل بالسفر ولا تخبر بعزمك أحداً لئلا يصل الخبر الى الوالي فيمنعك منه

صادرت حكومة سورية العدد الثاني من المنار بعد توزيعه، لمقالة فيه عنوانها (القول الفصل في سعادة الامة) ليس فيها ذكر لحكومتها ولا لغيرها من الحكومات بسوء ، ثم صدرت ارادة السلطان عبد الحميد بمنع المنار من دخول مملكته في الشهر السادس من عمره وتلا ذلك اضطهاد والدي واخوتي لاجلي بعد خيبة سعي الساسة لاخراجي من مصر وعرض ما أحب من المناصب والوظائف العلمية أو غيرها في ديار الشام أو غيرها ، وبذلك حرمت من زيارة وطني الى أن أعلن الدستور سنة ١٣٢٧ فزرته عقب اعلانه اذ كانت البلاد ترقص به طربا والناس يحتفلون فيها لاظهار سرورهم بالخطب والاناشيد ، ويحتفون بمن يعود اليهم من المهاجرين الجاهدين ، والاحرار المنفيين وأشباه المنفيين ، ويتحاورون ويتناجون بما يجول في خواطرهم من الاماني والآمال ، وما يرجون من كبار الاعمال ، ويقدسون جمعية الاتحاد والترقي ويطرون من عرفوا أسماءهم من زعمائها ، ويكرمون كل من لقوا من أعضائها ،

قد علم قراء المنار في ذلك العهد أنني كنت باعلان الدستور مسروراً لامغروراً ، وراجيا خائفا ، لاراجيا متمنيا ، ولكني رأيت الناس في البلاد العثمانية سكارى من تأثير ذلك الانقلاب أكثرهم يحسب ان البلاد سعدت سعادة لا شقاء بعدها ، وأقلهم منزعج ممتعض لما فاته من المال والجاه في ظل الحكومة الحميدية وهم أعوان تلك الحكومة وجواسيسها . وقد أشرت الى أسباب خوفي ومثاراته في أول مقالة كتبتها في الترحيب بالانقلاب وأهمها توقع استبداد رجال الثورة من الاتحاديين وقيامهم بالعصبية الجنسية ودعوى « الحاكمية التركية » والغلو في الحرية ،..

لذلك كانت نصيحتي لاهل البلاد السورية التي أبثها في الاندية والمجالس وأرددها أكثر الخطب السياسية والادبية هي تذكيرهم بما يجب من المحافظة على العلم واللغة العربية والتهذيب والثروة ليكونوا أحياء أعزاء بأنفسهم ، ويعصموا رقبتهم في ظل دولتهم ، وقد رجوت أن أجد ثلة من الشبان المفكرين والكهول المحنكين أولي

عزيمة وشكيمة ، وأخلاق قوية ، ينهضون بذلك متعاونين فلم أجد عند أحد أملا في العمل للامة من طريق الأمة ، بل وجدت الاعناق كلها متلعة الى الحكومة والآمال كلها موجهة اليها ومحصورة فيها ، فحزنت حزنا شديدا ونبهت الجمهور الى غرورهم بالحرية الموهومة والسعادة التي يتمنونها من اعلان الدستور في مجالس كثيرة كان أوضحها وأظهرها خطبة ألقيتها في نادي الجمعية العثمانية في بيروت في احتفال كبير دعيت اليه عرضت فيها بتلك الاحتفالات العظيمة بالحرية وشبهتهم فيها بعاشق أم عمرو اذ هام صبابة بها وهو لم يرها ، ولا شاهد شيئا من محاسنها ، وانما سمع رجلا ينشد في الطريق:

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة ... ردي علي فؤادي أينما كانا

فاستنبط من هذا البيت ان أم عمرو أجمل النساء وأجدرهن بأن تعشق فعشقها ، ثم لم يلبث أن أخذه من الحزن والجزع لفراقها ، بقدر ما أصابه من الشغف والصبابة بها ، لبيت آخر من الشعر سمعه من رجل آخر مار في الطريق فاستنبط أنها ماتت وهو

لقد ذهب الحمار بأم عمرو ... فلا رجعت ولا رجع الحمار

هكذا صرحت بأولئك الجماهير انني أخشى أن تكونوا رقصتم طربا وهمتم سرورا بحرية متخيلة موهومة ، وأن ينتهي الامر بيأسكم منها وبكائكم عليها قبل أن تروها ، وتتمتعوا بما ترجون من السعادة بها ، وهكذا كان ، ووقع ما كان عندي ولم يكن عند الجمهور في الحسبان ، ولم يحل الحول على تلك الحرية الاتحادية وتقديس جميع الشعوب العثمانية لرجال جمعية الاتحاد والترقي حتى نجم في الجمعية قرنا الاستبداد والعصبية التركية ، فنطحت بهما الحرية والدستور وآمال الشعوب العثمانية فيهما حتى قضت عليهما فلم يبق لهما في البلاد العثمانية عين ولا أثر ، وما انقطعت آمال هذه الشعوب من الدولة التي دانوا لسلطانها عدة قرون الا وتجددت لهم آمال أخرى في حياة الاستقلال القومي بل صاروا يفضلون الزوال على الخنوع لاستبداد هذه الجمعية المغرورة المتهورة المتكبرة

كانت الدولة العثمانية في القرون الاخيرة ، التي قويت فيها دول أوربة واعتزت ، وتواطأت على استعباد الشعوب الآسيوية والافريقية ، هي الدولة الاسلامية الوحيدة المعترف لها بالحقوق الدولية معهم ؛ لذلك كان حرص المسلمين على بقائها واعلاء

شأنها عظيما جدا ، وكان تعلق الشعوب الاسلامية بها أكبرقوة لها في نظر دول أوربة عما كانت تتقي ايقاظ شعورهم السياسي بما يوحيه اليهم من الوحدة والاستقلال . ولم تكن لهذه الدولة هذه القيمة لا بكون بلاد العرب التي هي مهد الاسلام وموطن نشأته الدينية والمدنية جزءا طبيعيا منها ، ولكن الاتحاديين المستكبرين احتقروا العرب وبلادهم ودينهم فلم يرقبوا فيهم إلاً ولا ذمة ، ولا دينا ولا حرمة ، فاضطهدوهم وأذلوهم وحاولوا ابطال لغتهم التي هي لغة كتاب الله ودينه استغناء عنها ومحاولة لنسخها باللغة التي جعلوها لغة « حاكميتهم الملية » وجعل بلادهم الخصبة كسورية والعراق تركية محضة وجزيرتهم مستعمرة للترك يتصرفون فيها تصرف المالك في عقاره والسيد في عبيده وإمائه ،

فلما رأيت بوادر هذه السياسة الاتحادية السوءى رحلت الى الآستانة دار الملك سعيا لتلافي خطرها ، وايقاف ماكاد يستشري من ضررها ، قبل أن يتسع الخرق على الراقع ، فمكثت في دار الملك سنة كاملة اطلع طلع القوم بمحاورة زعمائهم ووزرائهم ، ومذاكرة علمائهم وعقلائهم ، وما عدت من تلك العاصمة الا وأنا موقن بأن هذه الجمية ستقضي على هذه الدولة ، وأن اضطهادها بسلطة الحكومة للعرب سيعيد اليهم عصبيتهم الجنسية التي فقدوها في بلاد حضارتهم كسورية والعراق، ودعوت على السعي لجعل القاعدة التي يرفع عليها بناء النهضة العربية هي العلم والثروة والوحدة حتى لا تتوقف حياتهم على حياة هذه الدولة ولا يموتوا بموتها ، مع الحذر من ان يكونوا باختيارهم سببا من أسباب سقوطها ، والاجتهاد في موالاة الشعب التركي والتعاون معه على مكافحة النزعات الالحادية والنزعات المادية ، وقد أسس في أثناء اقامتنا في الآستانة (المنتدى الادبي) لجمع كلمة شبان العرب المشتغلين بتلقي العلوم والفنون في مدارسها والتعاون على طلب العلم والتعارف والتآلف في سبيل الارتقاء

بعد العودة من لآستانة بأشهر رحلت الى (الهند) فمسقط فالكويت فالبصرة فبغداد فسورية واتفق بعد وصولي الى سورية ان ظفر حزب الحرية والائتلاف في الآستانة بحزب جمعية لاتحاد والترقي في مجلس المبعوثين وما كان الفلج لهذا الحزب الا بتألفه من أحرار العرب ومنصفي الترك وكانا حزبين فاتحدا وصارا حزبا واحدا ،

فرأيت السواد الاعظم من السوريين فرحين مغبوطين بخذلان الاتحاديين بقدر ما رأيت قبل ثلاث سنين من اغتباطهم بهم وافتخارهم بالانتماء اليهم، وانتمى الاكثرون منهم الى الائتلافيين خصومهم ، وخفتت أصوات من بقي من أتباعهم فكان الالوف من الناس يجتمعون في الاندية والمحافل يتبارون في إلقاء الخطب والقصائد في الطعن فيهم والتشفي منهم ، بعد ان كانت تلقى في الفخر بهم والثناء عليهم ، وابتغاء الزلفى عندهم والوسيلة اليهم

ثم أديل لهم من خصومهم الائتلافيين في عاصمة الملك فنكلوا بهم فيها شر تنكيل ولم ينج من زعماء هؤلاء الخصوم الا من فر متنكرا الى أوربة أو مصر (ومنهم أمير الالاي صادق بك والاستاذ حسن صبري أفندي ورشيد بك ناظر الداخلية) وكان ذلك كله في أثناء حرب البلقان التي انكسرت فيها الدولة العثمانية حتى كادت دولة البلغار الجديدة تأخذ القسطنطينية منها عنوة ، ولولا ما أصاب الدولة منها من الضعف والوهن وما كان في أثنائها من سحب قواها العسكرية من الولايات العربية لانتقم الاتحاديون ممن أظهروا لهم العداوة في البلاد العربية ولا سيما الذين ألفوا الجمعيات الوطنية كما انتقموا من أعدائهم في العاصمة ، ولكنهم لضعفهم أسروا الكيد ، وكظموا الغيظ والضغن ، وأظهروا الميل الى الاصلاح والجنوح الى الصلح ، وكان من أمرهم في إبان انعقاد المؤتمر السوري في باريس ما هو معروف ، وفي استمالة طالب بك النقيب بعد محاولة اغتياله أن توسلوا به الى الاتفاق بينهم و بين الامير ابن سعود

وقبل الانتهاء من تمثيل دور الاتفاق بينهم و بين ممثلي الحركة السياسية من العرب في العاصمة (وفي مقدمتهم أصدق أخلائنا وأشهر ساستنا السيد الزهراوي و باقعة شباننا عبد الكريم الخليلي) اشتعلت نار الحرب الاوربية الكبرى ولم يلبثوا أن أصلوا الدولة العثمانية سعيرها ، وأحرقوها بشرر شرورها ، وفي أثنائها اختاروا لقيادة فيلق سورية (منبت النهضة العربية) أشد زعمائهم قسوة وأغلظ قوادهم قلبا واضراهم بسفك الدماء أحمد جمال باشا الذي نكل بخصومهم الائتلافيين في العاصمة ذلك التنكيل الفظيع ، ومنحوه السلطة المطلقة فخدع أهل البلاد أولا باظهار الميل الى العرب

والرغبة في مساعدة النهضة العربية ، وجعلها عونا وظهيرا للنهضة التركية ، تأييدا لما بقى لها من الجامعة الاسلامية ، وما زال يقتل منهم في الذروة والغارب ، الى أن عرف أصحاب الافكار الدينية ، والفصاحة المؤثرة ، وأولي المبادئ الثابتة ، والعزائم الصادقة ثم ماذا تم في الحرب الى ان تم الجيوش من البلاد وقذف ببعضها جيوش الروسية في حدودها الزمهريرية ، وألقى بالبعض الآخر في أتون ساحة الترعة الكبرى ، ومكن لنفسه في البلاد — بعد هذا كله بطش تلك البطشة الكبرى تقتيلا وتصليبا للافراد النابغين ، وتشريدا وتغريبا للاسر والبيوتات والاغنياء والوجهاء ، وتلا ذلك نكبة المجاعة المجتاحة ، في إثر المصادرات الكثيرة للاموال الناطقة والصامتة ، حتى أكل الناس الاقذار والجيف ، بل أكلت الامهات أولادها ، وهو يرى ويسمع ، ويتمتع ويفسق ويفجر ، وينهى ويأمر ، وفعل أقرانه وأقتاله في العراق نحوا مما فعل في سورية ، فلما يأسوا الامة العربية من الدولة العثمانية ، واضطروها الى إعلان الثورة في البلاد الحجازية ، فكانت من أسباب تقليص ظلها عن رؤوسهم ، وزوال سلطانها من بلادهم ، ولكنه بسبب اضطراري ، لا بمقصد اختياري ، وانما كان القصد حياة العرب بالحرية والاستقلال ، لا إماتة الترك بأيديهم ، ولا اماتة أنفسهم تحت أرجلهم ، ولا مجال في هذا التمهيد للاشارة الى شيء من وصف هذه الثورة ولا بيان ما عرفنا منها وما أنكرنا ، وانما نختمه بأن الحرب العامة انتهت باحتلال جيش الثورة مع جيوش الحلفاء للبلاد السورية ، وبعد مرور بضعة أشهر على استقرار الاحتلال ، وتبدل الاحوال ، تيسرت لنا الرحلة الثانية الى هذه البلاد ، وسنبين ما نرى فيه الفائدة والعبرة مما رأينا وسمعنا فيها ، وموعدنا الاجزاء الآتية من المنار ؟

تصحيح أغلاط الجزء السادس من م ٢١ منار (١)

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٢٧	١٩	بكاه	بكاة	٣٣١	٦	وعدتي	ماوعدتني
»	٢٠	له	الحالة	٣٣٢	٢	اذ	اذا
٣٢٨	٨	قد	لقد	»	٣	جوم	نجوم
»	١٧	باقتصار	اقتصار	»	٦	وانتشر	فانتشر
٣٢٩	٣	أحول	أحوال	٣٣٣	٢	ترى	لاترى
»	١٦	عادة	وعادة	»	٩	واعتذارا لمؤلفه	اعتذارا له ولمؤلفه

(١) انظر ص ٣٩٢ من هذا الجزء

سورية بعد التحرير

لا تدعوا الى الفتنة فان أسرع الناس
الى القتال أقلهم حياء من الفرار

الاحنف بن قيس

أذكى أوار هذه الحرب الضروس قوم ظنوا أن لهم بها جر مغنم ، وأضرم نارها أقوام دُعُوا اليها دعاء مؤمل دفع مغرم ، وساعد فيها شعب آخر ليمنع اقتراف المأثم ، ويحول دون فناء العالم ، خدمة للانسانية التي تتألم . دارت رحاها خمس دورات ، وجرت جيادها خمسة أشواط ، وقطب رحاها ثابت وقصب السبق أحرز — أو كاد — فوضعت السفاحة الاشمرية مبادئ لاخماد ثورتها ، واسكان براكينها رحمة بالانسانية ، فانقادت الفضيلة الشخصية لتلك المبادئ السامية فانجلى المغير عن أراضي احتلها وعلم الصياصي التي كان قد أحكم بناءها . وظُن ان فجر سعادة الانسانية قد تنفس ، وان قد تساوت الامم والشعوب في الواجبات والحقوق ، وانتشر لواء الحرية يطوي علم الاستعباد . ماذا جرى بعد ان وضعت الحرب أوزارها ؟

تناول ذلك الدهاء المعمري تلك المبادئ فحولها عن وضعها بالتأويل والتحريف فاستخلص منها معاهدة الصلح كانت علة لجميع الحروب المنبثة ، من تلك المعاهدة وستكون سبب حروب المستقبل وخراب العالم [1] فاذا كانت مبادئ ولسن محكمة عادلة فان المعاهدة مخشرية جائرة . جاس قوم خلال ديار قوم آخرين فاستباحوا بيضتهم ، وانتهكوا حرمتهم والله من ورائهم محيط

أجلبت أمم بخيلها ورجلها على الوادعين الساكنين الآمنين من جيرانها فكانوا الى الفتنة أسرع من اختطاف البازي أو هوي العقاب . فلما صرحت الرغوة عن اللبن الصريح ، واستبان الراجل من الراكب وميز الاجرب من الصحيح ، نكصوا على أعقابهم فولوا الدبر غير معقبين

استيقظت المبادئ الوطنية أمما وشعوبا من سباتها ، ووقفت المرضى بباب الشفاء والموتى بباب الحياة — وان يكن المؤولون قد أوردوا معظم الشعوب شعوبا وجعلوا الخير المأمول منها مقلوبا — فان دم الحياة قد دب في الاجسام ، وتيار الانقلابات من

(١) أنظر مبادئ ولسن ومعاهدة فرساي

معاملة المستعمر بين [illegible] تمشي في العقول ، وتسرب الى القلوب وتقرب ما كان قد تباعد ، والتاريخ صحيح [illegible] بلاد كانت أعرق الأمم بالارستوقراطية ، بل لم يكن يدين بعبادة البشر — أو الملوك — لا جرأ أحد على وجه البسيطة إلا ما كان في روسية (منبعث النور الآن)

وكان من تلك الأمم والشعوب من تحفز للوثبة ، وأعد للاستقلال العدة الامة العربية بأسرها وخصوصا أهل الشام والعراق وشبه الجزيرة منها

كونت هذه الامة الاحزاب وألفت الجماعات ووضعت الانظمة والقوانين لادارة حركتها [illegible] وتوطيد [illegible] وإعلاء [illegible] وأول مظهر من مظاهرها قيام ملك الحجاز على أسرته وأبناء دينه (الترك) دفاعا عن أبناء وطنه وجنسه قام بالثورة وشد عضده في ذلك بنوه وبعض [illegible] الامة العربية في مهاجرها وأوطانها ، وانسل من بقي من شبان العرب في الجيش التركي فانضموا الى هذه الحركة طمعا بتأسيس مملكة عربية تضم جناحي الجزيرة الى قلبها

قام الثائرون قومتهم وساعدوا الاحلاف حاضرهم وباديهم على كسر شكيمة الترك وخضد شوكة لا عهد لهم بمثلها فانجلى الترك عن العراق والشام والحجاز بعد أن قتلوا النابغين من شبان العرب ، وألبسوا أهل القطرين (الشام والعراق) لباس الجوع والخوف ، وساموهم أنواع التعذيب والخسف

فرح أهل البلاد العربية بتقلص ظل الترك عن ربوعهم وخصوصا النابهين منهم — [illegible] بالعقلاء — بناء على وعود وعدها الاحلاف لملك حسين ابن علي أخذت بها [illegible] كانت كافية [illegible] ان معاهدة (سايكس بيكو) لها كمعاهدة فرساي تلك [illegible] معاهدة الصلح [illegible] مع الحلفاء استقلال سورية والعراق على [illegible] المحررين [illegible] حقوقا قديمة وحقوقا حديثة وحدثت [illegible] بين دول الاحلاف فكان من جراء ذلك [illegible] سورية وحدها [illegible] وتمزيق [illegible] تقسيم غير عقلي ولا شرعي ولا طبيعي ، تقسيم جعل بأس الاهلين بينهم شديدا وأورث في قلوب المختلفين بعضهم لبعض ضغنا جديدا ، ومزق احشاء البلاد كل ممزق ، تقسيم

يستحيل معه دوام الراحة وتمكين الاستعداد للرقي الذاتي والاستقلال، فالرقي ويعرقل مهمة الانتداب ويشل يد الاستغلال .

« من غرائب الطبيعة غلب » بأي وسيلة تقسم بلاد متصلة الحدود مشتركة المنافع متحدة اللغة الى ما يسمى المنطقة الغربية ثم تقسيم هذه المنطقة الى لبنان والساحل . ومنطقة شرقية ومنطقة جنوبية أو مملكة صهيونية

خلق الله هذه المملكة من الارض متصلة متداخلة بعضها ببعض وخرقت لها السياسة ممالك ونسبت اليها أقواما ليسوا في العير ولا في النفير .

أحيت السياسة من ثنايا الدهر وطيات الزمان اسم الفينيقيين وأحدثت فكرة الصهيونيين بعد ان محيت فينيقية من لوح الوجود ، وزلزلت طوارق الحدثان ملك اليهود ، و بدلت الارض غير الارض

دعت الحاجة الى احياء الفوارق الدينية ، و بعث العصبيات المذهبية » بعد ان أزال ظلم الاتحاديين كوامن الاحقاد وأحدثت الامة ايما اتحاد .

جرى كل هذا وادعاء الاصلاح لايزال قائما ، وقضية الاستقلال معترف بها ولكن النفوس ملت الوعود بعد ان طالبت بالقيام بالعهود ، قبل ان يتسع الخرق على الراقع ، وتزهق الانفس وترى الديار بلاقع .

فلذلك عقد المؤتمر السوري في دمشق وأعلن استقلال سورية جماء [1] استنادا على الحقوق الطبيعية والقومية والجغرافية والسياسية . واعتمادا على المبادئ الوِلسنية واعتراف الاحلاف بهذا الاستقلال

ثم اجتمع مؤتمر عراقي في دمشق فأعلن استقلال العراق وانتخاب الامير عبدالله نجل الملك حسين ملكا عليه

تناقلت الصحف والبرق خبر هذا الاستقلال ولم يعترف به الحلفاء بعد ، وقد رأينا ان نثبت هنا مقالة نقلتها احدى الصحف المصرية عن مجلة (الرفيو) تحت العنوان الآتي

(١) سننشر وثائق الاستقلال السوري العربي في الجزء القادم

﴿ استقلال البلاد العربية ﴾

« كنا أول من نادى بوجوب الاعتراف باستقلال البلاد العربية وقد نشرنا في في اليوم الثاني لقرار مؤتمر دمشق ما يؤخذ منه صراحة ان من حسن السياسة أن تعترف فرنسة وانكلترة بالامير فيصل ملكا على سورية والعراق وفلسطين فعاند البعض وكابر وأنكر علينا هذا القول ولكن الحوادث جاءت الآن مؤيدة لنا ونرى أيضا ان الذين يديرون دفة السياسة في بلاد الحلفاء قد اقتنعوا الآن بوجوب تحقيق رغبة الشعوب العربية

ان المعاهدة التركية التي سيضعها مؤتمر سان ريمو ستعين حدود المملكة التركية وتفصل منها عشرة ملايين من العرب الذين اشتركوا في هذه الحرب مع الحلفاء ضد تركية فاستحقوا بذلك أن ينالوا الحرية والاستقلال بلا شرط ولا قيد أعني أنه يجب على الحلفاء أن يتنازلوا عن كل تفويض أو وكالة على هذه البلاد وبهذه الكيفية يعود السلام الدائم الى هذه البلاد فلا نعود نسمع فيها قعقعة السلاح ولدى النظر في تنظيم آسية الصغرى يجب أن لا نترك الشعوب العربية ألعوبة في يد المصادفات السياسية

إن تكوين مملكة عربية قوية يضع حداً لكل هذه الاضطرابات ويعيد الأمن والسلام الى هذه الربوع الشاسعة ويضمن أيضا مستقبلها الاقتصادي وفي هذه الحالة تكون فرنسة أول من يستفيد من نمو الزراعة وازدياد التجارة والصناعة التي لها فيها مركز ممتاز من قديم لا يجب تضييعه . انا في الغالب نترك مزاحمينا الاكثر مباراة ونشاطا يسبقوننا الى اقتنام الفرص ولكن اذا جرينا على سياسة مخالفة لهذا الرأي فسيسبقنا غيرنا . ولا ندهش يوما اذا وجدنا أنفسنا في عزلة عن الاتحاد الاوربي كما حدث في المسألة الروسية وغيرها وقد علمتنا التجارب في الماضي أن نتعظ بها على الاقل في هذا الوقت وأن نتبع في آسية الصغرى الاحتراس والاقدام بحيث اذا أخرنا قدما عن البلاد العربية فلا عذر لنا اذا ضاع نفوذنا الاقتصادي

ان انكلترة التي ترقب الحوادث عن بعد تستعد الآن للتنازل عن دعواها

في العراق واذا ننصح لها بأن تسرع في ذلك ولا ننسى أن حلفاءنا من أصحاب التجربة الذين يعرفون كيف يغتنمون الفرص والذين متى رأوا انه لايمكنهم العمل بخلاف ذلك ينفذونه طبقا للظروف وهي حكمة سياسية

«ومن المرجح ان اعترافنا باستقلال سورية سيقابل في شمالي افريقية بكل سرور وابتهاج وسيوطد نفوذنا فيها ولا بد ان تبتهج جميع الامم أشد الابتهاج اذ ترانا نعامل بالرفق والاعتبار اخوانها الذين يسكنون بين البحر الابيض المتوسط والخليج الفارسي

«ونحن نلاحظ مع الارتياح ان انكلترا تحبذ هذه الخطة

«وها نحن نشعر بتغيير محسوس في لهجة الجرائد الفرنسية من بضعة أيام مما يجعلنا نرحب بهذا التغيير الذي يفتح أعين من بيدهم زمام السياسة الخارجية ليروا الحقيقة وهذا ما اتبعته الجرائد الفرنسية الكبرى ولكن يجب عليها أن لاتقف في نصف الطريق وأن تستمر المجاهدة ومتى صار الاعتراف باستقلال سورية يجب علينا المساعدة في تأييده لتحيا حياة مضمونة

«ان فرنسة تظهر عظمتها بضمانة حقوق وحرية كل فرد وبذلك ستنال ثمار حكمتها وحذقها .

«ومن المحقق ان التدابير القديمة التي لاتزال نوجهها ضد الملك فيصل ستحفظ لفرنسة محلا غير لائق في الحكومة السورية وقد بين ذلك الجنرال نوري بك الذي أوفده الملك فيصل الى باريس ليوضح لحكومات الحلفاء مركز سورية والعراق وعلى الخصوص قرار مؤتمر دمشق في حديث له أفضى به آخر هذا الشهر لمندوب الصحف الفرنسية وفي الاستطاعة أن نعتمد على شرف الملك فيصل وفوق ذلك فان سورية دائما في حاجة الى فرنسة فلذلك يجب أن نتأكد أننا سنقابل دائما في سورية كاصدقاء يمكن الاصغاء بالاحترام الى نصائحهم واقتراحاتهم وسنحفظ لنا مستقبلا زاهرا في هذه المملكة التي تسمى بحق شقيقة فرنسة في مدنيتها القديمة والتي لا تطلب الا أن نعيش الآن عيشة راضية تحت ظل ومساعدة الحلفاء . وسيجد صنعنا وتجارنا وأساتذتنا في البلاد العربية ميدانا واسعا لاظهار نشاطهم ومقدرتهم ومشروعاتهم .

«واذا تقرر الاعتراف باستقلال سورية والعراق فسيحفظ في فلسطين منطقة خاصة

تحت الرقابة البريطانية ومعلوم أن فلسطين تشمل الاماكن المقدسة وعددا عظيما من اليهود مختلطا بأجناس مختلفة تعيش معا في الشرق فيجب اتخاذ مايكفل حقوق كل واحد في هذه المنطقة واحترام الاماكن المقدسة التي يقدسها العموم ولا يوجد مايبرهن على عدم كفاءة العرب لاخذهم هذه المسؤلية على عاتقهم لان الشعوب العربية تحترم أكثر من غيرها حقوق وعادات وعقائد الآخرين الذين يستظلون ظلها .

«إن فرنسة لايمكنها أن تمد يدا لتقطع أوصال البلاد العربية بل يجب عليها أن تعمل مع حلفائها بما يطابق رغبات الشعوب . مثل هذه الرغبة ستجلى في حل مسألة لبنان ومؤتمر دمشق والملك فيصل يعترفان ولا بد للبنان بالحق في أن يفصل في شأنه ويعرب عن مصيره ولاهل لبنان الحق في تأليف مملكة أو جمهورية وأن يضعوا شرائعهم بحرية تامة وكل رجائنا أن لايكره اللبنانيون على الانضمام الى حكومة سورية»

انتهى مانقلناه عن مجلة الريفيو وذكرت نحوه جرائد أوربية أخرى وقد أوضح مؤتمر (سان ريمو) المقصود من الانتداب والوصاية وأيد اتفاق الاحلاف على مخلفات الرجل (المتوفى) وسواء أكنا استقلاليين أم كنا احتلاليين فانه ليؤلمنا تأخير البت في مصير بلادنا وان صبرنا انه كان من أسباب تكون الامة وتنشئة الحياة الاستقلالية فيها ، فان أمانيّ ضاعت وآمالا خابت وشرة أخذت في كثير من بلاد وأقوام الامة السورية ، ولم تكن الضائقة الاقتصادية والسياسية بعد التحرير بأخف منها أيام الاستبداد

لو احسن أولو الشأن صنعا لصينت نفوس وحفظت اعراض ولاستغني عن مناوشات وحروب كثيرة ، بل لو كان المستشارون (غير الرسميين) من الوطنيين غير ذوي اضغان لسبل كل عمل يراد دون التقتيل والتنكيل واغراء الاهلين بعضهم ببعض مما يزرع الاحقاد بين طوائف الامة فتكون وبالا مستقبلا على الحاكم والمحكوم

ثم مابالنا نرى اشد الناس اغتباطا بالتحرير والاصلاح اسرعهم الى الهجرة في ابانه !! مع ان بلادهم جعلت تحت سيطرة أمة المدنية التي هي اكثر الناس احسانا اليهم

اقرأ فصلا نقلناه في هذا الجزء عن كتاب فلسفة الحرب ثم اقرأ مانقلنا في هذا المقال عن الريفيو . وراجع مايقوله الوزراء وأصحاب الاقتدار بهذا الصدد وما يتوخا

الاستبداد في مستقبل سورية، وقابل حالة سكان سورية الجنوبية والشرقية والشمالية بالعربية وإحكام على مستقبل الأمة في عصر الحرية السعيد الذي يتبعه لا محالة تطبيق ناموس تنازع البقاء أو بقاء الأصلح واعلم أن كل سلطة منحدرة من الملوك وأن صاحب السلطة لم يعط السلطة مرة

(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء)

صالح مخلص رضا

تقريظ المطبوعات الجديدة (*)

ديوان إيليا أبو ماضي (الجزء الثاني) صفحاته ١٩٢ بالقطع الكبير طبع في [illegible] نيويورك سنة ١٩١٩

شعر إيليا أبو ماضي معروف لدى فريق الأدب عامة وقراء المنار خاصة تدور [illegible] المواضيع المتنوعة من سياسية واقتصادية وأخلاقية وأدبية وقصصية، وقد [illegible] إلى أحد أفاضل أدباء السوريين، وكتب له [illegible] جبران خليل جبران الكاتب الاجتماعي الكبير مقدمة في الشعر والشاعر والخيال [illegible] في الإبداع والوصف [illegible] من طبيعة الوجود.

ومن قصائده السياسية [illegible] أم القرى [illegible] في الوصف والشاعر والأمة في السياسة ونهوض الأمة وتقدمها، وكذلك قصيدة «وداع وشكوى» التي يصف بها سفره إلى (نيويورك) لكنه أبكى على شعبه وبلاده اللاتي في هذه القصيدة وظهر مظاهر اليأس من عودة مجد الأمة إليها لتقاعسها واستبداد حكومتها فمنها قوله:

وطن أردناه على حب العلى ... فأبى سوى أن يستكين إلى الشقا

كالعبد يخشى بعد ما أفنى الصبا ... يلهو به أسياده أن يعتقا

شعب كما شاء التخاذل والهوى ... متفرق ويكاد أن يتمزقا

لا يرتضي دين الإله موفقا ... بين القلوب ويرتضيه مفرقا

لم يعتقد بالعلم وهو حقائق ... لكنه اعتقد التمائم والرقى

(*) كتب تقاريظ هذا الجزء شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

ومنها : وحكومة ما ان تزحزح أحمقا عن رأسها حتى تولي أحمقا

الى ان يقول : بغداد في شطط ومصر رهينة وغداً تنال يد المطامع جلقا

ومنها في الدولة ضعفت عزائمها ولما ترعوي عن غيها حتى تزول وتمحقا

ولو شئت أن أختار من شعر ايليا لاثبت منه هنا شيئا كثيراً، وان شئت قلت كان علي أن أثبت معظم قصائد الديوان

ديوان العقاد الجزء الاول منه صفحاته ١٢٧ بقطع المنار طبع بمطبعة «السفور» بمصر سنة ١٣٣٤ ه ويطلب من مكتبة المنار

ناظم هذا الديوان محمود افندي العقاد المشهور بفضله وأدبه ونثره ونظمه وحرية ضميره وقد صدر ديوانه هذا بمقدمة في تأثير الآداب في نهوض الامم ، وفرق فيها الادب الى فرقين : أدب ذكاء وأدب طباع وعلق الرجاء وناطه بالثاني منهما

لست وقد طال العهد على تقريظ ديوان العقاد بمقرضه الآن أو مقرظه . ولكنني أشير اليه اشارة وأنتظر صدور الجزء الثاني منه

من غرر قصائد هذا الديوان قصيدة (الحب الاول) التي عارض بها قصيدة لابن الرومي أبياتها ١٩٣ وموشح « سباق الشياطين » ومن مقاطيعه

(في الحياة) - : قالوا الحياة قشور قلنا فأين الصميم

قالوا شقاء فقلنا فأين يبقى النعيم

ان الحيـاة حياة ففارقوا أو أقيموا

و (تنازع الفردوس) يتحاسدون على الهباء فما لهم لايحسدون البر فيما يؤجر

نقموا على الكفار أن تركوا لهم أجر السما وأنكروا ما أنكروا

لو كان ماوعدوا من الجنات في هذي الحياة اسرهم من يكفر

و (ضيق الامل) شر ما يلقى الفتى أجل ضيق عن واسع الامل

ولشر منهما أمـل ضيق عن فسحة الاجل

ومنها : (الزمن) ان يوما بوهيبات هيبا ت بنادي الطريق بعد ذهابه

نحن نستدفع الزمان فاذ فا ت أخذنا بالذيل من جلبابه

ياله زائرا يحمل اذا جا ء ويفدى بالروح عند ذهابه

الأزاهير المضمونة ، في الدين والحكومة — صفحاته ٣٩٧ بالقطع الوسط طبع سنة ١٣٣٨ هـ في مطبعة عثمانية

[illegible] ([illegible]) مضبوطا بالشكل الكامل على ورق جيد

مؤلف هذا الكتاب هو المعلم أمين ظاهر خيرالله الشويري اللبناني ابن صديقنا المأسوف عليه المعلم ظاهر خيرالله صليبا وقد صدره بهذين البيتين

هذا الكتاب حوى علما ومعرفة   بطاعة الله في جهر وأسرار
من اصطفاه دليلا في مناهجه   يحز بدنيا وأخرى خير أوطار

وافتتحه برسائل أولاها بعرض الكتاب على ملك الحجاز . والثانية أمر الملك بتقديم الكتاب الى نجله الامير فيصل (ملك سورية) والثالثة . والرابعة والخامسة معاملات ومراجعات بشأن الكتاب ثم تقرير المجمع العلمي (بقلم الشيخ عبدالقادر المغربي) ثم « تقدمة الكتاب » الى ملك الحجاز وأنجاله

أول الكتاب ثم « حقائق لابد منها » وهي ، ثم ديباجة الكتاب ، فالفصل الاول في وجود الله ثم بقية الفصول الى الرابع والعشرين وكلها في فلسفة الوجود والتدين والدين وعلاقة الانسان بالخالق وحكمة خلق الانسان الى غير ذلك مما ينتظم في سلك مباحث كلامية أو لاهوتية أدبية جعلها دعائم ومقدمات لما يريد بناءه وتثبيته من ضرورة الدين لصلاح الدارين ، وهي الشطر الاول من الكتاب . وأما الشطر الثاني وهو المقصود بالذات من الكتاب فيبتدئ بالفصل ٢٥ (الدين أساس العمران) و ٢٦ (تدين رأس الحكومة) الى الفصل ٤٨ ثم الذيل وهو فصلان الاول (لابد للحكومة من دين) والثاني (دين الحكومة العربية الاسلام)

والمطلع على هذا الكتاب يعجب بفضل مؤلفه وشدة عنايته به مدفوعاً بباعث التدين الحقيقي وحب الوطن وخدمته وبلوغ الجهد في خدمة الامة العربية ، وقد أفرغ وسعه في جمع المسائل وإيراد الادلة عليها من عقلية ونقلية . فجزاه الله عن العربية وأهلها خير الجزاء ، هذا وإننا نتمنى لمؤلفه هذا الرواج لتعم فائدته ويجزل عائدته

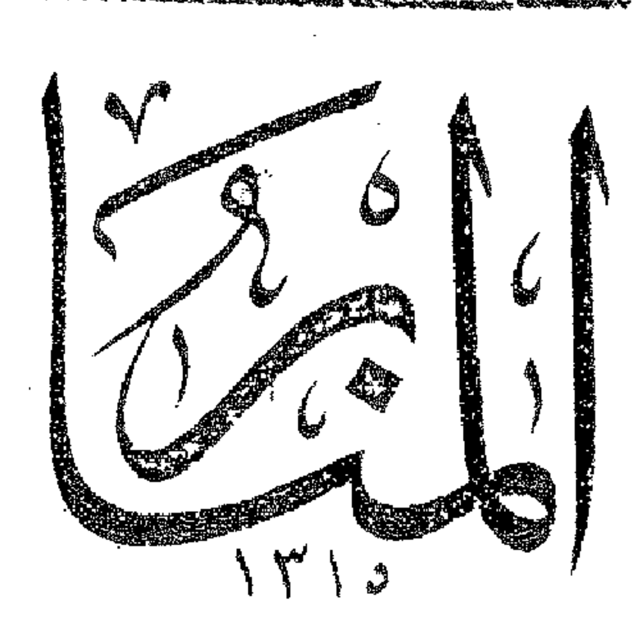
تصحيح أغلاط في الجزء السادس م ٢١ منار

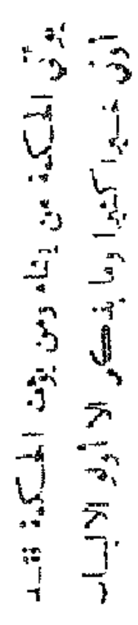
صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٨٢	٣	فرق	فريق
٢٨٤	٩	التفاوت	من التفاوت
٢٨٥	٤	برضياه	برضيان
»	١٥	فقل	قل
»	١٨	تسخرون	تسحرون
٢٨٩	١٤	واهو	وهو
»	١٥	اذا	اذا
٢٩٨	١٦	احلتاها	احتلتاها
٢٩٩	١٠	بنفسها شيا	لنفسها شيئا
»	١٢	سكويث	اسكويث
٣٠٠	١٤	سكن	يمكن
»	١٩	استقاله	استقلاله
٣٠١	٢	فينتحيل	فيستحيل
٣٠٢	١	بهذا	قيام بهذا
»	٧	الاختبار	الاختيار
»	٩	الاهيه	الاهلية
٣٠٣	٦	الحكومتين	الحكومة
٣٢٠	٩	اذا	الا اذا
٣٢٤	٨	رعيس	وعيسى
»	٢٣	يجوز	يجوز
٣٢٧	١٠	والصالحين	والشهداء والصالحين

تصحيح أغلاط في هذا الجزء تصحح بالقلم

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٣٧	١٠	اليها	أبها
٣٣٨	١٤	لم تحذف	يحذف
»	٢١	امرتها	شرتها
٣٣٩	١٤	طوع	طوع
»	١٥	ذكرنا	ذكونا
»	١٧	المبنى	المبني
»	٢٣	الحذابة	الجذابة
٣٤٠	١	و.روة	وذروة
»	٤	يورث	يوزث
»	٧	وزخائرها	وذخائرها
»	١١	موازة	مؤازرة
»	١٩	ربيكو	ويكو
»	٢٤	والجنة	والجنية
٣٤١	١	فشكت منه الصحافيون	فشكا منه الصحافون
»	٢	السياسة	السياسة في فرنسة
»	١٨	المتقون	المتقين
٣٤٤	٩	في	من
»	١٧	المقدمون	المقدمين
»	١٨	تقرر	تعزز
»	٢٢	[illegible]	[illegible]

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

مصر غاية رمضان سنة ١٣٣٨ — ٢٦ الجوزاء (ر ٣) سنة ١٢٩٨ هش ١٧ يونية سنة ١٩٢٠

مذكرات الدكتور صدقي (*)

في فلسفة الوجود

ننشر هذه المذكرة هنا في فلسفة الوجود وإثبات الخالق جل شأنه، وقد كتبتها بعد تفكير طويل، وبحث عميق، وسترى فيها ان شاء الله تعالى أقوى دليل على وجود الخالق بحيث انك ان تجد فرقا بين قوة هذا الدليل وقوة دلائل العلوم الرياضية وغيرها فنقول:—

بديهيات لا بد من ذكرها قبل الدليل : الضدان لا يجتمعان وقد يرتفعان . النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان . الترجيح بدون مرجح محال . واجب الوجود هو ما لا ينفك عنه الوجود لا أزلا ولا أبدا فهو قديم باق . الجائز هو ما يجوز عليه الوجود والعدم، ولا يرجح وجوده الا بمرجح أو موجد أو سبب . المستحيل هو ما لا يتصور في العقل وجوده . ايجاد الموجود تحصيل حاصل محال

نظرة في الكون : هذا الكون مركب من مادة وصورة ، فالمادة كل ممتد أو متحيز ، والصورة إما خيالية لا توجد الا في الذهن أو المخيلة كصورة الاثير مثلا ونسميها أيضا الهيئة أو الحالة ، وإما وجودية تدرك بالحواس كشكل أي جسم معتاد ، وقد تسمى المادة بالجواهر أو الذات وهي ما قام بنفسه ، وتسمى الصورة بالعرض أو الصفة الاضافية وهي ما قام بغيره ويستحيل قيامه بنفسه

واذا استرسلنا في التفكير والفرض فقد يجوز أن يكون أصل العالم غير ممتد وغير متحيز بأن كان في حالة أو هيئة لا يمكن أن نتصورها بعقولنا لاننا لا نتصور الا المتحيز وأنما فرضنا ذلك جدلا لكيلا يطرأ على دليلنا الآتي احتمال ما أو ضعف بأي وجه من الوجوه

أما الذات أو الجوهر فليس في مقدور البشر ايجاده أو اعدامه . وأما العرض أو الهيئة أو الحالة فهي مما تتعلق بها قدرة البشر ايجادا واعداما ، فمثلا قد نجمع من المادة أصنافا ونوجد منها بيتا أو غيره ثم نهدمه ، فنحن قادرون على ايجاد الهيئة أو الحالة ولسنا قادرين على ايجاد المادة نفسها

(*) هذا آخر ما كتبه المرحوم المأسوف على نبوغه وفضله الدكتور محمد توفيق صدقي وهي بداية أبحاث كان قد شرع بكتابتها فعاجلته المنية قبل اتمامها وقد علق عليها بعض الهوامش صالح مخلص رضا

الحالة أو الهيئة أو الصورة مهما فرضناها أو تخيلناها فهي كلها أمور ثبوتية مغايرة للذات أو المادة ولذلك توجد وتعدم بدون أن يصيب المادة من ذلك شيء ، فهي أمر زائد عليها ، وان كانت قائمة بها ، ولو كانت عينها لعدمت المادة بعدمها . وهذه الاعراض لها وجود فانها لو كانت عدما محضا لكانت زيادتها عدما لان زيادة العدم عدم فتكون الحالة زائدة على الذات وغير زائدة وهو محال

فتلخص من ذلك أن حالة المادة هي أمر وجوديّ زائد على الذات ، وهي قابلة للعدم فتكون جائزة الوجود ، فلا يرجح وجودها الا بمرجح أي سبب موجود فلا تكون قديمة ، لان الايجاد معناه الخلق بعد العدم ، والقديم مالم يسبق وجوده بعدم فهو موجود دائما ، وايجاد الموجود تحصيل حاصل وهو محال

وعليه فهذه الحالة حادثة ، وكذلك كل حالة زائلة ، والمادة لا يمكن تصورها بلا حالة حادثة فتكون هي أيضا حادثة[1] والا كانت مجردة من كل حالة وهو محال ، أو تكون موجودة ومتقلبة في حالات حادثة لا أول لها وهو محال أيضا [2] ، إذ تقلبها في هذه الحالات يدل على الانتهاء منها قبل كل حالة ، وكونها لا أول لها يستلزم عدم احصائها أو تناهيها . والانتهاء مما لانهاية له محال لانه تناقض

وجود الخالق : فالمادة حادثة ، وكل حادث لا بد له من محدث وهو الله تعالى والا جاز الترجيح بدون مرجح وهو محال

(قدم صفات الله تعالى) الواجب قديم الذات قديم الصفات غير متغير والقدرة هي هي بعد الخلق كما كانت قبله ، والخلق عمل عمله الله لم يحدث تغيرا في ذاته أو صفاته مطلقا وليس بحركة ، ولكنا لا ندرك كنه هذا العمل (الخلق) ولا كنه الخالق ولا كنه المخلوقات

وخلق الازلي محال ، لان الخلق معناه الايجاد بعد العدم ، والازلي لم يسبق وجوده بعدم فهو موجود دائما ، وايجاد الموجود تحصيل حاصل

كذلك ايجاد حوادث في الازل لا أول لها ، لان ايجادها يستلزم احصاءها وحصرها واحصاء ما لا يعد محال . لذلك قال تعالى (وأحصى كل شيء عددا)

(١) لان ملازم الحادث حادث (٢) اذ هو التسلسل

﴿ نفي الجسمية عن الله تعالى ﴾ لو كان الله تعالى متحيزًا لكان مركبًا من جواهر فردة، والجوهر الفرد ما ليس له امتداد مطلقًا [1] وله وضع معين، وحيث انه لا فرق بين وضع ووضع بل كلها بالنسبة للجوهر سواء فوجوده في واحد منها دون غيره إما لعلة أو لغير علة. فان كان لغير علة فذلك ترجيح بدون مرجح وهو محال، وان كان لعلة (أي سبب أو موجد) فلا يكون وجود الجوهر في الوضع المعين قديمًا لان القديم هو ما لم يسبق وجوده بعدم فهو موجود دائمًا فلا يكون محتاجًا لسبب يهبه الوجود لكن المفروض هنا احتياجه للسبب فيكون محتاجا له غير محتاج له وهو تناقض، وما نشأ ذلك الا من فرض احتياج الله تعالى الى الوضع المعين فهو غير محتاج للوضع ولا للمكان وليس بمتحيز أصلا (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا)

﴿ الافول والحدوث ﴾ اعلم أن الافول المذكور في القرآن الشريف على لسان ابراهيم عليه السلام يدل على الحدوث لان معناه الغياب، وهو يدل اما على تحرك الآفل أو على أنه محدود غير محيط بخلقه، والا لم يمكن للارض أن تخرج من عليها عن تأثيره وسلطانه فان كان متحركا فهو حادث. وان كان محدودا غير محيط بكل شيء فهو ملتزم لوضع معين، وكل ما كان كذلك كان حادثا كما تقدم برهانه. فالآفل على كل حال حادث، وصدق الله وخليله عليه السلام

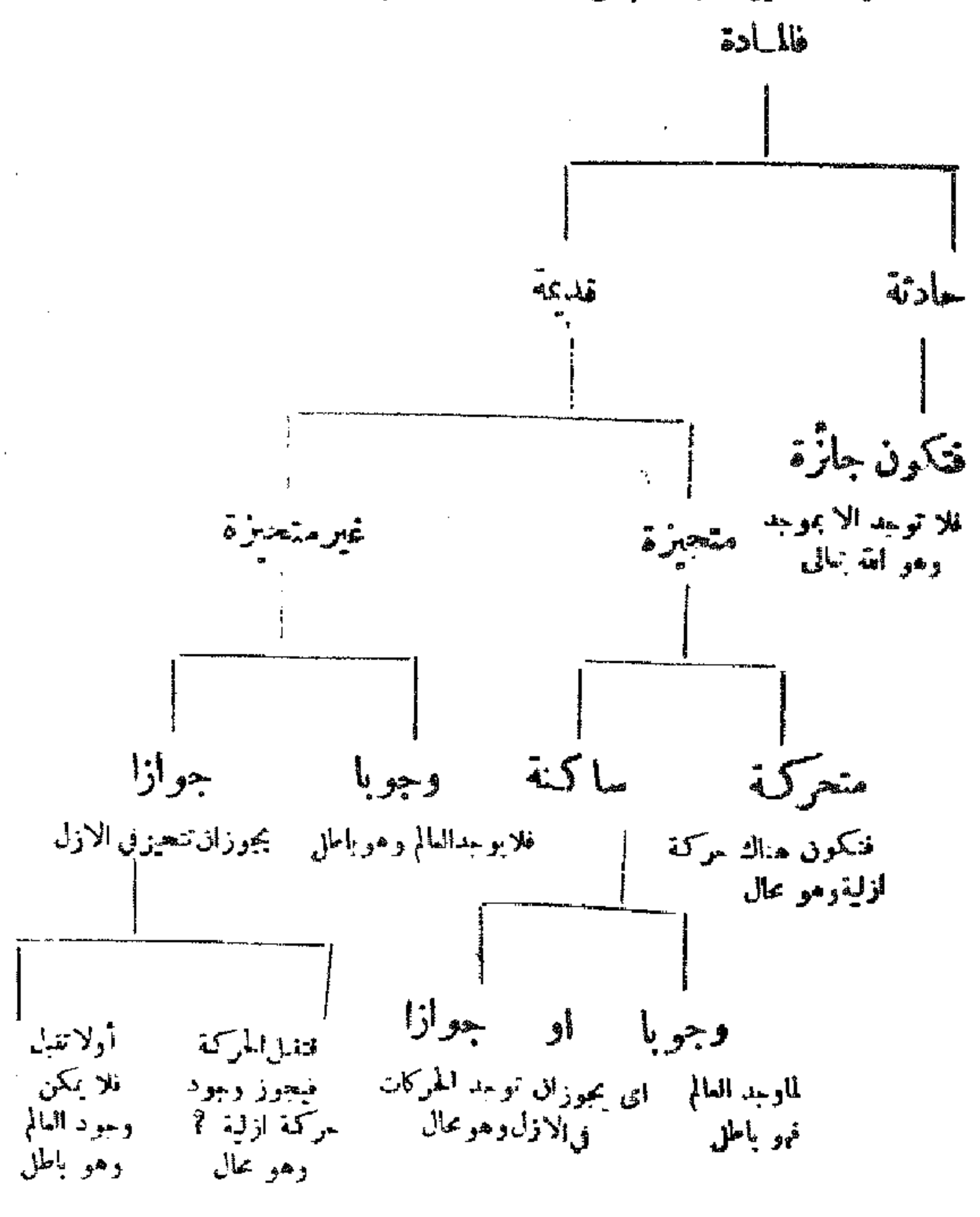
﴿ وحدانية الله تعالى ﴾ ثبت بالبرهان المذكور في كتابي (الدين في نظر العقل الصحيح) وبما يأتي أيضا: —

وهو ان اختصاص أحد الآلهة بخلق جزء دون غيره تخصيص بدون مخصص، وان كان ذلك بعد تشاور أو مفاوضة واتفاق فاما أن يؤثر ذلك في العلم القديم والارادة أو لا يؤثر، فان أثر فالعلم حادث وحدوثه يستلزم حدوث الذات، وان لم يؤثر فلا فائدة فيه مطلقا ويكون اختصاص كل بما خلقه تخصيصا بدون مخصص أيضا، ولا يلتئم ما خلقه هذا مع ما خلقه ذاك الا نادرا أو اتفاقا (صدفة) فيفسد نظام هذا العالم البديع، ويذهب كل إله بما خلق ويعلو بعضهم على بعض

(١) الجوهر الفرد هو الجزء الذي لا يتجزأ لا عقلا ولا وهما ولا فرضا مطابقا للواقع وهو موجود وجودا حقيقيا خارجيا فانه هو الجزء الذي تنتهي اليه المادة بالتحليل والتقسيم ومتى كان للمادة أول هو ذلك الجزء الذي انتهت اليه بالتقسيم كانت حادثة وهو المطلوب

المعلوم — ·

(١) اما واجب وهو مالا ينفك عنه الوجود لا أزلا ولا أبدا، فلابد ان يكون أمرا ثبوتيا سواء كان ذاتا أم صفة، جوهرا أو عرضا، اذ لامعنى لوجود المعدوم
(٢) واما جائز وهو ما يجوز أن ينفك عنه الوجود اذا وجد، ولا يوجد الا بموجد
(٣) واما مستحيل وهو مالا يمكن وجوده أزلا ولا أبدا



أما استحالة الحركات في الازل فلان معناه دخول حركات في الوجود لاعداد لها ودخولها هذا يستلزم انحصارها وعدها ، وعد ما لا يعد تناقض باطل ، فلا يجوز ذلك عقلا ولا فعلا

وهناك ثلاثة أسئلة : —

(١) ألا يجوز أن يكون سكون المادة في الازل واجبا ثم صار جائزا ؟ قلت : هل صار جائزا فجأة؟ أم تدريجا فان كان فجأة لزم الترجيح بدون مرجح والمعلول بدون علة ، وان كان تدريجا لزم وجود تغيرات في الازل وهو محال . وان قيل ان الزمان — على فرض وجوده — هو الذي فعل ذلك . قلت: ان كانت قوة الزمان حدثت فجأة أو تدريجا قلنا فيها ماقلناه آنفا

(٢) ان كان سكون المادة جائزا فلا توجد الحركات في الازل لعدم وجود القدرة على تحريكها أزلا فما تقول في ذلك ؟ قلت: ان كلامنا في المادة من حيث هي بقطع النظر عن أي اعتبار آخر فهل يجوز عليها التحرك من حيث هي أم لا ؟ فان جازت الحركة عليها عقلا من حيث هي جاز عقلا وجود حركات في الازل مع أن ذلك محال عقلا ، فكأن الحركات تجوز عقلا ولا تجوز ، وان كان لا يجوز عليها عقلا الحركة في الازل كان سكونها واجبا ولم يوجد العالم

(٣) انك تقول ما ملخصه : أن قدرة الله لا يمكنها أن توجد الحوادث في الازل كما تقول ان قدرة المادة لا تقدر على تحريكها في الازل فما الفرق بين القولين ، وهل العالم يجوز عليه من حيث هو الوجود في الازل أو لا يجوز ؟ قلت ان العالم لم يكن له وجود مطلقا في الازل حتى يرد علينا هذا السؤال بخلاف المادة عندكم فهي مفروض وجودها أزلا فهذا هو الفرق بين القولين

ملاحظة : —سمي المتحيز بالمادة لغة لانه ممتد   الدكتور

٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٩   صدقي

معاهدة الصلح مع تركية

خلاصتها

في يوم ١٢ مايو سنة ١٩٢٠ عقدت في قاعة الساعة بوزارة الخارجية الافرنسية جلسة ذات خمس دقائق حضرها سفير انكلترة وسفير ايطالية وسفير اليونان ومندوب بلجكا ومندوب اليابان ومندوب الحجاز ومندوب الصين ومندوب البرتغال ومندوب رومانية ومندوب التشك سلوفاكية ومندوب الصرب ورئيس الوفد الارمني . و بعد التئام المجلس ادخل المسيو فوكير الوفد التركي يرافقه ضابط ايطالي فقام الجميع و بعد ان جلس رئيس الوفد توفيق باشا في المكان المعد له والى جانبه وزير الداخلية رشيد باشا وفخر الدين بك وزير المعارف والدكتور جمال باشا وزير النافعة والاشغال)

قال الموسيو ميلران رئيس وزارة فرنسة : —

« حضرات مندوبي السلطنة العثمانية !

« ان الدول الحليفات تطن بي أن أقدم لكم هذا المشروع للمعاهدة وهن يطلبن منكم قبوله، وقررن ان تكون المناقشة كتابة فتفضلوا بتقديم ملاحظاتكم مكتوبة لتجابوا عليها كتابة، ولكم مدة شهر لتبلغوا ملاحظاتكم، وانا مستعدون منذ الآن بان نتلقى كل مستند ترون ابلاغه لنا »

و بعد ان أتم خطابه مبينا بان تركية هي التي أطالت زمن الحرب على الاحلاف الخ . قدم الموسيو فوكير نسخة من مشروع معاهدة الصلح لرئيس الوفد فرد الرئيس بهذه الكلمة « الوفد يحفظ لنفسه الحق بان يرد على الدول الحليفات في الموعد المضروب بعد ان يدرس شروط الصلح التي قدمت اليه درسا دقيقاً »

وهاك الخلاصة التي نشرتها صحف باريز ولندن من المعاهدة

الشروط السياسية

الآستانة

يسلم الفريقان بتأييد سيادة تركية على الآستانة ولكن على شرط هو انه اذا أخلت تركية باتباع أحكام المعاهدة أو المعاهدات أو الاتفاقات الملحقة بها لاسيما ما يتعلق بحماية الاقليات فان للدول المتحالفة تعديل القرارات السابقة . وتتعهد تركية بأن تقبل كل التدابير التي تتخذ بهذا الشأن

البواغيز

تفتح طريق الملاحة بالمستقبل في البواغيز أي الدردنيل وبحر مرمرا والبوسفور في زمن الحرب وزمن السلم لجميع المراكب التجارية والحربية وللطيارات المائية الحربية والتجارية بلا تمييز بين الرايات . ولا تكون مياه تلك البواغيز موضوعاً للحصر البحري ولا يجوز اتيان أي عمل عدائي فيها الا فيما يلزم لانفاذ قرار من قرارات عصبة الامم . وستنشأ لجنة للبواغيز للقيام بالمراقبة عليها . وستخول الحكومتان التركية واليونانية تلك اللجنة السلطة اللازمة من قبلهما ، وتؤلف اللجنة من ممثلين معتمدين من الولايات المتحدة (اذا رغبت حكومة واشنطن في ذلك ومتى أبلغت موافقتها بهذا الشأن) ومن السلطنة البريطانية وفرنسة وايطالية واليابان وروسية (اذا اعترف بروسية عضواً في عصبة الامم وبعد ذلك الاعتراف) ومن اليونان ورومانية وبلغارية (اذا اعترف بلغاريا عضواً في عصبة الامم وبعد ذلك الاعتراف) ولكل دولة ان تعتمد ممثلا واحداً لها ولكن يكون لكل من ممثلي الولايات المتحدة والسلطنة البريطانية وفرنسة وايطالية واليابان وروسية صوتان . ولكل من ممثلي سائر الدول صوت واحد وللجنة ان تستخدم سلطتها مستقلة عن السلطة المحلية . ويكون لها رايتها الخاصة وميزانيتها الخاصة ونظامها المستقل . وهي مكلفة انفاذ جميع الاعمال اللازمة لتحسين سبل الملاحة في البواغيز وفي مدخل الموانئ ولها مراقبة سير السفن وقطرها ورسوها وكذلك المراقبة اللازمة في ثغري الآستانة وحيدر باشا لتنفيذ النظام المنصوص عليه في الشطر عن المعاهدة الخاص بالموانئ والطرق المائية والخطوط الحديدية

وفي حالة الاعتداء على حرية المرور بالبواغيز قد ورد نص خاص يقتضي باستنجاد اللجنة بممثلي الدول المحتلة في الآستانة . وهؤلاء الممثلون يقررون بالاتفاق مع القومندان البحري والعسكري لقوات الحلفاء التدابير الواجب اتخاذها . وللجنة ان تقتني الاملاك أو ان تقوم بالاعمال الدائمة التي تراها لازمة . أما الوسائل المالية فستتوافر بواسطة القروض التي تكون بضمان الرسوم التي يحق لها جبايتها على البواخر التي تمر بالبواغيز . وهناك أحكام تنقل الى لجنة البواغيز السلطة الممنوحة لمجلس الصحة

الاعلى وغيره من الهيئات وتقرر علاقاتها مع الشركات صاحبة الامتيازات الخاصة بالمنائر والارصفة والاحواض الخ وللجنة ان تنظم قوة بوليس . وتحيل كل مخالفة للقوانين الى المحاكم القنصلية . أما الرسوم التي تضعها على السفن فيجب ان تكون واحدة أيا كان الميناء الخارجة منه المراكب أو المسافرة اليه وأيا كانت رايتها وجنسية صاحبها

وهناك نصوص أشبه بالنصوص الواردة باتفاق سنة ١٨٨٨ الخاص بقناة السويس بشأن مرور السفن الحربية دون أي قيد خاص بالدولة المحاربة التي تعمل لانفاذ قرار من قرارات عصبة الامم

كردستان

تقبل تركية سلفا بمشروع استقلال محلي للاراضي التي قطانها اكثرية من الاكراد شرقي الفرات وجنوبي أرمينية كما ستحددها لجنة مؤلفة من الانكليز والفرنسويين والايطاليين ويكون مركزها في الاستانة وهذا المشروع يصون حقوق الاشوريين والكلدانيين والاقليات الاخرى الجنسية والدينية في تلك الاراضي . وتتوقع مساعدة تعديلا لحدود تركية المتاخمة لايران

واذا طلب الاكراد في تلك المنطقة استقلالهم من عصبة الامم في موعد معين فان هذا الاستقلال المعين يمنح لهم اذا أوصت به العصبة . وحينئذ يجوز للاكراد القاطنين في الجزء من كردستان الذي كان تابعاً حتى الآن لولاية الموصل أن ينضموا الى الدولة الكردية المستقلة .

أزمير

تقبل الحكومة التركية بنقل التمتع بحقوق سيادتها على أزمير والمنطقة المتاخمة لها كما هي مبينة في الخريطة الملحقة بالمعاهدة الى الحكومة اليونانية ، ويرفع العلم التركي على حصن من حصون ازمير الخارجية دلالة على السيادة العثمانية . وتكون الحكومة اليونانية مسؤولة عن ادارة المنطقة ويجوز لها ابقاء جنود فيها لصيانة النظام كما انه مرخص لها ادخال تلك المنطقة في نظامها الجمركي ويجب على الاهالي

برلمان محلي على قاعدة التمثيل النسبي للاقليات . وهذا المشروع الواجب عرضه على مجلس عصبة الامم يدخل في دور التنفيذ بعد موافقة أكثرية المجلس عليه ويجوز تأمين الانتخابات الحرة الديمقراطية كما تم عودة السكان الذين أبعدتهم السلطة التركية . وهنالك أحكام خصوصية ترمي الى حماية الاقليات وجنسيات السكان في البلاد والخارج والى إيقاف الخدمة العسكرية الالزامية والى الاحتفاظ بحرية العمل واستخدام تركية لمرفإ أزمير، وقد نص على أنه لايجوز للحكومة اليونانية ان تقدم على ما من شأنه انزال قيمة النقود التركية . وستحمل منطقة أزمير شطرا مناسبا من الدين العثماني . وبعد مضي خمس سنوات يجوز البرلمان المحلي أن يطلب من عصبة الامم ضم منطقة أزمير الى مملكة اليونان ويحق لمجلس العصبة أن يستشير الاهلين. فاذا منحوا حق الانضمام الى اليونان فان تركية ترضى منذ الآن بالتنازل عن جميع حقوق سيادتها الى اليونان

اليونان

تتنازل تركية لليونان عن حقوقها واختصاصاتها على الاراضي الواقعة في تركية أوربة خارجا عن الحدود المبينة في الخريطة الملحقة بالماهدة وعلى جزر أمبروس وتنيدوس ولمونس وساموطراس ومدلِّه وساموس ونيكاريا وصاقس، وعلى جزر أخر من بحر الارخبيل . تقبل حكومة اليونان مبدئيا في منطقة البواغيز نفس التعهدات المأخوذة على تركية وتنص بعض المواد على معاهدة أخرى توقعها اليونان لحماية الاقليات الجنسية والدينية واللغوية في أملاكها الحديثة ولا سيما في أدرنة ولصيانة حرية تجارة المرور ومعاملة تجارة سائر الامم على قاعدة المساواة . وتتحمل اليونان أيضا بعض تعهدات مالية

أرمينية

تعترف تركية بأرمينية كدولة حرة مستقلة وترضى بتحكيم رئيس الولايات المتحدة بشأن التخوم بين تركية وأرمينية في ولايات أرضروم وطرابزون ووان وبتليس، وبشأن منفذ لارمينية على البحر وتذكر المعاهدات واجبات أرمينية وحقوقها فيما لو ألحق بها

قرار رئيس الولايات المتحدة أملاكا تركية . أما تحديد التخوم بين أرمينية والكرج وآذربيجان فيكون موضوع اتفاق يعقد بين تلك الحكومات الثلاث. ويجب على أرمينية توقيع معاهدة على حدة تضمن فيها حقوق الاقليات وحرية تجارة المرور الخ

سورية والعراق وفلسطين

يعترف المتعاقدون بسورية والعراق كدولتين مستقلتين بمقتضى المادة ٢٢ من عهدة عصبة الامم أما من الوجهة الادارية فتكون تلك البلاد خاضعة لآراء ومساعدة دولة منتدبة الى ان تصبح قادرة على حكم نفسها بنفسها ، وستعين الدول المتحالفة الكبرى الحدود وتختار المنتدبين . ويعهد أيضا بادارة فلسطين الى دولة منتدبة طبقاً لاحكام المادة ٢٢ من عهدة عصبة الامم . وتعين الدول المتحالفة الكبرى الدولة المنتدبة وتحدد التخوم . وقد أثبت التصريح الاصلي الذي صرحته الحكومة البريطانية في ٨ نوفمبر سنة ١٩١٧ ووافقت عليه الحكومات المتحالفة بشأن انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وستكلف لجنة خاصة يختار رئيسها عصبة الامم بدرس وتسوية جميع المسائل الخاصة بالطوائف الدينية المختلفة في فلسطين

أما حدود الانتداب فستعينها الدول المتحالفة الكبرى وتعرضها على موافقة مجلس عصبة الامم .

الحجاز

تعترف تركية كما اعترف الحلفاء بالحجاز كدولة حرة مستقلة وتنقل اليها حقوق سيادتها على الاراضي الواقعة وراء حدود السلطنة العثمانية القديمة قبل التخوم التي ستحدد فيما بعد للحجاز

وبالنظر للصفة المقدسة المعترف بها من جميع المسلمين لمكة والمدينة يتعهد ملك الحجاز بأن يدع الدخول اليهما حراً وسهلا لمسلمي جميع الاقطار الذين يقصدونهما للحج أو لاي فرض ديني آخر . وسيعمل أيضا على احترام الاوقاف . وقد وضع قرار أيضا لضمان المساواة التجارية التامة في أراضي الحجاز للدول الجديدة المؤلفة من تركية ولسائر الدول

مصر والسودان وقبرس

تتنازل تركية عن جميع حقوقها واختصاصاتها على القطر المصري ابتداء من ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ وتعترف بحماية بريطانية العظمى على القطر المصري المعلنة في ١٨ دسمبر سنة ١٩١٤ وقد وضعت نصوص خاصة بالامور الآتية : اكتساب الاتراك الجنسية المصرية ، وترك الحرية للاتراك في اختيار الجنسية التركية ، ومعاملة مصر والرعايا المصريين وبضائعهم ومراكبهم وحماية بريطانية العظمى للرعايا المصريين في الخارج ، والتنازل لبريطانية العظمى عن السلطات المخولة لسلطان تركية بالاتفاق المعقود في الآستانة في ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٨٨ بشأن قناة السويس ، وكيفية معاملة الاملاك الخاصة بالحكومة التركية وبالرعايا الاتراك في القطر المصري ، تنازل تركية عن المطالب التي قدمتها بشأن الويركو الذي كانت تدفعه مصر ، وقبول بريطانية العظمى تحمل المسؤوليات التي كانت على تركية من جراء القروض التركية التي كانت بضمانة ويركو مصر .

ويأخذ المتعاقدون عهداً بالاتفاق المبرم بين الحكومتين البريطانية والمصرية في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ و بالاتفاق الاضافي المبرم في ١٠ يوليو سنة ١٨٩٩ بشأن نظام ادارة السودان

ويعترف المتعاقدون أيضا بضم قبرس الذي أعلنته بريطانية العظمى في ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ . وتتنازل تركية عن جميع حقوقها على تلك الجزيرة بما في ذلك التمتع (بالجزية) التي كانت تدفعها الجزيرة للسلطان . وقد وضع قرار بشأن اكتساب الرعايا الاتراك المولودين في قبرس أو المقيمين فيها عادة للجنسية البريطانية

المغرب وتونس

تعترف تركية بحماية فرنسة على المغرب الاقصى كما وضعت بالاتفاق المعقود في ٣٠ مارس سنة ١٩١٢ وحمايتها على تونس كما وضعت في ١٢ مايو سنة ١٨٨١ وتعامل البضائع المراكشية والتونسية في تركية معاملة البضائع الفرنسية

طرابلس وجزر بحر ايجه

تتنازل تركية عن الحقوق والامتيازات الممنوحة للسلطان في طرابلس بمقتضى معاهدة لوزان المعقودة في ١٢ اكتوبر سنة ١٩١٢ وتتنازل أيضا لايطالية عن جميع حقوقها واختصاصاتها في جزر الدوديكانز التي تحتلها الآن ايطالية وفي جزيرة كاستلاوريزو

الجنسية

وقد أدرج في المعاهدة أحكام خصوصية لتسوية مسألة جنسية الرعايا الاتراك المقيمين عادة في الاراضي التي سلخت عن تركية بمقتضى المعاهدة. وهذه الاحكام تشبه بوجه عام الاحكام التي أدرجت في المعاهدة مع النمسة

أحكام عمومية

تحت هذا العنوان أدرجت نصوص تعترف تركية بموجبها وتقبل بالمعاهدات والاتفاقات الاضافية التي عقدت مع الدول التي أنشأت أو ستنشأ في الامبراطورية الروسية القديمة. وتعترف أيضا بالغاء معاهدة بريست ليتوفسك وجميع المعاهدات والاتفاقات التي عقدتها تركية مع حكومة روسية المكسيمالية

وسيناط بلجنة خاصة وضع نظام قضائي في تركية يحل محل نظام الامتيازات الاجنبية

وتنص المعاهدة على وجه اصدار تركية عفوا عن جميع الرعايا الاتراك الذين قاتلوا أثناء الحرب في جانب الحلفاء وعلى تنازل تركية عن جميع حقوق سيادتها واختصاصها على جميع المسلمين الخاضعين لسيادة أو لحماية دولة أخرى

الشروط المالية

تخصص جميع موارد تركية ما عدا المخصص منها لخدمة صندوق الدين العثماني — للقيام بالنفقات الآتية حسب ترتيب أوليتها:

(١) النفقات المادية لقوات الاحتلال المتحالفة بعد تنفيذ المعاهدة

(٢) نفقات الاحتلال من تاريخ ٣٠ اكتوبر سنة ١٩١٨ في الاراضي الباقية عثمانية وفي الاراضي التي سلخت عن تركية وأعطيت لدولة غير الدولة التي تحملت نفقات الاحتلال

(٣) دفع التعويضات التي يطالب بها الحلفاء عن اضرار أصابت رعاياهم أثناء الحرب ولغاية انفاذ المعاهدة

أملاك الحكومة العثمانية

الدولة التي استولت على اراض سلخت من تركية تكون صاحبة الملكية في جميع الممتلكات التي كانت خاصة بالحكومة العثمانية في تلك الاراضي

توزيع الدين العثماني

الدول التي استولت على أراض سلخت من تركية ينبغي لها أن تشترك في تحمل الأقساط السنوية الخاصة بالدين العثماني

وعلى الدول البلقانية والدول التي نشأت حديثا في آسية ان تقدم الضمانات بشأن دفع ما يخصها من هذا القبيل

أما معدل ما تتحمله كل دولة من الدين العثماني فيبنى على نسبة دخل الاملاك التي دخلت في حوزتها الى مجموع دخل تركية في السنوات الثلاث التي تقدمت الحرب البلقانية

وستسري هذه القواعد نفسها من حيث تحمل نصيب من الدين العثماني على الدول التي استولت على أملاك عثمانية عقب الحروب البلقانية

مراقبة المالية العثمانية

ينشأ في تركية قومسيون مؤلف من مندوب بريطاني ومندوب فرنسي وآخر ايطالي ويضم اليه مندوب عثماني يكون صوته استشاريا ليتولى وضع الطرق التي يراها أنسب لاصلاح مالية تركية . ويدخل في اختصاص هذا القومسيون :

فحص الميزانية العثمانية التي لا يمكن انفاذها بدون موافقة القومسيون

تقرير التدابير اللازمة لاصلاح النظام النقدي في البلاد التركية

ولا يسمح للحكومة العثمانية وضع أي ضريبة جديدة ولا تعديل نظامها الكمركي ولا عقد أي قرض داخلي أو خارجي ولا اعطاء أي امتياز بلا موافقة القومسيون

وتنص المعاهدة على امكان حلول هذا القومسيون المالي محل صندوق الدين لادارة الايرادات المتنازل عنها لذلك الصندوق ويكون ذلك بقرار من الاكثرية بعد استشارة حملة أسهم الدين وذلك في ميعاد ستة أشهر قبل انتهاء مدة مجلس الادارة الحالي

وقد عهد الى القومسيون المالي فيما يتعلق بانفاذ هذه المعاهدة بما يأتي :

تعيين قيمة الاقساط الواجب على تركية دفعها تسديدا لمصاريف القوات الاحتلالية وتعويضاً للاضرار في استوات على أملاك عثمانية وذلك مقابل نصيبها في الدين العثماني

تقرير كيفية تخصيص المبالغ الذهبية التي يجب نقلها من ألمانيه والنمسة انفاذا لشروط المعاهدتين المعقودتين مع تينك الدولتين

الشروط الاقتصاديه

تظل العلاقات التجارية بين الحلفاء وتركيه خاضعه لاحكام الامتيازات التي يعاد نظامها الى ما كانت عليه قبل الحرب (وقد الغيت الامتيازات أثناء الحرب)

وعليه فتكون الرسوم على الواردات كما قررها اتفاق ٢٥ ابريل سنة ١٩٠٧ على انه تترك سلطة واسعة للقومسيون المالي لتعديل الرسوم حسب الحاجة ولتطبيق الضرائب التي قد توضع على الاتراك أو على الرعايا الاجانب ايضا المقيمين في تركية الى غير ذلك من الاختصاصات الخاصة بفرض رسوم جديدة أو تعديل الرسوم الموجودة

تجريد تركية من السلاح

الجيش — يؤلف الجيش التركي من المتطوعة ومدة الخدمة ١٢ سنة (و ٢٥ للضباط) ويؤلف من ٣٥٠٠٠ نفر جاندرمة مع قوة مؤلفة من ١٥٠٠٠ لتعزيز الجاندرمة و ٧٠٠ للحرس السلطاني . ويشترك في قيادة الجاندرمة ضباط من الحلفاء والمحايدين . وتدمر جميع الحصون القائمة على شواطئ بحر مرمرا والبوغازين الى الى مسافة عشرين كيلو مترا .

البحرية — تؤخذ من تركية جميع السفن الحربيه ما عدا بعض سفن مسلحة تسليحاً خفيفاً تبقى لحاجه البوليس

الطيران — لا يترك لتركية شيء من أسباب الطيران العسكري أو المائي

المراقبه — تؤلف لجان من الحلفاء لمراقبه نزع السلاح . وتؤلف الجاندرمه الجديدة على يد لجنه عسكريه من الحلفاء تتولى العمل لمدة خمس سنوات على الاقل

(تمت خلاصة شروط معاهدة الصلح مع تركية)

وصف بلاد العرب الجنوبية

التي يسميها اليونان العربية السعيدة

يراد بالعربية السعيدة اليمن وما جاورها وسميت بذلك لكثرة خيراتها بالنسبة الى البادية في الشمال فكأنهم يريدون بها بلاد العرب العامرة أو الخضراء و يحدها عندهم خليج العجم من الشرق و بحر العرب من الجنوب والبحر الاحمر من الغرب — و يسمونه خليج العرب — ومن الشمال البادية وهي بادية الشام والعراق والعربية الحجرية (بلاد بطرا) فيدخل في اسم العربية السعيدة اليمن وحضرموت، والشحر ، وعمان ، واليمامة، ونجد

وأما العرب فيريدون باليمن الجزء الجنوبي من جزيرة العرب وهو يقسم عند العرب الاقدمين الى ٨٤ مخلاف والمخلاف ينقسم الى مدن وقرى ، و يوجد فيه الاودية والجبال والسدود ، وقد فصل الهمداني كل مخلاف بقراه وأوديته وجباله في كتابه (صفة جزيرة العرب)

ما قاله اليونان عن تاريخ اليمن لم يدون اليونانيون وسواهم من أمم التاريخ كتابا في تاريخ اليمن أو تاريخ غيرها من بلاد العرب ولكنهم ذكروه عرضاً في أثناء كلامهم في الجغرافية العامة والرحلات وغيرها . وا كثر اليونان ذكرًا لبلاد العرب سترابون و بلينيوس و بريليوس و بطليموس ، ذكر كل منهم مدنا وأمما وأحوالا أخرى من أحوال بلاد اليمن بعضها يوافق ما ذكره العرب والبعض الآخر يخالفه . وذكروا مدنا وأقواما ولم يعرفها العرب اي انها لم ترد في تاريخهم أو جغرافيتهم . وأهم هؤلاء الاقوام هم [المعينيون] وذكروا الطرق التجارية ووصفوا الاحوال الاجتماعية فترى بين ما ذكره اليونان من الامم والمدن امما لم يذكرها العرب أو ذكروها عرضا بما لا يستحق الذكر والمعينيون لم يعرفهم العرب وهم عند اليونان أمة عظيمة ذات تجارة واسعة وشأن كبير ومثلهم [القوريون] و [الجبائيون]

ومن المدن التي نوهوا بها [مأرب] ولم يذكرها العرب الا في عرض الكلام عن سدها وخرابه

كانت اليمن في أصل نظامها تقسم الى [مخاليف] وهو يشبه نظام الاقطاع في الاجيال الوسطى لاوربة وكانت الاقيال [1] في اليمن يتعاطون التجارة وتتوسط بلاد اليمن والهند والحبشة ومصر والشام والعراق كانوا ينقلون التجارة من هذه البلدان بعد دخولها الى جزيرة العرب بالقوافل بطرق خاصة

الدولة المعينية

تنبه العلماء الى هذه الدولة كما ذكره اليونان عنها فقال استرابون في كلامه عن بلاد اليمن « يشغل القسم الجنوبي من جزيرة العرب اربعة شعوب: المعينيون وعاصمتهم [قرنا] [2] والسبأيون وعاصمتهم [مأرب] » وذكر في مكان آخر أن المعينيين يحملون التجارة الى [بطرا] مدينة الانباط . وذكر بلينيوس ان المعينيين يقيمون في بلاد كثيرة الغابات والاغراس ، وذكرهم ايضا ديونيوس و بطليموس واطروا سلطتهم وسعة تجارتهم . ولم يكن العلماء يعرفون [معين] فذهب بعضهم الى ان المراد بلفظة « معين » منى وهو — بقرب مكة — وقال آخرون غير ذلك حتى ووفق المستشرق [هاليفي] الى ارتياد بلاد الجوف الجنوبي شرق صنعاء وا كتشف انقاض معين ، وقال الهمداني في كتاب الا كليل « محافد اليمن : مراقش ، ومعين ، وهما بأسفل جوف الرحب » ولا يظهر انها كانت دولة حرب وفتح بل كانت دولة تجارة مثل اخوانهم الفنيقيين على شواطئ سورية ودولة الانباط في بطرا » واكثر دول اليمن على هذه القاعدة اي تجارية . وكانت طرقها التجارية ممتدة في اواسط جزيرة العرب بين تلك البحار وانتشرت سيادتهم ومستعمراتهم الى اعالي الحجاز شمالا بدليل ما وقفوا عليه من النقوش المعينية في العلا — قرب وادي القرى — وفي الصفاء وفي حوران وغيرها

---

(١) الاقيال [illegible]

(٢) لعل اصلها [illegible]

الدولة السبأية

لم يعلم الوقت الذي تأسست فيه الدولة السبأية ولكنه قد ثبت انهم أنشأوا في اليمن دولة كبرى جاء ذكرها في أخبار أشور منقوشاً في آجرة الملك [سرجون] الثاني سنة ٧٠٥ قبل الميلاد ذكر فيها انه أخذ الجزية من [يثمر] السبأي . فيدل هذا القول على وجود السبأيين في بلاد العرب في القرن الثامن قبل الميلاد . ولكن الراجح عند العلماء اليوم أن سرجون لم يصل بفتوحه الى اليمن والظاهر ان السبأيين كانوا يدفعون الجزية عن تجارتهم في شمال جزيرة العرب حتى يؤذن لهم بالمرور الى شواطئ البحر المتوسط وخصوصاً الى غزة لانها فرضة تجارية قديمة . وقد اتسع ملكهم ولا يراد بسعة الملك انهم دوخوا البلاد كما فعل اليونان والرومان او كما فعل العرب بعد الاسلام فان سبأ ليست دولة فتح بل هي دولة توامل وتجارة ولا تجد للفتح ذكراً في آثارها الا قليلا خلافاً للاشوريين والمصريين معاصريها فانك لاتكاد تقرأ على آثارهم غير قولهم : فتحت ، وغلبت وحملت ، الغنيمة . وأما السبائيون فأكثر ما وصل الينا من أخبارهم : بنيت ، ووقفت ، ورممت . وانما يراد بسعة ملكهم نشر نفوذهم بواسطة تجارتهم وذكرت مملكة سبأ في التوراة أيام سليمان في القرن التاسع قبل الميلاد ، ويتضح من ذلك انهم أقدم من مملكة سليمان أيضا

حضارة اليمن القديم

بعد ما تحقق ان دولة حمرابي عربية علم ان العرب من أسبق الامم الى الحضارة والمدنية لانهم أنشأوا الدول وشادوا المدن ونظموا الحكومات وسنوا الشرائع و بنوا المدارس والهيا كل ورقوا الهيئات الاجتماعية ورقية شأن المرأة منذ اربعة آلاف سنة

وتقتصر هنا على مدنية عرب اليمن . وقد رأيت انهم كانوا أهل حضارة ودولة لا تقل عن الدول معاصريهم في أشور وفينيقية ومصر وابتنوا المدن وشادوا القصور والهيا كل وتبسطوا في العيش ، لكن تمدنهم لم يكن حربيا كتمدن الاشوريين والفرس والمصريين بل كان تجريا كتمدن الفينيقيين فكانوا واسطة التجارة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب فانقطعوا لاعمالهم وتفرغوا لاستثمار

أرضهم بغرس الشجر وزرع الحبوب وحفر المناجم واصطناع العطور والاطياب وركوب القوافل في القفار والسفن في البحار لنقل السلع وتوالت أجيال منهم كانوا هم وحدهم تجار العالم كاخوانهم الفينيقيين . وقد تعاصروا حينا وتعاونوا على ذلك دهرا طويلا

على ان التمدن لم يرد له ذكر في كتب العرب الا قليلا وانما ذكره اليونان عن التاريخ القديم وا كتشفه العلماء من آثار المدن وما قرأوه على اطلالها من اخبارها وقلما كانوا يعتنون بتنظيم الجند لقلة الحرب والفتوح وانما كانوا يجمعون الرجال في استخدامهم لبناء المدن او القصور او انشاء السدود . وقد ضرب اليمانيون نقودا نقشوا عليها صور الملوك واسمائهم واسماء المدن التي ضربت فيها بالحرف المسند وزينوها برموز سياسية او اجتماعية كصورة البوم والصقر اورأس الثور رمزًا للزراعة أو صورة الهلال وهو رمز ديني عندهم . وكانوا يركبون والمركبات تجرها الخيول أو الافيال

كانت الامة في اليمن مؤلفة من اربع : طبقات الجند المسلح لحفظ النظام ، والفلاحون لزراعة الارض ، والصناع ، والتجار ، ولكل فئة حدود لا تتعداها ولا ينتقل احد منها الى سواها

الصناعة

ليست جزيرة العرب بلادا صناعية وانما صناعتهم تحضير بعض أصناف التجارة والبخور واللبان والطيوب وغيرها وكان ذلك مشهورا عنهم بين الامم القديمة لا يشاركهم فيه احد

قال هيرودتس : و بلاد العرب فيها وحدها البخور والمر والقرفة والدارصيني واللاذن ، والعرب يجنون كل هذه الاشياء و بلاد العرب زكية الرائحة حيث ماسرت . .

الزراعة

من عجب بلاد العرب ير ان بلاد المعينيين والسبأيين قد تغيرت معالمها

فيستغرب ما يسمعه عن ثروة تلك الامم وسعة سلطانها إذ لا يرى فيها الا قليلا من الناس وكانت على عهد ذلك التمدن بساتين ورياضا فيها الافراس من الاشجار والرياحين والحنطة والازهار، وكانت الزراعة في رقي حسن مع مشقة الري في بلاد لا أنهر فيها الا ما يخزنونه بالسدود من أمطار الصيف، فبلغ من رغبتهم في العمران وعلو همتهم انهم أنشأوا سدودا كالجبال يحجزون بها المياه في الاودية حتى ترتفع ويسقون بها المرتفعات ويصرفون الماء اليها من نوافذ حسب الحاجة كما يفعل بخزانات هذه الايام، فالعرب أول من اصطنع الخزانات وهي السدود وأعظمها سد [مأرب] وسنذكره

وذكر [استرابون] أن بلاد سبإ أخصب بلاد العرب وعد من محصولاتها المر والبخور والقرنفل والبلسم وسائر العطريات فضلا عن النخيل والقاب

ووصف الهمداني [وادي ظهر ؟] باليمن وقد شاهده فذكر ان فيه نهرا عظيما يسقي جنبات الوادي وعليها من الاعناب نحو عشرين نوعا وفيه أصناف الفواكه الاخرى

المعادن

التعدين أي استخراج المعادن من بطن الارض وقد اشتهرت بلاد العرب بمعادنها وجواهرها عند القدماء وان ظهر ذلك غريبا الآن لتقلب الاحوال وتحول الازمان، ولكن التاريخ أصدق شاهد على ما كان في جزيرة العرب من الثروة في جوفها فضلا عن سطحها . كان فيها كثير من مناجم الذهب والفضة والحجارة الكريمة وكان ذلك من أهم أسباب طمع الفاتحين في ذلك العهد وقد شبهها بعضهم بكاليفورنيا هذا الزمان لكثرة مناجمها ، وأقدم هذه المناجم في بلاد [مدين] وفيها شهرة واسعة في التاريخ القديم حتى ألف بعضهم كتبا في معادنها وذهبها . وذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب وياقوت في معجم البلدان وغيرهما كثيرا من مناجم الذهب بعضها في اليمن والبعض الآخر في اليمامة .منها معدن [ضب] في ديار بني كلاب ، ومعدن [بيشا] ومعدن [قضاعة] في اليمن و[ذهب خولان] الوارد ذكره في التوراة باسم حويلة. في اليمامة وكثير من المعادن خصص لها الهمداني فصلا سماه (معادن اليمامة) وهي معدن الحسن، وهو معدن ذهب غزير ومعدن [الخنبر] ناحية [عماية] وهو معدن ذهب غزير

أيضا ومعدن [الضبيب] عن يسار [هضب نقليب] ومعدن [الثنية] ثنية ابن عاصم الباهلي ومعدن [الموصجة] ثم معدن [شمال الفضة والصفر] ومعدن (ناعر) ومعدن (المقيق) ومعدن (الحجبة) ومعدن (العمق) بين (فيميه) ومعدن (شجيرة) ومعدن (بني سليم) ومعادن كثيرة أخرى.

وقول العرب « معدن كذا » يراد به معدن الذهب الا اذا عرفوه بالفضة أو الصفر أو غيرها . وفي بلاد العرب سوى مناجم الذهب مناجم الجواهر الاخرى كمعدن الفضة في [الرضاض] الذي لا نظير له وفي [نقم] معدنا فصوص [البقران] ويبلغ الثلث منها م لا كثيرا وهو ان يكون وجهه أحمر فوق عرق أبيض فوق عرق أسود والبقران ألوان ومعدنه بجبل (أنس) و (السموانية) من سموان واد جنب صنعاء وفيه أيضا فص أسود بعرق أبيض ومعدن (بشارة وعبثان) من بلاد (حاشد) ، والبلور يوجد في مواضع فيها وأشياء أخرى يطول شرحها وهذه الاشياء لا يوجد لها نظير لا في بلاد الهند والسندي بعرق واحد وليس بثلاثة ، دع مغاوص اللؤلؤ بالبحرين

الاسداد

الاسداد هي جدران ضخمة كانوا يقيمونها في عرض الاودية لحجز السيول ورفع المياه لري الاراضي كما يفعل أهل التمدن الحديث في بناء الخزانات وانما عمد العرب الى بناء الاسداد لقلة المياه في بلادهم مع رغبتهم في احياء زراعتهم فكثرت بكثرة الاودية حتى تجاوزت المئة وكانوا يسمون كل سد باسم خاص من أكبر هذه الاسداد سد [مأرب] و [ريوان] و [شحران] .. و (لحج) الخ

الحضارة

أهل اليمن حضر من أقدم أزمانهم فهم أهل مدن وقصور ورياش لبسوا الخز وافترشوا الحرير واقتنوا آنية الذهب والفضة وغرسوا الحدائق . قال [أغاثر سيدس] وللسبأيين في منازلهم مايفوق التصديق من الآنية والماعون على اختلاف أشكالها من الفضة والذهب ، وعندهم الاسرة والموائد من الفضة والرياش من أغلى الانسجة وأغلاها ، وقصورهم قائمة على الاساطين المحلاة بالذهب أو المنزلة بالفضة ، يعلقون على أفاريز منازلهم وأبوابها صفائح الذهب مرصعة بالجواهر ويبذلون في تزيين

قصورهم أموالا طائلة لكثرة ما يدخلون في زمنها من الذهب والفضة والعاج والحجارة الكريمة

.ذكر الهمداني في وصف قصر [كوكبان] في القرن الرابع الهجري انه كان موزر الخارج بالفضة وما فوقها حجارة بيضاء ، وداخله محرد بالمرمر والجزع وصنوف الجواهر

تاريخ البلاد العربية الحديث

قد لخصنا تاريخ البلاد العربية القديم على قدر ما يسمح به المقال والآن نبين حالتها الحاضرة وسبب انحطاطها فنقول :

ان ملوك اليمن اعتنقوا قديما الديانة اليهودية ونشروها في بلادهم فلما تنصر امبراطرة الرومان البيزانطيين ونشروا ديانتهم في سورية ومصر وأرادوا ان يوسعوا نفوذهم بواسطة ديانتهم النصرانية أرسلوا الى الحبشة قسوسا نصرتها وأرادوا ان يمدوا نفوذهم الى بلاد العرب فنزلوا في عدن ونصروا أهاليها ثم تخطوا الى [نجران] و [حضرموت] ونصروهما وبنوا في نجران مزارا أوحجا عرف [بكعبة نجران] فيه القسيسون والرهبان. وآلت حكومة [حمير] اليهودية في أوائل القرن السادس للميلاد الى ملك منهم اسمه [ذونواس] كان شديد التعصب لليهودية فغزا أهالي نجران فحصرهم ثم انه ظفر بهم فخد لهم الاخاديد وعرض عليهم اليهودية فامتنعوا فأحرقهم بالنار وأحرق الانجيل وهدم بيعتهم ثم انصرف الى اليمن . فلما بلغت هذه الاخبار ملك الروم أرسل الى ملك الحبشة وأمره أن يغزو أهالي اليمن وينتقم من اليهود فجهز لهم سبعين ألفا فخرجوا الى اليمن و بعد معارك يطول شرحها انتصر الاحباش النصارى على اليهود وأفنوهم ، وانفلت (سيف بن ذي يزن) وتوجه الى كسرى وهو من الاسرة المالكة فاستنجد كسرى فأمده بالرجال في المراكب وخرجوا في (ضفار) فلما سمع الاحباش قدوم سيف بالفرس قابلوهم فوقعت معارك انهزمت فيها الاحباش فأفنوهم وأفنوا كل من تنصر من أهل اليمن ثم مات سيف بن ذي يزن وخلفه وال من قبل كسرى أنو شروان

وفي هذه المدة ظهرت الديانة الاسلامية وأسلم الوالي الفارسي وأهل اليمن الا

قليلا منهم بقي على اليهودية الى الآن فلما تولى عمر بن الخطاب (رض) الخلافة وابتدأ يجهز لغزو الروم والفرس أمر عماله في البلاد العربية أن يسوقوا كل من يقدر على حمل السلاح وكل من يحسن الخطابة والكتابة فصاروا يسوقون الامدادات متتابعة الى عهد دولة بني أمية ، من أجل ذلك وما تقدمه من حروب الاحباش والفرس خلت البلاد العربية من اليد العاملة وأهملت الزراعة وبناء الاسداد ، فهذا هو سبب الانحطاط

فبلاد العرب الآن تراجع اليها شيء من القوة حسب التناسل ، وعدد أهل الجزيرة الآن لا يقل عن ١٤ مليونا ولاهمال العلم والتعليم في الجزيرة وتنافس الامراء فيما بينهم أهمل أمر الزراعة والصناعة

ويوجد الآن في الجزيرة خمس حكومات مستقلة في الحجاز ونجد واليمن وعسير ومسقط ، وبين أمراء هذه البلاد شيء من التنافس فلو قيض الله لقادة أفكار العرب ان يسعوا في التوفيق بينهم على شرط ان يكون كل مستقلا في محله ويوحدوا سياستهم وجنديتهم كما هو حاصل في الولايات المتحدة أو في ألمانية وينشروا المعارف في بلادهم ويعنوا بالزراعة مع اعادة السدود كما كانت سابقا ويبحثوا عن المناجم ويعنوا بزراعة القهوة التي لا يوجد مثلها في البلاد الاخرى فانها تجلب الربح العظيم للبلاد كالقطن بالنسبة لمصر . وفي بلاد اليمن يزرع أنواع الحبوب والنخيل والفواكه

والحاصل ان البلاد العربية يمكن ان تسترجع قوتها عن قريب اذا قيض الله لها حكومة صالحة ولا يقوم بهذا الا السوريين فان سورية عند العرب هي العين التي يبصرون بها وسورية من الاراضي المقدسة والعرب يحترمون أهالي سورية ويجلونهم . ولو عني السوريون بخدمة الجزيرة فنظموا هيأة لارشاد الامة العربية بالنصح للتوفيق بين الامراء وازالة سوء التفاهم والحسد (لان وقتنا هذا وقت عمل وليس وقت مفاخرة وحسد) لوجدوا آذانا صاغية من أهالي البلاد لان العرب صاروا يشعرون بما هو محيط بهم ولو اجتهد السوريون لمد السكة الحديدية من المدينة الى صنعاء لارتباط البلاد والامن وتسهيل التجارة والانتقال لتم المقصود ؟

عبدالله المفرة

تقرير لجنة مشيخة الازهر الشريف (*)

المؤلفة لفحص مشروع تعميم التعليم الاولي

(٧) توجد تحت مراقبة الازهر الشريف وبعض المعاهد الاخرى كتاتيب أساس التعليم فيها حفظ القرآن وتسمى تلك الكتاتيب التحضيريات لانها تؤهل البنين للانتظام في تلك المعاهد الدينية ويبلغ متوسط تلامذة تلك الكتاتيب ٢٥٠٠ وقد صرفت مشيخة الازهر في العام الماضي مكافأة سنوية لالف تلميذ من الكتاتيب التابعة للازهر. ويبلغ مجموع تلامذة التحضيريات التابعة لمشيخة معهد الاسكندرية ١١٥٠٧ في بعض السنين وفي استيلاء المشروع على تلك النسبة من مجموع ابناء الامة استيلاء على تلك التحضيريات التابعة للمعاهد او نحوها وصد الذين يريدون تعليم ابنائهم القرآن الكريم من العلماء وغيرهم

(٨) ان جميع الفوائد الخلقية والعقلية والتهذيبية والسياسية والاجتماعية الخ الخ التي أفاضت لجنة الوزارة في بيانها وترتيبها على تعليم الطفل هي بنفسها مترتبة بدرجة مضاعفة جدا اذا كان أساس التعليم في تلك المدارس الاولية هو حفظ القرآن الكريم أو على الاقل حفظ نصفه وتعتقد اللجنة بحق انه اذا بذلت الحكومة مجهودها في هذا المشروع جاعلة نصب عينها حفظ القرآن الكريم والعناية بتعليم الديانة الاسلامية لابناء المسلمين تكون قد نبتت الجيل المستقبل نبا حسنا ورفعت الامة المصرية الى مكانها اللائق بها بين الشعوب الاسلامية وأعدت اليها من حيث انها شعب اسلامي روحا عالية في حياتها الادبية والاجتماعية بما تغرسه في نفوس الابناء من المثل الاعلى للتهذيب الاسلامي ولاجل ان تكون اللجنة غير مظنون بها انها مدفوعة في هذا القول بمحض الميل الديني من غير نظر الى الاصلاح تستلفت اللجنة نظر الحكومة الى أن الاحداث المجرمين الذين تتزايد نسبتهم كل سنة حسب الاحصاء الرسمي لا يكاد يوجد بينهم حدث ممن تعلموا في مدارس القرآن

(*) تابع لما نشر في ص ٣٦٢ من الجزء السابع

واستظهروا جانبا منه فكيف اذا انضم الى ذلك معرفة الوسائل الاصلاحية التي يقتضيها المشروع

ولا يفوت اللجنة أن تنوه هنا بأنه يوجد عدد غير قليل من رجال البلاد المعدودين لم يتعلموا الا التعليم الاولي في امثال المكاتب الموجودة وقد أفادهم حفظ القرآن في فاتحة حياتهم تهذيبا في الاخلاق وتنويرا في العقل وتثقيفا في الحكم. [انظر آخر الفقرة ١٥ من تقرير لجنة الوزارة] (١) حتى صارت الحكومة

(١) نص الفقرة ١٥ « رأي اللورد كرومر في الخطر السياسي » وقد أعرب اللورد كرومر باجلى بيان عن الخطر السياسي الذي ينجم من ترك غمار الشعب بلا تعليم فقال في كتابه « مصر الحديثة » الجزء الثاني صفحة ٥٣٤ ما يأتي :

« من المهم جدا من جميع الوجوه أن تبذل الحكومة جهدا متواصلا لوضع التعليم في مصر على أساس مكين ...... فانه من الخرق بل من الخطر أن توجد هوة سحيقة بين تعليم الطبقات العليا وتعليم طبقات الدنيا في بلاد شرقية تسير حكومتها بارشاد أمة من أمم الغرب الديمقراطية ...... ولا نقصد بذلك حط منزلة التعليم العالي أو الوقوف في طريقه . ولكنا نقول اذا كان لا بد من ارخاء العنان له من غير أن تمس الحكومة بأذى فلا مناص من إزالة غشاوة الجهل عن غمار الشعب حتى يتمشى خطوة خطوة مع ارتقاء مدارك الذين سيقبضون على أزمة أموره . وليس من الحكمة أو العدالة في شيء ان يترك الشعب أعزل من تربية عقلية تحميه من وساوس أدعياء السياسة المتطفلين على موائدها الذين هم مع نقص تعلمهم لا يفترون عن القاء الهواجس والخزعبلات في آذانه التي لا ترد قول قائل . وليس ثمة في أوائل هذا القرن العشرين علاج عام ناجع يقي غائلة الأدعياء الا تعليم من يقمون قريبة لحبائلهم من أميي الامة تعليما يمكنهم على الاقل من ادراك ما يصدر من أولئك الدجالين من البهتان الذي كثيرا ما يسترونه بظلاء الاغتيروسخطتهم السياسية »

ولنا في تاريخ روسية الحديث مثال وعبرة لما نجم عن هذه الحال من الاخطار التي أنزلت بتلك البلاد فواجع تئن الآن منها أنينا .

ثم ان التعليم البسيط قد لا يمكن الفلاح القروي من الوقوف على كنه المسائل السياسية المعوصة والاحاطة بها . ولكنه قد يكفي كما قال اللورد برايس (Lord Bryce) بصدق . ارتاه من تأثيره في الولايات المتحدة بامريكا ، لتثقيف قوة الحكم عنده حتى يستطيع تمييز الرجل العظيم من الدجال » (*)

(*) من كتاب « الجمهورية الامريكية » (The American Commonwealth) الجزء الثاني صفحة ٢٥٢ .

والبلاد تعتمد عليهم في كثير من شؤونها الادبية والاجتماعيـة خصوصا في فض الخصومات وحل المشكلات وهذا أكبر ماينتظره رجال الاصلاح من نتيجة ذلك المشروع فكيف اذا عنى بتعميم تلك المكاتب في أنحاء القطر وزيد في تنظيمها واصلاحها مع المحافظة على جعل أساس التعليم فيها هو حفظ القرآن الكريم كما هو الآن

(٩) ان بذل الحكومة المصرية عنايتها في تعميم تعليم الشعب وتربيته على مبادئه الاسلامية بما في ذلك من حفظ القرآن الكريم الذي اعتاده من ثلاثة عشر قرنا يدرأ عن الشعب أخطارا اجتماعية وأضرارا جمة أقلها تلك الفوضى الاخلاقية التي ينزع اليها النشء واتساع مسافة الخلف بينهم وبين آبائهم المحافظين على مبادئهم الدينية وبذلك يقع الانشقاق في الاسرات ويترتب عليه الاضرار الاجتماعية التي لاحظتها لجنة الوزارة [في الفقرة ١٧] [1] وليس هناك خلاف أشق للعصا وأضر على الهيئة الاجتماعية من نشء يخرج على أمته وينسلخ من دينه بما يسمى الآن التعليم الحر أو حرية العقيدة ومما يثمره التعليم الاولي على أساس تلك المبادئ الاسلامية القضاء على حركة الجرائم والجنايات التي ضجت التقارير الرسمية من فشوها وزيادتها كل عام أو تخفيض نسبتها تخفيضا كبيرا على الاقل وتلك فائدة كبرى طالما بذلت الحكومة مجهودات جمة للحصول عليها وما نحن أولاء نرى الناس الذين يحفظون شيئا من القرآن يتناهون ويتواعظون في أسواقهم ومعاملاتهم الاجتماعية والادبية بقولهم هذا حرام وهذا حلال وقال الله وقال الرسول فاذا بطل هذا ببطلان حفظ القرآن

(١) نص الفقرة ١٧ « الانشقاق في الأسر » ومن النتائج الوخيمة التي نشأت من عدم تكافؤ أفراد الأمة في التعليم الانقسام الذي يشاهد في الأسر المصرية . فان الاميين من الآباء الموسرين كثيرا ما يرسلون أبناءهم الى المدارس الابتدائية والثانوية فتكون العاقبة أن الأبناء لا يمضي عليهم زمن طويل بها حتى تنزع نفوسهم الى ازدراء أهليهم الجهلة وحتى يسطروا في عيشتهم المنزلية البعيدة عن النظام ويطرحوا عن عواتقهم ما لآبائهم عليهم من السلطان والنفوذ ويدب فيهم روح السخط والاستياء والعقوق. ولا مراء في أن ضعف النفوذ الأبوي على شبان البلاد بهذه المثابة يعود على الأمة بالاضرار الاجتماعية الجمة . ولكن ما الحيلة والواجب يقضي بان يبذل الآباء كل وسع في تعليم أبنائهم أرقى تعليم يستطيعونه ؟ فلم يبق إذن من الوسائل التي تكفل درء هذا الشر الا أن يعمم التعليم حتى لا يصل الفرق بين الأبناء والآباء الى الحد الذي وصفناه

من الكفاءة ضاعت الامانة وفسد الامن وفاض الغش والنفاق بين الافراد بعضهم مع بعض و بين الافراد وحكومتهم ووقعت الحكومة في سائر فروعها الادارية والاقتصادية والسياسية في مشكلات من الامور لا تتناهى فكل مايقال عن فوائد تعميم تعليم الشعب لا يكون صحيحا وافيا بالغرض الا بشرط كون التعليم على المبادئ الاسلامية بذلك قضت طبيعة الشعب المصري الذي له ثلاثة عشر قرنا في الاسلام وعلى دلت التجربة في تربيته

(١٠) ان من القواعد الهامة التي تترتب على جعل حفظ القرآن أساسيا في التعليم الاولي تمرين النشء على النطق الصحيح وضبط الالفاظ العربية تمرينا عمليا فهو من جهة أخرى خدمة كبرى للغة العربية ولا سيما انها لغة البلاد الرسمية

(١١) نص قانون الازهر والمعاهد الدينية (بالمادة ١٣٩) على ان المجلس الاعلى للازهر والمعاهد الدينية هو المختص بوضع لائحة نظام ادارة المكاتب التحضيرية التابعة للمعاهد الدينية « والكتاتيب » والمشروع يقضي صريحا بأخذ هذا الحق جملة من سلطة المعاهد الدينية ورفع يدها عن تلك المكاتب الدينية بمحوها أوصبغها بصبغة أخرى

(١٢) وتختم اللجنه قولها بابداء النتيجة التي تراها في الموضوع وهو ان يجعل من مواد التعليم الاساسية في هذه المدارس حفظ القرآن الكريم وترى اللجنة لضمان حراسة هذا الشعار الاسلامي في تلك المدارس الاوليه وجوب اشتراك رياسة المعاهد الدينية في وضع منهج الدراسة لها ومراقبة سير التعليم فيها ولا غضاضة في ذلك على الوزارة فقد جاء في تقرير لجنتها أن حكومة بلجيكا بعد طرق شتى رأت أن الاوفق جعل التعليم الديني في مدارسها اجباريا تحت مراقبة الكنيسة ومعلوم ان تعليم الديانة في القطر المصري يبتدئ للبنين في حفظ القرآن الكريم

وتنوه اللجنة هنا بمنهج التعليم الذي أقره المجلس العالي للمعاهد الدينية بجلسة ٢٥ مارس سنة ١٩٠٥ للتحضيرات التابعة لمعهد الاسكندرية ومقدار أثره الجليل في مدة وجيزه وإقبال الشعب عليه حتى طلب أصحاب المدارس الاهلية في تلك المدينة الاندماج في نظام تلك التحضيرات ودخلوا طوعا تحت مراقبة مشيخة المعهد وأتت تلك التحضيرات بالنتيجة الهامة ولم تكن فائدتها قاصرة على مجرد التأهيل للالتحاق بالمعهد بل نفعت الذين اقتصروا عليها واشتغلوا بأشغال عمومية وذلك لما تعلمه تلك

التحضيرات مع حفظ القرآن الكريم من المواد الهامة النافعة في الحياة العملية كالخط والحساب والجغرافيا واللغة العربية وقواعد الصحة وعلم الاشياء وقد نصحت مشيخة المعهد كثيرا في تقاريرها الرسمية ان يحذو أصحاب المكاتب والمدارس الاهلية في أنحاء القطر المصري على هذا المنهج الذي دلت التجربة على نجاحه فضلا عن ملاءمته لطبيعة الشعب المصري وميول الآباء ، ونادت المشيخة المذكورة أولي الشأن الذين يعنون بمصلحة التربية والتعليم ان يأخذوا بيد هذا النوع من التعليم ويقضوا على الامية والجهل حتى ينهضوا بالبلاد الى ماتستحقه من الرقي والكمال

وتبدي اللجنة بمناسبة هذا الموضوع ملاحظتها على وزارة الاوقاف في تلك المبالغ الهائلة التي تدفعها سنويا الى وزارة المعارف العمومية لتدير لها كتاتيبها ومعلوم ان تلك المبالغ انما هي من ريع الاوقاف المرصودة على حفظ القرآن الكريم ولكن وزارة المعارف لم تعر ذلك التفاتا لما ان اختصاصها هو احياء المعارف العمومية ولبس لها اختصاص بالشؤون الدينية اختصاص المكلف بالشيء المسؤول عنه بدليل ان أكثر ماصنعته في منهج الدراسة الذي وضعته لتلك المكاتب سنة ١٩١٦ فيما يختص بمادة القرآن قولها عند مقرر كل سنة (يحفظ من القرآن ما يمكن) ، (الاستمرار على حفظ ما يمكن من القرآن) بينما هي تبسط القول في التشديد والعناية بالمواد الاخرى !

واذا كان هذا تساهل منهج الدراسة في القرآن فكيف يكون تساهل المعلمين فيه ، وهل يمكن بعد ذلك القول بأنه يوجد في تلك المكاتب من يحفظ جزءا واحدا من القرآن فضلا عن حفظ جميعه الذي وقفت عليه تلك الاوقاف

هذا ما عن لنا والله يوفق الامة الى ما فيه الخير والصلاح وتفضلوا يا صاحب الفضيلة بقبول فائق احترامنا   توقيع أعضاء اللجنة

محمد أحمد الطوخي   محمود أبو دقيقه   محمد علي خلف الحسيني

يوسف أحمد نصر الدجوي   محمد عبد السلام القباني

(تم)

الرحلة السورية الثانية

— ٢ —

لما عقدت الهدنة بين دول الاحلاف والدولة الالمانية منى نفسه كل من له اهل في سورية وكل من يهتم بشؤونها الاقتصادية والسياسية أن يسافر اليها في أول فرصة وصاروا ينتظرون الاذن بالسفر اليها وعودة البواخر التي تنقل الركاب وعروض التجارة الى سابق عهدها

و بعد طول الانتظار وقع الاذن مقيدا بشروط عسيرة ومقيدا بقيود ثقيلة زمامها بأيدي السلطة العسكرية المتصرفة في الشؤون السياسية والاقتصادية في العالم تصرفا مطلقا والمراقبة على مواصلات البر والبحر فكان مثلي لايطمع ان يكون من السابقين الى رؤية وطنه والقيام بشيء من خدمته أو مواساة أهله فيه وعشيرته، بل تعذر على ايصال ثلاثة (طرود) من الاقمشة الى فقراء اهل بلدتي (القلمون) الذين ذهب الجوع والعري في ايام الحرب بثلثيهم ، فاني بعد أن ابتعت القماش ظللت عدة أشهر أسعى الى ارساله باذن من السلطة الفرنسية التي أعطيت الاشراف على المواصلات والنقل في البحر مع بقاء السلطة العليا في البر والبحر للسلطة الانكليزية بحق القيادة العليا للجيوش المحاربة في سورية الجنوبية (فلسطين) والشمالية ، ثم بواسطة لجنة المجاعة التي أرسلت بمساعدة السلطة الانكليزية كثيرا من المواد الغذائية والاقمشة وبعد اعطائي الطرود الجمعية بأشهر تمكنت هي من ارسالها الى وكيلها في بيروت فبقيت فيها اشهرا ثم أرسل بعضها الى طرابلس ففقد بعضه ولم يصل باقيها الا بعد وصولي اليها في خريف العام الماضي ، فكان ما أردت أن يكسى به الفقراء في شتاء سنة ١٩١٩ كساء لهم في شتاء السنة التي بعدها

احتلت جيوش الاحلاف جميع البلاد السورية وطفقوا يمهدون السبل لتوطيد نفوذهم وسلطانهم فيها على قواعد معاهدة سنة ١٩١٦ — الانكليز في الجنوب

*) تابع لما نشر في الجزء السابع ص ٣٦٧

والفرنسيس في الغرب الشمالي والعرب الحجازيون في الشرق منه . ولكن مراقبة المواصلات بين سورية وبين مصر وسائر الاقطار كانت مشتركة بين الفرنسيس محتلي المنطقة الغربية والانكليز المحتلين للمنطقة الجنوبية وحدهم والمشاركين للعرب والفرنسيس في احتلال المنطقتين الاخريين ، ولم يكن للعرب من هذه المراقبة شيء فلم يكن لي أن أزور البلاد بنفوذهم . بل كتب الي علي رضا باشا حاكم المنطقة الشرقية العسكري كتابا ذكر فيه انهم ينتظرون قدومي كانتظار الظمآن للماء وانه طلبني وهو يتعجب من عدم استجابتي . فكتبت اليه انه لم يبلغني ما ذكر من طلبهم اياي وان أمر سفري ليس بيدي ... ثم اخبرني بعد لقائه في الشام انه طلبني خمس مرات ...

انني لم أطمع في الاذن لي بزيارة سورية الا بعد استفتاء اللجنة الاميركانية أهل سورية في شكل الحكومة التي يرضونها لبلادهم والدولة التي يختارونها لمساعدتهم

وعلة هذا ظاهرة لاتحتاج الى بيان ، فلما سنحت لي الفرصة بعد هذا الاستفتاء واظهار الشعب لرأيه سعيت الى اخذ الجواز بالسفر الى الشام من طريق سيناوفلسطين فتيسر لي مع المساعدات أخذ هذا الجواز في مدة ثمانية عشر يوما بعد أخذ عهد كتابي علي بأمور سلبية ترجع الى أمر واحد وهو عدم القيام بتهييج سياسي

السفر من القاهرة

سافرت من القاهرة مساء الجمعة السابع عشر من شهر ذي الحجة ختام سنة ١٣٣٧ [الموافق ١٢ سبتمبر ايلول سنة ١٩١٩] ولما جئت محطة السكة الحديدية وجدت فيها صديقي رفيق بك العظم جاء لتوديعي فيمن جاء من الأصدقاء فأخبرني انه قد جاءت برقية من دمشق تفيد أن الامير فيصلا (ملك سورية اليوم) قد سافر من الشام عن طريق حيفا ليسافر منها الى اوربة فساءني ذلك جد الاستياء لأن لقاء الامير في ذلك الوقت كان هو المرجح الاول لسفري الى دمشق مباشرة دون بيروت وطرابلس ، ولعله لو اخبرني بذلك قبل شروعي في السفر لارجأته ولكن ابطال العمل بعد الشروع فيه مفسد للعزيمة مضعف للارادة ، وقد

قال تعالى لرسوله (فاذا عزمت فتوكل على الله) وقال عز وجل (لا تبطلوا أعمالكم)

ركبت القطار السريع فسار باسم الله في الساعة ٦ والدقيقة ١٥ فوصل الى محطة القنطرة الساعة ١٠ والدقيقة ١٠ أي بعد اربع ساعات تقريبا وهنالك نقل الحمالون متاعنا الى حيث تنظر الجوازات و بعد التوقيع عليها ينقل المسافرون ومتاعهم في سيارات نقل تجتاز الجسر الذي وضع هنالك على ترعة السويس الى موقف قطار سيناء وفلسطين في الضفة الشرقية ، وقد علمت ان خط مصر اتصل بعد ذلك بخط فلسطين فاستراح المسافرون من ذلك النقل المزعج . وصلت الى محطة فلسطين فاذا بديع افندي الحوراني ضابط تلغ المخابرات ينتظرني فبالاجل ساعدني فتولى هو اخذ تذكرة السفر لى بالدرجة الاولى ووضعي في مركبة ليس فيها زحام ، وهو نجل ابراهيم الحوراني العالم الاديب البيروتي الشهير فما رأيته فيه من المروءة والادب يجري فيه على عرق راسخ ووراثة ثقفت بالعربية والتعليم ، وعلمت منه انه كان يتوقع حضوري يوم الخميس في القطار الذي يقوم من القاهرة الساعة ١١ قبل الظهر

لم يكن السفر في الدرجه الاولى من قطارات هذه السكة بالامر اليسير ، وكنت علمت ذلك مما كتبه سليم افندي سركيس الكاتب الشهير في جريدة الاهرام من رحلته قبل الى الشام ، فانه ذكر انه اخذ تذكرة الركوب في الدرجة الاولى فأركبوه في الدرجه الثالثه لحاجه الضباط الانكليز الى الدرجه الاولى والثانية لذلك سعيت الى توصية من السلطة العسكرية الانكليزية بأن أركب في الدرجة الاولى فعلا فلتها ونفذها الحوراني أحسن الله مكافأته . وثمن هذه التذكرة ٢٨٢ قرشا مصريا صحيحاً يركب بها المسافر الى نهاية الخط وهو مدينة حيفا

سافر بنا القطار الساعة ١١ والدقيقة ٣٥ وكان سيره بطيئا ووقوفه كثيرا وعلمنا في الصباح انه تأخر ساعتين عن موعده . وفي ضحوة النهار (السبت) وقف تجاه مدينة غزة الشهيرة التي أحدثت فيها الحرب خرابا عظيما ووصل الى [اللد] الساعة ٨ والدقيقة ١٥ وسار منها الساعة ٩ وبضع دقائق فوصل الى حيفا الساعة ١٢ والدقيقة ١٥ نهارا . فاذا كان القطار تأخر بنا ساعتين كما قيل تكون مسافة سينا وفلسطين الى

حيفا تسع ساعات وثلث ساعة . وهذا الخط قد أنشأته السلطه العسكرية في أثناء الحرب بسرعة عجيبة اقتضتها الضرورة فلم يكن متقنا وقد علمت انه يحتاج الى اصلاح يكون به الخط أقوم وأقصر

قطعنا نصف نهار يطوي بنا القطار اغوار سورية الجنوبية (فلسطين) وانجادها فلم نر شيئا من أرضها يدل على العناية الفنية في إنشاء البساتين والكروم الا ما في مزارع اليهود الصهيونيين. ورأينا مامررنا به من الزيتون خاليا من الحب لان موسمه في السنة الماضية كان عظيما

السفر من حيفا بسكة الحديد الحجازية

انتقلنا عقب وصولنا الى حيفا من قطار سينا وفلسطين الى قطار سكة الحديد الحجازية ومركباته أحسن من مركبات ذلك وأخذ بعض الحمالين لي تذكرة السفر منها الى [معان] في الدرجة الاولى بمئة قرش وستة قروش مصرية صحيحة وتحرك القطار الساعة ١٢ والدقيقة ٣٥ فوصلنا الى طبرية (س ٣ ق ١٥) وبعد تجاوزها صار سيره في أودية يهبطها وجبال يتسلقها وكان يقف مرارا لسوء الوقود وخلل الآلات وليس في مركباته مصابيح فكنا أول الليل في ظلام ثم طلع القمر فأنسنا به ووصل القطار الى معان (س ١٢ ق ٣٠) فكانت المسافة ١٢ ساعة وقد قيل لنا انه تأخر عن موعده ساعتين كسابقه

وفي محطة معان مطاعم كبيرة للمسافرين والقطار مكث فيها ريثما يتعشى من شاء من المسافرين ويأخذ القطار طعامه وشرابه من الفحم والماء وقد مكثنا نصف ساعة أو أكثر تعشينا فيها ثم استأنفنا السير الى دمشق فبلغناها (س ٢ وق ٢٠) أي قبل الفجر بقليل

دمشق وفنادقها

بعد وصولنا الى محطة دمشق ببضع دقائق كنا في فندق (فيكتوريا) وهو أقرب الفنادق الى المحطة وأشهرها وأغلاها أجرة فلم أجد فيه غير حجرة في الدور الاول لا يتخللها الهواء ولا النور ، أبيتها فوعدت بتبديلها في النهار وسألت الخدم عن حمام الفندق فقيل انه ليس فيه حمام ولا رشاش ماء (دوش) ولا حنفية ماء

أغسل اليدين والرأس فغسلت رأسي في طشت الحجرة وتوضأت وصليت المغرب والعشاء جمع تأخير ونمت مابقي من الليل

ولما أصبحت استنجزت الوعد بتغيير الحجرة فلم أجد حجرة صحية بل قيل لي ان بعض النازلين فيها سيسافرون فتخلو حجرهم ، ولما حضر طعام الغداء والعشاء وجدت الماء على المائدة غير مثلوج فسألت : الا يوجد في الشام ثلج ؟ قيل بلى ان فيها ثلجا وجليدا طبيعيا صناعيا ولكن صاحب الفندق يمنع استعماله اقتصادا فعزمت على الخروج من هذا الفندق بعد رؤية أشهر الفنادق الكبرى واختيار أمثلها ولكنني لم أستطع الخروج في اليوم الاول لان بعض من رآني أخبر غيره بأنني جئت الشام ونزلت في [فيكتوريا] فجاء كثير من الوجهاء لزيارتي وفي اليوم الثاني كان الزائرون أكثر ولكنني انتهزت فرصة طفت فيها على الفنادق القريبة فرأيت أمثلها فندق الشرق (أو الخوام) الملاصق لفندق فيكتوريا فانتقلت اليه، وفضلته بوجود مكان فيه للاستحمام ووجود الماء في بعض مراحيضه ووجود باحة خلوية في وسطها بركة ماء ووجود الماء المثلوج فيه . وأي المزايا خير من مزايا الماء والهواء ؟ نعم ان فندق فيكتوريا — ومثله فندق [دمسكوس بلاس] أدفأ في الشتاء من فندق الخوام ، والاول أنظف ولكن القيود فيه أشد وأثقل

الزيارات وردها وأحاديثها

زارني من لا أحصي من رجال الحكومة والعلماء والادباء والوجهاء فمنهم من عرفتهم بشخوصهم أو مناصبهم ومنهم من لم أعرف وما كان رد لزيارة لكل منهم ممكنا وليس عند أهل الشام من التسامح والتساهل في هذا الامر ماعند أهل مصر وأهل بيروت، فاكتفيت برد لزيارة الى الحاكم العسكري العام والقاضي والمفتي وبعض العلماء والوجهاء الذين عرفتهم كمحمد فوزي باشا العظم وعبد القادر باشا المؤيد واعتذرت للآخرين في الجرائد مع الشكر لهم. وأما خواص اخواننا وأصدقائنا فقد جمعتنا بهم المآدب والسمار في مجالس حافلة من دورهم العامرة كدار الاستاذ الشيخ كامل قصاب ودار البيطار ودار المارديني وغيرها ، وكان جل حديثنا في تلك المجالس البحث في أهم المسائل الدينية والعلمية والاجتماعية وقد عودني الناس من أول العهد

بدخولي في الحياة العلمية الى اليوم ان يسألوني عن المشكلات الدينية ولا سيما المسائل التي يتعارض فيها الدين مع العلوم والفنون وشؤون العمران . وقد كان حظي من هذا في رحلتي هذه على ما أعهد في سائر البلاد ولكن أكثر مباحث الناس معي في هذه الرحلة كان في المسائل السياسية ما هو واقع منها وما يتوقع

معاهدة سنة ١٩١٦

اتفق ان أعلن كل من دولتي انكلترة وفرنسة عقب وصولي إلى الشام انهما اتفقتا نهائيا على تنفيذ معاهدة (سايكس و بيكو) المعروفة بمعاهدة سنة ١٩١٦ وان انكلترة ستخرج جنودها من المنطقتين الشرقية والغربية من سورية وتترك الاولى للجيش العربي الحجازي والثانية للجيش الفرنسي ، وما كان حملها للامير فيصل على السفر الى أوربة في هذه المرة الا تمهيدا لهذا العمل

وكان أهل سورية عامة يظنون قبل هذا الاعلان أن الدولتين الحليفتين قد عدلتا عن تنفيذ تلك المعاهدة لما رأوه من التنازع بين رجالهما في النفوذ أيام وجود اللجنة الامريكية في سورية وسعي كل منهما في كل منطقة من المناطق الثلاث لكسب أصوات الاهالي في طلب انتدابهم لمساعدة البلاد أي لاستعمارها بهذا الاسم الجديد الذي وضع في قاموس السياسة بعد العلم بنفور الناس كافة من الاسماء الاخرى التي ابتذلت وزال تخداع الناس بها كلفظ الحماية والاحتلال الموقت ، فلما أعلنت الدولتان اتفاقهما كبر وقعه وعظم صدعه في قلوب الجماهير الذين خدعوا بذلك التنازع ، وظنوا ان انكلترة تفضل العرب على فرنسة فكان كل من زارني منهم يسألني عن رأيي في هذا الحدث الجديد في السياسة الانكليزية فكنت أقول : انكم ترونه جديدا وأراه غير جديد ، أن السياسة الانكليزية ثابتة وما كان لعاقل ان يظن انها تفضل العرب على فرنسة ، وانما عرض لفرنسة أمل جديد أحدثه اجماع السوريين في بلادهم وفي مهاجرهم كلها على وحدة سورية وعدم تقسيمها الى ثلاث مناطق مختلفة الادارة والسلطة فحسبت انه يمكنها جعل هذا وسيلة لاعطائهم سورية كلها

باب التاريخ

استقلال سورية والعراق

انتهت الحرب العامة الطامة باحتلال جنود الاحلاف من العرب والانكليز والفرنسيس لسورية وجعلها ثلاث مناطق : جنوبية وهي متصرفية القدس الممتازة ، ومتصرفيتي نابلس وعكا من ولاية بيروت « واطلقوا عليها اسم فلسطين » . وشرقية وهي ولايتا الشام وحلب ماعدا سواحلها ثم أضيفت اليها متصرفية الزور الممتازة . وغربية وهي بقية ولاية بيروت ومتصرفية لبنان الممتازة ، واسكندرونة ، واطنه

ولما كانت القيادة العليا لجيوش هؤلاء الاحلاف في سورية للانكليز احتلوا المنطقة الجنوبية وحدهم ، وشاركوا العرب في احتلال المنطقة الشرقية ، والفرنسيس في هذه المنطقة الغربية والشمالية ولكنهم تركوا لكل منهما ادارة منطقته فلم يكونوا يتدخلون في امرها إلا عند الحاجة لما للقيادة العليا من حق الاشراف . ثم لما اتفقوا مع فرنسة على تنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦ المشهورة نهائيا اجلوا جنودهم من هاتين المنطقتين وتركوا للجيش العربي الذي يقوده الامير فيصل السيطرة التامة في منطقته وللجيش الفرنسي السيطرة التامة في منطقته

وكانوا قبيل اعلان هذا الاتفاق واجلاء الجنود الذي ترتب عليه قد طلبوا الامير فيصلا الى اوربة لاجل الاتفاق معه على تنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦ فمكث بضعة اشهر في انكلترة وفرنسة ثم عاد الى سورية ليوقف زعماء البلاد وممثليها على نتيجة ماوقف عليه و يستشيرهم في ما يجب أن يكون عليه حكمها و ينتهي اليه مصيرها ليعود الى أوروبة و يقرره مع حلفائه و بعد مباحثات طويلة سرية وجهرية استقر الرأي على اعلان استقلال القطرين السوري والعراقي وأن يتولى ذلك المؤتمر الذي سبق تأسيسه لكل منهما في ما بينهما بالتعاون

فأما المؤتمر العراقي فأعضاؤه في دمشق حيث تأسس وأما المؤتمر السوري فكان أعضاؤه المنتخبون من المناطق الثلاث قد تفرقوا في البلاد بعد اجتماعهم

الاول لمقابلة اللجنة الامريكية واعلامها برأي الامة السورية في امر حكمها وهو الاستقلال التام الناجز ورفض كل حماية ووصاية اجنبية وترجيح طلب المساعدة الفنية التي لاتمس الاستقلال من الولايات الامريكية المتحدة . ثم اجتمع اكثرهم مرة ثانية للمذاكرة بالامير فيصل عند عودته المرة الاولى من أوربة مبشرا البلاد بأنه تقرر فيها مبدئيا أن تكون البلاد مستقلة استقلالا تاما وراغبا اليهم أن يوكلوه في تقرير مصيرها وكالة مطلقة . فتقرر جمع المؤتمر لوقفه الامير على مايعلم من كنه الحالة العامة و يترك له حق تقرير مايراه باسم الامة السورية

كان لحزب الاستقلال العربي أجمل السعي لهذا المشروع الجليل وكان في هذه الاثناء يعقد الاجتماعات كل ليلة للبحث في مقدمات اعلان الاستقلال وعمل المؤتمر وما بعده له من الوسائل وفي تأليف الحكومة الاولى التي سيقررها ويعلنها .

ولما اجتمع أكثر أعضاء المؤتمر قرر ان يعقد جلساته في النادي العربي وحضر الامير فيصل جلسته الاولى ومعه أركان حكومته وألقى الخطاب التالي على مندوبي الامة ومن حضر الجلسة من كبار رجال العاصمة وغيرهم

خطاب سمو الامير

«أيها السادة !

«في الوقت الذى قرب فيه حل المسألة التركية حلا نهائيا في مؤتمر الصلح رأيت أن أدعوكم مرة أخرى لتقرير مصير البلاد حسب رغائب الاهلين الذين رأوا فيكم الكفاءة للنيابة عنهم في مثل هذا الوقت العصيب

«فقد وعد مؤتمر السلم أن ينظر في رغبة الشعوب بل حتم على نفسه بأن يقرر مستقبل كل أمة حسب ارادتها ورغائبها تحقيقا للمبادئ السامية التي خاض لأجلها الحلفاء غمار الحرب العظمى

«قال الرئيس ولسن ذكر في خطابه في (مون فرنون) في ٤ تموز سنة ١٩١٨ المادة الآتية: —

« كل مسألة أرضية كانت أو سياسية او اقتصادية أو دولية يجب أن تحسم على موجب الاساسات المستندة الى حرية قبول الشعب ذي العلاقة رأساً بتلك المسألة لا الى القواعد النفعية المادية او المصالح التي يتطلبها شعب أو أمة أخرى لاجل تأمين نفوذها الخارجي أو سيادتها »

« وقد ذكر جميع رؤساء الحكومات المتحالفة اقوالا لا تقل في معاني استقلال الشعوب عن أقوال الرئيس ولسن في هذا الصدد، ونشرت حليفتانا انكلترا وفرنسا منشورا في ٧ تشرين ١٩١٨ اكدتا لنا فيه استقلال بلاد العرب المنشود

ايها السادة — لما كانت هذه الحرب حرب حرية واستقلال، حربا جاهدت فيها الامم ذبًّا عن كيانها السياسي، دخل فيها صاحب الجلالة والدي المعظم في صفوف الحلفاء بعد ان استوثق من العرب في الجزيرة وفي سورية وفي العراق فقاتلوا قتالا شهد لهم فيه اعاظم رجال أوربا السياسيين والعسكريين وأثنوا على شجاعتهم وبسالتهم غاية الثناء، ولا بد ان يحفظ التاريخ أعمالهم الجليلة في إبان الحرب التي استمات فيها الحجازي والسوري والعراقي. واني واثق بأن الامة العربية ستنال من المغنم ما ناله غيرها من حلفائنا الذين نالوا الظفر على الاعداء

« ان هذا الظفر لم يكن عسكريا فقط بل هو سياسي قبل كل شيء لانه ظفر الحق على القوة والحرية على الاستبداد فقد انتشرت اليوم فكرة الاستقلال بين الشعوب ونقشت على أفئدتهم فلن تزول بعد الآن.

«استحق العرب حريتهم واستقلالهم بفضل الدم الطاهر الذي سفكوه وبفضل ماقاسوه من أنواع العذاب والقهر. فالامة العربية لاتقبل اليوم ان تستعبد كما اني اعتقد انه ليس هنالك أمة تريد استعبادها . في رحلاتي الرسمية العديدة الى أوربا والاحاديث والكتابات التي جرت بيني وبين ساستها لم تبق في نفسي مجالا للشبهة والتردد في نوايا حكوماتها الحسنة .

«أيها السادة — اننا لانطلب من أوربا أن تمنحنا ما ليس لنا به حق بل نطلب منها ان تصدق على حقنا الصريح الذي اعترفت لنا به كامة حية تريد حياة حرة واستقلالا تاما، ونود ان نعيش مع سائر الامم المتمدنة على غاية من الولاء والمحبة الخالصة، فسياستنا في المستقبل ستكون سياسة صلح وسلم مبنية على الثقة المتقابلة والمنافع المتبادلة، وبكلمة واحدة سياسة تتفق مع مصالح الامة ومنفعة السلم العام . فالعرب لا يستنكفون عن تبادل المنافع بينهم وبين الامم المتمدنة ولا يرفضون صداقة من يريد صداقتهم على شريطة أن لا يمس ذلك بكرامتهم ولا يخل باستقلالهم السياسي التام

أيها السادة — اذن وظيفتكم اليوم عظيمة ومهمتكم كبيرة، فأوربا تنظر الينا عن كثب وستحكم لنا أو علينا بالنسبة الى الخطة السياسية التي سنسير عليها والاعمال التي سنقوم بها في المستقبل فدولتنا الجديدة التي قام أساسها على وطنية أبنائها الكرام هي في حاجة اليوم الى تقرير شكلها أولا ووضع دستور لها يعين لكل منا — آمرنا ومأمورنا — حقوقه ووظائفه في حياتنا المستقلة التي أرجو ان يكون ملؤها الجد والعمل والاقدام .

«وقبل أن أختم كلامي في هذه الجلسة الخالدة أريد أن أذكركم باخوانكم العراقيين الذين جاهدوا معكم وأبلوا بلاء حسنا في سبيل الوطن وبالواجب

الذي يتحتم علينا في أمر التضامن والتعاضد لنعيش حياة سعيدة قوية

واقرؤكم السلام العربي الخالص متمنيا لكم التوفيق والنجاح في مساعيكم الوطنية والسلام عليكم . » اهـ

وبعد ان انتهت الخطبة حيا الامير المؤتمر وحثه على العمل بما تقضي به الحال من الجد والنشاط ثم انصرف بين التصفيق والهتاف وكان خبر أفتتاح المؤتمر قد انتشر في انحاء العاصمة فادركت الامة ان ساعة تقرير المصير قد أزفت فقامت بمظاهرة عظيمة امام المؤتمر طالبة الوحدة والاستقلال التام . وقد أرسل المتظاهرون باسم الامة كتابا الى المؤتمر تلاه الكاتب العام على الأعضاء وجاء فيه ما خلاصته :

« ان الأمة صاحبة الكلمة الاولى في تقرير مصيرها تطلب من المؤتمر الذي يمثلها في هذه الساعة العصيبة ان يعلن استقلال البلاد بحدودها الطبيعية استقلالا تاما وان ياخذ على عاتقه تبعة الدفاع عنها ويشرف على تاليف حكومة دمقراطية مسؤلة امامه ريثما تتم الانتخابات المقبلة لمجلس النواب واذا شاء ان يعلن سمو الامير فيصل المعظم ملكا على البلاد فليعلنه ملكا دستوريا دمقراطيا عادلا — الى غير ذلك من المطالب والاقتراحات » .

ثم ان الاعضاء انتخبوا الرئيس الدائم وأعضاء ديوان الرياسة للمؤتمر وكانت الجلسة الاولى برياسة رئيس موقت فكان الرئيس هاشم بك الاتاسي . ثم ألفت لجنة لوضع رد على خطاب الامير . ولم يحضر كاتب هذه السطور الجلسة الاولى لانه كان قبلها بايام زار مدينة بيروت وفي أثناء زيارته لها انتخبه أهلها نائبا عنهم في المؤتمر انتخابا قانونيا وعاد الى العاصمة مع أكثر مندوبي بيروت في يوم الاحد ١٧ جمادى الآخرة وحضر الجلسة التي عقدت في مسائه فقرئت فيها مضبطة انتخابه وقبلت واشترك في المناقشة في الرد على خطاب الامير وتقريره وهذا نصه :

رد المؤتمر على خطاب الامير

« ياسمو الامير المعظم ! » بكل فخر وابتهاج سمع المؤتمر السوري العام الممثل للامة السورية خطاب سموكم الملكي الذي شرحتم به الغاية النبيلة وأبنتم موقف البلاد تجاه الازمات الحاضرة وأعربتم عن حسن نية الحلفاء وأقطاب السياسة إزاء استقلال البلاد العربية عامة وسورية خاصة استنادا الى عهودهم ووعودهم

« ان الامة العربية في الاوطان والمهاجر ياسمو الامير لم تقم جمعياتها وأحزابها السياسية في زمن الترك بمواصلة الجهاد السياسي ، ولم ترق دم شهدائها الاحرار ، وتثر على الحكومة التركية الا طلبا للاستقلال التام والحياة الحرة بصفتها أمة ذات كيان سياسي ومدنية خالدة وقومية خاصة لها الحق في ان تحكم نفسها بنفسها . وقد دخلت الحرب العامة في جانب الحلفاء استنادا الى عهودهم المقطوعة لجلالة الملك والدكم المعظم والوعود الرسمية السياسية التي جاهر بها أقطاب سياستهم ، واقتناعا بتحقيق مبادئ الرئيس ولسن السامية المقررة لحرية الشعوب واستقلالها وحفظ مصالحها واعطائها الحق في تقرير مصيرها كما تفضلتم في خطاب سموكم العالي . وان ماقام به جلالة والدكم المعظم وما قمتم به سموكم من الاعمال الجليلة كان أعظم عامل في الظفر وانتصار القضية العربية مما أوجب ابتهاج العرب عامة والسوريين منهم خاصة الذين جاهدوا معكم حق الجهاد في سبيل الوصول الى هذه الغاية المقدسة غاية الحرية والاستقلال التام

« لذلك كان الواجب الاول المتحتم على هذا المؤتمر الذي يتكلم بلسان الامة ويعبر عن عواطفها وآمالها ترتيل آيات الشكر والثناء على جهاد جلالة والدكم المحمود وجهاد سموكم وتكرار الدعاء بتوفيق جلالته وسموكم وسمو اخوتكم وآل بيتكم الكريم الذين اشتركوا معكم في سبيل استقلال البلاد وتحريرها وكانوا معكم أكبر عون لهذه الامة في تحقيق آمالها ورغائبها

« على ان وقوفكم وقفة الابطال في ميادين الحرب لم يكن أعظم من وقوفكم موقف الدفاع عن قضيتنا الحقة في ميادين السياسة الخارجية الذي خلد لكم في بطون التاريخ أفضل الاثر

« ان تنويه سموكم بالظفر الذي تم للعالم وانه لم يكن عسكريا فقط بل هو سياسي قبل كل شيء لانه ظفر الحق على القوة والحرية على الاستبداد قد أثلج صدور أعضاء المؤتمر الذين اجتمعوا في هذه العاصمة بصفتهم ممثلي الامة ليقتطفوا من حدائق الحرية ثمرة جهادها المقدس وقد زادنا اطمئنانا تصريح سموكم بأن اختباراتكم ومفاوضاتكم مع رجال السياسة لم تبق مجالا للشك في حسن نية الحلفاء ولا سيما نحو بلادنا المحبوبة

« ان الامة ياسمو الامير لتعتمد في قضيتها الاستقلالية على حقها الصريح بالحياة

واثقة بأن الحق يؤخذ ولا يعطى كما صرحتم بذلك مرارا . على اننا كأمة حية مدنية تريد حياة واستقلالا تاما وتود ان تعيش مع سائر الدول على غاية من الولاء والمحبة الخالصة ستسعى لان تكون سياستها في المستقبل سياسة صلح وسلام مبنية على الثقة المتقابلة والمنافع المتبادلة التي لا تمس باستقلالنا التام

«ان المؤتمر السوري العام يقدر ياسمو الامير مهمته الخطيرة حق قدرها وهو يرى ان موقف البلاد السورية من الوجهة الاحتلالية الموقتة التي قضت بها الظروف الحربية قد آن ان تنتهي وفقا لآمال البلاد وانقاذاً لها من مشاكلها الحاضرة فقد مضى نحو عام ونصف والبلاد لاتزال تئن تحت ثقل الاحتلال العسكري الذي الحق بها اضرارا جمة وأوقف سير مصالحها الاقتصادية والادارية ووقع ريبة في نفوس أبنائها فاندفع الشعب وقام بثورات عديدة في المناطق المحتلة مطالبا باستقلال بلاده ووحدتها

«لذلك ولما نشاهده يوميا من عزم الامة الاكيد على المطالبة بحقها ووحدتها والعمل للوصول الى هذه الغاية بكل الوسائل الممكنة واستناداً الى حقنا الشرعي بالحياة الحرة ودماء شهدائنا الاحرار وجهادنا الطويل والعهود التي قطعها الحلفاء لنا والمبادئ السامية التي أعلنوها ، وقد أجمعنا بصفتنا ممثلي الامة السورية في جميع انحاء القطر السوري تمثيلا قانونيا وقررنا باجماع الرأي استقلال بلادنا السورية بحدودها الطبيعية استقلالا تاما لاشائبة فيه مبنيا على الاساس النيابي المدني وقد اخترنا باجماع الآراء سموكم ملكا دستوريا على البلاد السورية نظرا لما امتزتم به من الصفات وما قمتم به من الاعمال الخالدة لمصلحة الوطن وما عرفتم به من حبكم للحرية والدستور واخلاصكم للبلاد والامة وضربنا موعداً لمبايعة سموكم رسميا نهار قد الاثنين في ٨ آذار الساعة الثالثة بعد الظهر واعلنا انحلال الحكومات الاحتلالية العسكرية على ان تقوم مقامها حكومة وطنية ملكية مدنية مسؤولة وتدار مقاطعات البلاد على الطريقة اللامركزية

«هذا واننا نحفظ باسم الامة صداقة الحلفاء محترمين مصالحهم ومصالح الاجانب كل الاحترام ولنا الثقة التامة بأن عملنا هذا سيقابله الحلفاء بكل ارتياح لما نعهد فيهم

من شرف الغاية فيوافقون على استقلالنا التام واجلاء جنودهم عن المنطقتين الغربية والجنوبية فيقوم بحفظ النظام فيهما الجند الوطني والادارة المستقلة وتتمكن الامة السورية بالاحتفاظ بصداقة الحلفاء من ان تبلغ أقصى درجات الرقي وتكون عاملا في المجتمع الدولي المتمدن

ولما كانت الحكومة التي قررنا تأليفها هي حكومة نيابية مدنية مسؤولية تجاه الامة فقد قررنا ابقاء مجلسنا هذا لسن القانون الاساسي والسهر على مراقبة استقلال البلاد والاسس التي وضعها علنيا باسم الامة الى ان تتمكن الحكومة من جمع مجلس النواب

وقبل ان نختم عربضتنا نعلن بكل شكر وثناء الخدم التي قام بها اخواننا العراقيون في سبيل النهضة العربية ولا نزال نؤيد طلبنا السابق باستقلال العراق التام ورفع الحواجز السياسية والاقتصادية بينه وبين سورية ونعضد مطالبه الاستقلالية بكل ذلك معرضين شعائر الطاعة والاخلاص الخ

اعلان الاستقلال

وقرار المؤتمر التاريخي فيه

هذا هو نص القرار التاريخي الذي وضعه المؤتمر الوطني العام باعلان وحدة سوريا واستقلالها التام وتلاه عزة افندي دروزة كاتب المؤتمر على الشعب من شرفة البلدية :

ان المؤتمر السوري العام الذي يمثل الامة السورية العربية في مناطقها الثلاث الداخلية والساحلية والجنوبية (الفلسطينية) تمثيلا تاما يضع في جلسته العامة المنعقدة نهار الاحد المصادف بتاريخ ١٧ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ بليل الاثنين التالي الموافق ٧ آذار سنة ١٩٢٠ القرار التالي

«ان الامة العربية ذات المجد القديم والمدنية الزاهرة لم تقم جمعياتها وأحزابها السياسية في زمن الترك بمواصلة الجهاد السياسي ولم ترق دم شهدائها الاحرار وتثر على حكومة الاتراك الا طلبا للاستقلال التام والحياة الحرة بصفتها أمة ذات

وجود مستقل وقومية خاصة لها الحق في ان تحكم نفسها بنفسها اسوة بالشعوب الاخرى التي لاتزيد عنها مدنية ورقيا وقد اشتركت في الحرب العامة مع الحلفاء استنادا على ماجهروا به من الوعود الخاصة والعامة في مجالسهم الرسمية وعلى لسان ساستهم وحكوماتهم وما قطعوه خاصة من العهود لجلالة الملك حسين بشأن استقلال البلاد العربية وما جهر به الدكتور ولسن من المبادئ السامية القائلة بحرية الشعوب الكبيرة والصغيرة واستقلالها على مبدأ المساواة في الحقوق وانكار سياسة الفتح والاستعمار والغاء المعاهدات السرية المجحفة بحقوق الامم واعطاء الشعوب المحررة حق تعيين مصيرها التي وافق عليها الحلفاء رسميا كما جاء في تصريحات المسيو بريان رئيس وزراء فرنسا بتاريخ ٣ نوفمبر سنة ١٩١٥ امام مجلس النواب واللورد غري وزير خارجية بريطانيا العظمى في ٢٣ اكتوبر سنة ١٩١١ أمام لجنة الشؤون الخارجية وتصريح الحلفا في جوابهم على مذكرة الدول الوسطى التي رفعها لمسيو بريان بواسطة السفير الامريكي في باريس وجواب الحلفاء على مذكرة الرئيس ولسن في ٣٠ كانون ثاني سنة ٩١٧ وتصريح مسيو ريبو رئيس نظار فرنسا بتاريخ ٢٢ مايس سنة ١٩١٧ أمام مجلس النواب وبيان مجلس النواب الافرنسي ليلة ٤ — ٥ حزيران ١٩١٧ وبيان مجلس الشيوخ في ٦ منه أيضا وما جاء في خطاب المستر لويد جورج في غلاسكو بتاريخ ٢٩ حزيران سنة ١٩١٧

« وقد كان ماقام به جلالة الملك حسين المعظم من الاعمال العظيمة في جانب الحلفاء هو الباعث الاكبر لتحرير الامة العربية وإنقاذها من ربقة الحكم التركي فخلد لجلالته في التاريخ العربي أجمل الآثار وأفضلها وقد أبلى أنجاله الامراء الكرام مع الامة العربية في جانب الحلفاء البلاء الحسن مدة ثلاث سنوات حاربوا في خلالها الحرب النظامية التي شهد لهم بها أقطاب السياسة وقواد الجند من الحلفاء أنفسهم وسائر العالم المتمدن وضحوا العدد الكبير من أبنائهم الذين التحقوا بالحركة العربية من انحاء سورية والحجاز والعراق فضلا عما قام به السوريون خاصة في بلادهم من الاعمال التي سهلت انتصار الحلفاء وما أصابهم من الاضطهاد والتقريب والقتل والنفي والتعذيب . تلك الاعمال التي كان لها الاثر الاكبر في انكسار الترك

وجلائهم عن سورية وانتصار قضية الحلفاء انتصارا باهراً حقق آمال العرب بوجه عام والسوريين منهم بوجه خاص فرفعوا الاعلام العربية وأسسوا الحكومات الوطنية في أنحاء البلاد قبل أن يدخل الحلفاء هذه الديار

ولما قضت التدابير العسكرية بجعل البلاد السورية ثلاث مناطق أعلن الحلفاء رسميا أن لامطمع لهم في البلاد وأنهم لم يقصدوا من مواصلتهم تلك الحروب في الشرق سوى تحرير الشعوب من سلطة الترك تحريرا نهائيا وا كدوا أن تقسيم المناطق لم يكن الا تدبيرا عسكريا مؤقتا لاتأثير له في مصير البلاد واستقلالها ووحدتها ، ثم انهم قرروا بعد ذلك رسميا الفقرة الاولى من المادة الثانية والعشرين من معاهدة الصلح مع المانيا فاعترفوا فيها باستقلالنا تأييدا لما وعدوا به من اعطاء الشعوب حق تقرير مصيرها وأرسلوا اللجنة الاميركية للوقوف على رغائب الشعب فتجلت لها هذه الرغبة في طلب الاستقلال التام والوحدة السورية التامة

«وقد مضى عام ونصف عام والبلاد لاتزال رازحة تحت الاحتلال والتقسيم العسكري الذي ألحق بها اضرارا عظيمة وأوقف سير أعمالها ومصالحها الاقتصادية والادارية وأوقع الريبة في نفوس أبنائها من أمر مصيرها فاندفع الشعب في كثير من انحاء البلاد وقام بثورات أهلية منتقضا على الحكم العسكري الغربي ومطالبا باستقلال بلاده ووحدتها

فنحن أعضاء هذا المؤتمر بصفتنا الممثلين للامة السورية في جميع انحاء القطر السوري تمثيلا صحيحا نتكلم بلسانها ونجهر بارادتها رأينا وجوب الخروج من هذا الموقف الحرج واستنادا على حقنا الطبيعي الشرعي في الحياة الحرة وعلى دماء شهدائنا المراقة وجهادنا المديد في هذا السبيل المقدس ، وعلى العهود والوعود والمبادىء السامية السالفة الذكر وعلى ماشاهدناه كل يوم من عزم الامة الثابت الاكيد على المطالبة بحقها ووحدتها والوصول الى ذلك بكل الوسائل — قد أعلنا باجماع الرأي استقلال بلادنا السورية بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين استقلالا تاما لاشائبة فيه على الاساس النيابي على ان تراعي أماني اللبنانيين الوطنية في كيفية ادارة مقاطعتهم لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب بشرط ان يكون بمعزل عن كل تأثير أجنبي

ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطناً قومياً لهم — وقد اخترنا سمو الامير فيصل ابن جلالة الملك حسين الذي واصل جهاده في سبيل تحرير البلاد وجعل الامة ترى فيه رجلها العظيم ملكاً دستورياً على سورية بلقب صاحب الجلالة [الملك فيصل الاول] واعلنا انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة في المناطق الثلاث على أن يقوم مقامها حكومة ملكية نيابية مسؤلة تجاه هذا المجلس في كل مايتعلق بأساس استقلال البلاد التام الي أن تتمكن الحكومة من جمع مجلسها النيابي على ان تدار هذه البلاد على طريقة اللامركزية .

ولما كانت الثورة العربية قد قامت لتحرير الشعب العربي من حكم الترك وكانت الاسباب المستند اليها اعلان استقلال سورية هي التي يستند اليها في اعلان استقلال القطر العراقي — وبما ان بين القطرين صلات وروابط تاريخية ولغوية واقتصادية وجنسية وكل واحد من القطرين لايستغني عن الاخر فنحن نطالب استقلال القطر العراقي استقلالاً تاماً على ان يكون بين القطرين الشقيقين اتحاد سياسي اقتصادي

هذا واننا باسم الامة السورية التي أنابتنا نحتفظ بصداقة الحلفاء الكرام محترمين مصالحهم ومصالح جميع الدول كل الاحترام وان لنا الثقة التامة بأن يتلقى الحلفاء الكرام وسائر الدول المتمدنة عملنا هذا المستند الى الحق الشرعي والطبيعي في الحياة بما تحققه فيهم من نبالة القصد وشرف الغاية فيعترفوا بهذا الاستقلال ويجلوا جنودهم عن المنطقتين الغربية والجنوبية فيقوم الجند الوطني والادارة الوطنية بحفظ النظام والادارة فيهما مع المحافظة على الصداقة المتبادلة حتى تتمكن الامة السورية العربية من الوصول الى غاية الرقي وتكون عضواً عاملاً في العالم المتمدن . وعلى الحكومات السورية التي تتألف استناداً على هذا الاساس تنفيذ هذا القرار

اعلان استقلال العراق

واتحاده بسورية — انتخاب جلالة الملك عبد الله ملكا عليه
وسمو الامير زيد نائبا للملك فيه

هذا هو نص القرار الذي وضعه المؤتمر العراقي العام باعلان استقلال العراق واتحاده بسورية سياسيا واقتصاديا وقد تلي هذا القرار على الشعب السوري من شرفة البلدية يوم اعلان استقلال سورية كما تقدم :

قرر المؤتمر العربي العراقي العام الذي يمثل الشعب العراقي تمثيلا قانونيا في جلسته المنعقدة في دمشق الشام بتاريخ ٨ آذار ١٩٢٠ و ١٨ جمادى الاولى سنه ١٣٣٨ اعلان القرار الآتي :

باسم الشعب العربي العراقي

خاضت الامة العربية نار غمار الحرب الماضية في جانب الحلفاء لرفع نير الاجانب عن عاتقها واسترجاع سالف مجدها واستئناف مهمتها الطبيعية في تمدين الشرق وتحقيق آمالها القومية بالوحدة والاستقلال التام أسوة بغيرها من الشعوب التي نالت استقلالها وهي دونها حضارة ورقيا . وكان الحلفاء الكرام قد تعاهدوا على الاخذ بنصرتها في هذا السبيل وأعلنوا بلسان رؤساء حكوماتهم ومجالس نوابهم أن لاغاية لهم من الحرب الا استقلال الشعوب وترك الخيار لها في بت مصيرها وتعيين شكل حكوماتها فأبرمت بريطانية العظمى مع جلالة الملك الحسين تلك المعاهدة المعروفة التي اعترفت فيها باستقلال العرب من جبال طوروس وشمالي ولاية الموصل الى خليج فارس والاوقيانوس الهندي والبحر الاحمر ، وأيد الرئيس ولسن ذلك بما أعلنه من المبادئ السامية التي وافق عليها الحلفاء قطعية واتخذوها أساسا للصلح الدائم كما جاء في بيان اللورد غراي وزير خارجيه انكلترة امام لجنة الامور الخارجيه في ٢٣ تشرين الاول ٩١٦ وتصريح المسيو بريان رئيس وزارة فرنسه في ٣ تشرين الثاني ٩٠٥ وردود الحلفاء على مذكرة الدول الوسطى التي أرسلت على يد

السفير الاميركي في باريس وجوابهم على مذكرة الرئيس ولسن في ٢٢ ايار ١٩١٧ وبيان مجلس النواب الفرنسي في ٥ حزيران ١٩١٧ وبيان مجلس الشيوخ في ٦ منه وتصريح المستر لويد جورج في غلاسكو في ٩ حزيران ٩١٧ وما شاكل ذلك من البيانات القائلة بتحرير الشعوب الكبيرة والصغيرة واستقلالها وترك الخيار لها في بت مصيرها والغاء المعاهدات السرية المجحفة بحقوقها

وقد كان لجلالة الملك الحسين الاول وأنجاله أصحاب السمو الامراء العظام الفضل الاكبر في تحرير الامة العربية وانقاذها من نير العبوديه والذل واحراز النصر المشترك على الاعداء في الشرق فأبلوا في الحرب أحسن بلاء وقادوا الامة من نصر الى نصر ثلاث سنوات متواصلة أراقوا فيها دماء زهرة أبناء العراق وسورية والحجاز وكانوا موضع اعجاب الحلفاء والاعداء على السواء . ذلك فضلا عما تحمله الامة في الاقطار العربية المختلفة من المصائب والاهوال وما قامت به من جليل الاعمال تأييدا لقضيتها وانتصارا لجلالة الملك وحلفائه الكرام

وقد أسفر هذا الجهد المشترك المتواصل عن اندحار الاعداء وجلائهم عن العراق ودخول الجيوش البريطانية اليه بصفة حلفاء ومحررين فاعلنوا حينئذ ان لا مطمع لهم في البلاد ولا غاية الا استقلال الامة وترك الخيار لها في بت مصيرها وتعيين شكل حكومتها

على ان الحرب العظمى قد وضعت أوزارها منذ نحو عام ونصف عام والبلاد لاتزال تئن تحت وزر الاحتلال الاجنبي الذي الحق بها اضراراً جسيمة مادية وأدبية وأوقف سير أعمالها ومصالحها الاقتصادية والادارية بشكل كاد يزلزل موقعها السياسي فعيل صبر الشعب من هذه الحال وانتفض في أماكن مختلفة على الحكم العسكري الاجنبي مطالبا باستقلاله التام

فنحن أعضاء هذا المؤتمر الذي يمثل الشعب العربي العراقي تمثيلا قانونيا صحيحا رأينا الآن ان نجهر بارادته ونخرج البلاد من هذا الموقف الحرج والحال المبهم المضطرب فاستنادا الى حق الامة الطبيعي بالحياة الحرة والاستقلال التام والى المبادئ السامية التي أعلنها الحلفاء العظام أكثر من سبعين مرة في خلال الحرب الماضية والى الرغائب التي أعربت عنها الامة العربية العراقية في ٦ ربيع ثاني سنة ١٣٣٧ بوثائق رسمية

وقعها الامراء والرؤساء والزعماء والمفكرون وسائر طبقات الشعب والى ١٠ شاهدناه وشاهده كل يوم من عزم العرب العراقيين على نيل استقلالهم التام والتوسل بكل الوسائل الممكنة التي تؤدي اليه وبصفتنا ممثلي الشعب المكلفين بالاعراب عن ارادته أعلنا الان باجماع الآراء استقلال البلاد العراقية المسلوخة عن تركيا بحدودها المعروفة من شمالي ولاية الموصل الى خليج فارس استقلالا تاما لاشائبة فيه وأيدنا استقلال سوريا التام وأعلنا اتحاد العراق بها اتحادا سياسيا واقتصاديا ونادينا بحضرة صاحب السمو الملكي الامير عبدالله ملكا دستوريا بلقب صاحب الجلالة ملك العراق وعهدنا في نيابة الملك الى صاحب السمو الملكي الامير زيد المعظم وأعلنا انتهاء الحكم الاحتلالي العسكري الحاضر على ان تقوم مقامه حكومة وطنية مسؤولة امام الشعب

وانا باسم الامة العربية العراقية التي انابتنا عنها وعهدت الينا بتقرير مصيرها نعلن محافظتنا على صداقة الحلفاء الكرام وعزمنا على احترام مصالح ومصالح جميع الدول الاجنبية في بلادنا راجين منهم أن يعترفوا بهذا الاستقلال ويجلوا عن بلادنا العراقية فيحل محلهم فيها الجند الوطني والادارة الوطنية فتتمكن دولتنا حينئذ من ان تكون عاملا من عوامل الرقي في العالم المتمدن

هذا وان الحكومة العراقية التي تتشكل عاجلا مكلفة بتنفيذ قرارنا هذا تحريرا في ٨ آذار سنة ١٩٢٠ و ١٨ جمادى الاولى سنة ١٣٣٨

رزء اسلامي عظيم — وفاة الدكتور صدقي

في أوائل شهر شعبان من هذه السنة ١٣٣٨ فقد الاسلام رجلا من أفضل رجاله دينا وتقوى، وأقوى أنصاره حجة، وأخلصهم نية، صديقنا الصفي الوفي وولينا وطبيب أسرتنا، الدكتور محمد توفيق صدقي المعروف عند قراء المنار في مشارق الارض ومغاربها بمقالاته الكثيرة المفيدة من دينية وعلمية تغمده الله برحمته، وحشره مع الذين أنعم عليهم من أهل كرامته، وأكثر في هذه الايام المصابة بالقحط في الرجال من أمثاله

توفاه الله بمصر وكاتب هذه السطور (منشئ المنار) في دمشق واتفق ان نشر الجرائد نعي الدكتور صدقي ، ولم أعلم بها الا بعد زهاء خمسة أسابيع فعظم علي وقع المصاب بعظم كل من علم به من اخواننا من علماء الدين في الشام ولم أستطع كتابة تأبين ولا تعزية له في ذلك الوقت لاشتغالي بأعمال رياسة المؤتمر السوري وقراءة درس في الجامع الكبير الاموي واضطراب عرض لي في الوتين كان كلما خف ثم يعود لي التهيج بالازدياد برفع الصوت في كل من الدرس وضبط نظام جلسات المؤتمر والبحث في مذاكرته وطلب الاصوات على اقتراحاته حتى اضطررت الى ترك الدرس في النصف الآخر منه وهو العشر الاخير من رمضان ، مع مشقة الصيام ، وقلة المنام ، وصرف وقت من الليل والنهار فيما لا مندوحة عنه من لقاء الناس ، حتى انني لم أقرأ في رمضان هذا العام أكثر من ثلاث ختمات من القرآن على انني قرأت في رمضان العام الماضي اكثر من عشر ختمات

ومن غريب الاتفاق ان كانت وفاته قريبة العهد من وفاة تربه وصنوه في النشأة العلمية والدينية الطبيب عبده ابراهيم الذي عد موته نذيرا له بالموت بمثل مرضه ، وقرب اللحاق به : كتب الي وكيلي وابن عمي السيد عبد الرحمن عاصم انه لما علم بمرضه وسأله عن حاله فقال انني محموم فاذا كانت هي هذه الحمى التيفويدية فانا ميت بها لا محالة وكثيرا ما كان ينعى نفسه في السنة التي عاشها بعد صنوه عبده ابراهيم حتى انه في حالة صحته كان يقول : لا أدري من يربي ولدي عمر ، وكان شرع في كتابة مقال في العقائد وأخره ليتمه وينشره في المنار فأعطى ما كتبه الى اهله وعهد اليهم أن يرسلوه الي اذا هو مات ويبلغوني عنه اذنه لي بتصحيحه كعادته فيما يقبل في حياته من التنقيح في المعنى الا ما يقتنع بصحته او يوافق نظره . فأرسلوا ما كتبه الى الادارة بعد وفاته وقد نشر في هذا الجزء ، وذكر لابن عمي انه عهد اليه بتحرير المجلة الطبية التي أنشأتها جمعية الاطباء بمصر وقال له : مازال المنار يرفعني حتى جعلني كاتبا

وسنكتب له ترجمة علمية بعد مراجعة مجلدات المنار التي نشرت فيها مقالاته ومناظراته الدينية لبعض علماء مصر وغيرهم ان شاء الله تعالى

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و« منارا » كمنار الطريق

مصر ٢٩ ق سنة ١٣٣٨ـ٢١ الاسد (ص ٣) سنة ١٢٩٨ هش ١٤ أغسطس سنة ١٩٢٠

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو بما شاء من الالقاب ان شاء. وأننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ القرآن كلام الله لا كلام جبريل ولا محمد عليهما السلام ﴾

(س ١) من الشيخ محمد عريقات وامام مسجد عز الدين في (برنبال) غربية

حضرة صاحب الفضيلة مولانا رشيد الامة ومرشدها الاوحد

أعرض على فضيلتكم مسألة هامة أرجو التكرم بافادتي بالقول الفصل فيها ولكم جزيل الثواب

وهي مسألة المنزل من القرآن هو اللفظ والمعنى أو المعنى فقط وعبر باللفظ محمد عليه السلام أو جبريل كما ذكره الباجوري على الجوهرة عند قول الناظم (ونزه القرآن أي كلامه الخ) مع ترجيحه للقول الاول الذي هو اللفظ والمعنى معبرا عنه بالراجح مع أنهم ذكروا في الاصول من شروط الترجيح التساوي في القوة فلا ترجيح بين

التعلمي والظني بل يقدم القطعي اتفاقا. والمتبادر لي أن من المعلوم من الدين بالضرورة أن القرآن كلام الله حقيقة وانه المعجز الاكبر المتحدى به حقيقة كما لا يخفى هذا ونصوص القرآن والسنة الناطقة بنزول القرآن بلفظه ومعناه كثيرة جدا لا تخفى على فضيلتكم كقوله تعالى (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا الخ) وقوله (إنا أنزلناه قرآنا عربيا) ومثلها كثير في القرآن وقوله (لاتحرك به لسانك) الخ وقوله(انا سنلقي عليك قولا ثقيلا) الخ وقوله (الله نزل أحسن الحديث الخ) وقوله (إن هـذا الا قول البشر سأصليه سقر) الخ وقوله (فانما يسرناه بلسانك) الخ وقوله (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) وقوله (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون) وقوله (وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين * ثم قال بعدها — ولو نزلناه على بعض الاعجمين * فقرأه عليهم ما كانوا مؤمنين — الخ وقوله (انه لقول فصل * وما هو بالهزل) وقوله(انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون * وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) وتتبع الآيات يطول ذكره ولا يخفى على فضيلتكم ، ومن السنة حديث متواتر ألا وهو قوله عليه السلام « أنزل القرآن على سبعة أحرف » فهل يعد ذلك القول بالقول الثاني والثالث كفراً كما هو ظني أم لا؟ وهل القول بهما الآن يعد كفراً قطعا كما هو اعتقادي أم لا ؟ أرجو التكرم بالقول الشافي ، والجواب الكافي بالمنار الاغر في أقرب فرصة لا برحتم ملجأ للسائلين ، ونورا مبينا للمستضيئين ، آمين ، (الامضاء)

[المنار]ورد هذا السؤال منذ سنة ونصف وطال الامد على نشره والجواب عنه فأعاده صاحبه بالعبارة الآتية في أوائل هذا العام اذ كنا في سورية وهذا نصه :

فضيلة امام العصر الوحيد ، مولانا الاستاذ السيد محمد رشيد ، نفع الله به الأمة، وكشف به كل غمة آمين

هل القرآن كلام الله أو كلام محمد أو كلام جبريل ؟ واذا كان المقطوع به المعلوم من الدين بالضرورة أن القرآن كلام الله تعالى فما الداعي للخلاف الذي ذكره السيوطي في الاتقان بان المنزل من القرآن هو اللفظ والمعنى أو المعنى فقط وعبر عنه محمد عليه السلام باللفظ العربي أو المعنى فقط أيضا وعبر عنه جبريل باللفظ

المربي ، وكذا ذكره الباجوري على الجوهرة مرجحا الأول والأمير على الجوهرة أيضا والخضري في مقدمة التفسير والآلوسي في تفسير (نزل به الروح الأمين على قلبك) الاية فهل هذا الخلاف له أصل مقبول معقول منقول أو انه مدسوس على أهل الملة ؟ وكيف يكون له أصل مع أن اعتقاد ظاهره كفر ؟ هذه مسألة من أهم أصول الدين ولا تقليد في الاصول فما بقي الا أن تقوموا بتحقيق الحق وازالة حجب الحيرة عنها وتتكرموا بافادتنا بالمنار أو بالبريد ولكم الشكر لا برحتم عضد الحق ونوال السائلين امين

(ج) ان الذي ندين الله تعالى به من علم يقيني راسخ هو ان هذا القرآن العربي المكتوب في المصاحب المقروء بالالسنة باللغة العربية هو كلام الله تعالى المعجز للبشر ولغير البشر من الخلق وانه ليس لجبريل روح القدس منه الا تبليغه عن الله عز وجل لخاتم الرسل عليه الصلاة والسلام كما ان الرسول (ص) ليس له منه إلا تبليغه عن الله تعالى لمن أرسل اليهم . فجبريل عليه السلام تلقاه من الله عز وجل بالصفة التي تليق به تعالى ولا يعلمها من خلقه الا جبريل ، ومحمد (ص) تلقاه من جبريل بالوحي الذي لا يعرف كنهه الا الرسل الذين تلقوا مثله عن جبريل . والصحابة سمعوه من النبي (ص) كما سمعه منهم التابعون ومن تبعهم الى عصرنا هذا وكما يسمعه بعضنا من بعض بأصواتنا البشرية لا فرق بين قراءتنا له وقراءة من قبلنا الا بما نعلمه من التفاوت في التجويد وحسن الاداء

وانه ليعسر تعريف الكلام بحد جامع مانع تعرف به حقيقته منه كما يعسر تحديد مثله من الحقائق المعلومة بالضرورة • ومما يحسن ان يقال في تعريفه في الجملة انه صفة من صفات العالم وشأن من شؤونه يتمثل به علمه في نفسه وفي الخارج ، وما يتمثل به العلم في الخارج من الكلام يصل به الى غير صاحبه فيعلم به من يصل اليه من علم ذي الكلام ما تمثل له بصوت وحرف أو بكتابة ورسم أو بغير ذلك . فالانسان منا يتكلم في نفسه فيهيئ فيها ما يريد ان يقوله لزيد أو عمرو ، وينظم الشعر ثم ينطق به أو يكتبه ثم يقرأه ، وربما كتب شيئا ولم يقرأه . واذ نطق بالكلام المتمثل في نفسه رسم نطقه في الهواء بصورة أو صفة غير التي يرسم بها في الصحف فمن سمعه أدرك بسمعه مما رسم في الهواء عين ما هو مرسوم في لوح نفسه بصورة أخرى وكذلك

من رآه في الصحيفة يدرك مما رسم فيها غيره ما قام بنفس المتكلم وتمثل فيها من ذلك

وقد اخترع البشر في العصر الاخير وسائل لاداء الكلام وتبليغه لم يكن يعرفها ولا يعقلها أهل العصور السابقة كالتلغراف السلكي والتلغراف الهوائي أو اللاسلكي وكل منهما مظهر من مظاهر الكلام النفسي ووسائل اداء ويسمي كلاما حقيقيا لا مجازيا . وينسب كل كلام الى من صدر عنه وكان مجلى كلامه النفسي، فالجملة من كلام زيد من الناس يتناقلها الناس بالسنتهم وأقلامهم وبآلات التلغراف والتلفون وكل منهم يقول إنها كلام زيد . فالكلام ما يتمثل بعلم العالم لنفسه أو لغيره واختلاف صفة التمثيل للنفس ولغير النفس لا تمنع اطلاق اسم الكلام على كل منهما حقيقة ، فمن يرى في القرطاس « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل » يقول : إن هذا كلام امرئ القيس ،ومن يسمع ذلك من لسان أي انسان يقول ذلك. ولم يقل أحد من العرب في هذا القول الذي كتب وعلق على الكعبة ثم كتب في الصحف وقرأه الناس إن لفظه المرسوم في الصحيفة هو كلام الراسم وإن الذي أنشد على الناس منه هو كلام المنشد وإن معناه لامرئ القيس فقط أوان ما تمثل من هذا النظم في نفس امرئ القيس هو شعره وما نقرأه في الكتب أو من حفظنا لمعلقته هو كلامنا ،ولا إن هذا كلامه مجازاً وذلك كلامه حقيقة ، بل اجمعوا على أن هذه القصيدة كلامه وأنه ليس لرواتها بالقول والكتابة حظ منها الا النقل لكلام غيرهم

واذا قدر البشر على تمثيل كلامهم النفسي بعدة مظاهر لايختلف مدلولها عن مدلول ما في أنفسهم فالله تعالى اقدر منهم على ابلاغ كلامه النفسي لرسله من الملائكة والناس بما يليق باستعداد كل منهم فلا غرو من ان يكون لوحيه للملائكة صفة غير صفة وحيه للرسل من البشر فيما يكلمهم به بغير واسطة الملك وان يكون لما يسمعه النبي من الملك صفة غير صفة ما يسمعه الملك من الرب سبحانه وتعالى ، ولكن الكلام واحد في جميع مظاهره لايختلف باختلاف طرق أدائه وتبليغه كما نعرفه في الكلام المسموع بالاذان والمقروء في الصحف والمأخوذ من آلة التلغراف السلكي أو الهوائي ومثله المرسوم في الهواء أو ماتكيف بالهواء ، وبهذا المثال يظهر للمتأمل أن تجلي كلام الله تعالى في الالسنة والصحف والهواء وآلات التلغراف وفي اللوح المحفوظ وفي أنفس

الملائكة والبشر لا يخرجه عن كونه كلامه تعالى ولا يقتضي أن تكون صفة الكلام النفسية له تبارك وتعالى مشابهة لصفة الكلام في أنفس البشر أو غيرهم من خلقه تعالى ، ولا أن يكون تكليمه الملائكة وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام كتكليم بعضنا لبعض ولكن مؤداه واحد فالذي نقرأه أو نكتبه في المصاحف هو عين ما نزل به الروح الامين على قلب محمد (ص) فتلقاه عنه بهذه اللغة العربية وهذا الاسلوب المعجز الذي يعجز عليه الصلاة والسلام كغيره من البشر عن مثله بمقتضى ملكته العربية، ولذلك نرى أسلوبه غير أسلوب الحديث ونظمه غير نظمه بل يكثر في الحديث من الالفاظ المترادفة والصيغ المفردة غير ما في القرآن كلفظ «عرفة» وهو لم يذكر في القرآن الا بلفظ «عرفات» ولفظ الصوم وانما ذكر في القرآن لفظ «الصيام»

ولو كان ما تلقاه النبي (ص) من كلام الله تعالى هو معاني القرآن دون عبارته لكان القرآن كلامه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا كلام الله تعالى ؛ لان الكلام هو العبارة التي تتجلى فيها المعاني من علم المتكلم ، ومن أخذ عن غيره علما من العلوم ففهم منه القواعد والمسائل ثم كتب في ذلك كتابا فان ما في الكتاب من الكلام ينسب الى كاتبه لا الى استاذه الذي تلقى عنه تلك المعاني التي دونها في كتابه ، والقرآن كلام الله تعالى نسب اليه في آيات كثيرة كقوله (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) وفي أحاديث متعددة وأجمع على ذلك المسلمون وانما اختلف المتكلمون منهم في نظريات فلسفية في تعريف الكلام النفسي واللفظي وفي كونه من الصفات التي تقوم بذات الله تعالى أو التي لا تقوم بها تولد منها شبهات يصادم بعضها بعضا وكل ما خالف منها ما فهمه جمهور السلف الصالح من نصوص الكتاب والسنة فهو مردود على أهله بالنقل القطعي الذي لا مصادم له من البرهان العقلي .

وأول من أحدث هذه النظريات في الاسلام الجعد بن درهم وجهم بن صفوان ونصرت المعتزلة نظريات جهم وانخدع ببعضها كثير من أهل السنة وكان الامام أبو الحسن الاشعري من نظار المعتزلة ثم رجع الى مذهب أهل السنة ولكنه لم يترك

نظريانهم المخالفة للسلف كلها دفعة واحدة ومذهبه في مسألة الكلام الالهي لم يكن عين مذهب السلف ولا غيره من مذهب المعتزلة والجهمية وقد تبعه فيها كثير من كبار النظار كالقاضي أبي بكر الباقلاني وأشهر المصنفين في الكلام من أتباعه وله عبارة في ذلك اتخذوها أصلا وفرعوا عليها لذلك صار ينقلها علماء العقائد والمفسرون وشراح الاحاديث في كتبهم ، ولا شك في كون بعض تلك البدع تعد خروجاً من الملة وكون بعضها يستلزم ذلك ولكن التحقيق عند علماء الاصول والكلام ان لازم المذهب ليس بمذهب ، وان أكثر أصحاب تلك النظريات المخالفة لظواهر نصوص الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح لم يقولوا بها الا عن شبهات عرضت لهم أو لغيرهم من المنكرين للاسلام فأرادوا أن يقيموا حجة الاسلام بما قالوه بحسب اجتهادهم مع اذعانهم لاحكامه وعملهم به فكيف يقدم أحد على تكفيرهم مع ذلك.

وقد رجع أشهر محققي المتكلمين من الاشاعرة في مسألة الكلام والقرآن والصفات الى مذهب السلف في أواخر أعمارهم ومنهم من ارجع كلام مخالفي السلف من أئمتهم الى وفاق واليك ما قاله في مسألة الكلام علامتهم العضد صاحب كتاب المواقف الشهير ونقله عنه في شرحه له السيد الجرجاني قال :

« واعلم أن للمصنف مقالة مفردة في تحقيق كلام الله تعالى على وفق ما أشار اليه في خطبة الكتاب ومحصولها أن لفظ المعنى يطلق تارة على مدلول اللفظ وأخرى على الامر القائم بالغير ، فالشيخ الاشعري لما قال الكلام هو المعنى النفسي فهم الاصحاب منه أن مراده مدلول اللفظ وحده وهو القديم عنده ، وأما العبارات فانما تسمى كلاماً مجازا لدلالتها على ماهو كلام حقيقي حتى صرحوا بان الالفاظ حادثة على مذهبه أيضاً لكنها ليست كلامه حقيقة، وهذا الذي فهموه من كلام الشيخ له لوازم كثيرة فاسدة كعدم اكفار من أنكر كلامية ما بين دفتي المصحف مع أنه علم من الدين ضرورة كونه كلام الله تعالى حقيقة ، وكعدم المعارضة والتحدي بكلام الله الحقيقي، وكعدم كون المقروء والمحفوظ كلامه حقيقة - إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتفطن في الاحكام الدينية فوجب حمل كلام الشيخ على أنه أراد به المعنى الثاني فيكون الكلام النفسي عنده أمرا شاملا للفظ والمعنى جميعاً قائماً بذات الله تعالى وهو

مكتوب في المصاحف مقروء بالالسن محفوظ في الصدور ، وهو غير الكتابة والقراءة والحفظ الحادثة . وما يقال من أن الحروف والالفاظ مترتبة متعاقبة فجوابه أن ذلك الترتب انما هو في التلفظ بسبب عدم مساعدة الآلة فالتلفظ حادث والادلة الدالة على الحدوث يجب حملها على حدوث اللفظ دون حدوث الملفوظ جمعاً بين الادلة. وهذا الذي ذكرناه وان كان مخالفاً لما عليه متأخرو أصحابنا الا أنه بعد التأمل تعرف حقيقته. تم كلامه

(قال السيد)« وهذا الحمل لكلام الشيخ (أي الاشعري) مما اختاره الشيخ محمد الشهرستاني في كتابه المسمى بنهاية الاقدام ولا شبهة في انه اقرب الى الاحكام الظاهرية المنسوبة الى قواعد الملة اه فالسيد الجرجاني قد ارتضاه أيضاً»

وقول السيد في مقدمة العبارة «على وفق ماأشار اليه في خطبة الكتاب» يعني به قول صاحب المواقف في الكلام على رسالة النبي (ص) من الخطبة مانصه « وانزل معه كتابا عربيا مبينا ، فأكمل لعباده دينهم وأتم عليهم نعمته ورضي لهم الاسلام دينا ، كتابا كريما ، وقرآنا قديما ، ذا غايات ومواقف ، محفوظا في القلوب مقروءا بالالسن مكتوبا في المصاحف ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا يتطرق اليه نسخ ولا تحريف في أصله او وصفه »

قال السيد الشارح في شرح ماقبل الجملتين الاخيرتين من هذه الاوصاف والنعوت : وصف القرآن بالقدم ثم صرح بما يدل على انه هذه العبارة المنظومة كما هو مذهب السلف حيث قال ان الحفظ والقراءة والكتابة حادثة لكن متعلقها اعني المحفوظ والمقروء والمكتوب قديم ، وما يتوهم من ان ترتب الكلمات والحروف وعروض الانتهاء والوقوف مما يدل على الحدوث فباطل لان ذلك لقصور في آلات القراءة . واما ما اشتهر عن الشيخ ابي الحسن الاشعري من ان القديم معنى قائم بذاته قد عبر عنه بهذه العبارات الحادثة فقد قيل انه غلط من الناقل منشأه اشتراك لفظ « المعنى » بين مايقابل اللفظ وبين مايقوم بغيره . وسيزداد ذلك وضوحا فيما بعد ان شاء الله تعالى » اه

ونقول اذا كان ماذكره « العلامة العضد » ووافقه عليه « السيد السند » هو مراد الشيخ الاشعري من عبارته المشهورة – التي لايبعد ظاهرها الذي تمسك به

جمهور أتباعه عن نظريات أصحابه القدماء من المعتزلة وغيرهم — فيها ونعمت والا فهي مردودة عليه وعلى كل من خالف السلف الصالح من أتباعه وغيرهم عملا بقوله (ص) في الحديث المتفق عليه « من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » ولا يغترن أحد بتلك النظريات التي بنى عليها الجهمية والمعتزلة وبعض الاشاعرة والكلابية وغيرهم أقوالهم في الكلام النفسي واللفظي وجعل بعضه حقيقيا وبعضه مجازيا ووصف بعضه بالقديم وبعضه بالحادث أو تسميته مخلوقا — فكل ذلك مبني على الهرب من وصف الخالق بصفات المخلوقين لئلا يكونوا مشبهين له بخلقه ، ومذهب السلف مبني على وصفه تعالى بكل ماوصف به نفسه ووصفه به رسوله (ص) واسناد ما اسنده اليه كلامه وكلام رسوله مع الجزم بالتنزيه وكونه ليس كمثله شيء كما نزه نفسه وقامت البراهين العقلية على تنزيهه ولاتنافي بين الامرين ولاتناقض. على ان الاشاعرة قد اجمعوا بعد تفلسف بعضهم في الكلام النفسي واللفظي بماتفلسفوا به على ما هو معلوم من الدين بالضرورة من ان مابين دفتي المصحف كلام الله تعالى حقيقة ليس للنبي (ص) فيه كسب وانما هو مبلغ له عن ربه عز وجل كما أمره بقوله (ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته)

وجملة القول ان ما نزل به الروح الامين من كلام الله تعالى على قلب محمد (ص) هو هذا القرآن العربي ذو الاسلوب الذى علا جميع اساليب العرب فبلغه (ص) كما تلقاه ووعاه بدون أدنى تصرف فيه ولو تصرف فيه ادنى تصرف لذكر مضمون الامر دون التلفظ بفعل الامر الذي خوطب به في مثل قوله تعالى (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد) وقوله عز وجل (قل انما امرت أن اعبد رب هذه البلدة التي حرمها) فلم يذكر لفظ « قل » في مثل هذه الآيات وهو كثير — ولو تصرف فيه ادنى تصرف لما ذكر في أثناء بعض السور ما ألقي اليه على طريقة الاستطراد الذي اقتضته الحال في وقت تبليغ السورة فكان كالاجنبي منها كقوله تعالى في سورة القيامة في سياق الكلام عن حال الانسان وشأنه في القيامة (لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه * فاذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم ان علينا بيانه) فهذه الآيات اجنبية عما قبلها وعما بعدها خوطب

بها النبي (ص) في اثناء وحي السورة اليه لانه انشأ يقرأ بلسانه ما كان يلقى اليه قبل ان يتم وحيه خوف ان ينسى شيئاً منه فخوطب بهذه الآيات على طريقة الالتفات الاستطرادي ليطمئن ويعلم ان الله تعالى عصمه من نسيان شيء من القرآن ، وهو في معنى قوله تعالى في سورة طه (ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه) ولو كان الذي ألقي اليه المعنى دون العبارة لكان تدبره واطالة الفكر فيه مع السكوت هو الذي يثبته في ذهنه بحسب العادة لا تحريك اللسان بالعبارة المكتسبة التي يؤديه هو بها فتحريك لسانه قبل نهي الله تعالى اياه عنه دليل على أنه كان يلقى اليه المعنى في العبارة المخصوصة فحرك لسانه بقراءة العبارة لئلا ينسى شيئاً منها فنهاه تعالى عن ذلك واخبره انه ضمن له العصمة من ضياع شيء منه

وقد صح في التفسير المأثور أن المراد بقوله تعالى « قرآنه » مصدر قرأ اي قراءته : اخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن ابن عباس في تفسير الآية قال : كان رسول الله (ص) يعالج من التنزيل شدة وكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة ان يتفلت منه يريد ان يحفظه فأنزل الله (لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه) قال يقول ان علينا أن نجمعه في صدرك ثم تقرؤه (فاذا قرأناه) يقول اذا انزلناه عليك (فاتبع قرآنه) فاستمع له وانصت (ثم ان علينا بيانه) ان نبينه بلسانك ، وفي لفظ علينا ان تقرأه ، فكان رسول الله بعد ذلك اذا اتاه جبريل أطرق — وفي لفظ استمع — فاذا ذهب قرأ كما وعده الله عز وجل. وفي رواية: قرأ كما أقرأه. ولو لم يرد في المسألة الا هذه الآية وتفسيرها المأثور في الصحيح لكفى بها إثباتا لكون النبي (ص) ليس له من عبارة القرآن الا حفظها كما اوحيت اليه وتبليغها كما حفظها معصوما من الخطأ والنسيان فيها ، فكيف والآيات الكريمة والاحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة ومنها ما ذكره السائل في سؤاله الاول

وانا لانرى فائدة ما في شرح تلك النظريات والشبهات الباطلة التي ترتب عليها ذلك القول الباطل الذي جزم السائل بكونه كفرا ولكننا نذكر السائل والقارئ بان أهل الحق يتحامون التكفير ما أمكن ويشترطون في تكفير المخالف للنصوص أن لا يكون مجتهدا متأولا ، وانا ننقل هنا نبذة نافعة في هذه المسألة من كتاب (موافقة صريح

المعقول لصحيح المنقول) لشيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية ، قال في أثناء شرح مسألة الكلام لالملي واقوال الفرق فيها وعبارة الاشعري التي تقدم تأويل صاحب المواقف لها ونصرالقاضي ابي بكر الباقلاني الشهير له فيما فهمه هو والجمهور منها مانصه:

«وقال الشيخ أبو الحسن محمد بن عبدالملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سماه [الفصول في الاصول عن الائمة الفحول] وذكر اثني عشر اماما — الشافعي ومالك والثوري وأحمد وابن عيينه وابن المبارك والاوزاعي والليث بن سعد واسحق بن راهويه والبخاري وابو زرعة وابو حاتم قال فيه: سمعت الامام ابا منصور محمد بن احمد يقول سمعت الامام ابا بكر عبد الله بن احمد يقول سمعت الشيخ أبا حامد الاسفرايني يقول: مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الامصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر، والقرآن حمله جبريل مسموعا من الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي نتلوه نحن بألسنتنا وفيما بين الدفتين وما في صدورنا مسموعا ومكتوبا ومحفوظا ومنقوشا وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين

«قال الشيخ أبوالحسن وكان الشيخ أبو حامد (أي الاسفرايني) شديد الانكار على الباقلاني وأصحاب الكلام قال ولم تزل الائمة الشافعية يأنفون ويستنكفون أن ينسبوا الى الاشعري ويتبرؤن مما بنى الاشعري مذهبه عليه، وينهون أصحابهم وأحبابهم عن الحوم حواليه؛ على ما سمعت (من) عدة من المشايخ والائمة منهم الحافظ المؤتمن بن احمد ابن علي الساجي يقول سمعنا جماعة من المشايخ الثقات قالوا كان الشيخ أبو حامد أحمد ابن أبي طاهر الاسفرايني امام الائمة الذي طبق الارض علما وأصحابا اذا سعى الى الجمعة من قطيعته الى جامع المنصور يدخل الرباط المعروف بالزوزني المحاذي للجامع ويقبل على من حضر ويقول اشهدوا عليّ بأن القرآن كلام الله غير مخلوق كما قال ابن حنبل لا كما يقوله الباقلاني. وتكرر ذلك منه جمعا فقيل له في ذلك فقال حتى ينتشر في الناس وفي أهل الصلاح ويشيع الخبر في أهل البلاد أني بريء مما هم عليه يعني الاشعرية وبريء من مذهب أبي بكر الباقلاني فان جماعة من المتفقهة الغرباء

يدخلون على الباقلاني خفية و يقرؤن عليه فيفتنون بمذهبه فاذا رجعوا الى بلادهم أظهروا بدعتهم لامحالة فيظن ظان أنهم مني تعلموه وانا ما قلته وانا بري‌ء من مذهب الباقلاني وعقيدته *

* قال الشيخ أبو الحسن وسمعت شيخي الامام أبا منصور الفقيه الاصبهاني يقول سمعت شيخنا الامام أبا بكر الزاذقاني يقول كنت في درس الشيخ أبي حامد الاسفرايني وكان ينهى أصحابه عن الكلام وعن الدخول على الباقلاني فبلغه أن نفرا من أصحابه يدخلون عليه خفية لقراءة الكلام فظن اني معهم ومنهم وذكر قصة قال في آخرها ان الشيخ أبا حامد قال لي يابني قد بلغني أنك تدخل على هذا الرجل يعني الباقلاني فاياك واياه فانه مبتدع يدعو الناس الى الضلالة والا فلا تحضر مجلسي فقلت أنا عائذ بالله مما قيل وتائب اليه واشهدوا علي اني لا أدخل اليه * قال أبو الحسن وسمعت الفقيه الامام أبا منصور سعد بن علي العجلي يقول سمعت عدة من المشايخ والائمة ببغداد — أظن الشيخ أبا اسحق الشيرازي أحدهم — قالوا كان أبو بكر الباقلاني يخرج الى الحمام متبرقعا خوفا من الشيخ أبي حامد الاسفرايني * قال ابو الحسن ومعروف شدة الشيخ أبي حامد على أهل الكلام حتى ميز أصول فقه الشافعي من أصول فقه الاشعري وعلقه عنه أبو بكر الزاذقاني وهو عندي و به اقتدى الشيخ أبو اسحق في كتابه (اللمع والتبصرة) حتى لو وافق قول الاشعري وجها لاصحابنا ميزه وقال هو قول بعض أصحابنا و به قالت الاشعرية ولم يعدهم من أصحاب الشافعي استنكفوا منهم ومن مذهبهم في أصول الفقه فضلا عن أصول الدين

(قلت) هذا المنقول عن الشيخ أبي حامد وأمثاله من أئمة أصحاب الشافعي أصحاب الوجوه معروف في كتبهم المصنفة في أصول الفقه وغيرها وقد ذكر ذلك الشيخ أبو حامد والقاضي أبو الطيب وأبو اسحق الشيرازي وغير واحد بينوا مخالفة الشافعي وغيره من الائمة لقول ابن كلاب والاشعري في مسئلة الكلام التي امتاز بها ابن كلاب والاشعري عن غيرهما والا فسائر المسائل ليس لابن كلاب والاشعري بها اختصاص بل ما قالاه قاله غيرهما اما من أهل السنة واما من غيرهم بخلاف ماقاله ابن كلاب في مسئلة الكلام واتبعه عليه الاشعري فانه لم يسبق ابن كلاب الى ذلك أحد

ولا وافقه عليه أحد من رؤوس الطوائف وأصله في ذلك هي مسئلة الصفات الاختيارية ونحوها من الامور المتعلقة بمشيئته وقدرته هل تقوم بذاته أم لا. وكان السلف والائمة يثبتون مايقوم بذاته من الصفات والافعال مطلقا والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر ذلك مطلقا فوافق ابن كلاب السلف والائمة في اثبات الصفات ووافق الجهمية في نفي قيام الافعال به ومايتعلق بمشيئته وقدرته ولهذا وغيره تكلم الناس فيمن اتبعه كالقلانسي والاشعري ونحوهما بأن في أقوالهم بقايا من الاعتزال وهذه البقايا أصلها هو الاستدلال على حدوث العالم بطريقة الحركات فان هذا الاصل هو الذي أوقع المعتزلة في نفي الصفات والافعال. وقد ذكر الاشعري في رسالته الى أهل الثغر بباب الابواب أنه طريق مبتدع في دين الرسل محرم عندهم وكذلك غير الاشعري كالخطابي وأمثاله يذكرون ذلك لكن مع هذا قد وافق ابن كلاب فيما ضاهيه وهذا الذي نقلوه من انكار ابي حامد وغيره على القاضي أبي بكر بن الباقلاني هو بسبب هذا الاصل وجرى له بسبب ذلك أمور أخرى وقام عليه الشيخ أبو حامد والشيخ أبو عبد الله بن حامد وغيرهما من العلماء من أهل العراق وخراسان والشام وأهل الحجاز ومصر مع ما كان فيه من الفضائل العظيمة والمحاسن الكثيرة والرد على الزنادقة والملحدين وأهل البدع حتى انه لم يكن في المنتسبين الى ابن كلاب والاشعري أجل منه ولا أحسن تصنيفا وبسببه انتشر هذا القول، وكان منتسبا الى الامام احمد وأهل السنة حتى كان يكتب في بعض اجوبته محمد بن الطيب الحنبلي وكان بينه وبين ابي الحسن التميمي وأهل بيته من التميميين من الموالاة والمصافاة ماهو معروف كما تقدم ذكر ذلك ولهذا غلب على التميميين موافقته في اصوله ولما صنف ابو بكر البيهقي كتابه في مناقب الامام احمد وابو بكر البيهقي موافق لابن الباقلاني في أصوله ذكر ابو بكر أعتقاد احمد الذي صنفه أبو الفضل عبد الواحد بن أبي الحسن التميمي وهو مشابه لاصول القاضي أبي بكر وقد حكى عنه أنه كان اذا درس مسئلة الكلام على أصول ابن كلاب والاشعرى يقول هذا الذي ذكره أبو الحسن أشرحه لكم وأنا لم تتبين لي هذه المسئلة فكان يحكى عنه الوقف فيها اذ له في عدة من المسائل قولان وأكثر كما تنطق بذلك كتبه ومع هذا

تكلم فيه أهل العلم وفي طريقته التي أصلها هذه المسألة بما يطول وصفه كما تكلم من قبل هؤلاء في ابن كلاب ومن وافقه حتى ذكر أبو اسمعيل الانصاري قال: سمعت أحمد بن أبي رافع وخلقا يذكرون شدة أبي حامد يعني الاسفرايني على ابن الباقلاني قال وأنا بلغت رسالة أبي سعد الى ابنه سالم ببغداد؟ ان كنت تريد ان ترجع الى هراة فلا تقرب الباقلاني. قال: وسمعت الحسين بن أبي أمامة المالكي يقول سمعت أبي يقول لعن الله أبا ذر فانه أول من حمل الكلام الى الحرم وأول من بثه في المغاربة

قال ابن تيمية (قلت) أبو ذر فيه من العلم والدين والمعرفة بالحديث والسنة وانتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة وغير ذلك من المحاسن والفضائل ما هو معروف به وكان قد قدم الى بغداد من هراة فأخذ طريقة ابن الباقلاني وحملها الى الحرم فتكلم فيه وفي طريقته من تكلم كأبي نصر السجزي وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني وأمثالهما من أكابر أهل العلم والدين بما ليس هذا موضعه وهو ممن يرجح طريقة الثقفي والضبعي على طريقة ابن خزيمة وامثاله من أهل الحديث. وأهل المغرب كانوا يحجون فيجتمعون به ويأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة ويدلهم على أصلها فيرحل منهم من يرحل الى المشرق كما رحل أبو الوليد الباجي فأخذ طريقة أبي جعفر السمناني الحنفي صاحب القاضي ابي بكر ورحل بعده القاضي أبو بكر بن العربي فأخذ طريقة أبي المعالي[1] في الارشاد

ثم انه مامن هؤلاء الا من له في الاسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الالحاد والبدع والانتصار لكثير من أهل السنة والدين مالايخفى على من عرف أحوالهم وتكلم فيه بصدق وعدل وانصاف، لكن لما التبس عليهم هذا الاصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة وهم فضلاء عقلاء احتاجوا الى طرده والتزام لوازمه فلزمهم بسبب ذلك من الاقوال ما أنكرها المسلمون من أهل العلم والدين وصار الناس بسبب ذلك منهم من يعظمهم لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخيار الامور أوسطها. وهذا

(١) هو امام الحرمين شيخ أبي حامد الغزالي شيخ ابن العربي

ليس مخصوصا بهؤلاء بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين والله تعالى يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات، ويتجاوز لهم عن السيئات، (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم)

«ولا ريب أن من اجتهد في طلب الحق والدين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخطأ في بعض ذلك فالله يغفر له خطأه تحقيقا للدعاء الذي استجابه الله لنبيه والمؤمنين حيث قالوا (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) ومن اتبع ظنه وهواه فأخذ يشنع على من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنه صوابا بعد اجتهاده وهي من البدع المخالفة للسنة فانه يلزمه نظير ذلك أو أعظم أو أصغر فيمن يعظمه هو من أصحابه فقلّ من يسلم من مثل ذلك في المتأخرين لكثرة الاشتباه والاضطراب وبعد الناس عن نور النبوة وشمس الرسالة الذي به يحصل الهدى والصواب، ويزول عن القلوب الشك والارتياب، ولهذا تجد كثيرا من المتأخرين من علماء الطوائف يتناقضون في مثل هذه الاصول ولوازمها فيقولون القول الموافق للسنة وينفون ما هو من لوازمه غير ظانين أنه منافيه و يقولون بملزومات القول المنافي الذي ينافي ما أثبتوه من السنة وربما كفروا من خالفهم في القول المنافي وملزوماته فيكون مضمون قولهم أن يقولوا قولا ويكفروا من يقوله !! وهذا يوجد لكثير منهم في الحال الواحد لعدم تفطنه لتناقض القولين ويوجد في الحالين لاختلاف نظره واجتهاده . وسبب ذلك ما أوقعه أهل الالحاد والضلال من الالفاظ المجملة التي يظن الظان انه لا يدخل فيها الا الحق والباطل، فمن لم ينتبه عنها أو يستفصل المتكلم بها كما كان السلف والائمة يفعلونه صار متناقضا أو مبتدعا ضالا من حيث لا يشعر، وكثير ممن تكلم بالالفاظ المجملة المبتدعة كلفظ الجسم والجوهر والعرض وحلول الحوادث ونحو ذلك كانوا يظنون أنهم ينصرون الاسلام بهذه الطريقة وأنهم بذلك يثبتون معرفة الله وتصديق رسله، فوقع من الخطأ والضلال ما أوجب ذلك . وهذه حال أهل البدع كالخوارج وامثالهم فان البدعة لا تكون حقا محضا موافقا للسنة اذ لو كانت كذلك لم تكن باطلا. ولا تكون باطلا محضا لا حق فيه اذ لو كانت كذلك لم تخف على الناس، ولكن تشتمل على حق و باطل فيكون صاحبها قد لبس الحق بالباطل، اما مخطئا غالطا واما متعمدا

اتفاق فيه والجدال كما قال تعالى (ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم) فأخبر أن المنافقين لوخرجوا في جيش المسلمين مازادوهم الا خبالا ولكانوا يسعون بينهم مسرعين يطلبون لهم الفتنة وفي المؤمنين من يقبل منهم ويستجيب لهم إما لظن مخطئ أو لنوع من الهوى أولمجموعهما، فان المؤمن انما يدخل عليه الشيطان بنوع من الظن واتباع هواه

«ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ان الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات وقد أمر المؤمنين أن يقولوا في صلاتهم (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فالمغضوب عليهم عرفوا الحق ولم يعملوا به والضالون عبدوا الله بلا علم، ولهذا نزه الله نبيه عن الأمرين بقوله (والنجم اذا هوى * ماضل صاحبكم وماغوى) وقال تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الايدي والابصار) اه كلام شيخ الاسلام ابن تيمية وهو فصل الخطاب في هذا الباب

ترجمة الطبيب محمد توفيق صدقي

نعي الينا صديقنا الصفي الوفي الطبيب النطاسي محمد توفيق صدقي ، ونحن في دمشق الشام بعيدين عن إدارة المنار واشتغال عنها بأعمال المؤتمر السوري الذي اختارنا لرياسته هنالك فكتبنا المنار نبذة وجيزة في تأبينه نشرت في الجزء الثامن منه ووعدنا بكتابة ترجمة مفصلة له . وبعد عودتنا الى مصر اطلعنا على ترجمة تاريخية له في العدد السادس من المجلة الطبية الذي صدر في شهر مايو سنة ١٩٢٠ فرأينا ان ننقلها في المنار ثم نقفي عليها بما نعلم من ترجمة الدينية الاصلاحية وهذا نص مانشر في المجلة الطبية

المرحوم الدكتور محمد توفيق صدقي

«نعي اليوم الى أهل الادب والطب سواء رجلا من أندر الرجال وعالما من العلماء الذين قضوا حياتهم في مزج الطب بالعلم الشرعي وتطبيق المبادئ الاسلامية

على أصول العلم الحديث الا وهو المغفور له الدكتور محمد توفيق صدقي الطبيب بمصلحة السجون بالقاهرة . ولد المرحوم في ٢٤ شوال سنة ١٢٩٨ هجرية الموافق ١٦ سبتمبر سنة ١٨٨١ فلما بلغ أشده [1] دخل المكتب فاستظهر القرآن الكريم وذلك هو السر في ميله الى الابحاث الدينية وتطبيقها على مبادئ العلوم العصرية وفي انطلاق لسانه وجري قلمه، فمن حفظ القرآن، فقد وضع يده على أعنة البيان، ثم دخل المدرسة الابتدائية ونال اجازتها سنة ١٨٩٦ ثم دخل المدارس الثانوية ونال اجازتها عام ١٩٠٠ ثم دخل مدرسة الطب ونال اجازتها عام ١٩٠٤ وكان متقدما على اقرانه فاستحق أن تشكره وزارة المعارف على اجتهاده بمكتوب خاص مؤرخ في ٢ يوليو سنة ١٩٠٤ فلما أن أتم دروسه وتخلص من عناء الامتحانات انطلق كالجواد المصلي في ابحاثه، موليا وجهه شطر ماتشبعت به نفسه وامتلأ بحبه عقله وقلبه، وكان مجال الكتابة امامه فسيحا فكان يكتب تارة في المجلات العلمية كالمنار . وتارة في الجرائد السيارة كالمؤيد واللواء والشعب والعلم وغيرها من أمهات الصحف اليومية، يضرب في كل مبحث بسهم صائب حتى بلغ ما كتبه من المقالات والرسائل عددا كبيرا عدا المؤلفات المتمة فمن مقالاته :

١ — تحريم الخنزير ونجاسة الكلب — ٢ مقالات الدين في نظر العقل الصحيح — ٣ الناسخ والمنسوخ — ٤ الاسلام هو القرآن وحده — ٥ تاريخ المصاحف — ٦ كلمة في الرق في الاسلام — ٧ رسالة الخلاصة البرهانية على صحة الديانة الاسلامية — ٨ ماء النيل ومضاره — ٩ الربا ورأيي فيه — ١٠ الطلاق في الاسلام — ١١ بحث في تعدد الزوجات — ١٢ الماديون والالهيون فلسفة صحيحة — ١٣ الاصلاح الاسلامي في جملة مقالات — ١٤ القرآن والعلم — ١٥ خوارق العادات في الاسلام — ١٦ حجاب المرأة في الاسلام — ١٧ نظرة في السموات والارض — ١٨ القرابين والضحايا في الاعياد — ١٩ سن الزواج بالفتيات، وكثير غيرها من المقالات الخاصة بالديانات . ومن كتبه كتاب ١ — دين الله في كتب انبيائه — ٢ الجزء الاول والثاني من دروس سنن الكائنات ألفه

(١) المنار : لعل كاتب الترجمة ظن ان الاشد بمعنى التمييز والصواب انه من سن ١٨ — ٣٠

لمدرسة دار الدعوة والارشاد . وبالجملة فقد كان فقيدنا كاتبا متفننا يمزج العلم بالدين في أكثر كتاباته .

« وأما ما تقلب فيه من الوظائف فانه عقب ان نال اجازة الطب في عام ١٩٠٤ تعين طبيبا بمستشفى قصر العيني ثم انتقل منه الى وظيفة طبيب في سجن طره في سنة ١٩٠٥ ورقي طبيب درجة أولى في سنة ١٩١١ وأنعم عليه بالنيشان المجيدي الخامس سنة ١٩١٣ ثم نقل الى سجن مصر ثم الى اصلاحية الاحداث عام ١٩١٤ ثم مرض بالتيفوس وكان مرضه شديد الوطأة عليه لم يمهله الأسبوعا حتى فارق الحياة الدنيا منتقلا الى جوار ربه في يوم الاربعاء ٢١ من شهر ابريل سنة ١٩٢٠ الموافق اليوم الثاني من شهر شعبان المعظم سنة ١٣٣٨ . فرحمه الله وغفر ذنوبه » اهـ

(المنار) اننا نستغفر الله تعالى كل يوم مرارا أي نسأله أن يغفر ذنوبنا ونعتقد أن كل بشر محتاج الى مغفرة الله تعالى وعفوه واننا على هذا الاستغفار والاعتقاد قد استغربنا من الجملة الدعاء لهذا المترجم بالمغفرة بعد الرحمة دون غيره ممن ذكرت خبر وفاتهم في هذا العدد من الاطباء وهم أربعة ختمت الكلام في تراجمهم الوجيزة بالدعاء لهم بالرحمة الواسعة ، والدعاء بالمغفرة للمترجمين غير معهود في الجرائد والصحف فكان هذا وما ذكر قبله من التخصيص سببين للاستغراب ، والمتبادر لنا ان القلم جرى بهذا التخصيص بغير قصد فليس تعريضا بأن المترجم كان من المعروفين بارتكاب الذنوب بل هو معروف بالصلاح والتقوى وممتاز بين الاطباء وغيرهم من أهل العصر بذلك .

سيرة الفقيد العلمية والاصلاحية وشيء من سيرة توبة الطبيب عبده ابراهيم

لا يعنى المنار بترجمة احد من الموتى الا اذا كان في ترجمته عبرة في الاصلاح الديني أو الاجتماعي فهو لا يحفل بترجمة ارباب المناصب والمظاهر الدينية ولا الدنيوية اذا خلت من هذه العبرة ، وقد يهتم بسيرة من ليس له مظهر كبير اذا كانت مشتملة على ما يفيد القراء منها . وصديقنا الطبيب محمد توفيق صدقي لم يكن من أصحاب المناصب الدنيوية ولا من الخاملين المغمورين بل كان رحمه الله تعالى من طبقة الوسط التي هي خير الطبقات ، وأهل الطبقة العليا في المناصب والمظاهر الدنيوية

يقل أن وجد فيه رجال من أولي الفضيلة والاصلاح ، وأقل هؤلاء من ارتقى الى المذهب الدائرة بسيرته الاصلاحية كشيخنا الاستاذ الامام

كان الفقيد يقرأ المنار منذ كان تلميذا في المدرسة الخديوية وقراءة المنار هي التي بعثت ما في فطرته من الاستعداد للبحث والنظر والاستدلال في العلم والدين كما كان يقول . وكان صديقه ورفيقه في المدرسة عبده ابراهيم على شاكلته في هذا الاستعداد ولكنه لم يوفق للكتابة كصنوه الروحي وترب صاحب الترجمة فلم يكن له آثار تكون له ترجمة اصلاحية خاصة ولكنه كان مصلحا في آدابه واخلاقه ومناظراته وسيرته في أهله ووطنه. ومن البر بهذين الاخوين الروحيين ان نمزج سيرة أحدهما بسيرة الآخر:

كان أول ما كتبه محمد توفيق صدقي من المباحث الدينية العلمية مقالات (الدين في نظر العقل الصحيح) التي نشرت في المجلد الثامن من المنار (ص ٣٣٠ و ٤١٧ و ٦٩٣ و ١٣٢ و ٧٧١) وقد علقنا عليها بعد الانتهاء من نشرها هذه الجملة في (ص ٧٨٢ و ٧٨٣ م ٨):

﴿ المنار ﴾ السبب في كتابة هذه المقالات هو أن كاتبها كان يحب البحث عن كل مايعرض له من الشبهات على الدين وهو تلميذ في مدرسة الطب ولهذه الشبهات مصدران التعليم الجديد ودعاة النصرانية الذين يعرضون لتلاميذ المدارس بأبلغ مما يتصدون لغيرهم وكان له رفيق في المدرسة اسمه عبده افندي ابراهيم عرفناهما منذ سنين اذ كانا يرجعان الينا في بعض مباحثهما ويعرضان علينا أهم مايشتبه عليهما كمسألة الروح والبعث وغير ذلك . وكنت أظن أنه لايوجد في مصر من يطلب العلوم الدينية لاجل الاقتناع والاذعان ، والقدرة على الاقناع والبيان ، الا هذان التلميذان ، وأحدهما مسلم والآخر قبطي ، كانا يأخذان المسألة من مسائل الاعتقاد فيدققان فيها النظر ويتناصفان في المناظرة الى ان يتفقا على أن الحق فيها كذا. فما خرجا من المدرسة الا وقد خرج المسلم من شكوكه في دينه ودخل القبطي في الاسلام البرهاني الصحيح — فهو المسلم عن بصيرة تامة وفهم لبراهين الدين وحكمه ثبتنا الله واياه — وهذه المقالات هي صورة اعتقادهما الذي هداهما اليه

ربهما بعد اطالة النظر والاستدلال عدة سنين. واكثر ما فيها من المسائل في الالوهية والنبوة وفهم القرآن مقتبس من رسالة التوحيد للاستاذ الامام ومن التفسير المقتبس عنه في المنار ومن مقالات أخرى في المنار لا تقليدا بل اقتناعا بالنظر والاستدلال. وللكاتب مسائل كثيرة هـداه اليها البحث والتنقيب ومراجعة كتب المسلمين والافرنج لاسيما في رد شبهاتهم كما رأيت وهو يدعو من خالفه في شيء مما كتبه الى المناظرة بشرط ان يكون الحكم بينهما الدليل القطعي وماهو الا العقل والقرآن والسنة المتواترة لان مقام مقام تأييد الاعتقاد، وهو لا يكون بأخبار الآحاد، ولا بتقليد الاباء والاجداد

وكاني ببعض الشيوخ المقلدين وقد أنكروا عليه بعض المسائل التي انفرد بها أو وافق بعض العلماء المخالفين للجمهور كمسألة ابن السبيل ومسألة النسخ فالهين اللين منهم يعذره والجامد المتعصب يغلظ عليه وان كان قد خرج بهذه الطريقة من الشك الى اليقين، وخرج صاحبه من النصرانية ودخل في الاسلام، وان تقاليدهم اقصر عن ذلك، ولو راجعهم في شبهاتهم لما رجع الا بالجحود والالحاد «ومن يضلل الله فما له من هاد» اه مانشرناه يومئذ في المنار (سنة ١٣٢٣)

هذا مانشر في المنار من مبدأ سيرة هذين الفرقدين منذ ١٥ حولا واني أزيده ايضاحا بما علمته منهما في ذلك العهد

كان كل منهما قد عرض له الشك في دينه فلم يكونا موقنين ولا مكذبين، والشك هو الذى حملها على البحث والنظر على قاعدة ابى حامد الغزالي: من لم يشك لم ينظر الخ ولكن ما كل من يشك ويتحير يبحث وينظر. وما كل من يبحث وينظر يجد ويتخلص ويثبت حتى يعلم ويوقن، وانما ذلك شان أصحاب الفطر السليمة، والانفس الكريمة، وما أكثر من كان حول هذين التلميذين في مدرسة الطب من التلاميذ الشاكين الراضين بشكهم وحيرتهم التاركين للنظر والاستدلال حتى انتهى بهم ذلك الى التعطيل والالحاد. ويحسبون أنهم في ذلك على علم، وانما هم في غمرة من الجهل

بدأ ذانك التلميذان الفاضلان بحثهما فيما عرض لهما من الشبهات على اصول الدين المطلق الالوهية وهي الألوهية والرسالة والبعث ثم جعلا من وقتهما مواعيد معينة للبحث في كل أصل من هذه الاصول فبدءا في مسالة وجود الخالق وتوحيده

وصفاته وكانا يراجعان في ذلك بعض كتب الكلام و بعض مباحثه في غير كتبه الخاصة كتفسير الرازي ويرجعان الى كاتب هذه الترجمة و (صاحب المنار) فيما يشكل عليهما فهمه او تستعصي شبهته فانتهى بهما البحث والنظر الى الايمان اليقيني بوجود الله تعالى ووحدانيته واتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن كل نقص . ثم شرعا في النظر والاستدلال على بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام فرسالة خاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكون القرآن كلام الله تعالى وعلى البعث والجزاء فثبت عندهما كل ما ذكر في زمن طويل

ومما اتذكره من شبهاتهما وشذوذهما في اثناء البحث في مسألة الروح والبعث أنهما كانا قبل أن اقتنعا بوجود ارواح للبشر مستقلة في وجودها قد اقتنعا بعقيدة البعث الجسدي فكان هذا من أغرب ما عرض لهما من الشذوذ

وبعد ان صح ايمانهما نظرا واستدلالا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بقي لهما شبهات مشكلة في بعض آيات القرآن المخالفة بعض المباحث العلمية والتاريخية لها فزالت بالتدريج . واذكر أن المرحوم عبده ابراهيم جاءني مرة وجلس الي في مكتبي ثم أخرج المصحف الشريف من جيبه وقال لي اني مستشكل في آيات معدودات وضعت عليها علامات ولكن استشكالي فيها علمي غير مشكك لي في كون القرآن كلام الله تعالى فاحببت عرضها عليك رجاء إزالة الاشكال. ثم طفق يتلوها علي وكلما تلا آية عرفت وجه استشكاله اياها ففسرتها له بما يزيل اشكاله ويقنعه، حتى اذا ما اتمها قال بصوت مؤثر منبعث من اعماق قلبه

﴿اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله﴾

واخبرني انه غير عازم على اثبات اسلامه في المحكمة الشرعية، لانه مؤمن مسلم لله لا لاجل شيء من المعاملات الدنيوية ، ثم كان يخبرني بامتعاض والديه وذوي القربي من اسلامه ومناشدتهم اياه ان يظل كاتما له عن الناس، و بقي ذلك عدة سنين وكان بعد ان صار طبيبا موظفا يفيض على والديه وأهل بيته من راتبه و يواسيهم و يحسن من معاملتهم فوق ما يحسنون من معاملته، وانه كان يقول لوالديه ان الله تعالى امرني في القرآن بان أصاحبكما بالمعروف ولا اطيعكما في امر الدين بقوله (وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) ثم انه بعد ذلك أظهر اسلامه وتزوج فتاة مسلمة ورزق منها اولادا كان يحسن تربيتهما وتعليمهما

وقد شرع بعد اطمئنانه بالاسلام في حفظ القرآن ومطالبة نفسه بالعمل به والتخلق باخلاقه وآدابه ، ولم أر من احد من اصدقائي ولا من تلاميذي ولا غيرهم مثله في ذلك. وقد جاءني مرة متألما شاكيا من نفسه فقال اني مؤمن ايمانا يقينيا ليس فيه زلزال ولا اضطراب ولكنني اقرأ صفات المؤمنين في القرآن فلا اراني متصفا بها كلها فكيف

يوجد الشيء وتتخلف عنه آثاره؟ انني لفي حيرة وغم من التفكر في هذا الامر وأرجو ان اجد عندك ما تزول به هذه الحيرة . فاجبته جوابا مفصلا ارضاه وكشف غمته، خلاصته ان ماينبع الايمان من صفات الكمال لا يحصل كله دفعة عقب الاسلام وانما ينطبع الكثير منها في النفس بالعمل الذي شرعه الاسلام من العبادات والآداب والمعاملات (قلت له) فطالب نفسك بذلك تترتب عليه تربية اسلامية جديدة يساعدك عليها ما وهبك الله من سلامة الفطرة وحسن النية

هذا وان هذين الرجلين كانا يعملان بما يعلمان من احكام الاسلام وفضائله، وقد شرعا بعد الفراغ من مباحث العقائد يبحثان في الاحكام العملية بما جريا عليه من الاستقلال في الاستدلال، ويرجعان الي فيما يعرض لهما من اشكال، واذكر من ذلك انهما فهما من آية الوضوء في سورة المائدة أنه واجب لكل صلاة فكانا يتوضآن لكل صلاة على ما في ذلك من المشقة الى ان اقنعتهما بان ذلك غير واجب وان المتوضيء يصلي بوضوئه ما لم ينتقض بالحدث . وكنت احيانا احيلهما في بعض المسائل على مراجعة بعض الكتب فاقتنيا كثيرا من الكتب الدينية وكان المترجم اكثرهما اقتناء للكتب ومطالعة لها ومراجعة فيها، حتى انه اشترى مسند الامام احمد وناهيك بصعوبة المراجعة فيه على غير المحدث

﴿ مقالات صاحب الترجمة وكتبه والرد عليه ﴾

مسألة ابوة آدم للبشر

أول ما كتبه صاحب الترجمة في أصول الدين باستقلاله الذي مرن عليه مقالات (الدين في نظر العقل الصحيح) كما قلنا آنفا وكنت اصحح له العبارة وأراجعه فيما أخطأ به من المسائل فيصحح ما اقتنع به دون غيره، وقد انكر غير واحد عليه في هذه المقالات ماذهب اليه من القول بان آدم ليس ابا لجميع البشر وقد قال ذلك في رد شبهة مذهب (داروين) في أصول الانواع ، وكونه غير مناف لاصل قطعي في الاسلام

وهذه المسألة كان الاستاذ الامام قد قررها في تفسير أول سورة النساء في الجامع الازهر ولكن لم تكن نشرت في المنار عند ما كتب صاحب الترجمة ما كتبه فيها ولا أذكر الآن أنه سمعها منه ولكن يغلب على ظني اني ذكرتها له بعد ان كتب ما كتبه ولا أذكر تفصيلا في ذلك وانما أعلم اني كنت أ[illegible]ث معه في بعض المسائل غير المنقحة وتقدم ذكر ذلك

لما راجعنا قراء المنار في تخطئته في هذه المسألة قولا وكتابة أجبناهم في باب الانتقاد على المنار (ص ٩٢٠ م ٨) من وجهين أحدهما انه ليس من شأن أصحاب الصحف ان يقرنوا

رأيهم بكل ما ينشرونه لغيرهم وثانيهما ان الكاتب ذكر ماذكره في المسألة على تقدير ثبوت مذهب داروين ثبوتا قطعيا وهو غير ثابت عنده الآن بل هو يقول انه نظريات ظنية وانه اذا ثبت لا ينقض شيئا من نصوص القرآن بل يمكن ان يؤخذ من القرآن ما يوافقه »

ثم كتبنا نبذة أخرى في باب الانتقاد على المنار (ص ٩٤٧ م ٨) أجبنا فيها عما كتبه بعض المنتقدين في الرد على صاحب الترجمة بقوله تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) وببعض الاحاديث ، وقلنا في آخر هذا الجواب ما نصه : « ولا نفس انا نؤمن بأن آدم خلق من التراب كما ورد بلا تأويل ، وانما التأويل لالزام المعترض على الدين ، أو اقناع المرتابين »

ثم ان صاحب الترجمة كتب في المجلد الرابع عشر من المنار مقالا عنوانه (كيف خلق الانسان) بعد مقالات نشرها في بعض الصحف اليومية رد فيها على مذهب داروين رداً شديداً قال فيه انه أورد عليه في بعض تلك المقالات « احتمالات تقوض أهم أركانه ، وتدك أكبر أسس برهانه » حتى ان كبيرا من أعظم أنصاره في الشرق لم يقدر على الرد علينا — يعني الدكتور شبلي شميل — (قال) وقد سألني بعض الاخوان قائلا اذا كنت تشك في صحة مذهب داروين فكيف تفسر لنا علميا خلق الانسان من طين » ثم سرد تلك الاحتمالات واتبعها بجواب هذا السؤال (يراجع مقاله في ص ٣٠٣ م ١٤)

(استطراد وجيز) صرحنا غير مرة في المنار بأن مذهبنا في العقائد وأصول الدين وكذا فروعه هو مذهب جمهور السلف الصالح وان ما نذكره أو ننشره لنا أو لغيرنا من تفسير أو تأويل مخالف لمذهب السلف فغرضنا منه إما دفع شبهة عن الدين ، وإما تقريب مسألة من مسائله لعقول بعض المرتابين ، لان من يخالف مذهب السلف في بعض المسائل غير القطعية المعلومة من الدين بالضرورة عن اجتهاد وتأول لا يعد مرتدا ولا متبعا غير سبيل المؤمنين من بعد ما تبين له الحق ، وقد نشرنا في فتوى الكلام الالهي وكون القرآن بعبارته منه التي يراها القارئ قبل هذه الترجمة كلاما نفيسا في عذر من أخطأ من العلماء المتأولين بحسن النية وقصد خدمة الدين لشيخ الاسلام ابن تيمية (جزاه الله عن هذه الامة خيرا) لم نر لاحد من العلماء الاعلام مثله

في تحقيقه وحده ، ونحن نعتقد أن الاستاذ الامام والطبيب محمد توفيق صدقي من طبقة أولئك العلماء الذين كانوا ينصرون الاسلام، ويدافعون عنه بمنتهى الاخلاص، ويحرصون على اثبات دعوته ، واقناع المنكرين عليه بحقيته، ويردون الشبه عنه تارة بالدليل ، وأخرى بالتأويل المعقول ، وانهم ممن يشملهم الحديث الصحيح الذي يثبت لمن اجتهد فأخطأ أجر الاجتهاد ، ولمن اجتهد فأصاب أجر الاجتهاد وأجر اصابة الحق، لانه غير خاص بالمجتهد المطلق الذي له مذهب خاص في جميع مسائل الخلاف ونقول فيهما ما أرشدنا شيخ الاسلام الى أن نقوله في مثل الشيخ الاشعري والقاضي الباقلاني وغيرهم من العلماء المخلصين وهما منهم على ما بينهما من التفاوت في العلم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم) ونسأل الله تعالى ان يجعلنا من المجتهدين المثابين ، ويحشرنا في زمرتهم يوم الدين

ويذكر القراء أيضا ان بعض الازهريين قد نسبوا الينا منذ ستتين مسألة انكار كون آدم أبا لجميع البشر وكفرونا بذلك في مقالات نشروها في الجرائد ولم يشركوا معنا في هذا الانكار والتكفير الاستاذ الامام ولا الطبيب محمد توفيق صدقي رحمهما الله تعالى فدل ذلك على انهم قالوا على ما قالوه اتباعا للهوى غفر الله لنا ولهم

مسألة الاسلام هو القرءان وحده

أكبر شذوذ وقع المترجم رحمه الله تعالى وحاول اثباته والدفاع عنه هو ماعرض له من الشبهة على كون السنة ليست من أصول الدين والاقتناع مدة من الزمن بأن الاسلام هو القرآن وحده فمن عمل به كان مسلما ولا يحتاج الى معرفة السنة لأنها كانت شريعة موقتة. ولما عرض له ذلك واقتنع به هو وصديقه الطبيب عبده ابراهيم (عفا الله عنهما) جاءاني كعادتهما وعرضاه علي وانبرى صاحب الترجمة لبيان ماقام عنده من الادلة عليه فاوردت عليه اعتراضات كان يشتغل بالبحث فيها زمنا . واني كنت أعلم أن هذا الرأي كان عرض لغيره من الباحثين المستقلين القليلي البضاعة في علم أصول الاسلام وانه رأي منتشر في كثير من الامصار التي يسكنها المسلمون، وأعلم ايضا ان كثيرا من المباحث الكبيرة التي تختلف فيها الانظار لا تمحص الا بالكتابة والمناظرة فلهذين السببين

والتوفير الوقت علي في تمحيص المسألة لصاحب الترجمة وصديقه بالمشافهة اقترحت عليه أن يكتب رأيه هذا لينشر في المنار ، ويعرض على علماء مصر وسائر الاقطار ، وبينت له ما في الكتابة من خروج المسائل العلمية من حيز الاجمال الى حيز التفصيل ، فكتب مقال (الاسلام هو القرآن وحده) ونشرناه في المجلد التاسع من المنار (ص ٥١٥ — ٥٢٤) وعلقنا عليه تعليقا وجيزا اشرنا فيه الى سبق بعض الباحثين له فيه والى ما سبق من مذاكرتي فيه معه وممن تز به وقرينه الطبيب عبده ابراهيم ، والى المراد بكتابته من عرضه على العلماء والباحثين ، ثم قلنا « فنحن ندعو علماء الازهر وغيرهم الى بيان الحق في هذه المسألة بالدلائل ، ودفع ما عرض دونه من الشبهات ، فان المحافظة على الدين في هذا العصر لا تكون بالنظر في شبهات الفلسفة اليونانية ، اوشذوذ الفرق الاسلامية التي انقرضت مذاهبها ، وانما تكون باقناع المتعلمين من أهله بحقية الدين ودفع ما يعرض لهم من الشبهات على أصوله وفروعه الثابتة ، واهونها ما يعرض للمتقدين المستمسكين ككاتب هذه المقالة فاني اعرفه سليم العقيدة مؤمنا بالالوهية والرسالة على وفق ما عليه جماعة المسلمين ، مؤديا للفريضة . وانما كان إقناع مثله اهون على علماء الدين لانه يعد النص الشرعي حجة فلا يحتاج مناظره الى اقناعه بالالوهية والرسالة ليحتج عليه بنصوص الوحي » اه المراد من التعليق ، وقد كتب هو ايضا في اواخر المقالة « فهذه افكاري في هذه المواضيع اعرضها على عقلاء المسلمين وعلمائهم وارجو ممن يعتقد انني في ضلال ان يرشدني الى الحق والا كان عند الله آثما »

رد الشيخ طه البشري على الدكتور

أول من تصدى للرد على هذه المقالة الشيخ طه البشري من علماء الازهر وهو نجل المرحوم الشيخ سليم البشري الذي كان شيخ الجامع الازهر ورئيس المعاهد العلمية الدينية بمصر في ذلك العهد . فكتب في ذلك مقالا عنوانه (اصول الاسلام : الكتاب ، السنة ، الاجماع ، القياس) نشر في المجلد التاسع نفسه (من ص ٦٩٩ — ٧١١) ومقالا عنوانه (الدين والعقل) نشر في (ص ٧٧١ — ٧٨١ م ٩)

ورد صاحب الترجمة على هذا الرد في رسالة عنوانها (الاسلام هو القرآن وحده — رد الرد) نشرت في ذلك المجلد نفسه (من ٩٠٦-٩٢٥) وعلقنا عليها تعليقا عنوانه

في رؤس الصحائف (الاسلام هو القرآن والسنة) (من ص ٩٢٥ — ٩٣٠) فكان هذا التعليق مبينا له اخطأ لا كبر الذي وقع فيه وحاملا له على الرجوع عنه فكتب قولة مختصرة عنوانها (اصول الاسلام — كلمة انصاف واعتراف) نشرت في (ص ١٤٠) من المجلد العاشر صرح فيها بانه ارتكب الشطط وان الصواب ظهر له مما كتبه استاذه صاحب المنار ثم قال « فانا اعترف بخطأي هذا على رؤس الاشهاد واستغفر الله مما قلته أو كتبته في ذلك وأسأله الصيانة عن الوقوع في مثل هذا الخطأ مرة أخرى . وأصرح بأن اعتقادي الذي ظهر لي من هذا البحث بعد طول التفكر والتدبر هو : أن الاسلام هو القرآن وما اجمع عليه السلف والخلف من المسلمين عملا واعتقادا انه دين واجب ، و بعبارة اخرى ان اصلي الاسلام اللذين عليهما بني هما الكتاب والسنة النبوية بمعناها عند السلف اي طريقته صلى الله عليه وسلم التي جرى عليها العمل في الدين » وأستثني من ذلك السنن القولية غير المجمع عليها وما كان له علاقة شديدة بالاحوال الدنيوية (أي التي فوضها النبي (ص) الى الناس) وعد منها بعض الحدود ومقادير زكاة المال والفطر والاصناف التي تؤخذ منها ولكن بعض ما استثناه مجمع عليه وهو انما ينكر كونه من أصول الدين القطعية لا كونه منه مطلقا

ثم جاء رد مطول مفصل على مقالة (الاسلام هو القرآن وحده) بقلم الشيخ صالح اليافعي من علماء العرب المقيمين في (حيدر آباد الدكن) في الهند موضوعه (السنن والأحاديث النبوية) نشر في المجلد الحادي عشر من المنار (ص ١٤١ و ٢١٤ و ٣٧١ و ٤٥٤ و ٥٢١) فرد المترجم على مباحث منه في ٣ مقالات عنوانها (كلمات في التواتر والنسخ وأخبار الآحاد والسنة) نشرت في هذا المجلد (راجع م ١١ ص ٥٩٤ و ٦٨٨ و ٧٧١)

ثم رد الاستاذ اليافعي على هذا الرد في مقالات نشرت في المجلد الثاني عشر (م ١٢ : ص ١٢٥ و ٢٠١ و ٢٨٩ و ٣٧١ و ٤٤١ و ٥٢١) وقال في خاتمة هذا الرد عبارة تدل على اهتمام العلماء في الهند بهذه المناظرة وطلب منا الحكم فيها فقال:

« هذا جواب ما كتبه الدكتور الفاضل بغاية الاختصار وأنا أرجو حضرة شيخ الاسلام ان يطبع ذلك في المنار الاغر ولو دفعات متفرقة فانه قد رغب فيه كثير من

قراء المنار ، ومن ينظره بعين الاعتبار ، وألتمس من حضرته ان يصلح ما فيه الخطأ وزلل لاني كتبته بعجلة بعد أن كنت أردت الاعراض عن الجواب ، ولكن ارضاء لله ورسوله (ص) ثم للاخوان الكرام الذين رغبوا في ذلك كتبت ذلك ارتجالا وألتمس من شيخ الاسلام ان يذكر ملخص رأيه . وكذلك ألتمس من علماء الاسلام حفظهم الله وأيد بهم الدين ان يتكلموا ولو بالتصويب والتخطئة فان الزمان كما ترون أهله أول ما يبادرون الى حب الخلاف ولو لأضعف الشبهات »

وانا اجابة للدعوة كتبنا مقالا في ذلك عنوانه (النسخ وأخبار الآحاد) نشر في (ص ٦٩٣ — ٦٩٩) من ذلك المجلد (١٢) و به انتهت هذه المناظرة الطويلة التي شغلت عدة أجزاء من أربعة مجلدات من المنار في أربع سنين ، ثم أوضحنا مسألة السنة وافادة بعض أخبار الآحاد اليقين الشرعي اللغوي وحررنا معنى اليقين والظن في المنار بما لم نطلع على مثله لاحد ولله الحمد

ونقول ان هذه المناظرة الطويلة كانت سببا لاشتغال كثير من قرائها بعلم السنة وأصول الدين ، وقد سري ذلك منهم الى غيرهم فصار للسنة من الانصار في مصر وغيرها مالم يكن لها من قبل ، ولا يزال عددهم في نماء وازدياد ولله الحمد

رد صاحب الترجمة على المبشرين

أشرنا في أول هذه الترجمة الى ان دعاة النصرانية كانوا أحد الاسباب الباعثة المترجم الى البحث في الدين. الذي انتهى به الى الانتقال من الشك الى اليقين، ثم الى الدفاع عن الاسلام — كما انتهى هذا البحث بقريبه الدكتور عبده ابراهيم الى الاسلام البرهاني الاذعاني، والصلاح والاصلاح النفسي والاجتماعي - وقد كان أهم ما كتبه المترجم بقصد الدفاع عن الاسلام الرد على أولئك الدعاة الذي حفزته اليه مناظراته معهم واطلاعه على كتبهم ، وقد استعد لذلك بقراءة كثير من الكتب الانكليزية لطائفة العقليين من الافرنج والملاحدة الذين ردوا على النصرانية . ومقالات العقيد في الرد على المبشرين لا يغني عنها أكبر الكتب المصنفة في الرد عليهم ككتاب اظهار الحق، وقد جرد بعضها من المنار وطبع في كتب مستقلة وأقواها وأوسعها ما نشر في المجلدين الخامس عشر والسادس عشر من المنار كمقالة (القرابين

والضحايا في الاسلام) ومقالة (الدين كله من القرآن) ومقالات (بشائر عيسى ومحمد في العهدين) وتراجع في ص ٢٨١ و٣٥٢ و٤٢٧ و٤٩٤ و٥٨٦ و٦٥١ و٧٤٥ م ١٥ ورسالة (نظريتي في قصة صلب المسيح وقيامته) وتراجع في ١١٣ و ١٩٣ — ٢١٦ م١٦ و(نظرة في كتب العهدين وعقائد النصرانية) في المجلد السادس عشر أيضا.

وقد هاجت بعض مقالات هذه الرسالة المبشرين فتوصلوا الى لورد كتشنر بأن يوعز الى الحكومة المصرية بالغاء المنار ومنع صدوره منعا أبديا ومحاكمة منشئه والدكتور محمد توفيق صدقي وقد كان في ذلك النائب العمومي في ذلك العهد عبد الخالق ثروت باشا وعهد الي بأن أقابل رئيس الوزراء (محمد سعيد باشا) أنا وصاحب الترجمة فقابلناه وكلمنا في المسألة ونهى المترجم أن يعود الى كتابة مثل تلك المقالة المستنكرة في شدة طعنها وكلمنا في وجوب تخفيف لهجة المنار في الرد كما يراه القارئ في آخر المجلد السادس عشر (ص ٩٥٨)

ولما أنشأنا مدرسة دار الدعوة والارشاد عهدنا الى صاحب الترجمة بالقاء دروس سنن الكائنات وحفظ الصحة فيها معتقدين انه لا يوجد في مصر طبيب ولا عالم عصري يقدر على أداء هذه الدروس بشرط برنامج المدرسة غيره فقام بالامر خير قيام ونقح هو ما كتبه بعض طلبة المدرسة من تلك الدروس ونشرت في المنار ثم طبع بعضها في جزئين

وجملة القول أن الطبيب محمد توفيق صدقي رحمه الله تعالى كان ركنا من أركان العلم والاصلاح في مصر ولم نجد صديقا لنا ولا تلميذا في مصر ولا غيرها خدم المنار وكان له مساعدة ثمينة في تحريره مثله . وقد كان محسنا شكورا يذكر دائما منة المنار وصاحبه عليه، ونحن نعترف بأن منته علينا أكبر فقد كان فوق اخلاصه في صداقته ومساعدته القلمية للمنار طبيب بيتنا وفضله كبير على أولادنا فرحمه الله تعالى وجزاه أفضل الجزاء عنا وعن نفسه ودينه وأمته

باب المراسلة والمناظرة

﴿ الرد على جريدة القبلة ﴾

جاءتنا رسالة لاحد علماء نجد في الرد على مانشر في جريدة القبلة من الطعن في دين الملقبين بالوهابية من أهل تلك البلاد ، وفي هذه الرسالة أن لصاحبها رسالة أخرى في الرد على تلك الجريدة نشرت قبلها ، وقد اقترح علينا نشر هذه الرسالة فحال دون ذلك عدة موانع أهمها شدة عبارتها في التشنيع على المردود عليه وكوننا نرى أن التمادي في هذه الردود ضرره أكبر من نفعه. ولكننا نذكر منها عبارة في الرد على ما جاء في المنشور الذي نشر في تلك الجريدة وسبق لنا نقله عنها في الجزء الخامس من هذا المجلد (٢١) من قوله « فتبجحهم بقولهم ان العالم سيبعث شاء المولى أو لم يشأ » وقوله انهم تظاهروا بهذه الشناعة « وأباحوا دماء من لم يجب دعاتهم على اعتقادها وأمثالها وبدءوهم بالقتال واستحلوا أموالهم وأنفسهم فكيف لا يقال والحالة هذه بقتالهم » هذه عبارة المنشور بحروفها

وانا عند ما اطلعنا على هذه التهمة دهشنا لان اعتقاد وقوع كل شيء في العالم بمشيئة الله تعالى وان ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن من المسائل الاجماعية التي لم تدخل في باب من أبواب الخلاف التي بولغ فيها بين الوهابية وخصومهم . ورأينا هذه الرسالة قد أنشئت للرد على هذه التهمة بعد مقدمة وجيزة فيما كان من قيام الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى بتجديد الدين فى بلاد نجد وغيرها وارجاع الجماهير من العرب الذين كانوا على جاهلية شر من الجاهلية الاولى الى الكتاب والسنة قولا واعتقادا وعملا ،

قال الكاتب في الرد على قول المنشور « فتبجحهم بقولهم : ان العالم سيبعث » — بعد تصحيحه بأنهم يقولون « ان الله سيبعث العالم » لا ان العالم سيبعث بصيغة الفعل المجهول — مانصه: « نعم اننا نتبجح بذلك ونعتقده وندين الله به إيماناً بالله وباليوم الآخر وتصديقاً لرسوله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به من ذلك عن ربه ، ولا ينكر ذلك ويشك فيه الا كافر معاند » . ثم أورد عشر آيات من القرآن الكريم في اثبات

الاستشهاد والحجة وذكر ان الآيات في ذلك كثيرة

ثم قال « وأما قوله عنا اننا نقول شاء المولى أولم يشأ — فهذا من الكذب والبهتان ... وقول الزور (ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم)

و بعد تشنيع القول على قائله شرع يناقشه في عبارته فقال في قوله « ان امامهم سيبعث » انه يوهم ببنائه للمجهول ان الباعث للامام غير الله تعالى شاء المولى ذلك أولم يشأه والله سبحانه وتعالى لا غالب له ولا مكره ولا إله غيره ولا رب سواه (ان كلُّ من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا) الخ ما أورده من الآيات في ذلك وفيما روي عن السلف في تفسيرها ، ثم شرع يناقشه فيما رده على هذه التهمة الباطلة وأورد في أثناء ذلك آيات كثيرة في قيام الساعة والبعث

ثم انتقل من ذلك الى تفنيد قوله « وأباحوا دماء من لم يجب دعاتهم على اعتقادها وأمثالها » فقال ان هذا من الزور والبهتان » وكذب أيضا قوله: انهم بدأوهم بالقتال فقال بل هم الذين بدءونا وزحفوا علينا بالجنود الهائلة العظيمة والكيد الشديد والعدد والعدة التي ما عليها من مزيد ، واستحلوا دماء المسلمين الذين كانوا في بلدة (تربه) وأموالهم واستباحوا نساءهم وأكثروا في البلد الفساد (فصب عليهم ربك سوط ربك عذاب) بشرذمة قليلة من سرايا المسلمين » (فغلبوا هنالك)الخ ماأورده في وصف تلك المعركة

نكتفي بهذه الجملة من رسالة الرد ونعتذر للكاتب عن نشرها كلها بأنه يزيد نار الخلاف والتفرق اشتعالا بما فيه من شدة الطعن ونحن نريد إطفاء هذه النار واصلاح ذات البين وانما لخصنا منها ما لخصنا ليعلم اصحاب جريدة القبلة ان مانقل اليهم في ذلك كذب وتقول على النجديين حتى لايثقوا بعدُ بهذه التقول و يتبينوا اذا جاءهم فاسق بأمثال هذه الانباء كما أمر الله تعالى

واننا نرجو من الفريقين الكف عن طعن بعضهم في بعض كما اقترحنا عليهم من قبل والاكتفاء في مسائل الخلاف بالحجة والبرهان (عسى الله أن يجعل بينكم و بين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم)

الرحلة السورية الثانية

٣

مخمصة الحرب وسوء أثرها

لم أسمع من أهل دمشق من أخبار الجوع والعرى بأن مخمصة الحرب الا قليلا من كثير ما سمعت من أهل لبنان والساحل : فدمشق كجزيرة في بحر عظيم من الجنات والبساتين ، وجاورها وراء البيتها ذات خصب عظيم ، ولم يكن للترك من السلطات على اهراء غلالها في حوران وجبل الدروز مثل ما كان لهم على غلال لواء طرابلس وحمص وحماه بل كانوا يشترون القمح من الدروز بالثمن الغالي ويدفعون ثمنه من الذهب الاحمر لا من ورق النقد الذي ما كان يروج الا بثلث قيمته أو ربعها — فلهذا لم يكن شد خناق الجاعة على أهل دمشق محكما كخناق لبنان وبيروت وسائر السواحل لذلك كان أكثر من مات فيها جوعا من الذين هاجروا اليها لا من أهلها ، على أن الكثير منهم قد باعوا أثاث بيوتهم وجميع ما يملكون وبذلوه في ثمن القوت .

وأما ماجرى في السواحل وجنوب لبنان ولاسيما قضائي المتن وكسروان منه فهو فوق ما كانت تشرحه الجرائد في مصر ويظنه أكثر أهلها من المبالغات التي يقصد بها الطعن في حكومة الترك ، فالحق أن كل ماوصفته كان دون الذي وقع ، وقد ثبت عندي أن بعض الناس كانوا يأكلون كل ما يجدونه في المزابل والطرق رطبا يمضغ أو يابسا يكسر ، وأخبرني في بيروت من رأى بعض الاولاد الصغار رأوا رجلا قاء في الطريق فتسابقوا الى قيئه يتخاطفونه فأكلوه ، وثبت عندي أكل الناس الجيف حتى ماقيل من أكل بعض النساء لحوم أولادهن والعياذ بالله تعالى

وأخبرني كثيرون في بيروت وطرابلس ان الناس كانوا يرون الموتى في الشوارع والاسواق والمشرفين على الموت من شدة الجوع ولا يسألون بهم ولا يرثون لأنين المستغيثين منهم . فقد قست القلوب وكزت الايدي حتى من الذين كانت تتضاعف ثروتهم من الاحتكار الذي ضاعف البلاء وعظم به الشقاء . فقد كانت هؤلاء وغيرهم من الموسرين تستطاب لهم الالوان المتعددة ، وكانوا يقيمون المآدب للولاة وقواد الجيش الذين صبوا كل هذا العذاب على الامة والبلاد حتى

الطاغوت جمال باشا . وأما حفاوتهم بأنور باشا ومن زار البلاد السورية معه فلم يسبق لها نظير في أيام الرخاء . وكان الحكام ورؤساء البلديات يهتمون بنقل جثث الموتى والمشرفين على الموت من الطرقات التي يمر فيها انور باشا أو جمال باشا أووالي بيروت لئلا يتألم شعوره الحجري برؤية ذلك وأنى تتألم الصخور؟

وقد قيل لي ان بعض الوجهاء قال لانور باشا على مائدة جمعت الفخر ألوان الطعام من خبز الحوارى (١) واللحوم والحلوى والفاكهة : اننا في ظل عدل الدولة العلية ورحمتها نتمتع بكل هذه الطيبات. أوماهذا معناه!!

ثبت في آيات القرآن الحكيم أن الشدائد تمحص المؤمنين وتمحق الكافرين وقد ثبت أن شدائد هذه الحرب مازادت أكثر الناس في كل البلاد الافساداً وفسقاوفجوراً، وكان الاغنياء والفقراء في ذلك سواءالامن عصم الله-الاغنياء ازدادوا قسوة وبخلا واسرافا في الشهوات وكفراً بنعم الله واعراضاًعن شكرها ، والفقراء استباحوا جميع الفواحش وتركوا جميع الفرائض مع الاعتراض على الله عز وجل،حتى أنهم تركوا فريضة الصيام مع فقد الطعام فلم يكن المسلمون(جنسية) ينوون الصيام في رمضان وان كانوا في شك أو ظن راجح بأنهم لايجدون في النهار ما يأكلون ،ومهمايصب أحدهم من لماج(هو ادنى ما يؤكل) كان يلتقمه ولوقبيل غروب الشمس، ولم يكن الباعث على ذلك عدم الطاقة على احتمال الجوع بل مراغمة الشارع ومعاندة الخالق سبحانه وكانوا يصرحون بذلك ، واكثر مانقل منه نقل عن النساء اللواتي هن أشداذعانا للدين وخضوعاً لشعوره وأكثر محافظة على الصيام - كانت احداهن تقول : لا أصوم له ولا أصلي له وقد فعل بي وكذا كذا ، والاخرى تقول ليرجع لي ولدي من القبر أو من العسكر أصم له . ومثل هذا كثير. فأمثال هؤلاء ليسوا من المؤمنين الشاكرين الصابرين فتمحصهم الشدائد وتطهرهم بل من الكافرين بدين الله ونعمه كلها أو احدها فزادتهم رجساً الى رجسهم . ومحقتهم بل محقت أممهم بهم

وقد بغضت اليهم سيرة الحكومة السوءى فيهم خدمة العسكرية ولولا ذلك لنضلوها على تلك المجاعة القاتلة التي كان سببها مصادرة المواد الغذائية لاجل الجند أو باسم الجند ، وكأين من أسرة كبيرة انقرض جميع أفرادها الا من دخل الجندية منهم .سلموا أوسلم بعضهم وقد حدثونا عن اسرة كبيرة في ميناء

(١) الحواري بضم الحاء وتشديد الواو لباب الدقيق الابيض

طرابلس كانت مؤلفة من ٢٧ نسمة دخل الجندية سبعة شبان منهم فسلموا ... وهلك المشردون من كبار وصغار وما هلكوا الا جوعا . وأمثال هذه الحكايات كثيرة .

وميتة الجوع شر من ميتة القتال في الحرب فان اكثر الذين يقتلون في حروب هذا الزمان تزهق أرواحهم في طرفة عين بغير ألم يذكر وانما الذي يذكر تألم الجرحى وتشويههم على شدة العناية بعلاجهم . وأما موتى الجوع فلا يموتون الا بعد آلام بدنية ونفسية شديدة طويلة الأمد فيهزلون ويضوون أولا من قلة الغذاء ثم فقده حتى اذا ما وهت قوام الحيوية وضعف تماسك عضل ابدانهم دب فيها الورم كما يدب في جثث الموتى ، وكثير منهم من يصاب قبل ذلك بالكلب أو ما يشبهه ومن يعتريه الجنون والعياذ بالله تعالى . ولا فائدة الآن في اطالة وصف هذا الرجز الأليم

فائدة الدين في الشدائد

من أعظم فوائد التدين في هذه الحياة الدنيا انه يخفف آلامها ، ويهون على النفس مصائبها ، وذلك ثابت بالنظر والتجربة معاً ، ويعرفه المتدينون والملاحدة المعطلون جميعاً . وقد سمعنا بآذاننا بعض المعطلة الذين أصيبوا بالامراض المزمنة ونحوها من المصائب العظيمة يتمنون لو كانوا مؤمنين ليكون لهم بعض العزاء والسلوى باحتسابهم الاجر عند الله تعالى ورجاء النعيم في الدار الآخرة ، فانهم يعرفون هذه الفائدة من فوائد الدين بالنظر العقلي والعلم بغرائز البشر وبما يشاهدون من صبر المؤمنين وجزع المعطلين

وليست هذه الفائدة لمن يدينون دين الحق الخالص من شوائب الشرك خاصة بل هي عامة يجدها في نفسه كل من يؤمن بان للعالم الها وان بعد هذه الحياة الفانية حياة دائمة يثيب الخالق فيها المؤمنين الشاكرين ويعذب الكافرين المجرمين ، والمراد هنا الايمان الاذعاني ذا السلطان الاعلى على العقل والوجدان ، وان كان تقليدياً قائما على غريزة الفطرة ، غير مؤيد بالبرهان والحجة . ولا شك في ان الذين فقدوا هذه الفائدة اللازمة للدين في أثناء المخمصة وغيرها من مصائب الحرب ليسوا على شيء من الايمان الاذعاني البرهاني ولا النظري ، وكل ما كانوا عليه من الدين لا يعدوا التقاليد الجافة التي لا منشأ لها في النفس غير التعود بمحاكاة الاهل والاقران ومجاراة المعاشرين ، وما يوافق منها احكام الاسلام عند المنتحلين لاسمه فانما يوافقها في صورته ، لا في روحه وحقيقته . ألم تر

أنهم كانوا يعللون تركهم للصلاة والصيام بما يدل انهم يظنون في الله غير الحق ظن السوء وان الله تنزه وتعالى محتاج الى صلاتهم وصيامهم فهم لا يبذلون له ما يحتاج اليه منهم الا اذا بذل لهم ما يحتاجون اليه منه جزاء وفاقا . (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر — وان تشكروا يرضه لكم * ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم * فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون)

مهانة هذه الامة ودناءتها

الا ان اعضل ادواء هذه الامة هو السفالة والمهانة والجمود والضعة — وما شئت فاذكر من الكلم المقابل لعلو الهمة والعزة والرفعة : فالمؤمن ضعيف في ايمانه . والكافر دنيء في كفره . والباذل مراء في بذله . والبخيل غبي في بخله . والعفيف خامل في عفته . والشهواني سافل في تمتعه . والقنوع عاجز في قناعته . والمشتغل بالعلم مقلد في علمه . والصالح بليد في صلاحه . حتى ان محب الجاه والعظمة فيها ذليل في عجبه وكبريائه فلا تجد شعبا من شعوبها ولا حزبا من احزابها ولا جمعية من جمعياتها بل لا تكاد ترى فردا من افرادها ذا مقصد عال كبير يبذل في سبيله النفس والنفيس بعزيمة قوية وارادة ثابتة وحكمة راسخة ، لا يثنيه عن السعي له حيف وقع ، ولا خوف من خطر يتوقع ، الا ما قام به الشعب المصري بعد أربعين سنة من نبات النواة التي ألقاها في ارضه مصلح الشرق وحكيمه في هذا العصر السيد جمال الدين الافغاني وتعاهده بعده خليفته الاستاذ الامام (طيب الله ثراهما)

وأما الشعوب العثمانية فقد مسخ الحكم التركي أخلاقها وافكارها بسوء الادارة وفساد التربية والتعليم في المدارس . وزادهم اختلاف أساليب التربية والتعليم في المدارس الاجنبية فسادا ولا سيما في سورية حيث تكثر هذه المدارس . وتفصيل القول في بيان هذا الامر من الجهتين الاجتماعية والدينية لم يأت اوانه انما اذكر في هذا الفصل كلمة وجيزة فيما كان من افساد الاخلاق والآداب برزايا الحرب ومحنتها وجرائر السلطة العسكرية وقسوتها :

اشتعلت نيران الحرب فاستباحت الدول المتقاتلة لانفسها ابطال الشرائع والقوانين في زمنها وجعل الحكم الفصل لامراء العسكر وقواد الجيوش لا في ميدان القتال فقط ولا على الجنود خاصة بل وسعت حدود سلطتهم حتى شملت كل ما يحتاجون اليه للحرب من اموال الناس وأقواتهم ومواشيهم ودوابهم ومركباتهم

وأنفسهم . وأي شيء لا يحتاجون اليه وهم بشر حاجتهم حاجة البشر وهم الذين يقدرون الحاجة ويحكمون وينفذون لا استئناف لحكمهم ولاراد لامرهم ؟ وانما كانت تتفاوت تصرفاتهم في غصب اموال الناس ومتاعهم باسم الشراء وتقدير الأثمان ودفعها أو تأجيلها بتفاوت تربيتهم الدينية والنظامية وتختلف باختلاف احوال من يتصرفون فيهم من أبناء جنسهم أو الخاضعين لحكمهم من غيرهم . واغرب ما نقل الينا من اخبار جوز ضباط الترك في سورية انهم كانوا يأخذون من البزازين مايصلح للجند من نسيج القطن والصوف وما لا يصلح لهم حتى ما هو خاص بالنساء من الحرير والشفوف والمناديل والقفافيز والجوارب الحريرية والاعطار

هلعت أفئدة البشر من كل الامم في أول العهد بالحرب واستيقظ الشعور الديني في قلوب طال نومه فيها كأنه ميت لا أثر له في شيء من اعمال الحياة وحدثنا من كان بباريس من المصريين ان الكنائس صارت في ذلك العهد تضيق على رحبها بالمصلين الخاشعين لله بعد ان كانوا يلمون بها المام السائح الراغب في رؤية الآثار وتعرف الاطوار فلايرون فيها حتى في اوقات الصلاة من ايام الآحاد الابعض العجائز والاطفال

ومما عرفنا من اخبار بلادنا السورية ممن فر الى مصر في أثناء الحرب ومما كان يصل الى الجرائد الافرنجية والمصرية أن مصائب الحرب أزالت ما كان بين الملل والطوائف من نفور وضغن ، واشعرت قلوبهم عواطف التراحم والتعاون ، فكان صاحب الرغيف يقسمه بينه وبين الفاقد لمثله من صاحب أو جار قريب أو بعيد ولا يضن بمقاسمة الجائع المجهول بله ذا القربى والرحم ،

فلما طال الامد ورأى الناس مارأوا من سوء تصرف القواد الجبارين ، والحكام الظالمين والاغنياء المترفين . دبت اليهم عدوى القدوة السيئة فقست القلوب وتحجرت العواطف ، واشتد الجشع ، وقوي الطمع ، وضريت الشهوة ، وعظمت الفتنة

افترص رؤساء الجند والحكومة اعلان الاحكام العرفية وتعطيل الشريعة والقانون بها فاحتكروا الاقوات ، وشاركوا في استغلال الامة كبار التجار ، وتذرع كل منهم بذلك لانتهاك الاعراض وافتراع الابكار . فكان من عاثت عليهم اعراضهم يستشفعون بنسائهم وبناتهم الى اولئك الرؤساء (كالقائد العام للفيلق الرابع في سورية ومتصرف لبنان) لاخذ وثائق بشواحن القمح وغيره من الاغذية ، فكانت اعراض النساء عروض تجارة وأبضاعهن بضائع

ربح . وكانت الحرة تموت ولا تأكل بثدييها وفاقا للمثل العربي. وبين هذه واولئك نساء نشأن مصونات محصنات لا لدين راسخ ولا لشرف باذخ ، بل لفقد الداعية وعدم الاصطلاء بنار الفتنة، فلما ذقن ألم الجوع الديقوع الدهقوع وفقدن ما يتبلغن به من اللماج والعلهز (١) وعلمن ان سمة العيش على طرف الثمام وحبل الذراع منهن . اذا ارخصن ما اغلته العفة من شرفهن . ووجدن أن الشرف في هذا الزمن غير الشرف الذي تروى أخباره عن السلف . فالناس يعظمون الفاسقين ويتقربون الى الفاسقات . ويحتقرون الصالحين والصالحات . فطوعت لهن انفسهن واسلست لهن ما كان صعب المقادة من اقتراف الفاحشة فأطعنها واجمات . ولم يلبث ان استمر أن المرعى فانقلبن سافحات متهتكات . فويل للمترفين المسرفين في الشهوات الفاسقين المفسدين للمحصنات

كان اولئك الكبراء يبذلون للحسناء ما تحب وكان من دونهم من الموسرين والجنود يفيضون من فضل رزقهم في هذه السبيل كل بحسب حاله . وكان بدء اغواء الكثيرات من العذارى والمحصنات أنهن طلبن من بعض الرؤساء شيئا من مال الاعاشة الذي كان يباع رخيصا من قبل الحكومة أو طلبن الصدقة والاحسان من بعض الاغنياء فراودوهن عن أنفسهن فتمنعن المرة بعد المرة طوعت لهن أنفسهن أن يجتلبن القوت الضروري بما جلب به غيرهن الثروة والزينة على أن يكون ضرورة تقدر بقدرها . ولما بذل العزيز المصون هان وابتذل فصار يعرض عند الحاجة. ثم لمجرد التمتع أو الربح. ففشا بذلك الفجور والعهر وصارت النساء تتبع جنود الاجانب حيثما عسكرت في البلاد السورية بعد جلاء الجند العثماني منها . وكن من قبل يستخفين في كل أرض يمر فيها الجند وان كان وطنيا .

ومن الجنود الاجانب من لقومهم صلة دين ومذهب أو ولاء سابق أو لاحق مع بعض الشعوب فكان الضباط منهم يدمرون على أهل بيوت كبرائهم فيتلقون بالحفاوة والترحاب ، ولا يقفل في وجه أحد منهم باب بل تفلق عليهم الابواب. وجرى على ذلك كثير من افراد الجند وتعدى بعضهم بيوت الاولياء المنسوطين الى بيوت غيرهم ، فارتفعت الاصوات بالشكوى منهم . وصارت الابواب توصد في النهار كالليل اتقاء لشرهم .

(١) اللماج بالفتح أدنى ما يؤكل والعلهز بالكسر القراد والضخم ووبر يلت بالدم ويخفف فيتبلغ به في المجاعة

لما رأى المسلمون من أهل البلاد استشراء الفسق والفساد، وما تجدد من عوامل الاغواء والافساد، شعروا بالخطر الذي ينذرهم ويهددهم فأنشأوا يثوبون الى رشدهم وكان من تأثير سنة رد الفعل فيهم أن بعض الشبان الذين أغوتهم تربية مدارس الدولة فلم يكونوا يصومون ولا يصلون وزادتهم أيام الحرب ثم أيام الهدنة والاحتلال بعداً عن الهدى والتقوى قد صاموا رمضان الماضي وصاروا يصلون. وتركوا مجالس الفسق بعد أن صار مباحاً وسبباً من أسباب الزلفى والحظوة عند الواقفين على أبواب الرزق والجاه — فهذه آية بينة على أن ما طرأ على الامة من الامراض الروحية والاجتماعية لم يكن قاتلا لها بل هي أمراض عارضة لكل منها سيرينتهي بانتهاء أجله المقدر له اذا تدورك بالعلاج قبل أن يكون المريض حرضاً او يكون من الهالكين

ان هذه الحرب لم تفسد اخلاق الضعفاء من البشر وحدهم بل أفسدت أخلاق جميع من صلي نارها من الامم والشعوب وألقت من العداوة والبغضاء والحقد والحسد بينها أضعاف ما كان قبلها. وما سبب ذلك الا ظهور رذائل التعاليم المادية فيها، وأكبر هذه الرذائل وأشدها ضرراً استعباد الاقوياء للضعفاء وطمعهم فيهم. وهذه رذيلة يكرهها كل أحد من غيره. بقدر ما يحبها كل قوي لنفسه. فالشكوى منها ومن آثارها السيئة ومصائبها التي تولدت منها عامة. ولكن اساطين السياسة المادية يحاولون ازالة أعراض المرض مع الاصرار والثبات على العلل والاسباب الموجبة لبقاء المرض نفسه فلا يترك أحد منهم شيئاً من طمعه في بلاء المستضعفين وعاولة الاستعلاء على العالمين

لقد كانت معاهدات الصلح شراً على البشر من أهوال الحرب وكل ما يشكو منه الغرب والشرق من الشقاء فثاره هذه المعاهدات التي انفرد بها أفراد من أساطين ساسة الاستعمار وانصار رجال المال فمجلس العشرة الواضعين لمعاهدة الصلح الكبرى في فرسايل كان أصل مصائب البشر كلهم في هذا العصر. وكان مجلس الاربعة الوزراء في سائر المعاهدات. ولو وضعت برأي مجالس النواب لما اتفق أكثر أعضائها على ما اودعته من مواد القهر والانتقام من المغلوبين والاستعباد والاستذلال للضعفاء أو أن عدوا من الاصدقاء الموالين. فلسنا وحدنا نتألم من سوء عاقبة الحرب بل يشكو الآن معنا القاهر والمقهور. والواتر والموتور. والى الله ترجع الامور.

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق

مصر، سلخ ذي الحجة ١٣٣٨ – ٢٠ السنبلة (ص ٣) سنة ١٢٩٨ هش ١٣ سبتمبر ١٩٢٠

استقلال مصر

وحقوق انكلترة فيها

على أثر انتهاء الحرب الكبرى وإعلان الهدنة سعى سعد باشا زغلول الزعيم الكبير الشهير مع بعض أصدقائه إلى نائب ملك الانكليز بمصر السر ريجنلد ونجت طالبين منه إلغاء الحكومة العرفية ورفع المراقبة عن الصحف فناقشهم مناقشة صرحوا له في خلالها بعزمهم على السعي لاعتراف حكومته وغيرها باستقلال البلاد المصرية وحرية المصريين . ثم إن سعد باشا ألف وفداً لأجل القيام بهذا السعي بمصر وأوربة وكل مكان يمكن السعي النافع فيه وأخذ الوفد وثائق بتوكيل الأمة له بذلك من أعضاء الجمعية التشريعية وغيرها من الجماعات وأفراد الزعماء . ثم نشر الوفد منشورات بين فيها مراده وبلغ معتمدي الدول العظمى ورئيس جمهورية الولايات المتحدة ذلك . وتبرع أغنياء الشعب بعشرات بل مئات الألوف من الجنيهات له للاستعانة بها على السعي الذي انتدب له . وكان من أمر الوفد وما ترتب على تأليفه وأعماله ومعاملاته ما بيناه في مقالة عنوانها (التطور السياسي والديني والاجتماعي بمصر نشرت في الجزء الخامس من هذا المجلد (ص ٢٧٤) فليراجعها من يريد الوقوف على ذلك من غير أهل هذه البلاد . ونقول عنه بالإجمال : صدر أمر الحكومة الانكليزية العليا بالإذن للزعماء الأربعة وهم الباشوات سعد ومحمد الباسل ومحمد محمود وإسماعيل صدقي ولمن شاء من أعضاء الوفد وغيرهم بالسفر إلى حيث شاءوا من أوربة فسافر الأربعة إلى فرنسة وتبعهم آخرون من مصر إلى باريس . وأرادوا رفع قضية مصر إلى مؤتمر الصلح فلم يسمع لهم قولا ولم تكن الجرائد الفرنسية تنشر لهم ما يريدون نشره ولكنهم ثبتوا على جهادهم حتى أسمعوا الصم فتنبهوا

ثم إن الحكومة البريطانية ارتأت أن ترسل إلى مصر وفداً يرأسه اللورد ملنر لأجل مذاكرة زعماء المصريين والوقوف على آرائهم في إدارة بلادهم والاتفاق معهم على وضع نظام للاستقلال الإداري واسع مع بقاء الحماية البريطانية . فلم يكد هذا النبأ يصل إلى مصر حتى بث أنصار الوفد المصري الدعوة في طول البلاد وعرضها إلى رفض قبول هذا الوفد ووجوب مقاطعة الأمة له وعدم مذاكرته والبحث معه وإعلامه بأن الأمة مجمعة على تفويض أمرها إلى الوفد المصري الذي

رأسه سعد باشا زغلول . ولم يصرف ذلك الحكومة البريطانية عن ارسال لجنة ملنر الى مصر ولكن المصريين نجحوا في مقاطعتها وكان يوجد في البلاد افراد يرون أن البحث معها مفيد وان مقاطعتها ضارة ولكنهم لم يستطيعوا مخالفة الاكثرية الساحقة فاقامت اللجنة مدة طويلة لم يراجعها أحد من الجماعات والافراد في شيء ولكن اللورد ملنر استحسن أن يفتح باب المذاكرة مع أفراد من الكبراء بزيارته اياهم في بيوتهم والحديث معهم بصفة غير رسمية ولا مبنية على الاعتراف بالحماية ، فزار شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية وبعض الكبراء فلم يسمع من احد الا كلمة واحدة وهي تفويض الوفد المصري بطلب الاستقلال التام فلا بد من مراجعته في ذلك .

ثم عاد وفد ملنر الى انكلترة وراسل سعد باشا في أمر الاتفاق على المسألة المصرية فاشترط سعد باشا أن تكون المذاكرة مبنية على قاعدة استقلال مصر استقلالا تاما ورفع الحماية عنها مع ضمان مصالح انكلترة فيها فاتفقا على ذلك وجاء الوفد (لندن) عاصمة انكلترة فقوبل بالترحاب من لجنة ملنر ومن الحكومة وبعد عقد جلسات كثيرة سرية بين اللجنتين وضعت قواعد للاتفاق لم يقبلها الوفد المصري لأنها لا تضمن الاستقلال التام المطلق الذي وكلته البلاد بطلبه ولم يرفضها لان فيها استقلالا تاما لكنه مقيد بمعاهدة تضمن لانكلترة حقوقا عظيمة تقيد مصر بقيود ثقيلة وتسكت عن الحاق السودان بمصر . فارتأى الوفد ان يرسل اربعة مندوبين لاستشارة الامة والاستنارة برأيها في مشروع هذه المعاهدة . فان قبل الرأي العام أن تكون هذه القواعد أساسا لوضع المعاهدة بين الحكومتين استأنف الوفد المذاكرة مع لجنة ملنر لوضعها على انه يشترط لقبولها نهائيا موافقة مجلس الامة البريطانية (البرلمان) عليها من قبل انكلترة وموافقة مجلس منتخب من الامة المصرية عليها من قبل مصر

استقبلت الامة المصرية مندوبي وفدها في الاسكندرية والقاهرة بحفاوة عظيمة . وقد نشروا عليها ما جاؤا به من قواعد الاتفاق ووقفوا على الرأي العام فيها بالمذاكرات الشفوية مع الجماعات التي تمثل طبقات الامة ومع الافراد الكثيرين من الافراد المشهورين وبما نشر في الجرائد وانا نبدأ بنشر بلاغ المندوبين وما أوضحوه به ثم نقفي عليه ببيان رأي الامة فيه

بلاغ من مندوبي الوفد المصري

في قواعد الاتفاق بين انكلترة ومصر

في الطور الحاضر للمسألة المصرية قد يكون من مقتضيات التقاليد ومن الاكثر مناسبة لمهمة أعضاء الوفد المنتدبين الى مصر أن لا تنشر نصوصها القواعد التي اعتبرت أساسات للاتفاق المرغوب فيه بين بريطانيا العظمى و بين مصر قبل أن تاخذ هذه القواعد نهائيا شكل معاهدة رسمية ممضاة من معتمدي الحكومتين على الطريقة المادية ـــ ولكن الحالة النفسية للرأي العام المصري من حيث تعطشه للوقوف على نصوص تلك القواعد والرغبة في جعل مهمة الأعضاء المندوبين من قبل الوفد أقل صعوبة وأكثر انتاجا ـــ كل ذلك يجعل نشر تلك النصوص برمتها وعلى حالها أمرا ضروريا كما يجعل تكرير البيان للمهمة المذكورة آنفا أمرا غير عديم الفائدة حتى يقر في النفوس ان الغرض المقصود ليس هو أخذ رأي الأمة نهائيا في هذا الاتفاق اذ على ذلك هو ان يكون بعد امضاء المعاهدة لا قبله وامام الجمعية الوطنية التي تنتخب خصيصا لهذا الغرض . بل المقصود هو ان يستنير الوفد برأي موكليه حتى يعلم ما اذا كان الرأي العام موافقاً على ان هـذه القواعد في مجموعها تصلح أساسا للمعاهدة

١ ـــ مذكرة بقواعد الاتفاق

١ ـــ لاجل ان يبنى استقلال مصر على أساس متين دائم يلزم تحديد العلاقات ما بين بريطانيا العظمى ومصر تحديدا دقيقا ويجب تعديل ما تتمتع به الدول ذوات الامتياز في مصر من المزايا وأحوال الاعفاء وجعلها أقل ضررا بمصالح البلاد

٢ ـــ ولا يمكن تحقيق هذين الغرضين بغير مفاوضات جديدة تحصل الغرض الاول بين مندوبين معتمدين من الحكومة البريطانية وآخرين معتمدين من الحكومة المصرية وبعد ذلك تحصل الغرض الثاني بين الحكومة البريطانية وحكومات الدول ذوات الامتيازات وتهدف هذه المفاوضات الى الحصول على اتفاق مبني على القواعد الآتية :

٣ — أولا — تعقد معاهدة بين مصر وبريطانيا العظمى تعترف بريطانيا العظمى بموجبها باستقلال مصر كدولة ملكية دستورية ذات هيئات نيابية وتمنح مصر بريطانيا العظمى الحقوق التي تلزم لصيانة مصالحها الخاصة ولتمكينها من تقديم الضمانات التي يجب أن تعطى للدول الاجنبية لتحقيق تخلي تلك الدول عن الحقوق المخولة لها بمقتضى الامتيازات

— ثانيا — تبرم بموجب هذه المعاهدة نفسها محالفة بين بريطانيا العظمى ومصر تتعهد بمقتضاها بريطانيا العظمى أن تعضد مصر في الدفاع عن سلامة أرضها وتتعهد مصر أنها في حالة الحرب حتى ولو لم يكن هناك مساس بسلامة أرضها أن تقدم داخل حدود بلادها كل المساعدة التي في وسعها الى بريطانيا العظمى ومن ضمنها استعمال مالها من المواني وميادين الطيران ووسائل المواصلات للاغراض الحربية

٤ — وتشمل هذه المعاهدة أحكاما للاغراض الآتية :

— أولا — تتمتع مصر بحق التمثيل في البلاد الاجنبية وعند عدم وجود ممثل مصري معتمد من حكومته تعهد الحكومة المصرية بمصالحها الى الممثل البريطاني وتتعهد مصر بأن لا تتخذ في البلاد الاجنبية خطة لا تتفق مع المحالفة أو توجد صعوبات لبريطانيا العظمى . وتتعهد كذلك بأن لا تعقد مع دولة أجنبية أي اتفاق ضار بالمصالح البريطانية

— ثانيا — تمنح مصر بريطانيا العظمى حق ابقاء قوة عسكرية في الارض المصرية لحماية مواصلاتها الامبراطورية وتعين المعاهدة المكان الذي تعسكر فيه هذه القوة وتسوي ما تستتبعه من المسائل التي تحتاج الى التسوية ولا يعتبر وجود هذه القوة بأي وجه من الوجوه احتلالا عسكريا للبلاد كما انه لا يمس حقوق حكومة مصر

— ثالثا — تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية مستشارا ماليا يعهد اليه في الوقت اللازم بالاختصاصات المالية التي لاعضاء صندوق الدين ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته في جميع المسائل الاخرى التي قد ترغب في استشارته فيها

— رابعا — تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية موظفا في وزارة الحقانية

يتمتع بحق الاتصال بالوزير ويجب احاطته بجميع المسائل المتعلقة بادارة القضاء فيما له مساس بالاجانب ويكون أيضا تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته في أي أمر مرتبط بتأييد القانون والنظام

ـ خامساـ نظراً لما في النية من نقل الحقوق التي تستعملها الى الآن الحكومات الاجنبية المختلفة بموجب نظام الامتيازات الى الحكومة البريطانية تعترف مصر بحق بريطانيا العظمى في التداخل بواسطة ممثلها في مصر لتمنع ان يطبق على الاجانب أي قانون مصري يستدعي الآن موافقة الدول الاجنبية وتتعهد بريطانيا العظمى من جانبها أن لا تستعمل هذا الحق الا حيث يكون مفعول القانون مجحفا بالاجانب

صيغة أخرى لهذه المادة

نظرا لما في النية من نقل الحقوق التي تستعملها الآن الحكومات الاجنبية المختلفة بموجب نظام الامتيازات الى الحكومة البريطانية تعترف مصر بحق بريطانيا العظمى في التدخل بواسطة ممثلها في مصر لتمنع أن ينفذ على الاجانب أي قانون مصري يستدعي الآن موافقة الدول الاجنبية وتتعهد بريطانيا العظمى من جانبها بأن لا تستعمل هذا الحق الا في حالة القوانين التي تتضمن تمييزا مجحفا بالاجانب في مادة فرض الضرائب أو لا تتفق مع مبادئ التشريع المشتركة بين جميع الدول ذوات الامتياز

ـ سادساـ نظرا للعلاقات الخاصة التي تنشأ عن المحالفة بين بريطانيا العظمى ومصر يمنح الممثل البريطاني مركزا استثنائيا في مصر ويخول حق التقدم على جميع الممثلين الآخرين

ـ سابعاـ الضباط والموظفون الاداريون من بريطانيين وغيرهم من الاجانب الذين دخلوا خدمة الحكومة المصرية قبل العمل بالمعاهدة يجوز انتهاء خدمتهم بناء على رغبتهم أو رغبة الحكومة المصرية في أي وقت خلال سنتين بعد العمل بالمعاهدة وتحدد المعاهدة المعاش أو التعويض الذي يمنح للموظفين الذين يتركون الخدمة بموجب هذا النص زيادة على ماهو مخول لهم بمقتضى القانون الحالي

وفي حالة عدم استعمال الحق المخول بهذا الاتفاق تبقى أحكام التوظف الحالية بغير مساس

٥ — تعرض هذه المعاهدة على جمعية وطنية للتصديق عليها ولكن لا يعمل بها الا بعد انفاذ الاتفاقات مع الدول الاجنبية على ابطال محاكمها القنصلية وانفاذ الاوامر العالية المعدلة لنظام المحاكم المختلطة

٦ — يعهد أيضاً الى الجمعية الوطنية بمهمة وضع قانون نظامي جديد تسير حكومة مصر في المستقبل بمقتضى أحكامه ويتضمن هذا النظام أحكاماً تقضي بجعل لوزراء مسئولين امام الهيئة التشريعية وتقضي أيضا بحرية الاديان لجميع الاشخاص والحماية الواجبة لحقوق الاجانب

٧ — تحصل التعديلات اللازم ادخالها على نظام الامتيازات باتفاقات تعقد بين بريطانيا العظمى والدول المختلفة ذوات الامتيازات وتقضي هذه الاتفاقات بابطال المحاكم القنصلية الاجنبية حتى يتيسر تعديل نظام المحاكم المختلطة وتوسيع اختصاصها في سريان التشريع الذي تسنه الهيئة التشريعية المصرية (ومنه التشريع الذي يفرض الضرائب) على جميع الاجانب في مصر

٨ — تنص هذه الاتفاقات على ان تنتقل الى الحكومة البريطانية الحقوق التي كانت تستعملها الحكومات الاجنبية المختلفة بمقتضى نظام الامتيازات وتشمل أيضاً أحكاما تقضي بما يأتي :—

أولا — لايسوغ العمل على التمييز المجحف برعايا أية دولة وافقت على ابطال محاكمها القنصلية ويتمتع هؤلاء الرعايا في مصر بنفس المعاملة التي يتمتع بها الرعايا البريطانيون

ثانيا — يؤسس قانون الجنسية المصرية على قاعدة النسب فيتمتع الاولاد الذين يولدون في مصر لاجنبي بجنسية أبيهم ولا يحق اعتبارهم رعايا مصريين

ثالثا — تخول مصر موظفي قنصليات الدول الاجنبية نفس النظام الذي يتمتع به القناصل الاجانب في انجلترا

رابعاً — المعاهدات والاتفاقات الحالية التي اشتركت مصر في التعاقد عليها في مسائل التجارة والملاحة ومنها اتفاقات البريد والتلغراف تبقى نافذة المفعول أما في المسائل التي ينالها مساس من جراء ابطال المحاكم القنصلية فتعمل مصر بالمعاهدات النافذة المفعول بين بريطانيا العظمى والدول الاجنبية صاحبة الشأن

مثل معاهدات تسليم المجرمين وتسليم البحارة الفارين وكذلك المعاهدات التي لها صبغة سياسية سواء أكانت معقودة بين أطراف عدة أم بين طرفين. مثال ذلك اتفاقات التحكيم والاتفاقات المختلفة المتعلقة بسير الحروب وذلك ربما عقد اتفاقات خاصة تكون مصر طرفاً فيها

خامسا — تضمن حرية بقاء المدارس وتعلم لغة الدولة الاجنبية صاحبة الشأن بشرط أن تخضع هذه المدارس من جميع الوجوه للقوانين السارية بوجه عام على المدارس الاوروبية في مصر

سادسا — تضمن أيضاً حرية ابقاء أو انشاء معاهد دينية وخيرية كالمستشفيات الخ

وتنص المعاهدات أيضاً على التغييرات اللازمة في صندوق الدين وعلى ابعاد العنصر الدولي من مجلس الصحة في الاسكندرية

٩ — التشريع الذي تستلزمه الاتفاقات السالفة الذكر بين بريطانيا العظمى والدول الاجنبية يعمل به بمقتضى اوامر عالية تصدرها الحكومة المصرية . وفي الوقت نفسه يصدر أمر عال يقضي باعتبار جميع الاجرآت التشريعية والادارية والقضائية التي اتخذت بمقتضى الاحكام العرفية صحيحة

١٠ — تقضي الاوامر العالية المعدلة لنظام المحاكم المختلطة على تخويل هذه المحاكم كل الاختصاص الذي كان الى الآن مخولا للمحاكم القنصلية الاجنبية ويترك اختصاص المحاكم الاهلية بغير مساس به

١١ — بعد العمل بالمعاهدة المشار اليها في البند الثالث تبلغ بريطانيا العظمى نصها الى الدول الاجنبية وتعضد الطلب الذي تقدمه مصر للدخول كعضو في جمعية الامم

٢ — مسألة السودان

اما مسألة السودان فلم تطرح تحت البحث ولكن الوفد قد حصل على تأكيدات تضمن الطمأنينة على مياه النيل لري الاراضي المصرية المزروعة الآن و القابلة للزراعة في المستقبل

٣ — مهمة اعضاء الوفد المنتدبين

وأما مهمة أعضاء الوفد المنتدبين فبيانها أنه لما وصلت المفاوضات بين الوفد وبين لجنة اللورد ملنر الى أن قدمت اللجنة هذه القواعد على انها نهائية

في الاساسات التي بنيت عليها رأي الوفد أخذاً بالاحوط. واستمسا كا برأي الوكالة على اتلاقه أن لايبت في الموضوع برفضه أو بقبوله. بل رأى أن الحكمة تدعو الى عرض الامر على البلاد فاذا قبلت البلاد ان هذه القواعد صالحة أساسا للمعاهدة دخلت المسألة في دورها النهائي ووضعت معاهدة على القواعد المذكورة وعرضت على الجمعية الوطنية التي هي صاحبة الرأي الأعلى في الامر ولها دون غيرها الكلمة الاخيرة في الموضوع فبعد أن تدرس تفاصيل المعاهدة وصيغتها تقرر بقبولها أو برفضها

٤ — الخطة

أما الخطة التي سيتبعها الاعضاء والمندوبون في الاستشارة برأي الامة فهى الاجتماع بأعضاء الهيئات ذات الصفة النيابية وبالرجال أولي الرأي وشرح أساسات المشروع لهم وسماع رأيهم فيها. كما أنهم مستعدون لاعطاء جميع المعلومات ولقبول جميع الاراء بالكتابة أو بالمشافهة. نرجو أن يسدد الله آراء أولي الرأي لمصلحة البلاد

تحريراً في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٨ و٩ سبتمبر سنة ١٩٢٠

محمد محمود . احمد لطفي السيد . عبد اللطيف المكباتي . على ماهر . ويصا واصف . حافظ عفيفي . مصطفى النحاس

شرح مشروع الاتفاق

الذي نشره مندوبو الوفد الاربعة على الامة في الجرائد

عقدت اللجنة المركزية اجتماعاً كبيراً في الساعة السادسة بعد ظهر يوم الجمعة ٢٧ الحجة بمنزل حضرة صاحب السعادة سعد زغلول باشا لسماع الايضاحات التي يقولها مندوبو الوفد، قد حضر هذا الاجتماع اكثر من مائة عضو وتصدر الاجتماع أعضاء الوفد ثم بدأ الاستاذ لطفي بك السيد الكلام فابلغ اللجنة تحية رئيس وأعضاء الوفد الباقين في أوربا وقال أن هيئة الوفد باسرها تشكر للامة الكريمة ما أبدته من شريف العواطف نحو خدامها ثم أخذ يتلو المشروع ويشرحه بعد أن أعلن ان الغرض من هذا الشرح توضيح ما يكون غامضا من النصوص ولكل من حضرات الاعضاء أن يوجه ما شاء من الاسئلة لاجل الاستيضاح اما الاقتراحات فتؤجل لفرصة أخرى

المفاوضات الجديدة

فلما وصل الى البند الثاني الخاص بضرورة اجراء مفاوضات جديدة بين ممثلين معتمدين من الحكومة البريطانية وآخرين معتمدين من الحكومة المصرية سئل فيما عساه ان تكون فائدة المناقشات الحاضرة ما دام الوفد سيكون اجنبيا عن المفاوضات الآتية فأجاب بأن ممثلي الحكومتين سيضعون المعاهدات على أساسات لا تخرج عن هذا الاتفاق وان القواعد الدولية تقضي بأن مندوبي الحكومات هم الذين يوقعون المعاهدات ومع كل فان الوفد سيبقى قريبا من المفاوضات الجديدة ولا يجري شئ الا بعلمه.

مساعدة مصر لانجلترا في حالة الحرب

ولما وصل الى الفقرة الثانية من البند الثالث الخاصة بما تقوم به مصر في حالة الحرب مع انجلترا سئل عن مهمة الجيش المصري في هذه الحالة فقال انه لا يكلف الاشتراك في الحرب مع بريطانيا خارج الحدود المصرية بمعنى ان مساعدته لا تتعدى الحدود المصرية

نوع المحالفة بين مصر وانجلترا

ثم أخذ يشرح المحالفة التي تبرم بين مصر وانجلترا قائلا انها تعد محالفة دفاعية من قبل انجلترا نحو مصر لانها ستقتصر على الاشتراك في الدفاع عن أراضي مصر اذا هوجمت وهذا الدفاع عن مصر حيوي بالنسبة لانجلترا لانها لا ترضى ان تتسلط عليها دولة أجنبية

وفي مقابل ذلك يجب على مصر حتى تخرج من شبهة كل تبعية ان تقدم المقابل والا كان لانفراد انجلترا بالدفاع معنى آخر وهذا المقابل هو تقديم المساعدة لانجلترا في حالة الحرب الا ان جيشنا لا يخرج من بلادنا للمحاربة من أجلها وهذه المساعدة طبيعية لان كل حليف مطالب بتقديم المعونة لحليفه كما كان الحال بين فرنسا وروسيا. وقد فسر حالة الحرب التي تشترك فيها مصر لتقديم المساعدات بالحروب النظامية التي تعلن طبقا للاصول الدولية المعروفة فلا ينطبق هذا على حصول ثورات في أية جهة

التمثيل السياسي في الخارج

ثم انتقل الى حق تمثيل مصر في البلاد الاجنبية فشرحه بأن له مظهرين حق السفارة وهو يتعلق بالمسائل السياسية وحق ارسال قناصل ووظيفتهم غير سياسية أي يكون لمصر معتمدون سياسيون وقناصل أيضا

ولمصر ان توجد لها ممثلين في كل جهة فاذا لم تجد حاجة لتعيين ممثلين لها من المصريين في جهة ما فعليها أن تكل ذلك الى معتمدي انجلترا لا الى معتمدي أية دولة أخرى

عقد الاتفاقات

ثم شرح المادة الخاصة بأن مصر لاتتخذ خطة تخالف المحالفة وانها لاتوجد صعوبات لبريطانيا العظمى فقال ان المراد عدم عقد محالفة مع اعداء انجلترا وعدم دس الدسائس لها

القوة العسكرية

ثم انتقل البحث الى حق ابقاء قوة عسكرية لضمان المواصلات الامبراطورية فقال ان لانجلترا مصالح عديدة في الشرق الاقصى والشرق الادنى فمن الواجب على مصر بصفتها حليفة ان تساعد انجلترا بالسماح لها بابقاء جنود في نقطة لحماية طرق المواصلات والمفهوم من روح المفاوضات انها ستكون في منطقة القنال وانها على العموم ان تكون في مدينة ولا بالقرب من مدينة

المستشار المالي

وهنا وقف حضرة علي بك ماهر ليتم الشرح فتلا المادة الخاصة باختصاصات المستشار المالي وقال انها ستكون هي نفس اختصاصات صندوق الدين الحالي بعد سنة ١٩٠٤ ولما سئل عن دائرة استشارة الحكومة له أجاب بأن الحكومة غير ملزمة باستشارته وليس له ان يعرض هذا الاستشارة من تلقاء نفسه وانما يكون تحت تصرف الحكومة وسيكون للبرلمان السلطة العليا في ذلك

ثم أخذ يوضح سبب وضع هذا النص في المشروع فقال : كان الوفد أعلن

قبل سفره انه يقبل بقاء صندوق الدين وانه لا يعارض في حلول انجليزي محله اذا قبلت الدول ذلك وكان في نيتنا ان يقال ان مصر تقبل تعيين موظف رسمي مراقبا أو مندوبا للدين العمومي وان وظيفتــه تنتهي بانتهاء مأمورية صندوق الدين وانه لا يتدخل في شؤوننا الداخلية

وقد حصل تشدد في سلطة المستشار وصممنا على أن لا يتعدى اختصاصه وظيفة صندوق الدين الحالي وكنا لا نتردد في قطع المفاوضات اذا تجاوز الامر ذلك الى التدخل في الشئون الداخلية للبلاد، فقالوا مادامت الامور المالية تقتضي كفاءة فنية فهل لا يجوز ان تستشيروه؟ فقلنا لا داعي للنص على ذلك ولكنهم طلبوا أن ينص على جواز الاستشارة فلم يوضع النص على اطلاقه بل خفف وجعل في الاحوال التي قد ترغب الحكومة المصرية استشارته فيها * ثم أخذ الكثيرون في السؤال عن نهاية وظيفة المستشار فاجاب بان متى سددت مصر ديونها أو حولتها بواسطة عقد قرض أهلي لا يكون هناك محل لبقاء المستشار

الموظف الانجليزي في الحقانية

ثم قال ان الانجليز طلبوا ضمانات بخصوص تطبيق القوانين على الاجانب فعرض عليهم أن يكون النائب العمومي لدى المحاكم المختلطة انجليزيا فقالوا ان وظيفة النائب لا تجعله في اتصال يومي مع الوزير واقترحوا ان يكون في وزارة الحقانية موظف انجليزي له حق الاتصال بالوزير أي يكون له الحق في مقابلته بدون وساطة موظف آخر وبهذه المناسبة جاء ذكر المشروع الذي وضعه المستر هيرست فقال مندوب الوفد ان المشروع على افتراض استمرار الحماية وانه سيعدل تعديلا يوافق روح الاتفاقية وان الوفد ألف لجنة لدرس هذا المشروع وابداء رأيها في طريقة تعديله

وسئل علي بك عن معنى ادارة القضاء وهل يتداخل الموظف الانجليزي في تعيين القضاة فاجاب سلباً

سريان القوانين على الاجانب

ثم تلا الصيغتين الخاصتين بالحق المخول لممثل انجلترا لمنع تطبيق القوانين على

الاجانب وقال ان الصيغة الثانية أحكم من الاولى وقال انهم كانوا يريدون أن يتولوا أمر البوليس فعارض الوفد في ذلك فعادوا واقترحوا انشاء [قره قولات] أجنبية كما كان الحال قبل الاحتلال فعارضنا أيضا وانتهى الامر بوضع النص السابق لضمان حقوق الاجانب

ممثل انجلترا .

ثم تلا المادة الخاصة بممثل انجلترا فحدثت مناقشة في المركز الاستثنائي الذي سيكون للممثل فقال مندوبو الوفد ان هذا النص ليس له مرمى سياسي وان في الاستطاعة الاتفاق على حذفه . اما اسم الممثل لانجلترا فلم يتفق عليه وعلى كل حال فان يسمى نائب ملك ولا مندوباً سامياً وانما يسمى التسمية العادية المعروفة في القانون الدولي لمن يعينون ممثلين لدى الدول المستقلة

الموظفون الذين يستغنى عنهم

وهنا قام حضرة عبد اللطيف بك المكباتي لاتمام الشرح فتناول مسألة الموظفين الذين سيستغنى عنهم وقال أن لجنة ستتألف للنظر في ذلك

الجمعية الوطنية وتعليق تنفيذ المعاهدة

ثم تلا المادة الخامسة الخاصة بعرض المعاهدة على الجمعية الوطنية للتصديق عليها فقال ان وظيفة الجمعية المذكورة ستكون النظر في المعاهدة وتقرير قبولها أو رفضها ثم وضع القانون النظامي للبلاد

اما تعليق تنفيذ المعاهدة على قبول الدول فقد قيل لنا ان الحكومة الانجليزية شرعت تفاوض الدول في ذلك من زمن وان بعضها قبل وهم ينتظرون أن ينتهي الامر لغاية شهر نوفمبر وقيل ايضاً اذا تأخرت دولة أو دولتان فيمكننا ان نصرف النظر عنهما ولذلك سابقة فان فرنسا عند انشاء المحاكم المختلطة بقيت مدة دون أن توافق عليها وظلت قضاياها تنظر أمام المحاكم القنصلية ولما رأت نفسها في عزلة رأت أخيراً أن توافق على ذلك النظام والامل أن تتم هذه المفاوضات قبل انتهاء الاجراءات اللازمة لدخول المعاهدة في دور التنفيذ

مجلس الصحة

ولما سئل عن معنى ابعاد العنصر الدولي من مجلس الصحة في الاسكندرية قال ان معناه ان يكون المجلس مصرياً فقط

الاجراءات التي اتخذت بمقتضى الاحكام العرفية

ثم انتقلت المناقشة الى النص الذي يقول بصدور أمر عال يقضي باعتبار جميع الاجراءات التشريعية والقضائية التي اتخذت بمقتضى الاحكام العرفية صحيحة

فقام الاستاذ لطفي بك السيد وقال

المادة أنه متى وجدت الاحكام العرفية وأزيلت فيجب أن يعفى عما مضى في خلالها وقد حدث أن جميع الدول قررت أن المسائل التي صدرت تحت الاحكام العرفية يسدل عليها ستار تاريخي فلا تقبل الحاكم الناظر في الدعاوي التي ترفع بسببها

فهذا النص يفيد أنه لا يترتب للافراد حقوق على الموظفين الذين طبقوا هذه الاحكام

وضرب المكباتي بك مثلا على هذه الاجراءات بأن السلطة اذا صادرت أملاك واحد لأجل اتفاقه مع الاعداء ثم اشترى شخص هذه الأملاك فان الشراء يكون صحيحاً ويظل صحيحاً

وقال حضرة مصطفى بك النحاس

المراد بالاجراءات ما أصدره القائد العام بمقتضى الاحكام العرفية لا غير ذلك

وسأل سائل اذا صدر الآن مشروع قانون ولكنه لم ينفذ الى أن تعقد المعاهدة وتجتمع الجمعية الوطنية فهل يكون في مقدرة البرلمان الجديد أن يلغيه فاجيب بالايجاب

تبليغ المعاهدة للدول

ثم استمر لطفي بك يشرح بقية النصوص حتى وصل الى النص الخاص بان انجلترا تبلغ الدول نص المعاهدة فقيل له : لماذا يكون التبليغ بواسطة انجلترا لا بواسطة مصر ؛ فأجاب ان بين انجلترا وبين الدول عقداً يقضي بأن مصر في حالة حماية وهذا الاتفاق يلغي الحماية فيجب أن يكون التبليغ من قبلها ومع ذلك فليس هناك مايمنع مصر أن تبلغ الدول من جهتها هذه المعاهدة

مسألة السودان

ثم انتقل الى الكلام في مسألة السودان فقال كان المفهوم بيننا جميعاً والذي أخذه الوفد على عاتقه امام الامة أن السودان جزء غير منفصل عن مصر ولا يمكن أن ينفصل عنها وان استقلال مصر يتمشى على السودان وكان لدينا ادلة كثيرة أهمها أن معاهدة السودان باطلة لانها تشبه العقد الذي يعقد بين الوصي ومحجوره ويجر منفعة لهذا الوصي وقد كان صاحب الحق في عقد المعاهدة هو سلطان تركيا ولم تكن الدول اعترفت بالاتفاقية التي عقدت في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ وان كانت الامتيازات الاجنبية لم تقف في السودان . وبالجملة كان مركزنا حسناً امام القانون ولكننا علمنا أن نظرية الانجليز تتلخص فيما يأتي

ان تركيا صدقت أخيراً على معاهدة سان ريمو وفيها أن تركيا تعترف بالحماية الانجليزية وتنزل عن حقوق سلطانها على قناة السويس وتعترف بالمعاهدة التي عقدت بين مصر وانجلترا سنة ١٨٩٩ فيكون صاحب الحق الاصلي قد أجاز المعاهدة كما أن الدول سجلت هذا ولم تعترض عليه وأصبحت المسألة دولية فرغ منها الكلام . ويكون من الصعب جدا الكلام في السودان باعتباره جزءا من مصر

هذا الذي فهمناه عن نظرية الانجليز وقد قال لنا اللورد ملنر صراحة يجب ان يكون مفهوماً بيننا ان استقلال مصر لا ينسحب على السودان فهو مستقل في ذاته عن مصر على حسب أحكام الجنسية وسيقول لنا غداً اخرجوا أنتم والانجليز لاننا لا نريد حماية أما فيما يتعلق بالماء فنرى حقا وعدلا أن يكون لمصر كل الضمانات التي تطمئنها على ري أرضها المزروعة والتي ستزرع في المستقبل أيا كانت مساحتها و لمصر حق الاولية اذا لم يكف الماء القطرين جميعاً

هذا ما قيل لنا فلم نشأ ان ندخل في التفاصيل لاعتبارين — اولهما لان الدخول فيها اقرار المعاهدة ونوع من التنازل عن نصف السودان مع ان الامة لم تتنازل كما ان فيه شبهة مجاوزة لحدود توكيلنا — ثانيهما ان الدخول في مسألة الضمانات مسألة فنية تتناول كثيراً من الاحصاءات والمقابلات والابحاث لذلك تركنا المسألة من غير بحث وأما التأكيدات بخصوص المياه فهي بين أيدينا من حيث انها تأكيدات وضمانات على أولوية مصر في الماء على كل ماعداها ولانجلترا مصلحة في بقاء الاولوية لمصر لانها الزبون الاكبر لنا

ثم حدثت مناقشة واستفهامات أجاب عنها بأن سكوت مصر عن السودان في المعاهدة يعد رضاء بالحالة الحاضرة ومن مناقشة في مسألة الضمانات لا تأتي الا بعد أن نسلم بمعاهدة سنة ١٨٩٩ والذي حصل انهم اقترحوا علينا أن نتناقش معهم في ذلك فرفضنا للاعتبارات التي وضحتها لكم

النص على الغاء الحماية

وكان الدكتور محجوب بك ثابت قد سأل عن السبب في عدم النص على الغاء الحماية ثم وقف فتح الله بركات باشا وتكلم في هذه النقطة بتوسع فأجاب لطفي بك على هذه الاستيضاحات بقوله : يجب أن يكون مفهوماً اننا لا ندافع عن المشروع وانما نعرضه عرضاً وما سأقوله الآن داخل في تفسير المشروع

تسألون لماذا لم ينص على الغاء الحماية وجوابي على ذلك انه لا يتفق وجود الاستقلال والحماية على بلد فالبلد اما أن يكون مستقلاً أو محميا. ومع ذلك فاني لا أرى النص على الغاء الحماية أمراً زائداً عن الضرورة وأعتقد انه ليس مستحيلا ادخال هذا النص عند تحرير المعاهدة فهذه هي المبادئ المتفق عليها فهم يقصدون باستقلالنا أن تكون لنا السيادة في الداخل والسيادة في الخارج وهذا موجود في المعاهدة

الاستئناس برأي الامة وامتناع الوفد من ابداء رأيه

ثم دارت المناقشة حول موضوع ابداء الآراء فأجاب لطفي بك اننا شرحنا لكم الموضوع ونحن مستعدون أن نعطيكم ما تريدون من استعلامات فوق هذا كما أننا سنتقبل كل الآراء التي تبدى لنا كتابة أو تكليما ونحن على استعداد لمقابلة من يشاء ولا نريد أن نقنع احداً برأي ما. وأما أخذ رأي الامة بمعناه العام فليس هذا وقته فلاخذ الرأي طريقتان معروفتان احداهما الاستفتاء العام بأن نسأل كل شخص على حدة والثاني أن تكون للبلاد جمعية نيابية لها الحق في أن تتكلم باسم الامة وكلا الطريقتين ليس الآن محل العمل بهما

فليست المسألة أخذ رأي الامة وانما الوفد يريد أن يستأنس بريكم برأي موكليه ليخلي ذمته وضميره وليتجنب أن يكون مجاوزاً حدود توكيله

وأما أخذ رأي الامة فيكون في الجمعية الوطنية عند عرض المشروع عليها اذا تم ذلك

وعلى هذا فان ما نعمله الآن أن نستأنس برأي الجماعات والافراد كالجمعية التشريعية بأن نستشيرها على دفعة أو دفعتين أو ثلاث ثم نستأنس برأي الهيئات النيابية الأخرى ورأي نقابة المحامين والأطباء والمعلمين والمهندسين وغيرهم

وهنا وقف الاستاذ حسين بك هلال وطلب أن يبدي أعضاء الوفد رأيهم

قائلا أن الوكيل اذا عرض عليه صلح لا يأبى أن يخبر موكله برأيه في هذا الصلح

فأجاب لنبي بك ان هذا مفهوم في القضايا المدنية والتجارية وأما القضايا السياسية فلا ورأي الوفد لا يفيدك شيئا

ثم اقترح فتح الله بركات باشا أن يحدد الوفد ميعادا كل يوم أو يومين لتلقي اقتراحات الافراد والهيئات فوافق الوفد على هذا الاقتراح وسيعلن عن هذا الميعاد قريباً

الثناء على الوفد وما يجب على الامة

ثم وقف الاستاذ توفيق بك دوس فقال اني باسم اللجنة المركزية أرد على تحية رجال الوفد بالشكر والثناء كما أشكر لكم جميعاً ما قمتم به من جهاد وتضحيات بالنيابة عن الامة واني أهنئكم برجوعكم الى أوطانكم سالمين كما أهنئكم بأنكم رجعتم وانتم تحملون نتيجة ذلك الجهاد العظيم . ولا شك أن الامة تقدر مركزكم كل التقدير فقد كنتم تتفاوضون ولا سلاح لكم الا سلاح الحق فانه وان لم يكن قويا أمس فبحمد الله وحمد ثباتكم بحمد الله وحمد ثبات الامة وتأييدها لكم أصبح هذا السلاح أقوى من كل سلاح آخر. وأشكر لكم المجهود الذي بذلتموه في شرح المشروع ولاشك أن اخواني سيبحثون هذا الشرح كل بما يقدر عليه مع تقدير الظروف المحيطة بنا فلا يجعل للاوهام سبيلا الى درجة تضيع معها مصلحتنا ويجب أن نفهم أن الاماني والآمال شيء وما يمكن أن نصل اليه شيء آخر هذا رأيي الخاص أنا وحدي أتحمل مسئوليته

يجب أن ننظر الى الحقائق بعين أقل ما أقول فيها بعين الخبرة واليقظة بعين لا تبهرها الآمال فيضيع معها نور الحق يجب أن يدلي كل منا بحجته حتى يتكون لديكم منا رأي تحملونه وتستعينون به على الوصول الى أقصى ما يمكن الوصول اليه على أساس هذا المشروع أو باضافة ما يمكن اضافته اليه

ولا أشك لحظة في أن كل مصري يقدر لكم مجهودكم العظيم مهما وصلنا الى أية درجة وصلنا اليها وستحفظ لكم مصر صفحة بيضاء في تاريخها وعسى الله أن يوفق الامة لان تسير وراءكم في الطريق الذي يمكنها من أن تنال كل حقها يوماما

وكانت الساعة في ذلك الوقت قد تجاوزت التاسعة فأعلن سعادة ابراهيم سعيد باشا وكيل اللجنة المركزية انتهاء الجلسة» اهـ ما نشرته اللجنة

[رأي المنار الاجمالي] أظهر المصريون الكفاءة والاستعداد للاستقلال التام بتأليف وفدهم - وبجمع كلمتهم على تأييده - وبامداده بالمال الكثير للقيام بالوسائل والسعي

له بما اتخذه الوفد من طرق بث دعوته وإظهار حق البلاد في أوربة – وبما كان من
بحث المذاكرة مع لجنة لورد ملنر المندوبة من الحكومة البريطانية للاتفاق معه – وبالتكافل
التام بين الوفد والأمة بثقة الأمة به وتفويضها إليه الأمر الذي وكلته به وبالتزامه هو الوقوف
عند حدود الوكالة بعدم تعديها في شيء – وبإرساله المندوبين للاستشارة برأي الأمة
في المشروع الأخير الذي قدمته لجنة لورد ملنر إذ كان الاستقلال التام فيه مقيداً وخاصاً
بمصر والأمة طالبة – وكلت الوفد بطلبه – مطلقاً من كل قيد وشاملاً لمصر والسودان – وبما
كان من حسن استقبال الأمة لمندوبي الوفد وتأييد ثقتها به فيهم – وبما شرع أرباب الأقلام
بنشره في الصحف من نقد مشروع الاتفاق وبيان غثه وسمينه وإظهار عجره وبجره
ومحاسنه ومساويه وفوائده وغوائله بما يدل على النظر الثاقب والعلم الواسع بأصول القوانين
وفنون السياسة وأطوارها

لو قبل المصريون مشروع الاتفاق الذي جاء به مندوبو وفدهم على علاته لاعتقد
العالم المدني في كل قطر أنهم لا يفهمون السياسة ولا يستطيعون القيام بأعباء الاستقلال
السياسي، ولو ردوه إليه بغير بحث ولا حجة إلا أنه غير ما طلبوا لأثبتوا للعالم السياسي
أنهم لما يعرفوا حال العصر الذي يعيشون فيه، وأن مثلهم كمثل الطفل الذي إذا طلب
من والديه القمر لا يعذرهما بالعجز عن تناوله من أفق السماء ووضعه في يده. وإنما اللائق
بمقام أمة بلغت رشدها واستحقت التصرف بأمرها هو أن يوجد فيها الطرفان والوسط
لكل أمر عام ولكل مسألة من شأنها أن تختلف فيها الآراء والأنظار، وهذا هو الذي
ظهرت بوادره من الأمة المصرية الرشيدة – فمن أفرادها وجماعاتها من يرفض مشروع
الاتفاق البتة ولا يقبل إلا الاستقلال التام المطلق من كل قيد لمصر والسودان معاً، وهذا
ضروري لا بد منه، ومنهم من تهلل واستبشر بالمشروع على علاته وعدوه نجاحاً وتوفيقاً
فوق ما كان ينتظر من الدولة البريطانية التي أصبحت وأمست بعد هذه الحرب
ذات القدح المعلى في علم السياسة والقوة في الحرب والسيادة في البحار والسعة
في المادة، إذ اعترفت بحمايتها لمصر في معاهدة الصلح الكبرى مع ألمانية، ثم في معاهدة
الصلح مع الدولة العثمانية صاحبة السيادة السابقة على مصر والسودان، وهذا لا بد منه أيضاً

وأما رأي السواد الأعظم من أفراد المصريين وجماعاتهم فهو أن القواعد التي
عرضتها لجنة لورد ملنر على الوفد المصري لتكون أساساً لمعاهدة الاتفاق لا تقبل على

علاتها ولا تطوى على غرها وتاف وترمى في وجه لجنة لورد ملنر أو وجه حكومته، بل يصح أن تكون أساسا للاتفاق بشروط توضح بعض المبهم وتبين المجمل الذي قد يكون الاختلاف في تأويله منافيا للمراد من الاتفاق، وزيادة ما يضمن لاحد الفريقين سلامة استقلاله، بحيث يكون مطلب كل من الحكومتين المتفقتين محدودا جليا موافقا لمصلحة كل منهما وهو أن تكون مصر دولة مستقلة بنفسها كسائر الدول وان تحفظ مصالح انكلترة فيها بحيث تستفيد من هذا الاستقلال ولا يكون سببا لضررها في سلم ولا حرب، وأهم ذلك حفظ مواصلاتها البحرية والجوية بين أوربة والهند والبلاد العربية في المحالفة

وهذا الرأي هو الوسط المعتدل المعقول الذي يرجى له القبول، والرأي الاول خير منه للبلاد لو كان ممكنا وهو القصد الاسمى للامة الذي ترجو أن يزيدها الاتفاق مع الدولة البريطانية قربا منه، ويخشى أن يزيدها رفضه بعدا عنه مع وقوع في مشكلات وكوارث لا يعلم أحد عاقبة الاصطلاء بنارها

لا يمكن أن يتفق جميع أفراد أمة كبيرة على مشروع عام كبير مثل هذا. فالاختلاف في مثله من السنن المطردة في الامم. وانما يظهر الرشد والارتقاء وضدهما في الاختلاف وبه تتمحص الآراء والافكار، فما أبعد الفرق بين قوم يختلفون في مصالح وطنهم نحو الذي ذكرنا من اختلاف المصريين وقوم يختلفون كاختلاف قوم آخرين كانوا يدعون أنهم أذكى من المصريين أذهانا وأوسع عرفانا وأرقى أخلاقا واجتماعا وأصدق وطنية وأقوى عزيمة فكان من أمر اختلافهم في أمر وطنهم وأمتهم أن ألف أعرضهم دعوى ثلاثة أحزاب في بلد واحد لجعل وطنهم تحت سيطرة الاجانب وكانت المباراة بينها في تفضيل بعض الاجانب على بعض ولو استشاروا دهماء الامة لوجدوا سوادها الاعظم يؤثر الحرية والاستقلال

واذا كان الاجماع في أمثال هذا المشروع متعذرا فالرأي العام الذي يصح ان يسمى رأي الامة هو رأي أكثر العقلاء الباحثين الذين يمثلون طبقاتها المختلفة من علماء الشرع والقوانين وأرباب الفنون وكتاب الصحف والادباء والماليين وزعماء الزراع والصناع وغيرهم. وهذا الذي يسمى الرأي العام هو معيار ارتقاء الامة فاذا كان صوابا موافقا للمصلحة فهو برهان على رشد الامة. ولا يشترط في رشدها وارتقائها الاجتماعي أن يكون اكثر أفرادها كذلك فان أكثر افراد جميع الامم الراقية

الشهيرة يجهلون مصالح العامة ويفوضون امرها الى زعماء الدين يقلدونهم بكفاءتهم وحسب امرهم ومن ثم ثبت انهم قد أحسنوا اختيار الرجال للامور العامة ، ولم يتفق للامة المصرية ان احسنت الاختيار في هذا الشأن كما أحسنته في اختيار الوفد المصري ولا سيما رئيسه المخلص المستقل الرأي المنصف الرجاع الى ما يظهر له أنه الحق بكل ارتياح كما جربناه بنفسنا في مناظراتنا له وسماعنا مناظراته لغيرنا من أهل العلم والرأي

واذا كان العلم بالمصلحة محصوراً في أفراد قلائل في الامة فهي غير رشيدة ولكن يرجى لها الرشد بسعي هؤلاء الافراد اذ كانوا من أولي الغيرة والاخلاص في خدمتها والتفاني في سبيل تربيتها وتعليمها ما تكون به رشيدة ، فمن يطعن فيما سميناه رأي الامة العام فهو طاعن في رشدها . نكتفي بهذا التعليق الآن اذ لا يتسع هذا الجزء للشرح والاطناب في هذا الموضوع وموعدنا الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

﴿ خاتمة المجلد الحادي والعشرين ﴾

باسم الله وحمده نختم المجلد الحادي والعشرين لمجلتنا (المنار) وقد صدر الجزء الاول منه بتاريخ ٢٩ ربيع الاول سنة ١٣٣٧ وهذا الجزء الاخير منه وان كان قد بدئ بتحريره في أواخر شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٨ وجعل تاريخه آخر أيام هذا الشهر الذي ينتهي به هذا العام — لا يصدر الا في أواخر شهر صفر من سنة ١٣٣٩ فعلى هذا يكون هذا المجلد المؤلف من عشرة أجزاء قد صدر في مدة ٢٣ شهراً، ونكون قد أتممنا من عمر المنار سنة كاملة في زمن الحرب وسنة أخرى في عهدي الهدنة والصلح اللذين كانت فتنهما وبلاياهما أعظم من فتن ما قبلهما

أما السنة الاولى فقد تعمدنا إدماجها في سني الحرب وبينا أن سبب ذلك مالي اقتصادي ، واما السنة الاخرى وهي الاخيرة فقد كان سبب إضاعتها رحلتنا الى سورية ومكثنا فيها سنة كاملة مضطرين غير مختارين واهتمامنا بعد العودة في اصلاح ما اختل من أمر المطبعة في بضع سنين فقد سافرت الى سورية في السابع عشر من شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٧ ناويا أن أقيم فيها شهرا واحدا ، وعدت اليها في ١٩ ذي الحجة سنة ١٣٣٨ فكان من المقضي علي أن أقيم فيها سنة كاملة كنت في اكثر أيامها عاجزا عن العودة الى مصر، وكان هذا العجز في أوائل هذه السنة وفي آخرها باسباب

لأملاك دفعها مع السعي اليه (وسأبين ذلك في الرحلة السورية ان شاء الله تعالى)

ولما خرجت من القاهرة كان الجزء الخامس من المنار لمؤرخ في غاية ذي العقدة من تلك السنة قد طبع معظمه ومادة الجزء السادس موجودة معد [illegible] طبع ولكنهما صدرا بعد عدة أشهر من بدء سفري مطبوعين طبعا رديئا جدا كثيري الغلط، وبعد أشهر اخرى صدر الجزء السابع فكان أحسن طبعا وهو مفتتح بمقالة كتبتها في بيروت في شهر المحرم سنة ١٣٣٨ وأرسلتها الى مصر في منتصف ربيع الاول مع أحد المسافرين اليها فهذه الثلاثة الاجزاء هي كل ماصدر من المنار وأرسل الى سورية [illegible] فيها في مدة سنة كاملة. ولما عدت وجدت الجزء الثامن قد طبع أيضا وبدئ بطبع الجزء التاسع الذي كنت كتبت له التفسير وغيره في الشام منذ عدة أشهر وأرسلته الى مصر في البريد

وبعد استراحة بضعة أيام عزمت على اصدار الجزأين التاسع والعاشر معا في شهر المحرم من سنة ١٣٣٩ واصدار الجزء الاول من المجلد الثاني والعشرين فيه أيضا وشرعت في تحريره وفي تجديد ماخلق أو بلي من أدوات المطبعة وشراء حروف جديدة لها وتكثير العمال فيها فعرض موانع حالت دون انجاز العمل (منها) الاضطرار الى اتمام كتابين كان قد طبع اكثرهما، والى الشروع في طبع كتاب ديني عهد الى المطبعة بطبعه في أثناء سفري ولم يتيسر لها الشروع فيه لما يحتاج اليه طبعه من النظام والتصحيح والمقابلة على النسخ القديمة (ومنها) وهو أهمها ان بعض العمال قد خرجوا من المطبعة باغراء مباءرة السوء

وقد سبب اختلال أمر المطبعة في أثناء الحرب وامتداده الى هذه الاشهر من أواخر هذه السنة انها كانت كالمعلقة لاعمل فيها يبعث ربحه على العناية ولا يمكن اقفالها وتعطيلها لان المنار يطبع فيها وكانت النفقة عليه اضعاف مايأتي من المشتركين فيه لما بيناه في السنين السابقة، وهو علة عدم ارجاعه الى حجمه الاول ولا سيما مع بقاء غلاء الورق

ذلك عهد قد انقضى بارزائه وخسائره ونحمد الله على السلامة من غوائله، ثم على الدخول في عهد جديد نرجو أن يكون خيراً مما سبقه من سني الرخاء والسعة وان كان العالم كله لايزال يشكو غلاء كل شيء من مواد المعيشة والصناعة والزراعة، وما يتبع ذلك من [illegible] الاجور واعتصاب العمال، فا[illegible] هذه العسرة [illegible]

(ان مع العسر يسرا * ان مع العسر يسرا * فاذا فرغت فانصب * والى ربك فارغب)

فما من نوع من أنواع هذا العسر الا ويتهوّم امام يسر بن يتبعانه، فقد كان ثمن ورق الطبع زاد في زمن الحرب على ما كان عليه قبلها ٤٠ ضعفا أو أكثر وهو على غلائه اليوم حتى في معامله في أوربة قلما يزيد على خمسة أضعاف، ولدينا في المطبعة الآن كتب كثيرة قد عهد الينا بطبعها منها الصغير والوسط والكبير الذي يزيد على عشر مجلدات ، فالدواعي متوفرة على توسيع عمل المطبعة واتقانها واتقان طبع المنار وإصداره في أوقاته

وسنعيد المنار كل جزء من أجزاء المجلد الثاني والعشرين الى حجمه الاول فيكون عشرة كراريس وقد ابتعنا له ورقاً من أجود الورق، وسيكون معظمه من الحرف الجديد الذي تكون به مادته أوسع، وسنعنى بهذه المادة ان شاء الله تعالى

الدعوة الى الانتقاد على المنار

اننا ندعو جميع من يطلع على المنار من علماء الدين وغيرهم من أهل العلم والرأي ان يكتبوا الينا بما يرون فيه من الخطإ في المسائل الدينية وغيرها اوماينا في مصلحة أمتنا وأوطاننا التي نعيش فيها . ونعد المنتقدين بنشر كل ما يرسل الينا من نقد مع بيان رأينا فيه بشرط أن يكون النقد مختصرا مؤيدا بالدليل نزيه العبارة كما فصلنا ذلك في المجلد السابع عشر وما قبله من المجلدات فيراجع في فواتحها أو في خواتمها

ونذكر عامة قراء المنار بأن يطالبوا كل من يسمعون منه انتقادا في المنار بكتابته وارساله الى صاحبه لينشره فيه فيطلع قراؤه عليه وعلى ما يقرن به من قبول أورد ويأخذوا بما يرونه الحق ، والا خيف أن يبقى من لا يعرفون ذلك الخطأ على ضلالهم ، وهذا لا يرضي من هو واثق من صحة انتقاده مخلص فيه . وليعلموا أن كل منتقد يأبى أن يكتب انتقاده ويرسله الينا فهو فاسق مغتاب ، أو جاهل مرتاب ، دعاه الحسد أو حب الشهرة الكاذبة الى الطعن فاستجاب، ومن كان هكذا فهو مأزور وان فرض انه أصاب : وأما من اجتهد وهو حسن النية فأخطأ فله أجره ومن اجتهد كذلك وأصاب فله أجران . كما ورد في الحديث ، فنسأل الله تعالى ان يجعلنا من المجتهدين المخلصين ، وان يوفقنا للصواب ويثيبنا أفضل ما أثاب المتقين وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين